المختصر الحثيث

في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث

في تلقي الدين وفهمه والعمل به

الطبعـة الثانية

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

طبعـة مزيدة ومنقحـة

للتواصل: عيسى مال الله فرج

٩٩٢٤٥٩٠٤- ٠٠٩٦٥ - فاكس ٢٥٢٢٦٧٥٧ - ٠٠٩٦٥

العنوان البريدي: الكويت - الخالدية ، ص.ب ١٧٠١٥ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١

الكويت - شـارع الصحافـة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية

هـاتـف: ٢٤٨١٩٠٣٧ - ٢٤٨٤٤٧٤٣ - فـاكـس ٢٤٨٣٨٤٩٥

الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١

فرع القاهرة: عين شمس الشرقية - أحمد عصمت - ١ ش صعب صالح -

برج الأمانة ، هاتف: ٠٠٢٠٢٢٤٩٩٨٣٥٦ - ٠٠٢٠١٢٦٣٠٤٠٧٥

Website: www.gheras.com

E-Mail: info@gheras.com

سلسلة الدروس العلمية للدعوة السلفية (٣)

المختصر الحثيث

في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث
في تلقي الدين وفهمِه والعمل به والدعوة إليه

إعداد

عيسى مال اللّه فرج

الطبعة الثانية

(مزيدة ومنقحة)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

تقديم وتقريظ

بقلم

١- الشيخ محمد الحمود النجدي.

رئيس اللجنة العلمية- جمعية إحياء التراث الإسلامي- فرع ضاحية صباح الناصر.

٢- د. بسام خضر الشطي

رئيس قسم العقيدة والدعوة كلية الشريعة - جامعة الكويت

٣ - د. وليد خالد الربيع .

العميد المساعد للأبحاث والإستشارات والتدريب بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت

٤- د. عبد الرحمن صالح الجيران

الاستاذ المساعد في كلية التربية الأساسية/ قسم الدراسات الإسلامية

٥ - الشيخ. خالد بن جمعة الخرّاز

موجه فني للتربية الإسلامية في وزارة التربية وخطيب في وزارة الأوقاف

٦- اللجنة الثقافية - بجمعية إحياء التراث الإسلامي - قرطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

بقلم
فضيلة الشيخ
محمد الحمود النجدي

الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، ، ،

أما بعد :

فإن السلفية : هي اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة : أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، وتعني النسبة إلى السلف الصالح رضوان اللَّه عليهم وهم : مَن تقدمَنا من هذه الأمة المباركة، من الرعيل الأول من أصحاب النبي ﷺ، ومن بعدهم من القرون الثلاثة، ومن اتبعهم بإحسان على منهاج النبوة الذي جاء به الوحي الشريف .

والفرقة : بكسر الفاء، الطائفة من الناس، و أما بالضم فهي من الافتراق .

وقلنا إنها الناجية المنصورة : أخذاً من حديث الرسول ﷺ : «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**» رواه الترمذي، وهو حديث صحيح مشهور .

وقوله ﷺ : «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من**

خذلهم حتى يأتي أمر اللَّه، وهم كذلك» رواه مسلم عن ثوبان ﵁.

وفي رواية للشيخين: عن معاوية ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر اللَّه، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه، وهم ظاهرون على الناس**».

ونقول: أهل السنة والجماعة: ونقصد بالسنة، الطريقة والهدي الذي كان عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه، قبل ظهور البدع والمقالات المحدثة.

وسموا أهل السنة: لأنهم متمسكون بها، داعون لها.

والجماعة في الأصل: القوم المجتمعون، والمراد بهم هنا: سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الصريح من كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولم تفترق هذه الجماعة كما افترقت الفرق الضالة، كالجهمية والروافض والقدرية والخوارج والمرجئة وغيرهم.

وإن كان حصل بينهم اختلاف، فهو يسير وفي الفروع، ولم يحصل بينهم افتراق، ولم يضلل بعضهم بعضاً.

والسلفية اصطلاحٌ قديمٌ، لم يكن مِن وَضع أصحابها، وهذا فرقٌ عظيمٌ بينَ مَن ينتسبونَ إلى هذه النِّسبة الشريفة، وبينَ مَن يتَسمَّون بأسماءٍ أخرى مِن الجماعات الأخرى، والحَركات الإسلامية، التي وضع أسماءها: مؤسِّسوها.

ومن يَعرف هذه النِّسبةَ على حقيقتها، يعلِم أنَّها نسبةٌ إلى الإسلام كُلِّه، بأحكامه وآدابه، وأخلاقه وعقيدته، كما أمرَ اللهُ سبحانهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

والسلفية بهذا المَعْنى، ليست حِكراً علَى فئةٍ من النَّاس، فليست هي حزبا غاليا متطرفا، ولا حركة سياسية، ولا جماعة حزبية منغلقة على نفسها، متعصبة لغير الحق بل هي دين اللَّه الخالص، ونهج نبيه الكريم ﷺ وأصحابه الغر الميامين.

وهي منهج أئمة المسلمين وساداتهم، ولذا فلا يُفاجأَ المُتعصِّبةُ مِن أتباع المذاهب، أنَّ أئمَّة المذاهب ـ رحمهم اللَّه ـ جميعهم سلفيون، لأنهم جميعا على قدم المصطفى عليه الصلاة والسلام، وقدم أصحابه رضوان اللَّه عليهم، في فقههم وتأصيلهم وفتاويهم، وأقوالهم وأعمالهم .

وهو منهج يربط المسلم بالسلف من الصحابة ومن تبعهم فتزيده عزة وإيمانا وافتخاراً، لأنهم سادات المؤمنين، وأئمة المتقين، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «**إن اللَّه نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند اللَّه حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند اللَّه سيء**» رواه الإمام أحمد، وصححه أحمد شاكر .

والطاعنون على السلفية، إما طعنوا عليها بظلم، أو بجهل، والظلم ظلمات، والجهل من المهلكات المرديات، والعاقل يسرع إلى النجاة قبل الفوات .

وليست السلفية مرحلة انقضت، ولا هي مقصورة على الصحابة وحدهم، أو على القرنين التاليين لهم، فإن هذا إجحاف وظلم، وكيل بمكيالين، وهي

دعوى باطلة منكرة، لا دليل عليها، بل السلفية زمانها الزمان كلُّه، ومكانها الأرض كلُّها، لأن كتاب اللَّه محفوظ، وسنة رسوله ﷺ ومنهاجه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وكما ذكرنا قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك**». وفي رواية: «**حتى يقاتل آخرهم الدجال**».

فالسلفيون هم المتمسكون بمنهج الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، لا يحيدون عنه قيد أُنملة في أقوالهم وأفعالهم، وكتبهم ومؤلفاتهم على مر الزمان والأيام شاهدة بذلك.. فهي سلسلة ذهبية، كتب اللَّه تعالى لها البقاء، وحفظ اللَّه بأهلها الدين، وأحرز بهم العقيدة.

وأما الخلفيون: فهم من كان منهم على غير هذا المنهج في العلم والعمل والفهم والاجتهاد، كأهل الأهواء والآراء، قديما وحديثا، ومن شاكلهم ممن ليس لهم تمكن في معرفة السنن والآثار، ولا اتباع للسلف الأول، وممن قدم عقله على وحي السماء؟! واتبع المناهج الأرضية، متأثرا بالأمم السالفة؟ أو من الذين يتذبذبون بين الرأي والهوى، وبين السنن والآثار؟ عافانا اللَّه جميعا من ذلك بمنه وكرمه.

وبعد: فقد اطلعت على ما كتبه الأخ الفاضل الشيخ / عيسى مال اللَّه حفظه اللَّه تعالى.

في كتابه : «**المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه**» .

في هذا الموضوع المهم، وقد حاول جمع أطرافه، واستقصاء مباحثه، فأجاد وأفاد، وأحسبه من البحوث الجامعة في بابه، فجزاه اللَّه خيرا .

ونسأل اللَّه ﷻ أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره، كما نسأله أن يعلي كلمته وينصر دينه وكتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وعباده الموحدين، إنه قريب مجيب الدعاء .

وكتبه

محمد الحمود النجدي

رئيس اللجنة العلمية- جمعية إحياء التراث الإسلامي

فرع ضاحية صباح الناصر

تقديم

بقلم

د.بسام خضر سالم الشطي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين سيد الأولين والآخرين، وارضى اللَّهمَّ عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فإني قرأت كتاب أخي الفاضل الشيخ عيسى مال اللَّه فرج، بو عبد اللَّه والمعنون باسم: «**المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث**» وقد جمع فأوعى، وكان موفقاً في تناوله الموضوعات بدقة ولمس الحاجة المنشودة، وقد أضاف إلى المكتبة الإسلامية ذخر وبستان المعرفة. . .

وأعجبني تقسيمات خطة البحث فقد تناول مفهوم السَّلفي والسلفية وأسس اتباع منهج السلف الصالح للعباد والبلاد حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما السلف كالصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يُعرف لهم في هذا الأصل تنازع، بل الآثار متواترة عنهم به» [الفتاوى (١٧/ ٥٢)].

وهم الغرباء، وهم الفرقة الناجية والمنصورة، وهم أهل السنة والجماعة.

قال العلامة الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل السنة والجماعة: هم الذين تمسَّكوا بالسنة واجتمعوا عليها، ولم يلتفتوا إلى ما سواها لا في الأمور العلمية الاعتقادية، ولا في الأمور العملية الحكمية». (فتاوى العقيدة ص٤٣١).

فواجبنا جميعاً بيان الحق للناس، وحثهم عليه، وإبانة الحجة، والقيامة بالنصح والنذارة، ولنعلم أن منهج السلف دائم وخالد ومنصور إلى أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها.

ودليل ذلك حديث أبي رقية تميم الداري ﷺ مرفوعاً: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللَّه بيت مدر ولا وبر إلا أدخله اللَّه هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يُعز اللَّه به الإسلام، وذلًا يذل اللَّه به الكفر» رواه الطبراني (٢/ ٥٨).

فالسَّير على هذا المنهج أمن وأمان واطمئنان ورخاء ويسر وسهوله واتفاق مع الفطرة السليمة.

فهدف الدعوة السلفية تحقيق عبادة اللَّه في الأرض تنبيهاً للغافلين، وذكرى للمتعظين، وردعاً للمعتدين، ومعذرة إلى رب العالمين ولتحقيق الأمن والأمان في ديار المسلمين....

وفق اللَّه الشيخ بو عبد اللَّه وبارك في كتابه وعلمه وجعل عمله وأعماله رصيداً له في آخرته مقبولًا عند ربه، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

د.بسام خضر سالم الشطي
رئيس قسم العقيدة والدعوة
كلية الشريعة - جامعة الكويت

تقديم

الحمد اللَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

فقد اطلعت على البحث المتميز الذي أعده الشيخ الفاضل / عيسى مال اللَّه فرج حفظه اللَّه في بيان أصول منهج السّلف أصحاب الحديث، ووجدت فيه محاسن عديدة وفضائل كثيرة منها، الشمول والإحاطة، ومنها التوثيق والأمانة، ومنها حسن الترتيب وجودة الصياغة، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأوجه أخرى مما اشتمل البحث عليه .

وهذا المختصر الحثيث – مع صغر حجمه – قد حوى ما يغني عن التطويل، مما يجعله - بحق - مرجعاً رئيساً لمعرفة الدعوة السلفية والوقوف على أصول منهج السّلف وخصائصه وثمراته، على نحو لا يصعب على الطالب المبتدئ فهم مبادئه، ولا يستغني الداعية المجتهد عن غاياته ومقاصده .

والمأمول من كل من قرأ الكتاب وأفاد منه أن يدعو لكاتبه وجامعه؛ شكراً لسعيه، وعرفاناً بجهده، واللَّه تعالى أسأل أن يجزي المؤلف خير الجزاء، وأن يوفقه لمزيد من العطاء، وأن يمنن علينا وعليه بالقبول والرشاد .

وصلى اللَّه على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه/ **د. وليد خالد الربيع**

العميد المساعد للأبحاث والإستشارات والتدريب

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الكويت

تقديم

الحمد اللَّه الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خيرته من خلقه وأمينه على وحيه سيدنا ونبينا وإمامنا محمد بن عبد اللَّه وعلى آله وصحبه ومن استنى بسنته إلى يوم الدين وبعد. . .

فإن من رحمة اللَّه بهذه الأمة أنه تتابع أئمة السنة منذ القرون الأولى على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وتوضيح من منهجهم في تلقي الدين والعمل به والتحذير مما يضادها والرد على كل من خالفها . وسار على ذلك المنهج الرباني علماء الأمة إلى يومنا هذا .

ومن هذه المؤلفات كتاب السنة للإمام أحمد، والسنة لابنه عبد اللَّه، والسنة للاثرم، وشرح أصول الإعتقاد للالكائي، وكذا كتاب الإيمان في صحيح البخاري ومسلم وكذا، كتاب الشريعة للآجري الشافعي، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، كلها تدور حول ما يعتقده القلب ويدين به ويجزم به ويسير عليه وهذا الذي درجت عليه الأمة واهتموا به تمييزاً بين الحق والباطل يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[الرعد: ١٧]. وفي الختام أسال اللَّه جلّ وعلا أن يبارك هذا الجهد وأن يتقبله من مؤلفه وجامعة ويجعله خالصاً لوجهه الكريم صواباً على سنة نبينا محمد ﷺ وأن ينور به بصائر القارئيين ويوفقهم لمعرفة الحق والثبات عليه .إنه خير مسؤول والحمد اللَّه رب العالمين .

وكتبه/ **د. عبد الرحمن صالح الجيران**

الاستاذ المساعد في كلية التربية الأساسية، قسم الدراسات الإسلامية

تقديم

بقلم الشيخ

خالد بن جمعة الخرّاز

الحمد اللَّه وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم .

- **وبعد:**

إن التأليف في الجماعات، والفِرق ومبادئها يلزم صاحبه الإحاطة بأسس نشأتها، ومنبع المنهج الذي تسير عليه، ولا يخفى على كل من يتجشم مثل هذا العمل أن يبذل الجهد المضني كي ينال ما يريد من كتاب يجمع بين دفتيه كل ما تقدم من أسس ومبادئ تتعلق بالجماعة، أو الحركة، أو الفرقة التي يقصد الكتابة عنها، وخاصة إن كان الأمر يتعلق بالدعوة السلفية التي دأبت على عدم قبول أي أمر يتعلق بالدين من غير دليل .

وهذا الكتاب الذي بين يدي والمسمى «**المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السّلف أصحاب الحديث في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه**»، قد طلب مني مؤلفه - فضيلة الشيخ عيسى مال اللَّه فرج - أن أقرأه، وأبدي فيه رأيي المتواضع، وقد قرأته، ووجدت فيه جهداً صادقاً، وحرصاً على الإتيان بالأدلة من مظانها رغم ما في ذلك من عناء البحث الذي يتطلب الأمانة، والدقة العلمية، وقد توافرا في هذا الكتاب، وكل قارئ له لا يخفى

عليه طول نفس المؤلف، التناول الهادئ لكل المباحث.

ونظراً لكل ما تقدم، فإن هذا العمل الموسوعي يثير الإعجاب، ولا بد من الثناء على جهود صاحبه التي آتت أكلها في هذا السفر الذي كلما أسهبت في قراءته شعرت بشجرة العلم الوارفة، وقد ظللني غصن منها، وطاب جناه.

وكلي ثقةٌ بأن هذا الكتاب يغني غنَاءَ الكتب الرصينة التي إن قرأتها رضيت عنها، وقلت للآخرين أن يرجعوا إليها إن كانوا من رواد الحقيقة .

فهذا الكتاب هو كاسمه حثٌّ للحصول على الأمر المراد، وتقصٍ لأبعاده حتى لم يُبْقِ لطالبه حاجةً يبحث عنها عند غيره، فهو في مجاله كافٍ، وبما تناوله وافٍ، وقد صدق فيه القول وإذا خاطبت فأقنع، فهو مقنعٌ لمن يقرؤه، كيف لا وكل مبحث من مباحثه يتابع الفكرة متابعةً حثيثة ويسندها بالدليل القاطع حتى أنه لم يدع ثغرة يتوقعها الناقد إلا وسدها بحجة دامغة، أو برهان ساطع، وبذلك حصلت قناعتي به، ونال إعجابي، فإلى مثله يرجع، ومن منهله يُشرب، فهو شامل في مجاله إذ أنه عرّف منهج أهل الحديث، ومصادرهم من الكتاب، والسنة وأقوال السّلف الصالح، وأفعالهم وكل ما يتعلق بهم، وبناء على ذلك فقد جاء الكتاب زاخراً بكل ما يتطلبه موضوعه ففيه من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، وأقوال أئمة الدعوة السلفية قديماً وحديثاً، مما ينير فكر القارئ الذي ينشد الحقيقة، ويحرص عليها، وإني إذ بينت رأيي في الكتاب أجد من الخير أن أدعو كل طالب علم إلى قراءته لما فيه من كثير عطاء، وغزارة علم إذ يجد مراده فيه، ويمكن أن يغنيه عن غيره من الكتب، وكل من ليس لديه معرفةٌ كاملةٌ بالدعوة السلفية

وأصولها وأراد أن يعرفها فعليه بالرجوع إليه ففيه بغيته.

وإني أسال اللَّه سبحانه وتعالى أن يثيب صاحبه خير الثواب، ويوفق الأمة لانتهاج سبيل السّلف الصالح في المعتقد والقول والعمل. إنه أهل لذلك والقادر عليه .

وأسال اللَّه أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع المسلمين جميعاً بهذا الكتاب . وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

راجي عفو ربه

خالد بن جمعة الخرّاز

موجه فني للتربية الإسلامية في وزارة التربية وخطيب في وزارة الأوقاف

في ٤ / ٤ / ١٤٣٠ هـ

كلمة اللجنة

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وصلى اللّه تعالى على نبينا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا، أما بعد :

فإن اللجنة الثقافية هي إحدى اللجان العاملة في جمعية إحياء التراث الإسلامي في دولة الكويت، واسم اللجنة يوحي بما أنشئت وتعمل من أجله هذه اللجنة من أهداف، فهي معنية بالنشاط الثقافي على اختلاف أنواعه في جميع فروع ولجان الجمعية كالمحاضرات والندوات والدروس العلمية والأسابيع الثقافية والمخيمات الربيعية الدعوية كما تهتم بمتابعة وتدقيق كافة الإصدارات الثقافية والعلمية والدعوية على اختلاف أنواعها والتي تقوم بإصدارها الفروع واللجان المختلفة بالإضافة إلى ما تقوم به هذه اللجنة من مثل هذه النشاطات في المقر الرئيس للجمعية كالمحاضرات والندوات المختلفة وكذا المخيم الربيعي السنوي للجمعية وكذلك إصدارتها الخاصة من الكتب العلمية .

وتقوم اللجنة كذلك بالإشراف على المكتبة العامة للجمعية وتعدها لاستقبال الباحثين وطلبة العلم الشرعي وتوفر لهم فرصة الوصول إلى بغيتهم من العلم من خلال مجموعات الكتب العلمية الشرعية الكثيرة المتوفرة في المكتبة والتي تحرص اللجنة على إثرائها دائما بما يستجد من الإصدارات الحديثة النافعة .

وهذا الكتاب الذي بين يديك أحد الإصدارات التي ساهمت اللجنة في طباعتها وهو كتاب علمي دعوي نافع بإذن اللّه تعالى يتناول التعريف بالمنهج

الحق في تلقي الدين وفهمه، والعمل به ألا وهو منهج سلف هذه الأمة، وقد بين المؤلف جزاه اللَّه خيرا أهمية هذا المنهج وتميزه عن غيره من المناهج، وحاجة الأمة إليه، وعرَّف معنى السلف والسلفية، وبين كذلك من هم المقصودون بهذه التسمية، وذكر أهم أصول منهج السلف في التلقي وخصائصه ومميزاته، وبين أن اتِّباع هذا المنهج من الواجبات الشرعية التي ليس للعبد فيها اختيار لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]، وكذلك ذكر المؤلف بالتفصيل أصول الدعوة السلفية المباركة، وختم كتابه ببيان أهم ثمرات الالتزام بمنهج السلف مدللا على ذلك كله بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف ومن سار على دربهم من العلماء المعاصرين.

الجدير بالذكر أن نفقات نشاطات اللجنة الثقافية الدعوية المختلفة وإصداراتها من الكتب العلمية ومساهماتها في النشاط العلمي هي من ريع الوقف الدعوي الذي يعتبر أحد فروع المشروع الوقفي الكبير، نسأل اللَّه تعالى أن يثيب الواقفين خيرا، وأن يغفر لهم ويرحمهم برحمته الواسعة.

نسأل اللَّه أن ينفعنا بما علمنا من الحق.

والحمد لله رب العالمين،،،

اللجنة الثقافية

جمعية إحياء التراث الإسلامي

مُقَدِّمَة

إن الحمد اللَّه؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾[٣].

أما بعد: فإن أحسن الكلام كلام اللَّه سبحانه وتعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإنه بعد أن كثرت المناهج، وتشكَّلت - بل وتباينت وتعدّدت أحببتُ أن أضع بين يدي اخواني مختصراً[٤] نافعا - بإذن اللَّه تعالى - يبيّن مجمل أصول منهج

---

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) النساء: ١.

(٣) الأحزاب: ٧٠- ٧١.

(٤) وهذا المختصر في الأصل مذكرة بعنوان: «دروس في المنهج السلفي» لا تتجاوز ١٣ صفحة خالية في معظمها من الأدلة التفصيلية؛ «أُلقيت على شكل دروس منهجية في صيف ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، على شباب «الجيل الإسلامي» في منطقة القرين - حفظهم الله وبارك فيهم - ولهذا كان موجز الألفاظ، سهل العبارة، ثم رأيت بعد فترة أن يتم شرحها، وقد يسّر الله الآن طبعها. وكان ينبغي أن تكون أول إصدار لهذه السلسلة=

السلف الصالح رضوان اللَّه عليهم - في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه .

وقد اعتمدتُ فيه منهج العرض بالأدلة ، مبتعداً فيه عن منهج عرض الشبهات والردّ عليها ، سائلًا اللَّه تعالى الإعانة والتوفيق ، وأن يكون ما كتبتُ حجة لي لا عليَّ ؛ فما كان من صواب فمن اللَّه وحده ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، واللَّه ورسوله بريئان منه (وأستغفر اللَّه منه) .

وأشكر - بعد شكر اللَّه تعالى - كل من أسهم بنصح أو توجيه ، وأخصّ بالذِكر الشيوخ الفضلاء الذين راجعوا هذا البحث [١] ، وهم كلٌّ من : الشيخ / عثمان محمد الخميس ، والشيخ / د . عبد الرحمن صالح الجيران ، والشيخ/ د . وليد خالد الربيع حفظهم اللَّه جميعاً .

وكتبه

عيسى مال اللَّه فرج

الأربعاء ٦ شعبان ١٤٢٧ هـ

الموافق ٣٠ / ٨ / ٢٠٠٦ م .

= (الدروس العلمية للدعوة السلفية)، إلا أن الظروف التي يمر بها الشباب اليوم والأمة الإسلامية حتَّمت أن يكون أول السلسلة هو كتاب «البراءة والتحذير من خطر التكفير»، وكتاب «أطايب القول في حسن التعامل مع ولاة الأمر».

(١) وكذلك فضيلة المشايخ/ محمد الحمود النجدي وفهد بن عبد الرحمن الشويب وخالد بن جمعة الخرّاز حفظهم الله، الذين بذلوا جهداً مشكوراً.

لماذا ... الدروس في المنهج السَّلفي؟

- **تأتي هذه السلسلة من الدروس العلمية للدعوة السّلفية لتحقيق أهداف عدة، منها:**

١- لتحقيق: معنى العبودية لله تعالى والاتباع لرسول الله ﷺ بفهم السلف الصالح.

٢- لتعريف: الناس عامة، والشباب خاصة، بمنهج السّلف الصالح، وذلك لأن شريحة الشباب هي أكبر شريحة مهيئة في نفسها ومستهدفة من غيرها لفتنة الشهوات والشبهات.

٣- لتصحيح: جملة المفاهيم الخطأ حول مفهوم السّلف والسّلفية[١].

٤- لرصد: المحاولات الكثيرة والمتعددة لإنكار أو تمييع مفهوم السّلفية، أو إلباسها غير ثوبها.

٥- للردّ على: إنكار بعض المتأخرين أن يكون للسّلف منهج في الاعتقاد وفي الدعوة إلى اللَّه تعالى.

٦- لإبطال: الدعوى القائلة: «بأن منهج السّلف أسلم. ومنهج الخلف أعلم وأحكم»، أو الإدعاء بأن لفظ (السّلف) بدعة في هذا الدين، وأنه مذهب خامس![٢].

---

(١) فالبعض يختزل السَّلف أو السَلفية في جماعة معينة أو هيئة أو شيخ أو حركة.

(٢) وأنهم جاؤوا بهذا المنهج لمزاحمة المذاهب الفقهية.

٧- للاعتقاد: أنه لا سعادة ولا فلاح ولا اطمئنان، ولا عزّ لنا بالنصر والتمكين، في الدنيا ولا نجاة لنا في الآخرة من النار ودخول جنة النعيم - إلا بالسّير على هذا المنهج القويم.

٨- لتعرية: من يدّعي السّلفية وهو ليس كذلك؛ فالمنهج يكشف زيف هذا الادعاء؛ وأن الانتساب لمذهب السّلف مستلزم للعمل بموجبه، وأن التسمية وحدها غير كافية لصحة الانتساب إليه.

٩- لإزالة ما علق في أذهان بعض الناس على هذا الاسم الطّيب (السلفية) من تشويه كما شوهت كثير من الألفاظ (كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و (كالجهاد) بل حتى لفظ الإسلام والمسلمين وذلك نتيجة التصرفات الخاطئة من بعض المنتسبين إلى الإسلام.

❊ ❊ ❊

خطة البحث

- مقدمة:
- **الفصل الأول: بيان معنى منهج السَّلف.**
- **الفصل الثاني: حكم إتباع منهج السَّلف.**
- **الفصل الثالث : أسماء السَّلف و ألقابهم:**
  - المبحث الأول: أهل السنة والجماعة.
  - المبحث الثاني: أهل الحديث.
  - المبحث الثالث: السواد الأعظم.
  - المبحث الرابع: الفرقة الناجية.
  - المبحث الخامس: الطائفة المنصورة.
  - المبحث السادس: الغرباء.
- **الفصل الرابع : الثبات على منهج السَّلف.**
- **الفصل الخامس : أهم أصول منهج السَّلف:**
  - المبحث الأول: حصرهم لمصدر التلقي في باب الاعتقاد في الكتاب والسنة.
  - المبحث الثاني: احتجاج السَّلف بالسّنة الصحيحة مطلقاً .
  - المبحث الثالث: فهم النصوص على ضوء أقوال السَّلف.
  - المبحث الرابع: التَّسليم بما جاء به الوحي.
  - المبحث الخامس: الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة .

المبحث الخامس : نبذ البدع والأفكار الدخيلة .

المبحث السادس : طلب العلم النافع .

المبحث السابع : التصفية والتربية.

المبحث الثامن : الأخلاق وتزكية النفوس .

المبحث التاسع : تحذير المسلمين من الأحاديث الضعيفة الموضوعة.

المبحث العاشر : نبذ التّحزّب والتّعصُّب .

المبحث الحادي عشر : السّعي نحو استئناف الحياة الإسلامية .

- **الفصل الثامن : نتائج الالتزام بمنهج السّلف وثمراته :**

❑ المبحث الأول : تحقيق كمال الدين وتمام النعمة وقيام الحجة .

❑ المبحث الثاني : ثبوت العصمة للشريعة .

❑ المبحث الثالث : التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة .

❑ المبحث الرابع : تعظيم نصوص الكتاب والسنة .

❑ المبحث الخامس : ربط المسلم بسلفه الصالح وبالعلماء الربانيين .

❑ المبحث السادس : السكوت عمّا سكت عنه السَّلف.

❑ المبحث السابع : الثبات على الحق والطمأنينة به وعدم التقلب .

❑ المبحث الثامن : توحِّد صفوف المسلمين .

❑ المبحث التاسع : الهداية والنصر والتمكين .

❑ المبحث العاشر : أن طريقة السّلف أعلم، وأحكم، وأعلم .

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

بيان معنى منهج السَّلف

بيان معنى منهج السلف

يتناول هذا الفصل بيان معنى منهج السلف في اللغة والاصطلاح مع بيان الفرق بين السّلف والخلف وحكم الانتماء لمنهج السّلف في النقاط الآتية:

أولًا : تعريف المنهج وبيان أهميته

المنهج في اللغة : الطريق البيِّن الواضح؛ قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[١] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «**سبيلا وسنّة**» .

المنهج في الاصطلاح: القواعد والضوابط التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية[٢]؛ كقواعد اللغة العربية وأصول العقيدة والفقه والتفسير؛ حيث تضبط هذه العلوم دراسة الإسلام وأصوله .

أهمية المنهج :

إن المنهج يحفظ للعلم نظامه واتساقه، كما أنه يضبط العقل البشري، والأعمال الذهنية، بقواعد ثابتة[٣]، بحيث تعينه على الوصول إلى الحقيقة فيما يبحثه من موضوعات .

إن شرط قيام العلم وتقدمه، أن تكون هناك طريقة صحيحة تحوي شتات الوقائع والمفردات المبعثرة هنا وهناك، وتربط العلاقة بينها، فتقدُّم العِلم

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .

(٢) وهو المعنى المراد بهذا البحث . منهج البحث العلمي عند العرب - جلاب موسى (٢٧١).

(٣) فالمنهج كالبوصلة يُظهر أي انحراف في السَّير .

وتأخره مرتهن بمسألة المنهج، يدور معها وجوداً وعدماً [١].

- **ثانياً: تعريف السّلف**

السَّلف في اللغة: يُطلق السّلف ويراد به معانٍ [٢] كثيرة، منها:

الأول: التسوية؛ ومنه المِسلفة - بكسر الميم – آلة تُسوى بها الأرض يُقال: سَلَفَ الأرض إذا سواها.

الثاني: بمعنى السَّلم: وهو نوع من أنواع البيع، يُعجّل فيه الثّمن، وتضبط السِّلعة بالوصف إلى أجل معلوم.

الثالث: بمعنى من مضى وتقدم، فسلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين بالسَّلف الصالح، وهو الأغلب عند الإطلاق [٣].

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ ما قد سلف: أي ما قد تقدم [٤]. وقال عن فرعون وقومه: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ٥٦﴾ [٥]. أي: معتبراً مُتقدِّماً.

وقال رسول اللّه ﷺ: «**إن اللّه تعالى إذا أراد رحمة أُمة من عبادة، قبض نبيها**

(١) «منهج الاستدلال» ١ / ٢١ د. عثمان بن علي حسن.
(٢) ومن معانيه: ١. القرض ٢. صفحة العنق ويقال لها: السالِفة ٣. ملساء
(٣) «مختار الصحاح» ٢٦٤، «والنهاية في غريب الحديث» ٢ / ٣٨٩ - ٣٩٠ لابن الأثير، «والمفردات» للراغب الأصفهاني
(٤) الأنفال الآية: ٣٨.
(٥) سورة الزخرف آية ٥٦.

قبْلها؛ فجعله لها فَرطاً وسلفاً بين يديها. . .»[١]. وقوله ﷺ لفاطمة رضي اللَّه عنها: (. . . ولا أُراني إلا قد حضر أجلي، وإنكِ أولُ أهلي لحوقاً بي، ونِعمَ السَّلفُ أنا لكِ. . .)[٢].

السَّلف في الاصطلاح: السَّلف يراد بهم الصحابة [٣] رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم، وأئمة الإسلام العدول ممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعِظم شأنهم في الدين، وتلقَّى المسلمون كلامهم خلفاً عن سلف بالقبول، دون من رُمي ببدعة أو لقب غير مرضيّ: كالخوارج [٤]، والرافضة[٥]، والقدرية [٦]،

---

(١) رواه مسلم ٢٢٨٨ .

(٢) رواه أحمد ٦/ ٢٨٢، ومسلم ٢٤٥٠ .

(٣) والصحابي: هو كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. وهؤلاء السّلف زماناً وتاريخاً، وهو المدلول الخاص بلفظ السلف، وهو المعنى المقصود بهذا البحث أحياناً. كما قال ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». رواه أحمد: ٣٥٩٤، والبخاري: ٦٠٦٥٠، ومسلم: ٢٥٣٣ .

(٤) الخوارج: فرقة خرجت لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم، ومذهبهم التبرؤ من عثمان وعلي والخروج على الإمام إذا خالف السنة وتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار.

(٥) وسُمّوا رافضة، لأنهم رفضوا زَيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. الذي ينتسب إليه الآن الزيدية. رفضوه، لأنهم جاؤوا إليه يسألونه: ماذا تقول في أبي بكر وعمر؟ يُريدون منه أن يَسُبَّهما ويطعن فيهما! ولكنه رضي الله عنه قال لهم: «نِعم الوزيران وزيرا جدِّي» يُريد بذلك رسول الله ﷺ فأثنى عليهما فرفضوه وغضبوا عليه وتركوه فسُمُّوا رافضة.

(٦) القدرية: نسبة إلى القدر لنفيهم إياه فزعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته ليس لله في فعله مشيئة ولا خَلق .

والمرجئة [(١)] والأشاعرة [(٢)]. والمعتزلة [(٣)]، والجهمية [(٤)] .. ..

(١) المرجئة : نسبة للإرجاء وهو التأخير لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان وهم قسمان :
أ- مرجئة الفقهاء وهم الأحناف يقولون بأن العمل ليس شرط أو لازم للإيمان .
ب-: مرجئة مبتدعة (جهمية) وهم الذين يقولون إن الإيمان معرفة القلب فقط، وقول مرجئة الفقهاء هو قول مرجوح لمخالفته للكتاب والسنة والنقل عن السلف ولما فيه من فتح الباب للمرجئة المحضة (البدعية) وأما قول المرجئة المبتدعة فهو قول مبتدع لاحظ له من النظر . انظر: «تعريف الخلف بمنهج السلف» . للشيخ الدكتور/ إبراهيم بن محمد بن عبدالله البريكان، عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالدمام .

(٢) الأشاعرة : نسبة إلى أبي الحسن الأشعري : وهو علي بن أبي إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن هلال بن أبي بردة عامر بن موسى الأشعري ولد سنة (٢٧٠) وقيل (٢٦٠) توفي سنة (٣٢٤) بالبصرة ودفن بين الكرخ والبصرة في مشرعة الروايا جلال العينين ص (٢١٣) . [الأعلام للزركلي (٤/ ٢٦٣) دار الملايين بيروت الطبعة الخامسة] مر الأشعري في اعتقاده بثلاث مراحل : المرحلة الأولى : مرحلة الاعتزال وهو اعتناق لمذهب المعتزلة . المرحلة الثانية : رجوعه عن الاعتزال واتخاذ طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب والذي تنسب له الكلابية وهذه هي عقيدة الأشاعرة الآن . المرحلة الثالثة : رجوعه عن مذهب الكلابية إلى مذهب السلف الصالح . والأصل أن مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل، وعقيدتهم في الأسماء والصفات ١- إثبات سبع صفات من الصفات الخبرية وهي السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام . [الملل = والنحل ١/ ٩٥] . ٢- نفي قيام الأفعال الاختيارية بالرب ﷻ كالمحبة والنزول والاستواء والرضا والغضب والفرح ونحوها . [موافقة صريح المنقول ٢/ ١٢] .

(٣) المعتزلة : وأطلق عليهم هذا اللقب أ- قيل بعد أن طرد الحسن البصري واصل بن عطاء لقوله في الفاسق بأنه بمنزلة بين المنزلتين فاعتزل الناس عند سارية من سواري المسجد .
ب- وقيل بل لقوله عن الفاسق بأنه بمنزلة بين المنزلتين : اعتزل قول أهل السنة .

(٤) والجهمية : هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان السمرقندي، وهو الذي أظهر نفي =

ونحوهم [١].

وقد يُطلق السَّلف ويُقصد به : كل من التزم طريق القرون الثلاثة، وسار على منهجهم [٢].

كما قال ﷺ : «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار**»[٣]. وهذه الفرقة الناجية ليست محصورة في زمان أو مكان معينين .

ومما يدل على رجحان هذا المعنى لهذا المصطلح على غيره أن النبي ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية في الحديث السابق لم يُعيِّنها بذاتها، وإنما ذكر وصفها الذي تمتاز به على غيرها، فقال : «**هي الجماعة**»[٤]، فكان جوابه ﷺ تعييناً للوصف لا للموصوف، ولا شك أنه ﷺ وأصحابه أول من يدخل في

= الصفات والتعطيل، وقد أخذ ذلك عن الجعد بن درهم، وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، . فقُتل جهم بخراسان، قتله سلم بن أحوز وقد تنازع العلماء في الجهمية : هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم لا ؟ ولهم في ذلك قولان : وممن قال إنهم ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة عبد الله بن المبارك، و يوسف بن أسباط . ومما انفرد به جهم أن الكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده . (انظر شرح الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي) .

(١) لوامع الأنوار البهية ١/ ٢٠ .

(٢) وهؤلاء هم السّلف طريقة وحالًا واقتداء، وهو المدلول العام بلفظ السّلف .

(٣) صحيح ابن ماجه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع ١٠٨٢ .

(٤) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٤٢ .

هذا الوصف، بل هم الأصل المعتبر لغيرهم من الناس، وهذا يدل على أن النجاة لا تختص بمن تقدم، بل تشمل كل من أتى بأوصاف الفرقة الناجية إلى أن تقوم الساعة كما نص الحديث[١].

وقال ﷺ : «**لا تزال طائفة من** أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر اللّه وهم كذلك»[٢].

- **ثالثاً: نشأة مذهب السّلف**

لقد بدأت الحاجة إلى الانتساب للسّلف حين تفرقت الأمة الإسلامية وتعددت الاتجاهات الفكرية فيها حول أصول الدين، مما دعا علماء الأمة الأثبات وأساطينها الأعلام لتجريد أنفسهم لتلخيص وترتيب الأصول العظمى والقواعد الكبرى للاتجاه السلفي والمعتقد القرآني النبوي ومن ثم نسبته إلى السّلف الصالح لقطع الباب على كل من ابتدع بدعة اعتقادية .

وأراد نسبتها إليهم حتى كانت النسبة إلى السّلف رمزاً للافتخار وعلامة على العدالة في الاعتقاد مما يدلك على أن النسبة إلى السّلف لم تكن بدعة لفظية ولا مجرد اصطلاح كلامي لكنه حقيقة شرعية ذات مدلول محدد .

ولذلك لم تؤصل قواعده ولم تحرر موارده إلا بقيام الحاجة في الأمة لبيان متكامل الصورة عما كان عليه أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالعدالة من طريقة عقدية وسيرة توحيدية[٣].

---

(١) انظر كلًا من « منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد » ص ٤٠ . للدكتور / عثمان بن علي حسن . والشاطبي - الإعتصام، جـ ٢ / ص ٢٨٧، ٢٨٩ .

(٢) رواه أحمد ٢٠٣٧٧، ورواه البخاري : ٣٤٤٢ ومسلم : ١٩٢٠ .

(٣) نظريات شيخ الاسلام ص ٢٣ .

- **رابعاً: ما السَّلفية؟**

إنَّ السَّلفية : اصطلاح جامع للمنهج الذي اعتمده وسار عليه السَّلف الصالح في تلقي الدين وفهمه في اعتقاداتهم، ومعاملاتهم، وأحكامهم، وتربيتهم، ودعوتهم، وتزكية نفوسهم، وهو للدلالة على الملتزمين بهذا المنهج قديماً وحديثاً .

وهذا المنهج في تلقي الدين وفهمه والعمل به والدعوة إليه، هو المقصود في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾(١) . وهو الإسلام الصحيح، وهو صراط اللَّه المستقيم، وحبله المتين الذي أمرنا سبحانه وتعالى باتباعه في قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٢) روي عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «خط لنا رسول اللَّه ﷺ يوما خطاً فقال: هذا سبيل اللَّه ثم خط خطوطاً عن يمين الخط ويساره وقال: هذه سُبل، على كل سبيل منه شيطان يدعوه إليه، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره(٣).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: « السَّلفية هي اتباع منهج

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨١ . انظر تيسير الكريم الرحمن للعلامة ابن سعدي في تفسير هذه الآية .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٣) رواه البخاري : الرقاق ٦٤١٧، والترمذي : صفة القيامة والرقائق والورع ٢٤٥٤، وابن ماجه : الزهد ٤٢٣١، وأحمد ١/ ٣٨٥، والدارمي : الرقاق ٢٧٢٩ .

النبي ﷺ وأصحابه، لأنهم من سلفنا الذين تقدموا علينا، فأتباعهم السلفية» (١).

- **خامساً: من السَّلفي؟**

إنَّ السَّلفي: «هو كل من كان على مذهب السَّلف» (٢)، عقيدةً وشريعة وخُلُقاً ودعوةً. سواء علم بمدلول هذا الاسم أو جهله.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن السَّلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم فهو السَّلفي، ومن خالفهم في ذلك فهو من الخلف»(٣).

- **سادساً: من الخَلف ؟**

الخلف في اللغة: كل من يجيء بعد من مضى.

الفرق اللغوي بين الخلْف والخَلَف:

الخلْف بسكون اللّام يقال لمن جاء بعد الأول خلْفاً في شر أو خير فأما في الشر فيدل عليه قول الشاعر:

«وبقيت في خلْف كجلد الأجرب». وقيل: سكت ألفاً ونطلق خَلْفاً(٤).

وأما في الخير فقول الشاعر الآخر

لنا القدم الأعلى عليك وخلفنا لأولنا في طاعة اللَّه تابع

---

(١) لقاء الباب المفتوح، السؤال ١٣٢٢

(٢) قاله الحافظ الذهبي في كتاب سير أعلام النبلاء ٦/ ١٢ .

(٣) انظر هامش الفتوى الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحقيق الدكتور أحمد بن عبد المحسن التويجري ص ٢٠٣ .

(٤) النهاية لابن الأثير ٢/ ٦٥ - ٦٦، المفردات في غريب القرآن ١٥٥ لأبي القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني .

ومعناهما جميعاً القَرْن من الناس. قال تعالى : ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[١] .

إلا أن إطلاقه على الشر أكثر وبه[٢] ورد التنزيل، قال تعالى : ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾[٣] .

والخَلف بفتح اللام لا يكون إلا في الخير، فصار الخلف في مدلولات الخلف فالعلامة بينهما أن الخلْف أعم من الخلف، والخلف أخص من الخلْف .

الخَلَف في القرآن الكريم :

والخلَف في القرآن استعمل في مدلول واحد وهو من خَلَف غيره أي بعده فيه ومنه[٤] .

١- قال تعالى : ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾[٥] . والملائكة لا تعصي فلا بد وأن تكون خلف خير . وقوله تعالى حكاية عن موسى: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾[٦]، وخلافة الرسول ﷺ لا تكون إلا في خير. وبذلك تكون علاقة السّلف بالخلَف في القرآن الكريم من جهتين:

أحدهما : كونهم على ما عليه السّلف .

---

(١) سورة مريم آية ٥٩ .

(٢) انظر مختار الصحاح باب الحاء ص ١٥٦ والمفردات للراغب باب الحاء ص ١٥٥ .

(٣) سورة مريم آية ٥٩ .

(٤) انظر : تفسير التسهيل ص ١٩ حرف الحاء تفسير معاني اللغات .

(٥) سورة الزخرف آية ٦٠ .

(٦) سورة الأعراف ١٤٢ .

الثانية : أن يكونوا متأخرين عنهم في الزمن .

وهذا يعطينا أصلًا عظيماً وهو أن كل متأخر عن السّلف وهو على ما هم عليه فهو خلَف، ومن تأخر في الزمن عن السَّلف ولم يكن على ما هم عليه من الخير فهو خلْف بسكون اللّام .

التعريف بالخَلَف عند علماء الاعتقاد :

يُقصد بالخَلَف في إطلاق علماء العقيدة من جاء بعد العصور المفضلة الثلاثة ممن دنست عقائدهم بأدران علم الكلام اليوناني وأوساخ الفلاسفة التائهين ممن تنكر لسلفه وسلك غير سبيلهم من أرباب الأهواء والابتداع سواء كانت أقواله مما يوجب الكفر أو التفسيق كالجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والرافضة، والخوارج ونحوهم ممن دلّت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع سلف الأمة على ذم طرائقهم ومسالكهم العقدية .

نشأة مذهب الخَلَف :

ظهور مذهب الخلف نتيجة من نتائج ولوع كثير من المسلمين بالعلوم الكلامية المنطقية وتشرب نفوسهم بمقايسها، الأمر الذي شغلهم عن التبصّر في نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلفهم الصالحون .

أهم مظاهر مذهب الخَلَف :

١- قيامه على التأويل لنصوص الكتاب والسنة بأنواع المجازات .

٢- رفض قيام صفات الفعل بالرّب جلّ وعلا ويعبرون عنه بنفي حلول الحوادث في الرب .

٣- الإفراط في تحكيم العقل وردّ النصوص ومعارضتها به[١].

- **سابعاً : حكم الانتساب إلى السّلف :**

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا عيب على من أظهر مذهب السَّلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السَّلف لا يكون إلا حقاً» [٢].

* قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإمام الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ : «لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام، ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً»[٣].

- **مستلزمات الانتساب إلى السّلف :**

١- أن يتعلم عقيدتهم، وأن يتشبع بها، ويكون ملماً بأصولها في الجملة، وأن يطلب العلم الشرعي، ويتفقه في الدين على العلماء والمشايخ، ليدعو الناس ويذود عنها على بصيرة وهدى، وأن يوجه أتباعه إلى أخذ العلم الشرعي عن المشايخ .

٢- أن يظهر أثرها على أفكاره وأهدافه، وأقواله وكتاباته، بل وعلى سلوكه وأعماله، بحيث يكون ملماً بتفصيلاتها في العموم (في الأصول)[٤]،

---

(١) انظر : «القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السّلف» ١٩-٢٤ تأليف الدكتور إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان حفظه الله (عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين بالدمام).

(٢) مجموع الفتاوى ٤ / ١٤٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦/٤٥٧ .

(٤) قال الشيخ د. ناصر العقل حفظه الله أقصد بذلك الدعاة وطلاب العلم والعلماء . أما عامة الناس، فالسلف يرون أنهم لا يكلفون بمعرفة العقائد على التفصيل وإنما على الإجمال . انظر : شرح العقيدة الطحاوية، ص ١٠ - ١١ . ودرء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ص ١ / ٥١ .

كالإيمان، والتوحيد، والأسماء، والصفات، والقدر، وحقوق الصحابة، وأن يكون متمسكاً بالسنن والأخلاق الفاضلة، والهدى النبوي، وعليه سمة السلف مخبراً ومظهراً .

٣- أن يوالي دعوتهم، ودعاتهم، وأئمتهم الماضين و المعاصرين، ومن سار على نهجها من جماعات وأفراد، فهي أطهر الدعوات المعاصرة التي سلكت سبيل أهل السنة والجماعة، مُعتقَداً وسلوكاً في العصر الحاضر، لذلك تنبغي موالاتها من قِبَل كل من ينتسب لأهل السنة[١] .

❊ ❊ ❊

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٤٩-٥٠، د.ناصر بن عبدالكريم العقل. (بتصرف يسير) .

تقويم الفصل الأول

- **السؤال الأول: أذكر أربع أهداف من دراسة المنهج السلفي .**

١) .. ..

٢) .. ..

٣) .. ..

٤) .. ..

- **السؤال الثاني: ما أهمية المنهج ؟**

.. ..

.. ..

.. ..

- **السؤال الثالث: أكمل ما يلي:**

السَّلفية هي: .. ..

السَّلفي هو: .. ..

.. ..

- **السؤال الرابع: عرِّف كلًا مما يلي:**

السّلف في الاصطلاح: .. ..

.. ..

المنهج في اللغة: .. ..

المنهج في الاصطلاح: .. ..

.. ..

الصحابي اصطلاحاً: .. ..

.. ..

- **السؤال الخامس : أذكر ثلاث شخصيات من السلفيين زمانا وثلاثاً من السَّلفيين إتباعا و إقتداءً .**

السَّلفيون زمانا: .. ..

١- .. ..

٢- .. ..

٣- .. ..

السَّلفيون إتباعاً وإقتداءً:

١- .. ..

٢- .. ..

٣- .. ..

- **السؤال السادس: اكتب باختصار نبذة من سيرة الصحابي الجليل عبد اللَّه بن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

السؤال السابع : اختر من المجموعة (أ) ما يناسبها من المجموعة (ب):

م	المجموعة (أ)	م	المجموعة (ب)
١	الخوارج		لا يضر مع الإيمان ذنب
٢	الروافض		واصل بن عطاء الغزّال
٣	القدرية		تكفير مرتكب الكبيرة
٤	المرجئة		التعطيل
٥	الأشعرية		تكفير الصحابة
٦	المعتزلة		نفي الحكمة والتعليل لأوامر الله
٧	الجهمية		نفي علم اللَّه و إرادته

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

حُكم اتبـاع منهج السَّلف

وجوب اتباع منهج السلف

يجب أن يُعلم أن اتباع منهج السَّلف الصالح - رضوان اللَّه عليهم - ليس للعبد فيه اختيار، بل هو واجب من الواجبات الشرعية، وذلك للأدلة التالية :

أولًا : الأدلة من القرآن :

١) قال تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ .[1] قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى : ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ : «**هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أَجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيماً لنبيهم**»[2] .

ولا شك أن منهج السَّلف - وهم الصحابة والتابعون، ومن سار على هديهم - هو سبيل المؤمنين في العقيدة والعمل .

٢) وقال تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[3]

فهذا مدح من اللَّه تعالى لسبيل الصحابة والتابعين لهم بإحسان في مسائل العقائد والأعمال، وبيان ما أعدّ لهم من النعيم، وهذا دليل رضاه عن ذلك المنهج ولزوم اتباعه .

---

(١) النساء الآية ١١٥ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣٦٥ طبعة الشعب .

(٣) التوبة الآية ١٠٠ .

ثانياً : الأدلة من السنة :

١) عَنْ أَبِي مُوسَى ﵁ قَالَ : قَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[١] .

قال ابن القيم ﵀ : «ووجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه وكنسبة النجوم إلى السماء ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم وأيضا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم وحرزا من الشر وأسبابه فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنة للصحابة وحرزا لهم وهذا من المحال»[٢] .

٢) قوله ﷺ : «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٣] .

٣) وعن العرباض بن سارية ﵁ قال : «**وعظنا رسول اللَّه** ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا : «**يا رسول الله! كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال : «أوصيكم بتقوى الله، والسّمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٤] .

---

(١) رواه مسلم ٦٤٦٦ .

(٢) إعلام الموقعين ٤/ ١٣٧ .

(٣) رواه أحمد : ٣٥٩٤ والبخاري : ٦٠٦٥٠ ومسلم : ٢٥٣٣ .

(٤) رواه أحمد ٤/ ١٢٦ - ١٢٧،، وأبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، والدرامي ٩٥،=

فهذان الحديثان (٢، ٣) يدلان على فضل الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن سبيلهم هو سبيل النجاة من الفتن والاختلاف، وهذا مما يدل على لزوم اتباعه والعمل به .

ثالثاً : الأدلة من أقوال السّلف :

* قال عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه : «اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم، كل بدعة ضلالة»[١] . وعنه أيضاً أنه قال : «إن اللَّه نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فاتبعه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنا فعند اللَّه حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند اللَّه سيء»[٢] .

* قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : «اصبر على السنة، وَقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفّ عما كفّوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم»[٣] . وقال أيضاً : «عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك

= وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤٩ .

(١) كتاب الزهد لوكيع بن الجراح ٣١٥، وكتاب الزهد للإمام أحمد ٢/ ١١٠، وابن وضاح ص١٠، والدارمي في المقدمة باب كراهية الأخذ بالرأي ص:٦٩، وصححه الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان انظر الاعتصام للشاطبي ١ / ١٢٥ .

(٢) رواه أحمد في المسند ١/ ٣٧٩ أو ٣٦٠٠، وصحح إسناده محققة الشيخ أحمد شاكر، والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٨، والطبراني في المعجم الكبير (٩ / ٨٥٨٢)، وحسّنه السّخاوي في المقاصد الحسنة، وحسن إسناده الألباني في الضعيفة ٢/ ١٧ . أما المرفوع فقال الألباني : لا أصل له .

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ٥٨، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ٧ .

وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول؛ فإن الأمر ينجلي وأنت منه على صراط مستقيم»[(١)].

* وعن الامام عبد اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «ليكن الذي تعتمد عليه هو الأثر وخذ من الرأي ما يُفسِّر لك الحديث»[(٢)].

* وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا عيب على من أظهر مذهب السّلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السّلف لا يكون إلا حقاً»[(٣)].

* قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «... فللناس في هذا مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضعاً لبسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السَّلف الصالح، كمالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق[(٤)].

وقال الشيخ بكر بن عبد اللَّه أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُن على جادة السَّلف الصالح كُن سلفياً على الجادّة، طريق السَّلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين: من التوحيد، والعبادات

---

(١) رواه البيهقي في المدخل ٣٢٣، والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ٦، والآجري في «الشريعة» ١/١٩٣/ ١٣٣

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢/٣٤٦ / ١٠٧٣، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٠٥٠/ ٢٠٢٣. وصححها أبو عبد الله الداني بن منير آل الزهوي في سلسلة الآثار الصحيحة ١/ ٢٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٤ / ١٤٩.

(٤) الفوائد السنية ٢٧.

ونحوها متميزاً بالتزام آثار رسول اللَّه ﷺ وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال والمراء والخوض في عِلم الكلام وما يجلب الآثام»[١].

***

(١) حلية طالب العلم ٣٤ .

تقويم الفصل الثاني

- أولًا : ما حُكم اتباع منهج السَّلف ؟

.. ..

- ثانياً : ما الدليل من القرآن على الحُكم مع ذكر الشاهد من الآية .

.. ..

.. ..

- ثالثاً : اكتب الدليل من السنة على الحُكم مع ذكر الشاهد من السنة .

.. ..

.. ..

.. ..

- رابعاً : اكتب الدليل من أقوال السلف على الحُكم مع ذكر الشاهد منه .

.. ..

.. ..

.. ..

- خامسًا: من الخَلَف؟

.. ..

.. ..

.. ..

الفصل الثالث

أسماء السَّلف وألقابهم

المبحث الأول: أهل السنة والجماعة

المبحث الثاني: أهل الحديث .

المبحث الثالث: السواد الأعظم .

المبحث الرابع: الفرقة الناجية .

المبحث الخامس: الطائفة المنصورة .

المبحث السادس: الغرباء .

وللسَّلف عدة ألقاب، لوحظ في كل لقب صفة يتصفون بها . ومن ذلك ما يلي :

المبحث الأول

أهل السنة والجماعة

السنة في اللغة: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم سيئة(١) .

قال خالد بن عتبة الهُذَلِي :

فلا تجزعن من سيرةٍ أنت سرتها   فأولُ راض سنةً من يسيرها

وفي الحديث : قال رسول اللَّه ﷺ : «**من سنَّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجُرها، وأجرُ من عملَ بها من بعدِه، من غير أن ينقُصَ من أُجورِهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإِسلامِ سُنةً سيئة، فعليهِ وزرُها، ووِزرُ من عمل بها من بعدِه، من غيرِ أن ينقُص من أوزارِهم شيءٌ**»(٢) .

السنة في الشرع : والسنة إذا أُطلقت في الشَّرع : فإنما يُراد بها : ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه، ونَدَب إليه قولًا وفعلًا، مما لم ينطق به الكتاب العزيز .

ولهذا يقال في أدلة الشرع : الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث (٣) .

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢ / ٤٠٩ ابن الأثير، والمصباح المنير ٢٩٢ الفيومي.
(٢) رواه أحمد ١٩١٧٩، ومسلم ٢ / ٧٠٥ و ٤ / ٢٠٥٩ وغيرهما .
(٣) النهاية ٢ / ٤٠٩ ابن الأثير .

السّنة في الاصطلاح :

أما السّنة في الاصطلاح فهي تختلف بحسب اختلاف أهل كل فن :

أ- فعلماء الحديث :

بحثوا في حياة رسول اللَّه ﷺ الإمام الهادي القدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخُلق، وشمائل وأخبار، وأقوال، وأفعال، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا [(١)]

فقالوا :«السنة : هو كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صِفة خَلقية أو خُلقية، سواء قبل البعثة أو بعدها . «فعندهم أن السنة مرادفة للحديث .

ب - وعلماء الأصول :

بحثوا في سيرة رسول اللَّه ﷺ المشّرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، ولذلك عنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها .[(٢)]

فقالوا : «السنة: هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن»[(٣)] .

فيشمل ذلك قوله ﷺ وفعله، وتقريره، وكتابته، وإشارته، وهمَّه، وتركه[(٤)] .

---

(١) السنة قبل التدوين ١٥ د. محمد عجاج الخطيب .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الفقيه والمتفقه ١ / ٨٦ للخطيب البغدادي، وشرح الكوكب المنير ٢ / ١٦٠ لابن النجار الفتوحي .

(٤) جامع العلوم والحكم ٢ / ١٢١، وانظر مجموع الفتاوى ١ / ٢٨٢ .

ج - **أما علماء الفقه:**

فبحثوا في سيرة رسول اللَّه ﷺ التي تدلُ أفعاله على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوباً، أو حُرمة، أو إباحة أو غير ذلك .[١]

فقالوا : «**السّنة : كل ما ثبت عن النبي** ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب» .[٢]

فهي عندهم ترادف : المندوب أو المستحب .

وقد تُطلق السّنة عند الفقهاء في مقابل البدعة [٣] .

ومن ذلك قولهم : «**فلان على السّنة**» إذا عمل على وفق عمل النبي ﷺ وأصحابه ﷺ .

وقد تُطلق السّنة ويقصد بها :

الأول : الإسلام العام : المتضمن لما جاء به الرسول ﷺ : من عِلم نافع وعمل صالح.

كما قال البربهاري: «اعلم أن الإسلام هو السّنه، وأن السّنة هي الإسلام . . .»[٤] .

الثاني : ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من العقيدة الصحيحة .

---

(١) السنة قبل التدوين ١٦ .

(٢) المصدر السابق ١٨ .

(٣) إرشاد الفحول ٣١ للشوكاني رحمه الله .

(٤) شرح السنة للبربهاري ٢١ .

إطلاقات مصطلح أهل السّنة :

ولمصطلح أهل السنة إطلاقان : إطلاق عام، و إطلاق خاص .

فالإطلاق العام : المراد به ما يكون في مقابل الرافضة؛ فيدخل في مفهوم أهل السّنة جميع الفِرق المنتسبة إلى الإسلام - عدا الرافضة -؛ وعليه يصح تقسيم المسلمين إلى سنة ورافضة .

والإطلاق الخاص: والمراد به ما يكون في مقابل أهل البدع والفِرق والمقالات المحدثة كالخوارج، والرافضة، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والأشاعرة، والصوفية وغيرهم من أهل البدع؛ فهؤلاء لا يدخلون في مفهوم أهل السّنة بالإطلاق الخاص[١] .

معنى الجماعة :

الجماعة في اللغة :اسم مصدر من جَمَعَ، يقال جَمَعَ المتفرِق، والجماعة ضد الفُرقة[٢] .

وقد تُطلق الجماعة ويُراد بها الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين وقد لوحظ فيه اجتماعهم على الحق المدلول عليه بالكتاب والسّنة كما لوحظ فيه اجتماعهم حول أئمة العدل من المسلمين، مع قيامهم بحق النصيحة لهم والجهاد معهم والانضواء تحت لوائهم، وإن جاروا وظلموا، كما قال ﷺ : «**عليكم بالجماعة؛ فإن يد اللّه مع الجماعة**»[٣] .

(١) منهج الاستدلال ١/ ٢٨ - ٨٤ د. عثمان بن علي حسن .

(٢) لسان العرب ٨ / ٥٣ .

(٣) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٦٢١ .

وعندما سُئل عن الفرقة الناجية ؟

قال ﷺ : «**هي الجماعة**». وقد اختلف أهل العلم في المراد بالجماعة في هذا الحديث ونحوه على أقوال، أهمها خمسة، وهي [(١)] :

الأول : أنها «**السواد الأعظم من أهل الإسلام**»، ويدخل فيهم أهل العلم والاجتهاد، دخولا أوّلياً .

الثاني : أنها «**جماعة المجتهدين**» دون غيرهم من الناس،وهو اختيار البخاري[(٢)] والترمذي [(٣)] .

الثالث: أنها «**جماعة الصحابة**» على وجه الخصوص.

الرابع : أنها «**جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمر ما**»، وهو الإجماع .

الخامس : أنها «**جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير**»، فلا يجوز الخروج عليهم فيه وهو اختيار أبي جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٤)] .

وبهذا يظهر معنى السّنة والجماعة الذي لا بد فيه من أربعة أمور، وهي :

أ - الاقتداء بالرسول ﷺ وصحابته الكرام .

ب - الاجتماع على الحق الذي دلّ عليه الكتاب والسّنة.

ج- الالتفاف حول أولياء الأمور من المسلمين .

---

(١) انظر : الاعتصام للشاطبي ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٥ وفتح الباري ١٣ / ٣٧ .

(٢) انظر صحيح البخاري ١٣ / ٣١٦ « فتح الباري باب « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » وما أمر النبيﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم (كتاب الاعتصام بالسنة) .

(٣) انظر سنن الترمذي ٦ / ٣٣٥ كتاب الفتن - باب ما جاء في لزوم الجماعة - تابع حديث ٢١٦٨ .

(٤) انظر فتح الباري ١٣ / ٣٧ .

د- السّير على المنهج المتبع في العلم، وهو دين اللَّه الذي جاء به الرسول ﷺ، وثبت عليه أصحابهُ رضي الله عنهم والأئمةُ والتابعون وتابعوهم .

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني

أهـل الحديث

وهم كل من اتخذ السنة النبوية مصدراً للتلقي في باب العلم والعمل. (إسناداً ومتناً وفقهاً وعملًا) .

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الطائفة المنصورة : «إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم» . (١)

وقال عبد اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطائفة المنصورة : «هم عندي أصحاب الحديث» (٢)

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ونحن لا نعني بأهل الحديث : المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته، بل نعني بهم : كل من كان أحق بحفظه، ومعرفته، وفهمه، ظاهراً وباطناً واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء : محبة القرآن والحديث؛ والبحث عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبهما . . . »(٣)

«فهم أعلم الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها، واتباع لها، تصديقاً،

---

(١) وهم الذين يميزون بين صحيحها وسقيمها والذين يعظمونها وأهلها . انظر : شرف أصحاب الحديث للبغدادي ص ٢٥- ٢٤ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٢٦ - ٤٧ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/ ٩٥ .

وعملًا، وحباً وموالاة لمن والاها، وبغضاً ومعاداة لمن عاداها»[١].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

دين النبي محمد أخبار ... نعم المطية للفتى آثارُ
لا ترغبن عن الحديث وآله ... فالرأي ليل والحديث نهارُ [٢]

وقال السّفَاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

اعلم، هُديت، أنه جاء الخبر ... عن النبي المقتفى خير البشر
بأن ذي الأمة سوف تفترق ... بضعاً وسبعين اعتقاداً والمحق
ما كان في نهج النبي المصطفى ... وصحبه من غير زيغ وجفا
وليس هذا النّص جزما يعتبر ... في فرقة إلا على أهل الأثر [٣]

❊ ❊ ❊

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/٣٤٧ .
(٢) ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٤٣) .
(٣) لوامع الأنوار البهية ١/ ٧٤، ٧٦ .

المبحث الثالث

السواد الأعظم

والمراد بهذا الإطلاق: أن رسول اللَّه ﷺ وصحابته هم الأكثرون الذين تمسكوا بالحق، المنزَّل من عند الله، الذين يجب اتخاذهم قدوةً في الحق فيُتمسك بما تمسكوا به .

قال الرسول ﷺ : «إنَّ اللَّه تعالى لا يجمَعُ أمتي على ضلالةٍ، ويدُ اللهِ مع الجماعة. . . »[(١)] . وهم السواد الأعظم عامة المسلمين الذين لا ينتسبون إلى رافضة أو أشاعرة أو معتزلة .

❊ ❊ ❊

(١) رواه الترمذي ٢١٦٧، وغيره، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٨٤٤ .

المبحث الرابع

الفرقة الناجية

وإنما وُصِفت بالنجاة؛ لأنها خرجت عن مفهوم الوعيد في قوله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة . . . والذي نفس محمد بيده، لتفترقنَّ أُمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة؛ فواحدة في الجنةِ، واثنتان وسبعون في النار**»[(١)]. إذ سِواها مستحق للوعيد، وأما هي فالوعيد منفي عنها من حيث الجُملة، وإن كان بعضها قد يستحق وعيداً آخر غير الوعيد المترتب على الفُرقة.

* * *

(١) رواه ابن ماجة ٣٩٩٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٠٨٢ .

المبحث الخامس

الطائفة المنصورة

ووُصِفت بالمنصورة :

أ- إما لأن اللَّه ينصرها ويؤيدها على من سواها ممن تزعّم البدع والباطل والكفر. وهي المنصورة بالسيف والسنان وبالحق والبيان .

ب - أو لأنها ناصرة للحق، مدافعة عنه ومحافظة له .

وكِلا المعنيين صحيح، ولا تنافي بينهما ولا تضاد، ومن هذا الوصف قوله ﷺ : «**إذا فسد أهل الشام؛ فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»(١) .

ومن أبرز صفات هذه الطائفة المنصورة :

- **الصفة الأولى : الاستمرارية .**

اعلم أنَّ أول صفة تتميّز بها الطائفة المنصورة هي صفة «**الاستمرارية**» أي مستمرة بوجودها، ومقوّماتها، وأصولها، ودعوتها، ومنهجها ورجالها . من زمن رسول اللَّه ﷺ وإلى يوم القيامة .

ودليلُ هذا من القرآن : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾(٢) ففي قوله تعالى:

---

(١) رواه أحمد، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٠٣ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٠ .

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ إشارةٌ إلى تاريخ بدء هذه الجماعة، وإلى أنَّها أناسُ، لا منهج مجرد .

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إشارة إلى استمرارية هذا الوجود، وعموميته، وعدم انقطاعه، وأن ثمّةَ رجالًا مستمرون على هذا السبيل، وأنَّ قوام هذا الاستمرار، هو : الاتباع (اتبعوهم) .

فإذا فُقِد حَمَلَة المنهج، أو انعدم شرط الإتباع؛ فقدت الجماعة هذه الصفة، وبالتالي فليست هي الطائفة المنصورة .

ودليله من السنة : قوله ﷺ : «**لا تزال طائفةٌ من أُمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم ظاهرين**»(١) . ففي قوله ﷺ: «**لا تزال**» دلالةٌ واضحةٌ، وبيّنةٌ ناصعةٌ على صفة «**الاستمرارية**» للطائفة المنصورة .

وفي قوله ﷺ : «**طائفة**» دليلٌ على وجود الجماعة التي تَنصُر فَتُنصَر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم .(٢)

وإذاً؛ فالطائفة المنصورة الناجية، هي: منهج ومقومات، وجماعة ورجالات تقوم على هذا المنهج، وتستمسك بتلك المقومات، وهي ظاهرة على هذا؛ عقيدةً ومسلكا ًً شريعةً وخلقاً، وجهاداً بالقول والعمل والسنان، فتارةً هذا، وتارةً هذا، حسب الظروف والأحوال، ومقتضى الشريعة الغراء .

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣١١، ٧٤٥٩، ومسلم ٣/١٥٢٣ وغيرهما .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨/٣٨ .

وهكذا كان رسول اللَّه ﷺ وأصحابه . . تارةً يجاهدون بالقرآن قال تعالى : ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾(١) .

وتارةً بالدعوة، قال تعالى : ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾(٢) ، وتارةً بالسَنان، قال تعالى : ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾(٣) .

- **الصفة الثانية : الاجتماع على التوحيد والمنهاج، والمفارقة عليهما**

والمقصود بكون التوحيد أساساً لها، والمنهج محورها، أي: لا تَقبل في صفوفها إلا الموحدين، ولا تبدأ دعوتها إلا بالتوحيد، ولا تربِّي أتباعها إلا على الإيمان والتوحيد، ولا تسير إلا على منهاج عندها فيه من اللَّه برهان، ولا برهان إلا على منهج أصحاب رسول اللَّه ﷺ ومن تبعهم بإحسان .

فعليهما تجتمع، وفيهما تفارق، وعليهما توالي، وفيهما تعادي .

ففي حديث معاذ رضي الله عنه حين أرسله رسول اللَّه ﷺ إلى اليمن، أرسله داعية ومعلماً، ورتب له الأولويات، وبين له الطريقة المثلى في تجميع الناس ودعوتهم؛ فقال له ﷺ : «**إنَّك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ اللَّه افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أنَّ اللَّه افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فإيَّاك وكرائم أموالهم، واتَّق دعوة المظلوم فإنَّه ليس**

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٢ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٩ .

بينها وبين اللَّه حجاب»[١] .

فجعل ﷺ الأولوية، التي ليس قبلها ولا بعدها أولويةٌ هي «**التوحيد**»، ثم القيام بالعبادات، وهو ما يُعبر عنه : بتصحيح العقائد، وإصلاح العبادات .

- **الصفة الثالثة : الشمولية الدعوية.**

أي شمول دعوتها، إلى الإسلام، والناس كافةً، فالطائفة الناجية هي التي تشمل دعوتُها كلَّ عباد اللَّه، فلا تخص طبقة دون طبقة، ولا فئة دون فئة . .

هكذا كانت دعوة الرسل، وهكذا كانت دعوة رسولنا ﷺ، تشمل الغني والفقير، والعظيم والصعلوك، والشريف والوضيع، والكبير والصغير، والبر والفاجر، والحر والعبد، والبدوي والحضري، والعربي والعجمي، والرجال والنساء، والشيوخ والولدان .

قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾[٢] .

وقد كان أشرفَ الناس بعد رسول اللَّه ﷺ بل بعد الأنبياء : أبو بكر الحرُّ العربي، يجلس بجوار بلال العبد الحبشي، وبجوار الغلام ابن عباس رضي اللَّه عنهم جميعاً .

- **ومن أمثلة ذلك :**

١- قصة ابن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه، وهو الذي نزل في حقه قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤

---

(١) رواه أحمد، والبخاري ٧٣٧٢، ومسلم ١٢٣، وأصحاب السنن .

(٢) سورة سبأ آية ٢٨ .

أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾[١].

* * *

(١) سورة عبس ١ - ١٠ . انظر: صفات الطائفة المنصورة ومفاهيمها. للشيخ عدنان بن محمد العرعور .

المبحث السادس

الغُرباء

ويُقصد به بيان أنهم[(١)] في الأزمان المتأخرة يكونون قِلة بين الأُمة الإسلامية مع قوتهم في الحق وعزتهم، كما كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ في أول الإسلام في قِلتهم مع قوتهم في الحق وكمال تمسكهم به؛ ويدل على اتصافهم بهذا النوع من الغربة قوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**»[(٢)]. وفي رواية: «**قلنا: من هم يا رسول اللَّه؟ قال: الذين يَصلحون حين يفسد الناس**». وفي رواية: «**الذين يُصلِحون ما أفسد الناس**». سواءً كان هذا الفساد عقدي أو عملي أو أخلاقي وفي رواية: «**الذين يُحيون سنتي من بعدي، ويعلمونها للناس**».

وقد رأى بعض أهل العلم أن معنى غربة هذه الطائفة ليس في قلة الأمة الإسلامية، ولكن في انصرفاهم عن دينهم، وانشغالهم بدنياهم عنه. فيكون لهذا الطائفة من التمسك بالدّين والحرص عليه ونصرة الكتاب والسنة ما لا يكون في غيرهم ويشهد لهذا المعنى حديث ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ**

(١) دعاة أهل السنة.

(٢) رواه مسلم الحديث ١٤٥، وابن ماجة الحديث ٣٢٢١.

السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُم وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١). واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد ٢٢٤٥٠، وأبو داود ٣٧٤٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨١٨٣.
وانظر: تعريف الخلف بمنهج السّلف.

تقويم الفصل الثالث

- **السؤال الأول : لماذا وصِف السّلف :**

(أ) بالفِرقة الناجية؟ .. ..

(ب) بأهل الحديث ؟ .. ..

(ج) بالطائفة المنصورة ؟ .. ..

.. ..

- **السؤال الثاني : عرِّف كل من :**

السنة في اللغة: .. ..

.. ..

السنة في الشرع : .. ..

.. ..

.. ..

السنة عند علماء الفقه : .. ..

.. ..

السنة عند علماء الأصول :

.. ..

- **السؤال الثالث :**

قال رسول اللّه ﷺ : «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء». لقد ذكر النبي ﷺ بعض صفاتهم اشرحها بإيجاز .

.. ..

.. ..

.. ..

- **السؤال الرابع : لمصطلح أهل السنة إطلاقان عام وخاص اشرح هذه العبارة .**

.. ..

.. ..

.. ..

- **السؤال الخامس :**

قال رسول اللَّه ﷺ : «عليكم بالجماعة فإن يد اللَّه مع الجماعة» اكتب باختصار أقوال أهل العلم بالمراد بالجماعة في هذا الحديث .

- .. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

الفصل الرابع

الثبات على المنهج

أهمية الثبات على المنهج.

أسباب الثبات على المنهج.

الوسائل التي تعين على الوصول إلى منهج الحق.

❊ ❊ ❊

أهمية الثبات على المنهج

وكما أن التزام منهج السّلف واجب، فكذلك الثبات عليه.

إن الثبات على منهج السّلف هو الاستقامة على صراط اللّه المستقيم وشرعه القويم وطريقه الموصل إلى جنات النعيم، الذي من سلكه واستقام عليه نجا، ومن انحرف عنه ضّل وغوى، وتشعّبت به طرق الضّلال، وأقفلت أمامه طرق النّجاة. فالثّابتون عليه هم الفائزون، والزّائغون عنه هم الهالكون. قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[(١)] واليقين هنا: هو الموت[(٢)]. ولا مقارنة بين من فقد الثّبات فعجز عن السّير على منهج اللّه، وبين من ثبت فوفّقه اللّه للسّير عليه.

فالأول: كمن يسير منحنياً لا مستوياً، لا يتبيّن الطّريق ولا تتّضح له معالمه، ولا يدري أين يسلك، وكيف يذهب؟ فهو تائه ضال.

والثاني: يسير معتدلًا مستقيماً ناظراً إلى ما بين يديه وهو مع ذلك على طريق واضح بيّن مستقيم، وهكذا قال سبحانه في شأن هذين السّائرين: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾﴾[(٣)].

والجواب: لا شك أن من يمشي سوياً على صراط مستقيم أهدى وأقوم.

والثّابت على المنهج المستقيم، كمثل رجل أحياه اللّه بنور العلم والإيمان

---

(١) سورة الحجر آية ٩٩.

(٢) قال البخاري: قال سالم (سالم بن عبد الله بن عمر): الموت. انظر تفسير ابن كثير.

(٣) سورة الملك آية ٢٢.

والطّاعة فصار يمشي مستقيماً بين الناس، متبصِّراً في أموره، مهتدياً لسبيله، عارفاً للخير مؤثراً له، مجتهداً في تنفيذه في نفسه وغيره، عارفاً بالشر، مبغضاً له، مجتهداً في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره، فلا يستوي هو ومن ظّل في ظلمات الجهل والغي والكفر والمعاصي، والتبست عليه الطّرق وأظلمت عليه المسالك، وزُيّن له سوء عمله فرآه حسناً، وفارقه الثّبات، وزلّت به القدم .

وفي هذين يقول الباري جلّ وعلا : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [١] .

- **أسباب الثبات على المنهج :**

أولًا : العلم بالمنهج :

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «السائر إلى اللّه والدار الآخرة، بل كل سائر إلى مقصد، لا يتم سيّره ولا يصل إلى مقصوده، إلا بقوتين قوة علميّة وقوة عملية فبالقوة العلميّة يُبصر منازل الطّريق ومواضع السّلوك فيقصدها سائراً فيها، ويجتنب أسباب الهلاك، ومواضع العطب، وطرق المهالك المنحرفة عن الطّريق الموصل» . [٢] .

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢.

(٢) طريق الهجرتين ص : ٢٨٥ .

ثانياً : الأمر بلزوم المنهج :

قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾(١) وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ (قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ) بَعْدَكَ قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(٢) .

ولقد أمر المولى سبحانه وتعالى في آيات كثر بلزوم صراطه المستقيم، وأوجب اتّباعه على الخلق أجمعين، فقال سبحانه : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٣)

قال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولا تثبت قَدم الإسلام إلا على ظهر التّسليم والاستسلام»(٤) .

ومن هنا ربط ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ربطاً دقيقاً بين الالتزام بالمنهج السَّلفي والثبوت عليه في الدنيا وبين الثبوت عند المرور يوم القيامة على الصراط المنصوب على ظهر جهنم حيث يقول : «من هُدي في هذه الدار إلى صراط اللَّه المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كُتبه هُدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه اللَّه لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط

---

(١) سورة هود آية ١١٢ .

(٢) رواه أحمد، ومسلم ٣٨ وغيرهما .

(٣) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٤) متن العقيدة الطحاوية الطبعة الأولى ص ١٠ .

المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشدِّ الركاب، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم المخدوش المسلَّم، ومنهم المكردَس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حَذْو القذة بالقذة جزاء وفاقاً ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)]»[(٢)].

ثالثاً : الحذر من العدول عن المنهج :

ولقد حذّر اللَّه أيّما تحذير، وهدّد أيّما تهديد، وتوعّد وأنذر من خالف طريق رسول ﷺ وسلك طريقاً غيره، واتّبع منهج سواه من مناهج أهل الأرض الزّائغة عن الصراط المستقيم . فقال سبحانه : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[(٣)].

والذي يشاقّ الرسول ﷺ هو الذي يأخذ له شقّاً وجانباً وصفّاً غير الصّف والجانب والشّقّ الذي يأخذه النبي ﷺ، وبالتّالي يتّخذ له منهجاً غير المنهج الذي سار عليه رسول اللَّه ﷺ ويختار له طريقاً غير طريقه . فحينئذ يولّيه اللَّه ما تولّى، ويورده جهنّم وساءت مصيراً[(٤)].

---

(١) سورة النمل آية ٩٠ .

(٢) مدارج السالكين ج١/ص ١٠، ط عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م، دار الكتاب العربي - بيروت، بتحقيق محمد حامد الفقي .

(٣) سورة النساء آية ١١٥ .

(٤) وانظر : معنى الآية في تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ١/ ٨٤٢ - ٨٤٣ .

رابعاً : الأخذ بالوسطية والاعتدال :

إنّ من أعظم ما يعين على الثّبات على المنهج أن يتّسم السّائر عليه بالوسطيّة، وهو مطلب عزيز طالما زلّت فيه أقدام، واضطّربت فيه أفهام، وقلّ أهله بين الناس أولئك الذين يتّسمون بالعدل والإنصاف مع أنفسهم ومع غيرهم .

وهذا الذي دفع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يجعل جماع الشّر يكمن في عدم الاعتدال حيث قال : «وإنما جماع الشّر تفريط في حقّ أو تعدٍّ إلى باطل، وهو تقصير في السّنّة أو الدخول في البدعة، كترك بعض المأمور وفعل بعض المحظور، أو تكذيب بحق وتصديق بباطل ولهذا عامّة ما يُؤتى النّاس من هذين الوجهين»[(١)] .

وقد ضلّ الطريق وفارق الثّبات على المنهج أُناس نظروا إلى مجتمع الإسلام بمنظار قاتم فأرادوا أن يُصلحوا عِوجه، فاتّخذوا العُنف طريقاً إلى الإصلاح، فأحدثوا فوضى أُريقت معها الدّماء، وشوّهوا من جرّائها صفاء الإسلام، فتنفّس الصّعداء أعداء اللّه ووجدوا بغيتهم وما يأملون فأطلقوا من الألفاظ والألقاب ما يصرفون به الناس عن الإسلام : كأصولية متزمتة، وإرهابية ومصاصي الّدماء . . . وغير ذلك .

وهناك نابتة أُخرى أعجزتهم التّكاليف أن يلتزموا بها، وصعب عليهم أن يواكبوا الالتزام، ومالت أنفسهم إلى تحلّلات المجتمع، فأرادوا أن يسايروه، فلجؤوا إلى النّصوص فلووا أعناقها وميّعوها .

---

(١) الصفديّة الطبعة الثانية ص : ١/ ٢٩٣ . والشيطان يرقب ابن آدم فإن رآه يزيد في الطاعات دفعه إلى البدع والشبهات، وإن وجد فيه نقص في الطاعات دفعه للمعاصي والشهوات .

خامساً: عدم الوحشة بقلّة السّالكين على المنهج :

قال تعالى : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾[١] وقد بيّن ﷺ أن الذين يسلكون منهجه، ويتّبعون صراطه، ويثبتون على طريقه هم عدد قليل، ونزر يسير من هذه الأمّة فقال ﷺ : «**بدأ الإسلام غريباً [٢] وسيعود غريباً [٣] كما بدأ فطوبى للغرباء**»[٤] .

فسُئل ﷺ عن الغرباء ؟ فقال في رواية :(النّزّاع من القبائل)[٥]، وفي رواية أخرى : «أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممّن يطيعهم»[٦] . وفي رواية : «**الذين يصلحون إذا أفسد الناس**»[٧] . وفي رواية: «**الذين يحيون سنّتي ويعلمونها عباد اللّه**»[٨] .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : «الجماعة ما وافق الحقّ وإن كنتَ وحدك»[٩] .

وقال بعض السّلف [١٠] : «عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٦.

(٢) بالمنهج وقلة العدد .

(٣) بالمنهج .

(٤) رواه مسلم ٣٧٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه أحمد : ١/ ٣٩٨، وورواه ابن ماجه : ٣٩٨٨ من حدبث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٦) رواه أحمد ٢/ ١٧٧ . من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

(٧) رواه أحمد : ٤/ ٧٣ عن عبد الرحمن بن سنة رضي الله عنه .

(٨) مسند الشهاب في موضعين في ٢/ ١٣٨ . عن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده .

(٩) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص : ٢٧ .

(١٠) ذكر ابن عساكر في«تبيين كذب المفتري» قولًا قريباً منه ونسبه إلى الفضيل بن عياض ص: ٣٣١ .

السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين»[١].

سادساً: ربط المسلم بسلفه الصالح، وبالعلماء الربانيين:

السابقين منهم والمعاصرين ويكون ذلك بالتزام منهجهم بالعلم والعمل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[٢]. قال الشيخ السعدي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحسْب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم، ولهذا ذكر اللَّه من اللاحقين، من هو مؤتم بهم وسائر خلفهم فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعد المهاجرين والأنصار ﴿يَقُولُونَ﴾ على وجه النصح لأنفسهم ولسائر المؤمنين: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾.

وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا[٤].

إن للعلماء في الشريعة الإسلامية اعتباراً ومنزلة ليست لغيرهم من الناس، ومن نظر في نصوص الكتاب والسنة، علم أن اللَّه عزّ وجل رفع منازل العلماء، وأمر بطاعتهم وسؤالهم عند وقوع الإشكال وعند التنازع، وأقامهم أدلاء للناس

---

(١) مدارج السالكين ص: ١/ ٢١-٢٢، وانظر: إغاثة اللهفان ١/ ٦٩.

(٢) سورة الحشر آية ١٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) انظر الثبات على دين الله. للدكتور الأمين الصادق الأمين.

على الأحكام الشرعية .

لهذا كان واجباً على الأمة الإسلامية رعاية حقوق العلماء، ومعرفة حقوقهم.

فلقد كان من أعظم أسباب انحراف الخوارج من قبل : عدم رعايتهم لحقوق العلماء ومنازلهم، فلم يرفعوا بالعلماء من سادات صحابة الرسول ﷺ رأساً، بل رفضوا أقوالهم، وتبرأوا منهم، وكفروهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم . ولو عرفوا أقدار هؤلاء الصحابة رضي اللّه عنهم لسلموا من غوائل الانحراف، ومفاسد الغلو .

إن اهتداء المرء موكول باعتصامه بالكتاب والسنة، واعتصامه بالكتاب والسنة موكول باقتدائه بأهل العلم من العلماء بالكتاب والسنة؛ وبهذا فإن حاجة الناس إلى العلماء عظيمة قال الأمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : » الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثاً والعلم يحتاج إليه كل وقت»[(١)]

وقال الآجري الإمام الثقة الثبت : «لا يعلم كثير من الناس كيف أداء الفرائض وكيف اجتناب المحارم، ولا كيف يعبد اللّه في جميع ما يعبده به خلقه إلا ببقاء العلماء، فإذا مات العلماء تحيّر الناس، ودرس العلم أي ذهب بموتهم وظهر الجهل»[(٢)]

والمتلقي عن غير العلماء يقع في الانحراف ثم غالباً ما يعتذر بالجهل، ولكن هذا لا يمهد العذر له إذ إن جهل المرء لا يعفيه من تبعات الوقوع في

(١) ذكره ابن القيم «إعلام الموقعين» ٢/ ٢٥٧ .

(٢) أخلاق العلماء ص ٩٦ .

الخطأ والانحراف، بل يلزمه إذا كان جاهلًا أن يسال أهل العلم .

يقول اللَّه تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) فأمر عند عدم العلم سؤال أهل الذكر؛ لأنهم الأدلاء على حكم اللَّه وحكم رسوله ﷺ .

فعَنْ جَابِرٍ قَالَ ﷺ خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ ؟فَقَالُوا : مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ قَتَلُوهُ قَتَلَهُمْ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»(٢) .

إن عدم اعتبار العلماء، يقابله الأخذ عن غير الأكفاء، ومن العوام والجهلاء، وإذا وقع ضل الناس. فعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول إن اللَّه لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد! ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالما اتخذ الناس رءوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»(٣) .

وحتى تقع العصمة من ذلك الضلال والإضلال، وجب التبرؤ من الأخذ عن الجهال، وأغرار الناس، والانصراف إلى أهل العلم الذين يستحقون التصدير، والأخذ والتلقي عنهم .

- **وإذا عرف الناس للعلماء منازلهم أثمر ذلك ثمرات جلية :**

١- أن تكون اعتقادتهم وأعمالهم على وفق شرع اللَّه ﷻ - في الجملة -

---

(١) سورة النحل آية ٤٣ . وسورة الأنبياء آية ٧ .

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٦٢ .

(٣) رواه البخاري، ومسلم .

لأن العلماء بعلمهم أضاءوا الطريق للسالكين، فدلوهم على الحق .

٢- توحيد الصف واجتماع الكلمة؛ لأن الناس إذا لم يوجد من يقودهم في العلم والعمل، تفرقوا وتشتت أمرهم، فإذا كانوا تبعاً لعلمائهم، توحد صفهم، واجتمعت كلمتهم .

٣- غياب كثير من أسباب الغلو: إذ قد ثبت أن من أخطر موارد الغلو وأكثرها، عائدة إلى الجهل، من مثل الجهل بالكتاب، وبالسنة، وبمقاصد الشريعة، وباللغة . . . فإذا رجع الناس إلى العلماء في كل ذلك، وصدروا عن أقوالهم، فقد غوَّرُوا منابع الغلو وقطعوا موارده، وقد عصمهم اللَّه من الانحراف؛ لائتمارهم بأمره سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] .

- **أهم الوسائل التي تُعين على الوصول إلى منهج الحق:**

١- تقوى اللَّه ﷻ مع الإخلاص والتجرد إليه :

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[2] .

قال ابن عباس ﭭ والسّدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان: واحد ﴿فُرْقَانًا﴾ مخرجاً، وزاد مجاهد: «**في الدنيا والآخرة**». وفي رواية عن ابن عباس ﴿فُرْقَانًا﴾ أي: نجاة، وفي رواية عنه: نصراً. وقال محمد بن إسحق: ﴿فُرْقَانًا﴾أي فصلًا بين الحق والباطل، وهذا التفسير من ابن اسحق أعمّ مما تقدم، وهو يستلزم ذلك كله، فإن من اتقى اللَّه بفعل أوامره وترك

(١) سورة النحل آية ٤٣ . وسورة الأنبياء آية ٧ .
(٢) سورة الأنفال آية ٢٩ .

زواجره - وُفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه، وهو محوها وغفرها سترها عن الناس، وسبباً لنيل ثواب اللَّه الجزيل؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[(١)]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومثلها هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾[(٢)]، [(٣)].

٢- الدعاء واللُّجوء والافتقار إلى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ :

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[(٤)].

وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللّهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[(٥)].

---

(١) سورة الحديد آية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ١٢٢٧ . طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي .

(٤) سورة غافر آية ٦٠ .

(٥) رواه أحمد ٢٤٠٦٨، وأبو داود ٦٥٣، والحاكم، وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ص١٢٣رقم ٧٦٧ .

٣- تدبّر كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ :

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا افتقر العبد إلى اللّه ودعاه، وأدمن النظر في كلام اللّه وكلام رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين - انفتح له طريق الهدى»(٢).

٤- اتّباع سبيل سلف الأمة :

وعن سلف هذه الأمة قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين، خير وأنفع من معرفة ما يُذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعوا لا يخرج عنهم»(٣).

٥- الصحبة الطيبة الصالحة :

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾(٤).

وقال رسول اللّه ﷺ: « **الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من**

(١) سورة الإسراء آية ٩ .
(٢) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٤ .
(٣) مجموع الفتاوى ١٣/ ٢٤ .
(٤) سورة الأنعام آية ٧١ .

يخالل»(١) .

وقال عبد اللَّه بن شوذب رَحِمَهُ اللَّهُ : «**إنّ من نعمة اللَّه على الشاب إذا تنسّك، أن يؤاخي صاحب سنة، يحمله عليها**»(٢) .

وعن عمر بن قيس الملائي رَحِمَهُ اللَّهُ قال : «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايأسْ منه، فإن الشاب على أول ما نشوئه»(٣) ويُحمل هذا على الغالب، وإلا فقد ينشأ الشاب مع أهل البدع، ثم يتبين له الحق فيتوب ويرجع إلى الطريق الصحيح، والعكس صحيح.

❊ ❊ ❊

(١) رواه أبو داود في الأدب ٤١٩٣، ورواه أحمد باقي مسند المكثرين ٧٦٨٥، والترمذي ٢٣٠٠ . وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٥٤٥.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٤٨ رقم ٢٧ .

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١/ ٤٨ رقم ٤٥ .

تقويم الفصل الرابع

- السؤال الأول : ما أهمية الثبات على المنهج وخطر الإنحراف عنه ؟

.. ..

.. ..

.. ..

- السؤال الثاني : إن من أسباب الثبات على المنهج ربط المسلم بسلفه الصالح وبالعلماء الربانين اكتب كيف يكون ذلك ؟

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

- **السؤال الثالث : اختر من المجموعة الأولى ما يناسبه من المجموعة الثانية :**

م	المجموعة الأولى	الإجابة	المجموعة الثانية
١	**الصحبة الطيبة الصالحة**		﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾
٢	**تقوى اللَّه ﷿**		**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء**
٣	**الأمر بلزوم المنهج**		**السائر إلى اللَّه يحتاج إلى قوتين علمية وعملية**
٤	**عدم الوحشة بقلة السالكين**		**إن جماع الشر تفريط في حق أو تعدّ إلى باطل**
٥	**العلم بالمنهج**		﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾
٦	**الأخذ بالوسطية والإعتدال**		**الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**

الفصل الخامس

أهم أصول منهج السَّلف في العقيدة

يتناول هذا الفصل أهم أصول منهج السَّلف في العقيدة وذلك في المباحث الآتية :

المبحث الأول : حصرهم لمصدر التلقي في الاعتقاد على الكتاب والسنة.

المبحث الثاني : احتجاجهم بالسنة الصحيحة مطلقاً .

المبحث الثالث : فهم النصوص على ضوء أقوال السَّلف .

المبحث الرابع : التسليم بما جاء به الوحي .

المبحث الخامس : الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة .

المبحث السادس : الإيمان بالمتشابه والعمل بالمُحْكم .

المبحث السابع : عدم الخوض في عِلم الكلام.

يتناول هذا الفصل أهم أصول منهج السَّلف في العقيدة وذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول

حصرهم مصدر التلقي في باب الاعتقاد على الكتاب والسنة وإجماع السَّلف

ونقصد بمصدر التلقي: المنبع الذي يُستمد منه الدِّين بشكل عام، والعقيدة بشكل خاص؛ ذلك لأن العقيدة غيبٌ، والغيب هو ما غاب عن الحواس، إذاً فهي توقيفية، فلا يثبت منها شيء بغير الوحيين (الكتاب والسنة). والإيمان بالغيب (الأمور العقدية) هي أول صفة من صفات المتقين، الذين قال تعالى فيهم: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾(١).

«فحقيقة الإيمان: التصديق التام بما أخبرت به الرسل المتضمن لانقياد الجوارح، فليس الشأن في الإيمان التصديق بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان التصديق بالأشياء الغيبية التي لم تُشاهد، وإنما نؤمن بها لخبر اللَّه وخبر رسوله ﷺ. فهذا الإيمان الذي يُميَّز به المسلم من الكافر؛ لأنه تصديق مجرد لله ولرسوله ﷺ، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر اللَّه ﷻ به، أو أخبر به رسوله ﷺ، سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء عقله وفهمه أو لم يهتد إليه عقله وفهمه،

(١) سورة البقرة آية ١-٣ .

بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية؛ لأن عقولهم القاصرة المقصِرة لم تهتد إليها، فكذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى اللَّه .

ويدخل في الإيمان بالغيب : الإيمان بجميع ما أخبر اللَّه به من الغيوب الماضية والمستقبلية، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف اللَّه وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات اللَّه ووجودها ويتيقنونها وإن لم يفهموا كيفيتها»[(١)] .

- **فالمصدر الأول للتلقي : القرآن**

تعريفه : «**القرآن هو كلام اللَّه حقيقة، المنزَّل على رسوله** ﷺ وحياً، المُتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، والمحفوظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان .

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[(٢)] . وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[(٣)] . وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾[(٤)] .

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٩-٣٠ للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٢) سورة الحجر آية ٩
(٣) سورة الأعراف آية (٢-٣) .
(٤) سورة الأحزاب آية ٣٦ .

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [(١)].

- **المصدر الثاني للتلقي : السنة**

تعريف السنة في اللغة : هي الطريقة سواءً كانت حسنة أو سيئة .

السنة في الاصطلاح : «ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»[(٢)] .

والسنة من الذِكر والوحي الذي تكفَّل اللَّه بحفظه من حيث الجُملة، وهي تُنسب إلى الرسول ﷺ من جهة المُنشئ لألفاظها، أما معانيها فهي من اللَّه تعالى .

قال تعالى عن رسوله ﷺ : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾[(٣)]

وقال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[(٤)] .

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾[(٥)] وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾[(٦)] .

وقال ﷺ : «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[(٧)] .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) انظر الإحكام في أصول الأحكام ١/١٢٧ للآمدي وإرشاد الفحول ٣٣ للشوكاني، انظر الفصل الثالث المبحث الأول (أهل السنة والجماعة) .

(٣) سورة النجم آية (٣، ٤) .

(٤) سورة النور آية ٥٤

(٥) سورة الأنفال آية ٢٤ .

(٦) سورة آل عمران آية ١٣٢ .

(٧) رواه أحمد: ١٧٢١٣، وأبو داود: ٤٦٠٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٤٠٨ ص١٢ .

- وعن عبيد اللَّه بن رافع عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا أُلفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمرُ من أمري مما أمرتُ به، أو نهيتُ عنه، فيقول**: » لا أدري، ما وجدنا في كتاب اللَّه اتبعناه»[١]، [٢].

- وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «بينما عمران بن الحصين رضي الله عنه يُحدِّث عن سنة نبينا ﷺ إذ قال له رجل: «**يا أبا نجيد! حدثنا بالقرآن**» ! فقال له عمران: «**أنت وأصحابك تقرؤون القرآن، أكنتَ محدثي عن الصلاة وما فيها، وحدودها ؟ أكنت مُحدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال ؟ لكن شهدتُ وغبتَ أنت**»، ثم قال: «فرض علينا رسول اللَّه ﷺ في الزكاة كذا وكذا». فقال الرجل: «أحييتني أحياك اللَّه»، قال الحسن: «فما مات ذلك الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين»[٣].

- وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا حُدِّث الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا وحدثنا من القرآن - فاعلم أنه ضال مُضل».

---

(١) رواه أحمد ٣/٣٦٧، ٤ / ١٣١، ١٣٢ / ٦/٨، والترمذي :٢٥٨٧، وأبو داود:٣٩٨٩، وابن ماجه : ١٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧١٧٢ .

(٢) كالقرآنيين الذين ظهروا (بلا هور) في الهند سنة ١٩٠٢ م على يد غلام نبي المعروف بعبد الله جَكْرَالوي وتسربت هذه الأفكار الهدامة عند بعض الأفراد في الدول العربية . وكلاهما تأثر بالفكر الغربي كنتيجة طبيعية للاستعمار وجحافله الغازية وما أفرزته من انهزام فكري ونفسي. وقد أنكر بعضهم السّنة إنكاراً كلياً (المحامي أحمد أفندي صفوت، زينب أحمد، حسين عامر) وبعضهم جزئياً (السيد محمد رشيد رضا، أحمد أمين الشيخ محمد شلتوت، الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي) (انظر القرانيون وشبهاتهم حول السنة للاستاذ خادم حسين إلهي بخش الناشر مكتبة الصديق الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م. وكتاب« السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

المصدر الثالث للتلقي : الإجماع :

الإجماع لغةً : هو العزم المصمم والاتفاق قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام : ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[١]

الإجماع عند الأصوليين (الاصطلاح) : «هو اتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة محمد ﷺ على حكم شرعي بعد وفاته»[٢] .

وهو حجة عند جمهور الأمة خلافاً للخوارج والروافض .

قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[٣] .

قال ابن القيم رحمه الله : قال غير واحد من السَّلف : هم أصحاب محمد ﷺ . ولا ريب أنهم أئمة الصادقين، وكل صادق بعدهم فبهم يأتم في صدقه، بل حقيقة صدقه اتباعه لهم و كونه معهم، ومعلوم أن من خالفهم في شيء - وإن وافقهم في غيره - لم يكن معهم فيما خالفهم فيه، وحينئذ فيصدق عليه أنه ليس معهم» . [٤]

وقال تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[٥]، ووجه الدلالة بهذه

---

(١) سورة يونس ٧١ .

(٢) الشوكاني إرشاد الفحول ٧٣، الآمدي ٤ / ١١٥، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني .

(٣) سورة التوبة آية ١١٩ .

(٤) المصدر السابق ١٣٢، وقد ذكر ابن القيم اثني عشر دليلًا من القرآن . وانظر إعلام الموقعين ١٢٤-١٣٥ .

(٥) سورة النساء آية .١١٥

الآية : أن اللَّه توعّد من اتبع غير سبيل المؤمنين فدلّ أنه حرام، فيكون اتباع سبيل المؤمنين واجباً إذ ليس هناك قسم ثالث .

* وعن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ قال : «من كان متأسياً فليتأسَّ بأصحاب رسول اللَّه ﷺ؛ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم اللَّه لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوا في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(١) .

* وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إذا أجمعت الصحابة على شيء سَلّمنا» .

* وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول اللَّه ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس(٢) . وقال أيضاً : «ولا أعلم من الصحابة ولا من التابعين أحداً أَخْبر عن رسول اللَّه ﷺ، إلا قُبل خبره، وانتُهِيَ إليه وأُثبِتَ ذلك سنةً (٣) . . . . فمن فارق هذا المذهب، كان عندنا مفارقاً سبيل أصحاب رسول اللَّه ﷺ وأهل العلم من بعدهم إلى اليوم وكان من أهل ربما الجهالة» . (٤)

* وقال داود الظاهري، وابن حبان، والإمام أحمد بن حنبل رحمهم اللَّه : «الإجماع أن يتبع ما جاء من النبي ﷺ وعن أصحابه، وهو في التابعين مخيرّ .

(١) رواه ابن عبد البر في بيان العلم وفضله (١٨١٠) وينظر الصحية للألباني ٢٦٤٨ .
(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ٢ / ٢٨٣ .
(٣) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، لجلال الدين السيوطي : ١٤٣ ص ٥٩، تحقيق الشيخ بدر البدر حفظه الله . دار الهدي النبوي، مكتبة ابن تيمية الكويت .
(٤) المصدر السابق ١٣٥ ص ٦٠ .

(وهذا محمول على آحاد التابعين لا على جماعتهم) .

* وقال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ذهب داود وأصحابنا إلى أن الإجماع إنما هو إجماع الصحابة فقط» .[١]

* وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والإجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصولِ الثلاثةِ جميعَ ما عليه الناس من أقوالٍ وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلقٌ بالدين، والإجماعُ الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرتِ الأمة»[٢] .

وقال أيضاً : «أما الاعتقاد فلا يؤخذ عنّي ولا عمّن هو أكبر منّي بل يؤخذ عن اللَّه ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم.

وأما الكتب فما كتبت إلى أحد كتاباً ابتداء أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم، وكان قد بلغني أنه زوّر عليَّ كتاب إلى الأمير (ركن الدين الجاشنكير) أستاذ دار السلطان، يتضمن ذكر عقيدة محرّفة، ولم أعلم بحقيقته، لكن علمت أنه مكذوب، وكان يرد عليَّ من مصر وغيرها، من يسألني عن مسائل في الاعتقاد وغيره، فأجيبه بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة[٣] .

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومن المحال أن يحرم اللَّه أبرَّ هذه الأمة قلوباً

(١) إرشاد الفحول للشوكاني ٨١- ٨٢ .

(٢) العقيدة الواسطية ١ / ٣٠ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣ / ١٥٦- ١٦١ وانظر إعلام الموقعين ٤/١٢٣ - ١٣٥ لابن القيم .

وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً، الصواب في أحكامه، ويوفق له من بعدهم»[١].

* قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المُطّهرة مستقِلّة بتشريع الأحكام. وثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بالتشريع ضرورة دينية[٢]. وقال أيضاً: «إجماع الصحابة حجة بلا خلاف. وهو القول الذي لا يجوز خلافه لأن الإجماع يكون عن توقيف والصحابة هم الذين شهدوا التوقيف».

فالخلاصة:

أن العقيدة مبناها على التّسليم والاتباع، فالتّسليم لله، والاتباع للرسول ﷺ ثم إجماع السلف رضوان الله عليهم.

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ الرسالة، وعلى الرسول ﷺ البلاغ، وعلينا التّسليم»[٣].

(١) إعلام الموقعين ٤/١٣٩، وذكر ابن القيم أوجهاً كثيرة وأدله.
(٢) إرشاد الفحول للشوكاني ٣٣.
(٣) رواه البخاري تعليقاً ٦ / ٢٧٣٧.

المبحث الثاني

احتجاج السّلف بالسنة الصحيحة مطلقاً

سواءً كانت متواترة أو آحاد وذلك في باب العقيدة، والعمل فالسّلف لا يُفرّقون بين المتواتر والآحاد. وما ورد في كتبهم من الأحاديث التي فيها مقال فلا يوردونها للتأصيل، وإنما للاستئناس، ويوردونها بأسانيدها [١].

السنة في اللغة: هي الطريقة، والسيرة، حسنة كانت أم سيئة [٢].

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [٣].

قال الزّجّاج: «والمعنى: أهل سنن، فحذف المضاف» [٤].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**» [٥].

---

(١) من باب: من أسند فقد برئ. وقد تُحسَّن أو تصحح من طرق أخرى.

(٢) لسان العرب ١٣/ ٢٢٥، ٢٢٦. انظر ص ٢١.

(٣) سورة آل عمران آية ١٣٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/ ٢١٦.

(٥) رواه مسلم ٢/ ٧٠٥ (١٠١٧).

السنة في الشرع: «ما نُقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»[(١)].

والسنة من الوحي الذي تكفَّل اللَّه بحفظه من حيث الجُملة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[(٢)]، وهي تُنسب إلى الرسول ﷺ من جهة المُنشئ لألفاظها، أما معانيها فهي من اللَّه تعالى، إما أن ينزل بها جبريل عليه السلام، أو يلهمه إيّاها إلهاماً[(٣)] أو أن يجتهد بقول أو فعل، وهذا الاجتهاد إما أن يقرّه اللَّه عليه فيرجع إلى حقيقة الوحي، أو لا يُقر فينبه إلى الصواب[(٤)].

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[(٥)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه** . . .»[(٦)].

وقال ابن حزم رحمه الله: «. . . فصحّ أن كلام رسول اللَّه ﷺ كله في الدين وحي من عند اللَّه عز وجل، لا شك في ذلك، ولا خلاف بين أحد في ذلك من أهل اللغة والشريعة في أن كل وحي نزل من عند اللَّه تعالى فهو ذِكر منزل»[(٧)].

والمقصود بالسنة الصحيحة: الأحاديث المقبولة دون المردودة.

ومعنى أن السنة حجة: «أي أنها مصدر للتشريع وتلقي الدين، يلزم

---

(١) إرشاد الفحول ٣٣ للشوكاني.

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) الحديث والمحدثون ١٢ لمحمد أبو زهو.

(٤) المصدر السابق والموافقات للشاطبي ٤/ ٧٢٦

(٥) سورة النجم آية ٣-٤.

(٦) رواه أحمد ٤/ ١٣٠، ١٣١، وأبو داود ٥/ ١٠-١٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦٤٣.

(٧) الإحكام لابن حزم ١/ ١٣٥.

اتباعها، ويكفر جاحدها، وتقوم بها الحجة، وينقطع بها العذر».

أولًا : الأدلة من الكتاب :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾(١) .

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فأمر تعالى بطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وأعاد الفعل (أطيعوا) إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء، كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أُوتي الكتاب ومثله معه».(٢)

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾(٣)

وحذّر تعالى من مخالفة أمر نبيه ﷺ؛ حيث قال عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٦).

ثانياً: الأدلة من السنة :

قال رسول اللَّه ﷺ : «**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر مما**

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) إعلام الموقعين ١/ ٤٨

(٣) سورة النساء آية ٦٥

(٤) سورة النور آية ٦٣ .

(٥) سورة الحشر آية ٧ .

(٦) سورة النور آية ٥٤.

أمرت به أو نهيت عنه، فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب اللَّه اتبعناه، ألا وإن ما حرَّم رسول الله ﷺ مثل ما حرّم الله»[١].

ثالثاً : الأدلة من آثار السّلف :

عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال[٢] : «لعن اللَّه الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحُسن، والمغيرات خلق اللَّه»، قال : بلغ ذلك امرأة من بني أسد، يقال لها : «**أم يعقوب**»، وكانت تقرأ القرآن، فأتته، فقالت : «**ما حديث بلغني عنك ؟ ! أنك لعنت الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحُسن المغيرات خلق الله**»، فقال عبد اللَّه : «ومالي لا ألعن من لعن رسول اللَّه ﷺ وهو في كتاب اللَّه؟» فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف، فما وجدته!! فقال : «**لئن كنتِ قرأتيه فقد وجدتيه**»، قال عز وجل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[٣].

- **حجية حديث الآحاد في العقائد والأحكام:**

أي : أن حديث الآحاد مصدر صحيح لتلقي العقائد والأحكام[٤] :

قال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ ؛ فإن (ما) من ألفاظ العموم والشّمول . وهي تشمل العقائد والأحكام .

فمن أين للذين فرّقوا بين المتواتر والآحاد هذا التفريق ؟ وما الدليل على أنه

---

(١) أحمد ١٧١٩٤ وابن ماجه ١٢ والدارمي ٥٨٦ والبيهقي ١٩١٤٨ .

(٢) رواه البخاري : ٤٦٠٤، ومسلم : ٢١٢٥ .

(٣) سورة الحشر آية ٧ .

(٤) أي في حالة صحته .

لا يجوز الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة ؟

ولهذا يحسن بنا أولًا أن نَعُرِّف الحديث المتواتر، وحديث الآحاد

إن الحديث المتواتر [١] **اصطلاحاً** : «هو ما رواه جمع عن جمع[٢] تُحيل[٣] العادة تواطؤهم[٤] على الكذب». كحديث : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»[٥]. فقد رواه أكثر من سبعين صحابياً .

أما حديث الآحاد[٦] : «فهو الحديث الذي لم يجمع شروط المتواتر».

- **الأدلة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة :**

١- الدليل على عدم التفريق بين العقيدة والأحكام بإثباتها بخبر الآحاد؛ أنه لم يرد دليل معتبر في التفريق بين العقيدة والأحكام، من حيث قبول خبر الآحاد

---

(١) التواتر لغةً : هو التتابع . قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾المؤمنون٤٤ أي متتابعين. ويقال تتابع المطر . ومن أمثلة المتواتر : ١- من كذب علي متعمد فليتبوأ مقعده من النار . ٢- المسح على الخفين .

(٢) عدد كبير وأن يكون هذا في جميع طبقات السند .

(٣) تمنع .

(٤) اتفاقهم، كأن يكونوا من أقطار وأجناس ومذاهب، مختلفة ويكون مستندهم الحِس .

(٥) رواه البخاري ٦١٩٧، ومسلم ٤ .

(٦) والآحاد ثلاثة أنواع أولها : المشهور : وهو ما رواه ثلاثة فأكثر في كل طبقة ما لم يبلغ حد التواتر (شرح النخبة ١١/ ١٤) ومن أمثلة المشهور : إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه. ثانيها : العزيز : وهو الحديث الذي لا يَقِل رواته عن اثنين في جميع طبقات السند (شرح النخبة ١٥) ومن أمثلة العزيز : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين متفق عليه، وثالثها : الغريب : هو ما رواه راو منفرد بروايته، فلم يروه غيره أو انفرد بزيادة في متنه أو إسناده (علوم الحديث لابن الصلاح ٢٤٤) ومن أمثلة الغريب: «إنما الأعمال بالنيات» متفق عليه .

في الأحكام دون العقيدة .

٢- قال تعالى : ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ .

و(الطائفة) في لغة العرب تُطلق على الواحد فما فوق .

و(الدِّين) يشمل الأحكام والعقيدة وهي الأهم ؛ فلولا أن الحجة تقوم بحديث الآحاد عقيدة وحكماً لما حض اللَّه تعالى الطائفة على التبليغ حضاً عاماً .

وكما قال تعالى : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات : ٩]

٣- وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ فإنها تدل على أن العدل إذا جاء بخبر ، فالحجة قائمة به .

٤- ثم أن اللَّه أرسل الرسل إلى أقوامهم آحاداً ، ليقيموا الحجة لله على أعدائه .

قال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ﴾(١) .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ﴾(٢) .

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ﴾(٣) .

(١) سورة الأعراف آية ٦٥ .

(٢) سورة الأعراف آية ٧٣ .

(٣) سورة الأعراف آية ٨٥ .

٥- وسنة النبي ﷺ وأصحابه تدل على الأخذ بخبر الآحاد، فعن أنس بن مالك ﷺ أن أهل اليمن قدموا على الرسول ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلا يُعلِّمنا السنة والإسلام. قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة»[١].

٦- ثم إن الأحكام لها جانب عقدي أيضاً، فشرب الخمر وتحريم زواج المحارم والزنى لو اعتقد الإنسان حِله لكفر، كفراً عقدياً مُخرج من المِلة.

وبعث الرسول ﷺ كثيراً من نوابه آحاداً إلى بلاد متفرقة: مثل علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل، ومصعب بن عمير، وأبي موسى الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، فتقوم بهم الحجة، وليثبت العلم في العقيدة والأحكام.

وقال الشافعي رحمه الله: «وفي تثبيت خبر الواحد أحاديث يكفي بعض هذا منها، ولم يزل سبيل سلفنا الصالح والقرون من بعدهم إلى من شاهدناه هذا السبيل»[٢]. وقال أيضاً: «لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد، بما وصفتُ في أن ذلك موجود على كلهم»[٣].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «فهذا يفيد العلم اليقيني عند جماهير أمة محمد ﷺ من الأولين والآخرين، أما السَّلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع، وأما الخلف فهذا - أي عدم التفريق بين المتواتر والآحاد في العقيدة - من مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الأربعة، والمسألة منقولة في كتب

(١) رواه مسلم: ٢٤١٩.
(٢) الرسالة للإمام الشافعي ٤٠١- ٤٥٣.
(٣) «الرسالة» ٤١٠ - ٤١٩ و «روضة الناظر» ١/ ٢٧٧، ٢٧٨.

الحنفية والمالكية والشافعية، والحنابلة مثل : السرخسي[١]، وأبي بكر الرازي[٢] من الحنفية .

والشيخ أبي حامد[٣]، وأبي الطيب[٤] من الشافعية وابن خويز منداد [٥] وغيره من المالكية، ومثل القاضي أبي يعلى، وابن أبي موسى، وأبي الخطاب من الحنابلة»[٦] .

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات (العقيدة)، كما تحتج بها في

(١) السرخسي: الإمام الفقيه الاصولي النظار أبى بكر محمد بن أحمد بن أبى سهل السرخسى المتوفى سنة ٤٩٠ من الهجرة النبوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٢) أبو بكر الرازي : . الإمام العلامة المفتي المجتهد، عالم العراق، أبو بكر، أحمد بن علي الرازي الحنفي، صاحب التصانيف. تفقه بأبي الحسن الكرخي، وكان صاحب حديث ورحلة، لقي أبا العباس الأصم، وطبقته بنيسابورمات في ذي الحجة سنة سبعين وثلاث مئة، وله خمس وستون سنة .انظر : سير أعلام النبلاء .

(٣) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف.

(٤) أبو الطيب الطبري (٣٤٨ - ٤٥٠ هـ) هو طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، القاضي أبو الطيب . فقيه، أصولي جدلي من تصانيفه : شرح مختصر المزني، في فروع الفقه الشافعي . «طبقات الشافعية» ٣/ ١٧٦، «والأعلام» ٣/ ٣٢١ .

(٥) -ابن خوير منداد (؟ - ٣٩٠ هـ) هو محمد بن أحمد بن عبد الله خوير منداد المالكي، العراقي . فقيه، وأصولي من تصانيفه : « كتاب كبير في الخلاف »، و « كتاب في أصول الفقه »، « الوافي بالوفيات» ٢/ ٥٢، و«معجم المؤلفين» ٨/ ٢٨٠ .

(٦) مختصر الصواعق لابن القيم ٢/ ٣٧٣ .

الطلبيات العمليات. . . ولم تـزل الصحابة والتابعـون وأهل الحديث والسنة يـحتجــون بـهـذه الأخـبـــار فـي مـسـائـل الـصــفـات والـقــدر والأسـمـاء والأحكام»[١].

واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب، فهذه الأحاديث تلقتها الأمة بالقبول واليقين».

- **ماذا ينبني على ردّ حديث الآحاد ؟**

أولًا : إذا عرفنا أن الأحاديث المتواترة قليلة جداً[٢]، وأن أغلبية الأحاديث آحاد، فيلزمنا عند عدم قبول حديث الآحاد ردّ مئات بل آلاف الأحاديث الصحيحة، لا سيّما في مسائل العقيدة .

ثانياً : إن هذه العقيدة مخالفة للكتاب والسنة وأقوال السّلف .

ثالثاً : يستلزم من هذه العقيدة تفاوت المسلمين فيما يجب عليهم اعتقاده .

رابعاً : نقول بأن هذا القول نفسه نُقل عن آحاد، فحتى نثبته يلزمهم أن يأتوا بالتواتر، وأنَّى لهم ذلك، فتأمل! .

- **بعض مسائل الاعتقاد التي ثبتت بأحاديث الآحاد ويلزم ردّها بناء على مذهبهم الفاسد:**

١- الإيمان بسؤال الملكين منكر ونكير في القبر : قال رسول اللَّه ﷺ : «إذا قُبر الميتُ - أو قال : (أحدُكم) - أتاه ملكان أسودان[٣] أزرقان[٤]، يقال

---

(١) مختصر الصواعق ٢/ ٣٨٣

(٢) وعددها لا يتجاوز (٣٥٠ حديث) تقريباً انظر كتاب « نظم المتناثر» للكتاني.

(٣) أسودان : لون البشرة.

(٤) أزرقان: لون العينان .

لأحدهما: (المُنكرُ)، والآخر (النّكيرُ)، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول هو : عبد اللَّه ورسوله أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا عبده ورسوله . فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يقال له : نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم ؟ فيقولان: نم، كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه. حتى يبعثه اللَّه من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . فيقال للأرض : التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه اللَّه من مضجعه» (١).

٢- شفاعة النبي ﷺ العظمى في المحشر : قال ﷺ : «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك ؟ يجمع اللَّه الأولين والآخرين في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي ويُلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحدٍ قبلي، ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك، سلْ تعطَ، واشفع تُشفَّع، فأرفع رأسي، فأقول : يا رب ! أمتي أمتي، فيقالُ : يا محمَّد ! أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»، والذي نفسي بيده، إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر(٢)، أو كما بين

(١) رواه الترمذي : ١٠٧١ من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٢٦ .
(٢) هَجَرَ : قال ابن الحائك : الهجر بلغة حِمير والعرب العاربة (القربة)، فمنها : هجر البحرين. معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/ ٣٩٣. وهجرُ: بالألف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلها هجرُ، وهو الصواب .

مكة وبُصرى»[١]، [٢].

٣- الإيمان بأن أهل الكبائر لا يُخلَّدون في النار:

قال رسول اللَّه ﷺ: «**أتاني آتٍ من عند ربي، فخيرني بين أن يُدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك باللَّه شيئاً**»[٣]. وقال ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[٤].

٤- الإيمان بالصراط:

قال ﷺ: «... **يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ: أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ..... وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ، فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ: سَلِّمْ سَلِّمْ**»[٥].

٥- الإيمان بعذاب القبر وضمته، والإيمـان بنعيم القبر وروضته، قال ﷺ: إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»[٦]. وقال ﷺ عن **الرجلين الذين في القبرين: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا**

(١) بُصْرَى: في موضعين، بالضم، والقصر: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حَوران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً. وبُصْرَى أيضاً: من قرى بغداد قرب عُكْبَرَ، والمقصود الأول (بُصْرَى الشام) والله أعلم.

(٢) رواه أحمد: ٩٦٢١، والبخاري: ٧٠٧٢، ومسلم: ١٩٣.

(٣) رواه أحمد: ١٨٧٩٢، والترمذي: ٢٤٤١، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦.

(٤) رواه أحمد ١٣٢٤٥، وأبو داود ٤٧٣٩، والترمذي: ٢٤٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧١٤.

(٥) رواه الترمذي: ٢٥٥٧، وأحمد: ٨٨٠٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٠٢٥.

(٦) رواه أحمد ٢٤٧٠٧، وصححه الألباني في الجامع الصحيح ٢١٨٠ والصحيحة ١٦٩٥.

فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»[١] .

وقال ﷺ : «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ قَالَ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟قَالَ : فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . قَالَ : فَيُقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنْ الْجَنَّةِ . قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ** فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً . قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلَأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»[٢] .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الميميّة :

وبالسنة الغراء كُنْ متمسّكاً ... هي العروةُ الوُثْقَى التي ليس تُقصمُ
تمسك بها مَسْك البخيل بماله ... وعَضَّ عليها بالنواجذ تُسلمُ

- **مسألة : هل يفيد خبر الواحد العلم أو الظن ؟**

والمراد بهذا السؤال معرفة مدى مطابقة خبر الواحد للواقع ، فهل يُقطع ويُجزم بصدقه أو أن صدق خبر الواحد أمر ظنّي فيحتمل الخطأ أو الكذب ولو بنسبة قليلة؟

- **مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة يمكن بيانه في أربع قواعد :**

القاعدة الأولى : أن خبر الواحد إذا احتفت به القرائن[٣] ، أفاد العلم القاطع .

---

(١) ومن أمثلة ذلك الإيمان بحوض النبيُ ونبوة آدمُ و العشرة المبشرين بالجنة .

(٢) رواه مسلم ٢٧٨٠ .

(٣) أنواعه : الخبر المحتف بالقرائن أنواع، أشهرها :

أولًا : ما أخرجه الشيخان في صحيحهما مما لم يبلغ حد المتواتر . فقد احتف به قرائن منها :

١- جلالتهما في هذا الشأن .

٢- تقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما .

٣- تلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد=

وهذا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وجمهور الأمة [١] .

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، تصديقاً له أو عملًا به، أنه يوجب العلم .

وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين، اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام وأنكروا ذلك؛ ولكن كثيراً من أهل الكلام - أو أكثرهم - يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسَّلف على ذلك»[٢] .

القاعدة الثانية : أن خبر الواحد إذا تجرّد عن القرائن[٣]، ولم يتصل به ما يدل على إفادته العلم، لا يحصل به اليقين، ولا يفيد العلم باتفاق، وهذا أمر لا نزاع فيه [٤] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه، فتارة يُجزم بكذبه لقيام دليل كذبه، وتارة يُظن كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح

= كثرة الطرق القاصرة عن التواتر

ثانياً : المشهور إذا كانت له طرق متباينة سالمة كلها من ضعف الرواة والعلل .

ثالثاً: الخبر المسلسل بالأئمة الحفاظ المتقنين حيث لا يكون غريباً : كالحديث الذي يرويه الإمام احمد عن الإمام الشافعي ويرويه الشافعي عن الإمام مالك ويشارك الإمام أحمد غيره في الرواية عن الإمام الشافعي، ويشارك الإمام الشافعي كذلك غيره في الرواية عن الإمام مالك.

انظر : نزهة النظر لابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٢٦ - ٢٧ .

(١) انظر: «الرسالة» ٤٦١، ٥٩٩ و«الفقيه والمتفقه» ١/ ٩٦ و«مجموع الفتاوى» ١٨/ ٤١ و«مختصر الصواعق» ٤٦٦ و«شرح الكوكب المنير» ٢/ ٣٤٨-٣٥٢ و«مذكرة الشنقيطي» ١٠٣

(٢) «مجموع الفتاوى» ١٣/ ٣٥١، وانظر : ١٨/ ٤١ من المصدر نفسه .

(٣) المراد بتجرده عن القرائن في هذا المقام: تجرده عن القرائن المفيدة للعلم لا عن مطلق القرائن .

(٤) انظر: «المسودة » ٢٤٤، و « الجواب الصحيح» ٤/ ٢٩٣ .

صدقه ولا يجزم به، وتارة بصدقه جزماً لا يبقى معه شك، فليس خبر كل واحد يفيد العلم ولا الظن»(١).

القاعدة الثالثة : إن مسألة القرائن نسبية، فما هو قرينة عند شخص قد لا يكون قرينة عند غيره وربّ قرينة أفادت القطع واليقين عند شخص، ولم تُفد سوى الظن عند غيره، وهكذا . .

فالقرائن تختلف بحسب ١- حال المُخْبِر عنه، ٢- حال الخبر، ٣- حال السّامع الذي هو المُخْبَر(٢) .

القاعدة الرابعة : لا شك أن المعتبر في هذه القرائن المختصّة بأحاديث النبي ﷺ هو ما يذكره أهل الحديث، فهم أهل الاختصاص والشأن، أما أهل الكلام وأتباعهم فإنهم غاية في قلة المعرفة بالحديث؛ فلا يحصل لهم - بسبب ذلك - العلم بأحاديث النبي ﷺ، فإنكار أهل الكلام لما عَلِمَه وَقَطَعَ به أهلُ الحديث(٣) . أقبح من إنكار ما هو مشهور من مذهب الأئمة الأربعة عند أتباعهم(٤) .

---

(١) مختصر الصواعق ٤٥٥، ٤٥٦ .

(٢) انظر « مختصر الصواعق » ٤٦٦- ٤٦٨ .

(٣) ذهب بعض أهل العلم إلى أن خبر الواحد الصحيح لا يكون إلا مفيداً للعلم؛ إذ الحديث الصحيح - في نظر هؤلاء - لا يتصور تجرده عن القرائن؛ فإذا وجدت الصحة في الخبر وُجِدَ معها أمران متلازمان : القرائن والعلم . بناء على ذلك فخبر الواحد إنما يفيد العلم لأجل القرائن لا مطلقاً . ويتضح ذلك إذا عرفنا أن هذه القرائن التي ذكرها هؤلاء ملازمة لكل حديث صحيح لا تنفك عنه . مثل : أن رواة الحديث هم الصحابة الذين عرفوا بالصدق والأمانة، وأن المروي هو قول الرسول ﷺ، وفيه من النور والجلالة والبرهان ما يشهد بصدقه . انظر «مختصر الصواعق» ٤٦٦ - ٤٦٨ .

(٤) انظر : «مجموع الفتاوى » ١٨/٦٩، ٧٠ و « مختصر الصواعق » ٤٥٣ - ٤٥٥ ٩ .

المبحث الثالث

فهم النصوص على ضوء أقوال السَّلف

الفهم [١] **في اللغة** : هو حسن تصور المعنى، وجوده استعداد الذهن للاستنباط ويقال : فهمت عن فلان، وفهمت به [٢].

الفهم في الاصطلاح :

هو المعرفة بشيء أو موقف أو حدث أو تقرير لفظي، ويشمل المعرفة الصريحة المتكاملة بالعلاقات والمبادئ العامة، وهو يشمل التفسير، والتوظيف، والذاكرة اللغوية [٣].

قال الفاروق عمر بن الخطاب ﵁ في رسالته إلى أبي موسى الأشعري ﵁ : «ثم الفهم، الفهم فيما أُدلي عليك مما ليس في قرآن وسنة، ثم قايس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد - فيما ترى - إلى أحبها إلى اللَّه، وأشبهها بالحق»[٤]

إن صحة الفهم لنصوص الوحيين، تكاد تكون ترجمة حرفية لمراد اللَّه، وكلما كان فهم المستدل صحيحاً، كلما كان أقرب لحكم اللَّه ﷿ ولمراد

---

(١) الفهم : هو حسن تصور المعني ووجوده واستعداد الذهن للاستنباط وصحة الفهم بعضه مكتسب وبعضه جبلّي ولهذا قيل : الحكم على الشيء فرع من تصوره .

(٢) انظر المعجم الوسيط ص : ٧٣٠ ط . مجمع اللغة العربية القاهرة .

(٣) انظر سيكولوجية اللغة د. جمعة يوسف ص ٧٠ - ٧١ .

(٤) سنن الدارمي ٤ / ٢٠٦، ٢٠٧، وسنن البيهقي الكبرى ١٠ / ١١٥ .

الشارع الحكيم .

ولقد جرَّ سوء الفهم على أهل الأهواء والبدع نتائج خطيرة برغم ما كانوا يتمتعون به من ذكاء شديد، وفطنة عجيبة .

فصحة الفهم نعمة من اللَّه ﷻ بجانب كونها ملكة تحتاج لصقل وتدريب والالتزام بضوابط علمية تعصم من الانحراف عن الصراط القويم، والنهج الصحيح[(١)]

ولهذا كان خير ما تُفهم به النصوص الشرعية هو فهم الصحابة رضي الله عنهم .

فالصحابة هم حواريو الرسول ﷺ، ولذلك فهم أكثر فهماً لرسالته من غيرهم، قال رسول اللَّه ﷺ : «**ما من نبي بعثه اللَّه في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[(٢)] .

ثم إن الصحابة كانوا يسألون عمَّا يُشكل عليهم، فقد روى البخاري عن ابن أبي مُليكة في كتاب العلم عن عائشة رضي اللَّه عنها : أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه، إلا راجعت فيه حتى تعرفه [(٣)] .

---

(١) انظر كتاب مصادر التشريع، ومنهج الاستدلال والتلقي بين أهل السنة ومخالفيهم . للشيخ حمدي عبد الله حفظه الله .

(٢) رواه مسلم الحديث ٥٠ .

(٣) رواه البخاري الحديث ١٠٣ .

وبهذا يُعرف أن ما ينقدح في ذهن الإنسان من مسائل لم يسأل عنها الصحابة رضي الله عنهم مع حاجتهم إليها ووقوع دواعيها عندهم، فليعلم أن هذا من تلبيس الشيطان، فالأمر الواجب هو أن يقف الداعي حيث وقف الصحابة رضي اللَّه عنهم، وليعلم أن اللَّه تعالى ما ترك شيئاً مما نحتاج إليه نسياً منسياً .

- **فضيلة الصحبة** [(١)]:

١- قال عبد اللَّه بن مسعود ﷺ : «إن اللَّه نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند اللَّه حسن، وما رأوه سيئا فهو عند اللَّه سيء . [(٢)]

٢- وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ [(٣)] .
قال: «أصحاب محمد ﷺ» [(٤)] .

---

(١) والصحابي : « هو كل من لقى النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام». انظر إعلام الموقعين ١ / ٧٩، ٨٠، ٤ / ١٤٧ - ١٥٠، ومختصر الصواعق ٢ / ٣٤٥، ٣٤٦ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥ / ٢١١ حديث ٣٦٠٠، قال محققه (شاكر) : إسناده صحيح .

(٣) سورة سبأ آية ٦ .

(٤) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٤، وانظر : إعلام الموقعين ١ / ١٤ .

- **فهم النصوص على فهم الصحابة رضي الله عنهم:**

أولًا : دلالة القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(١)] .

والوسط : الخيار العدل، فالصحابة خير الأمة، وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإراداتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة. [(٢)]

وقال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[(٣)] .

ثانياً : دلالة السنة النبوية :

قوله ﷺ : « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم. . . . . .** »[(٤)] .

والعموم في الحديث يقتضي عموم الخيرية في الاعتقاد والفهم والعمل.

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١ / ٢٧٦ .

(٣) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٤) رواه أحمد : ٣٤١٣، والبخاري : ٣٣٧٨، ومسلم : ٤٦٠١.

ثالثاً : دلالة الإجماع وأقوال العلماء :

أ- الإجماع :

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «اتفاق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على: «أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة القرن الأول، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . . . وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من عِلم وإيمان، وعقل ودين وبيان، وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، فهذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، وأضله اللَّه على علم . . .»[(١)]

ب- أقوال سلف هذه الأمة وعلمائها :

* قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : «اتقوا اللَّه يا معشر القراء ! خذوا طريق من كان قبلكم، واللَّه لئن استقمتم فقد سُبقتم سبقا بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيداً» . [(٢)]

* وعن عباد بن العوام قال: «قدم علينا شريك بن عبداللَّه منذ نحو خمسين سنة فقلت له : يا أبا عبداللَّه ! إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث[(٣)]، قال فحدثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا، وقال : «أما نحن فقد أخذنا ديننا عن التابعين عن أصحاب رسول ﷺ فهم عمّن أخذوا؟!»[(٤)]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٥٧، ١٥٨.

(٢) البدع والنهي عنها ص: ١٠ لابن وضاح الأندلسي، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ١١٩، وأصله في البخاري ١٣/ ٢٥٠ .

(٣) أي أحاديث الصفات .

(٤) إسناده صحيح. أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ٩٤٩ ٢/ ٣٧٤ .

* قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي رِسَالَتِهِ : «هُمْ [١] فَوْقَنَا فِي كُلِّ عِلْمٍ وَعَقْلٍ وَدِينٍ وَفَضْلٍ وَكُلِّ سَبَبٍ يُنَالُ بِهِ عِلْمٌ أَوْ يُدْرَكُ بِهِ هُدًى وَرَأْيُهُمْ لَنَا خَيْرٌ مِنْ رَأْيِنَا لِأَنْفُسِنَا»[٢]

* وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أصول أهل السنة عندنا : «التّمسّك بما كان عليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع . . . »[٣].

* وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب اللَّه تعالى كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دلّ عليه بما يناقضه» [٤].

* وقال الإمام الأصولي أبو إسحاق الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : سّنة الصحابة رضي اللَّه عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها ومن الدليل على ذلك أمور :

١ - ثناء اللَّه عليهم : قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[٥].

٢- ما جاء في الحديث من الأمر باتباعهم وأن سنتهم في طلب الاتباع كسنة النبي ﷺ كقوله ﷺ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ.

---

(١) أي الصحابة .

(٢) مجموع الفتاوى ٤ / ١٥٨.

(٣) طبقات الحنابلة ١/ ٢٤١، وشرح أصول إعتقاد أهل السنة - اللالكائي ١/ ١٥٦ : ٣١٧ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٥ / ٣٨٣ .

(٥) سورة آل عمران آية ١١٠.

٣- أن جمهور العلماء قدَّموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي يكر وعمر حجة ودليلا، وبعضهم عدّ قول الخلفاء الأربعة دليلا وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلا ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة [١].

رابعاً : دلالة العقل :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « من المُحال أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بُعث فيه رسول اللَّه ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالِمين وغير قائِلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضدّ ذلك : إما عدم العِلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع : [٢]

أما القول الأول (غير عالمين) : فلأن من في قلبه حياةٌ، وطلبٌ للعلم، أو نهمةٌ في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب – والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه – أكبرَ مقاصده وأعظَمَ مطالبه . . . وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يُتصور مع قيام هذا المقتضى- الذي هو من أقوى المقتضيات - أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ؟! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق، وأشدهم إعراضاً عن اللَّه، وأعظمهم إنكاباً على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر اللَّه تعالى، فكيف يقع في أولئك؟

(١) الموافقات ٤ / ٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) لأن هذا فيه طعناً مبطّناً في الله ورسوله ﷺ، أما طعناً في الله أنه لم يحسن اختيار أصحاب نبيه ﷺ وأما طعناً في النبي ﷺ لأنه لم يُعلّم أصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

القول الثاني : أنهم معتقدون فيه غير الحق، أو قائلوه : فهذا لا يعتقده مسلم، ولا عاقل عرف حال القوم»[(١)] .

فالصحابة أفقه الأمة، فهم أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأصحها قصداً، وأكملها فطرة وأتمها إدراكاً، وأصفاها أذهاناً : شاهدوا التنزيل وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ، وليس مَن سمع وعلم ورأى حال المتكلم، كمن كان غائباً لم ير ولم يسمع، أو سمع وعلم بواسطة، أو وسائط كثيرة؛ وعليه فالرجوع إلى ما كان عليه الصحابة من الدين والعلم مُتعيِّنٌ - قطعاً - على من جاء بعدهم ممن لم يشركهم في تلك الفضيلة .

- **الصحابة أعلم الناس بلغة القرآن الكريم من غيرهم :**

فقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب، جارياً على معهودهم في الكلام، وعادتهم في الخطاب، فكل من كان من لسان العرب متمكناً، كان للقرآن أشد فهماً وأحسن إدراكاً، ولا يُعلم أحد أفصح لساناً وأسدّ بياناً وأقوم خطاباً من أهل القرون الأولى المفضلة، وأولاهم في هذا الفضل والسبق : أصحاب رسول اللَّه ﷺ .

- **الصحابة أعلم الناس بتفسير القرآن :**

نظراً لتمكن الصحابة والتابعين من اللغة العربية؛ وهي لغة القرآن، وكذلك لمشاهدتهم التنزيل وسماعهم التأويل من النبي ﷺ، كان فهمهم له أرسخ، وإدراكهم لمعانيه أعمق من غيرهم، ممن جاء بعدهم .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/٧، ٨ .

فما فهمه الصحابة والسّلف من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم إذ اتفقت كلمتهم في باب معرفة اللَّه تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله واليوم الآخر، وغير ذلك من مسائل الاعتقاد والأصول، ولا يُحفظ عنهم في ذلك خلاف مشهور ولا شاذ .[١] . . ولهذا كان من أحسن طرق تفسير القرآن الكريم : تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين [٢] .

بل إن طائفة من أهل الحديث جعلت تفسير الصحابي في حكم المرفوع[٣] ، قال أبو عبد اللَّه الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مستدركه : «ليعلم طالب هذا العلم، أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، عند الشيخين (البخاري ومسلم) حديث مسند»[٤] . وذلك لما عُرِف عنهم من توقي القول في القرآن بغير علم .

ونصّ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أنه يرجع إلى الواحد من الصحابة في تفسير القرآن، إذا لم يخالفه غيره منهم[٥] .

ولا تجد كتاباً من كتب السّلف ومن هم على طريقتهم من أهل السنة، إلا ويذكرون فيه أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، ويفسرون بها القرآن والحديث، ويستدلون بها، على من خالفهم، ويعتصمون بها في معرفة

---

(١) انظر الصواعق المرسلة ٢ / ٥٠٩، ٥١٠ .

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٣٦٣ - ٣٧٠، وتفسير ابن كثير ١/١٢ - ١٥، ومختصر الصواعق ٢/٣٣٦ .

(٣) انظر : معرفة علوم الحديث للحاكم ص: ١٩ - ٢١، والمستدرك ١/٥٤٢، كتاب الدعاء ٢/٣٤٥، كتاب التفسير ٤/ ٥٧٥، كتاب الأهوال. وانظر: مختصر الصواعق ٢ / ٣٤٦، وإعلام الموقعين ٤ /١٥٣، وقواعد في علوم الحديث للتهانوي ص: ١٢٧، ١٢٨ .

(٤) المستدرك ٢/٢٥٨ كتاب التفسير .

(٥) انظر : مختصر الصواعق ٢ / ٣٤٦، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص : ٤٢ .

الحق والصواب وما يوجد من اختلاف بين الصحابة والتابعين في تفسير بعض الحروف، فأكثره اختلاف تنوع لا تضاد: فتارة يصفون الشيء الواحد بصفات متنوعة، وتارة يذكر كل منهم من الحرف المفسّر نوعاً أو شخصاً على سبيل المثال لا الحصر، ومنهم من يُعبِّر عن الشيء بِلازِمه، أو بنظيره، ومنهم من ينصّ عليه بعينه يحسبها من لا عِلم عنده اختلافاً، فيحكيها أقوالا وهي بمعنى واحد [١].

أما اختلاف التضاد فقليل، والذي من أسبابه: خفاء بعض العلم على بعضهم؛ فإن الصحابة ليس كل فرد منهم تلقى من نفس الرسول ﷺ بلا واسطة جميع القرآن والسنة، بل كان بعضهم يأخذ عن بعض، ويشهد بعضهم في غيبة بعض، وينسى هذا بعض ما حفظه صاحبه [٢].

- **أمثلة من تفسير الصحابة:**

١- عن أسلم بن يزيد أبي عمران قال: «حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فقال ناس «: **ألقى بيده إلى التهلكة**»، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما أُنزلت فينا، صحبنا رسول اللّه ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار نجيّاً، فقلنا: قد

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٣٣ وما بعدها، وتفسير ابن كثير ١/ ١٥ .
(٢) وانظر في هذا: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» لشيخ الإسلام، ومقدمة في أصول التفسير.

أكرمنا اللَّه بصحبة نبيه ﷺ ونصره، حتى فشا الإسلام وكثر أهله وكنّا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا، فنزل فينا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٩٥﴾[1]. فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد[2].

٢- قَامَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَحَمِدَ اللَّهَ عز وجل وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٠٥﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ[3] وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَا يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ**»[4].

- **من أسباب الانحراف عن فهم السَّلف:**

الجهل بِلُغة العرب وانتشار العُجمة:

وهو من أكبر الأسباب وقد كانت أول بدعة ظهرت في المسلمين من قِبل العُجمة، قال الأوزاعي رحمه الله: «أول من نطق في القَدَر: رجل من أهل

(١) سورة البقرة آية ١٩٥.

(٢) أبو داود: ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٢، والنسائي في «الكبرى» ٦/ ٢٩٨- ٢٩٩/ ١١٠٢٨ ١١٠٢٩،، وصححه الألباني في الصحيحة ١٣.

(٣) سورة المائدة الآية ١٠٥.

(٤) رواه ابن ماجه: ٤٠٠٥، الإمام أحمد: ٣٥، ابن حبان: ٣٠٥، واللفظ للإمام أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧٣٧.

العراق يقال له : (سوسن)، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصَّر، فأخذ عنه معبد الجهني،[(١)] وأخذ غيلان[(٢)] عن معبد؟»[(٣)].

ولهذا قيل : أهلكتهم العُجمة [(٤)]. وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس»[(٥)]. ومن امثلة ذلك :

١- وعن الأصمعي أنه قال : «جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء - يناظره في وجوب عذاب الفاسق - فقال له : «يا أبا عمرو، آلله يخلف وعده» ؟ قال: «لن يخلف اللَّه وعده». قال عمرو بن عبيد : «فقد قال! : (أي: أن اللَّه أخلف وعده على فهمكم). قال أبو عمرو بن العلاء : «أين ؟ «فذكر (عمرو بن

(١) معبد الجهني : يقال ابن عبد الله بن عكيم ويقال عويم البصري : ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة، وكان أول من تكلَّم في القدر، بالبصرة، وكان رأساً في القدر، قدم المدينة فأفسد بها ناساً . وكان الحسن يقول : «إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل ». قتله عبد الملك وصلبه بدمشق سنة ثمانين هجرية . (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٢٥ لابن حجر العسقلاني).

(٢) غيلان الدمشقي : كان من بُلغاء الكتاب، وكان من أصحاب الحارث الكذاب، وممن آمن بنبوته . قال له مكحول :« لا تجالسني» ! وقال السّاجي : كان قدرياً داعية، دعا عليه عمر بن عبد العزيز، وكان مالك ينهى عن مجالسته، وناظره الإمام الأوزاعي وأفتى بقتله . قتله هشام بن عبد الملك (لسان الميزان)٤/ ٤٢٤ للإمام ابن حجر العسقلاني) وانظر كتاب ميزان الاعتدال ٣/ ٣٣٨ وكتاب المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٠٠

(٣) شرح أصول السنة - اللالكائي ٤ / ٧٥٠ : ١٣٩٨، وانظر : الشريعة ص ٢٤٢ .

(٤) قاله الحسن البصري . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٥ / ٩٣ - ٢٥٩ . والعُجمة : هي اللغة غير العربية .

(٥) نقض المنطق ص : ١٥ .

عبيد) آية وعيد [١] . . . . . ، فقال أبو عمرو بن العلاء : «من العُجمة أُتيتَ؛ الوعد غير الإيعاد.

ثم أنشد :

وإنـــي وإن أوعـــدتـــه أو وعـــدتـــه سأخلف إيعادي وأنجز موعدي[٢]

فالوعد : يكون بالخير كالجنة، وهذا لا يُخلفه اللّه، وأما الوعيد فيكون بالشّر كالعذاب في النار، وهذا تحت المشيئة : إن شاء أنفذه، وإن شاء عفا عنه .

٢- وكقول من زعم أنه يجوز للرجل نكاح تسع من الحلائل مستدلًا بقوله تعالى : ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[٣] لأن أربعا إلى ثلاث إلى اثنتين : تسع [٤] ولم يشعر بمعنى فعال ومفعل في كلام العرب وأن معنى الآية فانكحوا إن شئتم اثنتين اثنتين أو ثلاثا ثلاثا أو أربعا على التفصيل لا على ما قالوا .

٣- قول من زعم أن المحرَّم من الخنزير إنما هو اللّحم وأما الشّحم فحلال لأن القرآن إنما حرّم اللّحم دون الشحم ولو عرف أن اللّحم يطلق على الشّحم أيضا بخلاف الشّحم فإنه لا يُطلق على اللّحم لم يقل ما قال .

---

(١) مثل قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٩] . وقال تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابا عَظِيما﴾[النساء: ٩٣].

(٢) الجامع لشعب الإيمان ٢ / ١٠٣ - ١٠٥ .للإمام البيهقي .

(٣) سورة النساء آية ٣ .

(٤) هذا ما تقوله الرافضة كذلك .

٤- وقول من زعم أن لله سبحانه وتعالى جنبا مستدلًا بقوله : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾(١) وهذا لا معنى للجنب فيه لا حقيقة ولا مجازا لأن العرب تقول : هذا الأمر يصغر في جنب هذا، أي : «يصغر بالإضافة إلى آخر، فكذلك الآية معناها : يا حسرتا على مافرطت في جنب اللَّه أي فيما بيني وبين اللَّه، إذ أضفت تفريطي إلى أمره ونهيه إياي .

٥- وقول من قال في قول النبي ﷺ : «**لا تسبوا الدهر، فإن اللَّه هو الدهر**»(٢) إن هذا الذي في الحديث هو مذهب الدهرية ولم يعرف أن المعنى : لا تسبوا الدهر إذا أصابتكم المصائب ولا تنسبوها إليه فإن اللَّه هو الذي أصابكم بذلك لا الدهر فإنكم إذا سببتم الدهر وقع السّب على الفاعل لا على الدهر، لأن العرب كان من عادتها في الجاهلية أن تنسب الأفعال إلى الدهر فتقول : أصابه الدهر، في ماله ونابته قوارع الدهر ومصائبه، فينسبون إلى كل شيء تجري به أقدار اللَّه تعالى عليهم إلى الدهر، فيقولون : لعن اللَّه الدهر ومحا اللَّه الدهر واشباه ذلك وإنما يسبونه لأجل الفعال المنسوبة إليه فكأنهم إنما سبوا الفاعل، والفاعل هو اللَّه وحده فكأنهم يسبونه سبحانه وتعالى .

فقد ظهر بهذه الأمثلة كيف يقع الخطأ في العربية في كلام اللَّه سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ وأن ذلك يؤدي إلى تحريف الكلم عن مواضعه . والصحابة رضوان اللَّه عليهم برآء من ذلك لأنهم عرب لم يحتاجوا في فهم كلام اللَّه تعالى إلى أدوات ولا تعلم، ثم من جاء بعدهم ممن ليس بعربي اللسان

(١) سورة الزمر آية ٥٦.

(٢) رواه مسلم ٢٢٤٦.

تكلَّف ذلك حتى علِمه وحينئذ داخل القوم في فهم الشريعة وتنزيلها على ما ينبغي فيها كسلمان الفارسي وغيره فكل من اقتدى بهم في تأويل الكتاب والسنة على العربية - إن أراد أن يكون من أهل الاجتهاد فهو - إن شاء الله- داخل في سوادهم الأعظم كائن على ما كانوا عليه فانتظم في سلك الناجية .

فالجهل باللغة يؤدي إلى الجهل بألفاظ الشرع وأحكامه، وإلى الفهم الخاطئ للنصوص .

كما أن الرطانة والكلام بلغات الأمم يؤدي إلى انتشار عقائدها وأفكارها وعوائدها مما كان له أسوأ الأثر على الأمة .

وقد أدرك الصحابة والسّلف الأولون خطورة اللحن والعجمة وحذروا منهما

- **تحذير السّلف من العُجمة .**

فعن عمر ضي اللَّه عنه - يرفعه : «إنما هلكت بنو إسرائيل حين حدث فيهم المولدون أتباع سبايا الأمم» (١) .

وعن عطاء بن أبي رباح قال مر بعلي بن أبي طالب رجل له سمت فقال أمن أهل خراسان أنت؟ قال لا . قال من أهل فارس أنت؟ قال لا . قال: فمن أنت؟ قال أنا من أهل الأرض قال: فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: لا يزال الدين معتدلًا صالحاً ما لم يسلم نبط العِراق فإذا أسلمت نبط العِراق أدغلوا في الدين وقالوا فيه بغير علم فعند ذلك يهدم الإسلام وينثلم»(٢) .

---

(١) أخرجه الدارقطني مرفوعاً من حديث عمر، في إسناده الكلبي وهو ضعيف، وأخرجه البزار بإسناد آخر قال ابن القطان فيه :« هذا إسناد حسن » . انظر : سنن الدارقطني - الوصايا - ٤/١٤٦ مع الهامش (التعليق المغني)، وقد روي موقوفاً عن بعض السّلف .

(٢) انظر : البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي ص ٧٢ .

وعن عروة بن الزبير قال: ما زال أمر بنى إسرائيل معتدلا ليس فيه شيء حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم أبناء النساء التى سبت بنو إسرائيل من غيرهم، فقالوا فيهم بالرأى فأضلوهم»[١].

وقال الشاطبي: «ومنها: تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين مع العرو عن علم العربية الذي يفهم به عن اللَّه ورسوله، فيفتانون على الشريعة بما فهموا، ويدينون به، ويخالفون الراسخون في العلم، وإنما دخلوا ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك، كما حكي عن بعضهم أنه سئل عن قول اللَّه تعالى: «**ريح فيها صر**» فقال: هو هذا الصرصر، يعني (صرار الليل).

وعن النظّام أنه كان يقول: إذا آلى المرء بغير اسم اللَّه لم يكن مولياً. قال: لأن الإيلاء مشتق من اسم اللَّه. وقال بعضهم في قول اللَّه تعالى: «**وعصى آدم ربه فغوى**»، لكثرة أكله من الشجرة، يذهبون إلى قول العرب غوى الفصيل إذا أكثر من اللبن حتى بشم، ولا يقال فيه غوى، وإنما غوى من الغي»[٢].[٣]

- **فوائد الالتزام بفهم السَّلف:**

الفائــدة الأولى: أن فهم السَّلف عاصم من التَّفرق والاختــلاف؛ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن عباس رضي اللَّه عنهما: «كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، وقبلتها واحدة»؟! فقال ابن عباس رضي الله عنه: «يا أمير

---

(١) الدارمي ١/ ٥٠.

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي ١/ ٢٣٩.

(٣) انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها د.ناصر العقل.

المؤمنين ! إنما أُنزل علينا القرآن فقرأناه وعلِمنا فيمن نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيمن نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي، اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. . . »[١].

الفائدة الثانية[٢] : **النظر في عمل السّلف وفهمهم للدليل شاهد على صحة الاستدلال به** ومصدِّق له، فعمل السَّلف بالدليل مُخلِّص له من شوائب الاحتمالات المقدرة، قاطع بوجه معين، ومبين للمُجمل، ورافع للإشكال، ودافع للإيهام .

الفائدة الثالثة : السكوت عمّا سكت عنه السّلف: فكل ما سكت عنه الصحابة والسّلف وتكلم فيه الخلف - وذلك فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان - كان السكوت فيه أولى وأليق، ولم يأت فيه الخلف إلا بباطل من القول وزورٍ[٣] .

الفائدة الرابعة حسم مادة الابتداع والضلال، لأن كثيراً من فرق الضلال، يتعلق ببعض ظواهر النصوص فيوجهها - ليّا وتحريفاً - لنصرة مذهبه، ولتأييد بدعته. وفهم السَّلف لهذه النصوص هو الفيصل، وهو الحق، وليس دونه إلا الضلال والشقاق، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[٤] .

---

(١) رواه أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي « كتاب فضائل القرآن ومعالمه وأدبه» ص : ٤٢/ ٩٥ .

(٢) انظر الموافقات ٣ / ٧٦ .

(٣) انظر : اعتقاد أهل السنة والجماعة لمحمد رشاد خليل ص : ٢٣٨، ٢٣٩ . كسكوت السَّلف عن تفسير كل كيفيات الله تعالى .

(٤) سورة البقرة الآية ١٣٧ .

الفائدة الخامسة استعمال السلف وأهل السنة هذه القاعدة في الرّد على الخصوم، ونذكر لذلك نموذجاً :

قول ابن عباس ﷺ للخوارج يوم أن ناظرهم : جئتكم من عند أصحاب رسول اللَّه ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عمّ رسول اللَّه ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله» [(١)] .

● **وخلاصة هذه الفوائد** :

١- بيان أن أهل البدع ليس فيهم أحد من أصحاب رسول اللَّه ﷺ .

٢- أن كل فرقة، أو طائفة، أو مذهب ليس فيهم أحد من الصحابة - أو مذهب الصحابة وطريقتهم في الديانة - فهم على ضلالة اجتمعوا، وعلى بدعة أسَّسوا .

٣- أن الانحياز إلى جانب الصحابة - أي : مذهبهم - والتّمسك بطريقتهم، هو عين الفلاح، وأساس النجاة .

٤- أن يحتج على كل أحد بما كان عليه الصحابة، وليس العكس .

٥- أن الصحابة أعلم بتأويل القرآن، وذلك لمشاهدتهم نزوله، ومعاينتهم وقائعه؛ ففهمهم له وفقههم فيه، مقدَّم على كل أحد - ممن هو دونهم-[(٢)] .

٦- أن أصحاب البدع هم الذين انشقّوا عن الجماعة الحق، وهم الذين

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٣٤٢، وصححه أحمد شاكر ٥/ ٦٧ - ٣١٨٧، وأبو داود ٤٠٣٧، والنسائي ٥/ ١٦٥ وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٤٠٦ .

(٢) انظر منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة ٢ / ٥٢٥ . د. عثمان ابن علي حسن .

اعتزلوا الناس.

٧- ثم أن عدم الالتزام بمنهج الصحابة فيه افتئات عليهم فمن هذا الذي يقدم فهمه على فهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس (حبر هذه الأمة وترجمان القرآن) رضي الله عنهم أجمعين، أو أن هؤلاء المؤولين (الخلف) أعلم وأحكم بصفات اللَّه من الصحابة وتأمل قول عبد اللَّه ابن مسعود رضي الله عنه : «**لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد** ﷺ ومن أكابرهم فإذا جاء العلم من قبل أصاغرهم فذاك حين هلكوا»[١].

* * *

(١) صحيح أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد ٨١٥ ، وعبد الرزاق في المصنف ١١ / ٢٤٩، ٢٥٧ / ٢٠٤٤٦ و٢٠٤٨٣ .

المبحث الرابع

التَّسليم بما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي

تعريف التَّسليم : هو الاستسلام والإذعان والانقياد لما جاء في الوحيين الكتاب والسنة من أمور الاعتقاد والأحكام .

قال تعالى مُقسِماً بنفسه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[1]، وقال تعالى لنبيه ﷺ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾[2]، وقال تعالى عن تسليم إبراهيم وابنه عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾[3]، فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نُسمّيه معقولا، أو نحمله شبهة أو شكّاً، أو نُقدّم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم .

فنوحِّده بالتّحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحِّد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكّلْ .

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب اللَّه إلا بهما : توحيد المرسِل بعبادته، وتوحيد المرسَل «الرسول ﷺ» بطاعته ومتابعته.

(١) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤ .

(٣) سورة الصافات الآية ١٠٣ .

فمبنى العبودية والإيمان باللَّه وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع؛ ولهذا لم يحك اللَّه سبحانه عن أمة نبيّ صدّقت بنبيها وآمنت بما جاء به: أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلَّغها عن ربها، ولو فعلت ذلك، لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلَّمت وأذعنت، وما عرفتْ من الحكمة، عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك.

ولهذا كان سلف هذه الأمة - التي هي أكمل الأمم عقولًا ومعارفَ وعلوماً - لا يسألون نبيها: «لِمَ أمر اللَّه بكذا؟ ولِمَ نهى عن كذا؟ ولِمَ قدّر كذا؟ ولِمَ فَعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضادّ للإيمان والاستسلام، وأن قَدَمَ الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم. فأول مراتب تعظيم الأمر: «التصديقُ به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه، والمبادرة به، والحذرُ عن القواطع والموانع»[١].

ولكن يبقى السؤال: **ما العقل؟ وما منزلته في الإسلام؟**

العقل في اللغة: مصدر، عقل، يعقل، عقلًا، فهو معقول، وعاقل. وأصل معنى العقل المنع، وتقول العرب عقل الناقة أي منعها بالربط.

العقل في اصطلاح بعض أهل العلم: له أربعة معان[٢]: الغريزة المدرِكة، والعلوم الضرورية، والعلوم النظرية والعمل بمقتضى العلم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي ١/٢٣٣.

(٢) انظر إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي ١ / ١٤٥ - ١٤٦.

الأول : الغريزة المدرِكة [١] : فهي شرط في المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان.

الثاني : العلوم الضرورية [٢] : وهي التي تشمل جميع العقلاء، كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات وأن الجزء أصغر من الكُل، وأن الاثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد .

الثالث : العلوم النظرية [٣] : وهي التي تختص بالنظر والاستدلال، وتفاوت الناس وتفاضلهم فيها أمر جليّ وواقع، وهي تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال : إنه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا.

الرابع العمل بمقتضى العلم [٤]، : قال الأصمعي: «العقل : الإمساك عن

---

(١) هو الأس والمنبع .

(٢) هو الفرع الأقرب إليه .

(٣) فرع الأول والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب .

(٤) وهو الثمرة الأخيرة والغاية القصوى فالأولان (الغريزة المدركة والعلوم الضرورية) والأخيران (العلوم النظرية والعمل بمقتضى العلم) بالاكتساب. وقد أشار ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إلى هذا المعنى في أكثر من موضع، من مصنفاته، وذلك لأهميته؛ إذ هو ثمرة العقل وفائدته، فلا عقل لمن لم يعمل بموجب ما هداه إليه عقله، والعقل السليم يدعو إلى الإيمان بالله ورسالاته .فمن خالف ما جاءت به الرسل فقد خالف عقله - رغم ادعائه أنه من أرباب العقول وأساطين الفهم؛ فالمشركون - مثلًا - عرفوا توحيد الربوبية، ولم يلتزموا بلازمه، الذي هو توحيد الألوهية، رغم التلازم العقلي الفطري بينهما. وأهل الكتابين – أيضاً – عرفوا صدق الرسالة، وصحة النبوة - كما يعرفون أبناءهم - ولكنهم لم ينقادوا لذلك؛ فكانوا كمثل الحمار يحمل أسفاراً . (قلت) ولعله هو الأقرب للإصطلاح الشرعي والله أعلم.

القبيح وقصر النفس وحبسها على الحسَن»[١] . وتنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا .

وقيل لرجل وَصَف نصرانياً بالعقل : «مه ! وإنما العاقل من وجد اللَّه وعمل بطاعته»[٢] .

وقال أصحاب النار : ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾[٣] .

مكانة العقل : وقد اختلف في هذه القضية اختلافاً كثيراً، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والتحقيق أن العقل له تعلق بالدماغ والقلب معاً؛ حيث يكون مبدأ الفكر والنظر في الدماغ[٤]، ومبدأ الإرادة والقصد في القلب، ولهذا يمكن أن يقال : «إن القلب موطن الهداية والدماغ موطن الفكر» واللَّه أعلم .

- **منزلة العقل في الإسلام** :

لقد كرّم الإسلام العقل أيما تكريم؛ كرمه حين جعله مناط التكليف عند

(١) «كتاب المخصص» لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده : المجلد الأول - السفر الثالث ص : ١٦ انظر : منهج الاستدلال عن مسائل الاعتقاد ١/١٥٨ - ١٥٩ د. عثمان بن علي حسن

(٢) الذريعة للأصفهاني ص : ٩٦ .

(٣) سورة الملك آية ١٠ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٩/ ٣٠٤ .

الإنسان والذي به فضّله اللَّه على كثير ممن خلق تفضيلًا، وكرّمه حين وجهه إلى النظر والتفكير في النفس، والكون والآفاق : اتعاظاً واعتباراً، وتسخيراً لنعم اللَّه واستفادة منها، وكرمه حين أمسكه عن الولوج فيما لا يحسنه، ولا يهتدي فيه على سبيل رحمته به، وإبقاء على قوته وجهده .

وتفصيل هذه الجمل في التالي :

أولًا : خصّ اللَّه تعالى أصحاب العقول بالمعرفة التامة لمقاصد العبادة، وحِكَم التشريع؛ قال تعالى بعد أن ذكر جملة أحكام الحج : ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾(١). وقال تعالى عقب ذكر القِصاص: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾(٢).

ثانياً: قَصَرَ سبحانه وتعالى الانتفاع بالذِكر والموعظة على أصحاب العقول، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾(٥).

ثالثاً : ذكر اللَّه تعالى أصحاب العقول، وجمع لهم النظر في ملكوته، والتّفكّر في آلائه مع مداومة ذِكره، ومراقبته، وعبادته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى

(١) سورة البقرة آية ١٩٧ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٧٩ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .
(٤) سورة يوسف الآية ١١١ .
(٥) سورة العنكبوت الآية ٣٥ .

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[١] .

رابعاً : ذمَّ اللَّه تعالى المقلدين لآبائهم؛ وذلك حين ألغوا عقولهم، رضاً بما كان يصنع الآباء والأجداد؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[٢] .

خامساً : حرَّم الإسلام الاعتداء على العقل، بحيث يعطله عن إدراك منافعه، ومِن ذلك حرَّم على المسلم شراب المسكر والمفتِّر، وكل ما يخامر العقل ويفسده؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[٣] .

سادساً : شـدّد الإسلام في النهي عن تعاطي ما تنكره العقول السليمة، وتنفر منه، لمعارضته جناب التوحيد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) آل عمران الآية ١٩٠- ١٩٤ .

(٢) البقرة الآية ١٧٠، ١٧١ .

(٣) المائدة الآية ٩٠ .

«**لا عدوى، ولا طيرة** [١]، **ولا هامة** [٢]، **ولا صفرة** [٣]. . . .» [٤] وفي رواية «**ولا نوء**» [٥]. وفي رواية جابر ﷺ : «**لا عدوى ولا غول** [٦] **ولا صفر**»[٧].

● **موقف السّلف من العقل :**

١- إن صحيح المنقول لا يُعارض صريح المعقول .

٢- أن العقل لا يستقل بنفسه بالإرشاد، بل هو تابع للشّرع، ولو كان يستقل بنفسه لما أرسل اللَّه الرسل، وأنزل الكتب، وبهذا أمر السّلف، فإذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدِّق للشرع في كل ما أخبر به والشرع لم يُصَدِّق العقل في كل ما أخبر به كما قال علي بن أبي طالب ﷺ قال: «لو كان الدِّين بالرأي، لكان أسفل الخُف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسول اللَّه ﷺ **يمسح على ظاهر خفيه**»[٨].

٣- حاجة العقل إلى النقل كحاجة العين إلى الضوء للإبصار .

---

(١) الطيرة : وهو التشاؤم بالشيء.

(٢) الهامة : ذات السموم وقيل هي البومة .

(٣) الصفرة : هو التشاؤم بشهر صفر وهو : ثاني الأشهر العربية الهجرية .

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٤ / ١٧٤٤ .

(٥) النوء: مفرد أنواء، وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، وكانت العرب تربط نزول المطر بسقوط النوء أو طلوعه فيقولون: مطرنا بنوء كذا . . . (وقد نهى الشرع عن هذا القول) انظر: النهاية لابن الأثير ٥/ ١٢٢ .

(٦) الغول: واحد الغيلان، وهو من الجن والشياطين، وكانت العرب تعتقد أن الغول تتراءى للناس في الفلاة، فتتغول أي تتلون لهم في صور شتى، لتضلهم عن الطريق .

(٧) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٤٤ - ١٧٤٥ .

(٨) أخرجه أبو داود ١٦٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١/ ٣٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٤٧. وهذا إسناد حسن كما قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام ٦٠ .

٤- ثم إذا جعلنا العقل هو الأصل وهو المتبوع، فأيُّ العقول نجعله قيِّماً وحكماً أو أنموذجاً ؟ .

وبهذا يُعلم أنه لا يمكن أن يكون تصديق الرسول ﷺ : فيما أخبر به متعلِّقاً بشرط، ولا موقوفاً على انتفاء مانع كمثل الذي يقول: لا أصدق ما أُخبَرُ به حتى أعلمه بعقلي . فهذا كفره ظاهر، وهو ممن قال اللَّه فيه: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ .[(١)]

وأهل الحق لا يطعنون في جنس الأدلة العقلية، ولا فيما علِم العقل صحته، وإنما يطعنون فيما يدّعي المعارض أنه مخالف للكتاب والسنة .

ومن هذه المخالفات خوض العقل في الأمور الغيبية : من صفات اللَّه تعالى وأفعاله (كالاستواء والنزول) التي جعل اللَّه أول صفة من صفات المتقين: الإيمان بالغيب، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[(٢)]. وكذلك عذاب القبر ونعيمه، والجنة والنار[(٣)].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومتى تعارض في ظن الظان الكتاب والميزان - أي العقل -، فأحد الأمرين لازم، إما فساد دلالة ما احتج به من النّص : بأن لا يكون ثابتاً عن المعصوم، أو لا يكون دالًا على ما ظنه، أو فساد دلالة ما احتج به من الميزان (القياس) بفساد بعض مقدماته أو كلها، لما يقع في

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤ .

(٢) البقرة الآية ٢ .

(٣) وكحديث الذبابة الذي في البخاري وغيره .

الأقيسة من الألفاظ المجملة المشتبهة»[١].

وإليك تفصيل هذا الكلام المُجمل:

أولًا: نقل صحيح صريح يُعارض بعقل غير صحيح:

فمن احتج بالعقل - مثلًا في إنكار الصفات (السمع، البصر، الكلام)، مدّعياً أن في إثباتها قولًا بتعدد القدماء (الآلهة)، فقد احتج بعقل غير صحيح، بل لا يجوز تسمية ذلك عقلًا أصلًا؛ إذ لا يجوز في العقل وجود موجود مجرّد عن الصفات، هذا لا يتصور بحال، بل هو من أعظم الممتنعات العقلية؛ لأنه يستلزم رفع النقيضين حيث يقال: «هو موجود ولا موجود»؛ إذ الوجود من أعظم ما تتصف به الموجودات من الصفات، ولذا كان لازم مذهب من أنكر بعض الصفات، أن ينكرها جميعاً حتى صفة الوجود، فليس عنده في الحقيقة رب موجود قائم بنفسه! تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثانياً: نقل غير صحيح يعارض بعقل صحيح صريح:

كأن يكون النقل مكذوباً موضوعاً أو ضعيفاً: والعقل الصحيح الصريح هو أن اللَّه تعالى موجود، وأنه خالق كل شيء، وأنه كان ولا شيء قبله، وجميع الآيات الكونية والشرعية والأدلة العقلية والفطرة لا تدل على سوى ذلك بتقصير النظر في دلالة السّمع (الكتاب والسنة) بعد تيقنه من دلالة العقل، فيُظن في السّمع (الحديث مثلًا) الصحة، والأمر ليس كذلك[٢].

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/١٤٨، وشرح الطحاوية ص: ٢٦١، وإعلام الموقعين ٢/٤٧.

(٢) انظر إيثار الحق ص: ١٢٣، ١٢٤.

فيظهر عنده التعارض، وهو تعارض بين دليل صحيح ودليل فاسد، والدليل الفاسد لا يصلح أن يكون دليلًا، فضلًا عن أن يعارض به الدليل الصحيح .

بل الواجب تقديم الدليل الصحيح سمعياً كان أو عقلياً .

ومثال ذلك ما رواه ابن الجوزي[١] عن أبو هريرة مرفوعاً، أن اللَّه خلق الفرس فأجراها، فعرقت، فخلق نفسه منها !! قال السيوطي في التدريب: «هذا لا يضعه مسلم، والمتهم به محمد بن شجاع كان زائغاً في دينه، وفيه أبو المهزم، قال شعبة: رأيته، لو أعطى درهماً وضع خمسين حديثاً!»[٢].

وكذلك حديث: «نزوله- تعالى - عشية عرفة إلى الموقف عن جمل أَوْرَقَ، ومصافحته للركبان، ومعانقته للمشاة»، وأمثال ذلك: هي أحاديث مكذوبة موضوعة باتفاق أهل العلم، فلا يجوز لأحد أن يدخل هذا وأمثاله في الأدلة الشرعية[٣].

ثالثاً: نقل صحيح غير صريح فيغلِّط العقل الاستدلال به فيظهر التعارض نتيجة الفهم القاصر؛ فعدم إدراك الدلالة الصحيحة للسّمع، أحد أسباب ادعاء التعارض بين المعقول والمنقول.

---

(١) ابن الجوزي من طريق محمد بن شجاع الثلجي - بالتاء المثلثة والجيم - عن حبان - بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة - بن هلال عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ٨٩ . وذكره الكناني في الموضوعات وقال: «والمتهم به الثلجي» انظر : تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ١/ ١٣٤ . وانظر : اللآلئ االمصنوعة في الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١/ ٣ .

(٣) انظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول (درء التعارض) لابن تيمية ١/ ١٢٤ .

وذلك كحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «**إن اللَّه** عز وجل يقول يوم القيامة: «**يا ابن آدم ! مرضتُ فلم تعدني، قال : يا رب ! كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرِض فلم تعده ؟ أما علمتَ أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟ يا ابن آدم ! استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب! وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ يا ابن آدم ! استسقيتك فلم تسقني . قال : يا رب! كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي**[١]» .

فمن قال عن هذا الحديث إنه مخالف لدلالة العقل؛ لأنه يقتضي حلول الحوادث في اللَّه تعالى، وأنه (تعالى) تجري عليه صفات المخلوقين وأحوالهم من المرض والجوع والعطش ونحو ذلك، ويظن أن ذلك هو ظاهر الحديث - لم يفهم معنى الحديث، ولم يعطه حقه من التدبر والنظر، فإن الحديث قد فسّره المتكلم به وبيَّن مراده بياناً زالت به كل شبهة، وبيَّن فيه أن العبد هو الذي جاع، وأكل ومرِض، وعاده العواد، وأن اللَّه تعالى لم يمرض، ولم يُعد، ولم يُطعم، ولم يعطش، ولم يُسق[٢] .

والمقصود بيان، أنه إذا ظهر تعارض بين الدليل النقلي والعقلي، فلا بد من أحد ثلاثة احتمالات :

الأول : أن يكون أحد الدليلين قطعياً والآخر ظنياً .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٠ .

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٠، ومشكل الحديث وبيانه لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك ص : ٤٤، ٤٥ .

فيجب تقديم القطعي نقلياً كان أم عقلياً، وأما إن كانا ظنييّن، فالواجب تقديم الراجح منهما عقلياً كان أم نقليا .

الثاني : أن يكون أحد الدليلين فاسداً .

فالواجب تقديم الدليل الصحيح على الفاسد، سواء أكان نقلياً أم عقلياً .

الثالث : أن يكون أحد الدليلين صريحاً والآخر ليس كذلك .

فهنا يجب تقديم ذي الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفى من وجوه الدلالات عند بعض الناس، ما قد يكون بيّناً وواضحاً عند البعض الآخر، فلا تعارض في نفس الأمر عندئذ .

أما أن يكون الدليلان قطعيّين - سنداً ومتناً - ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبداً، لا بين دليلين نقليين ولا عقليين، ولا بين نقلي وعقلي .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في نونيته[١] :

فإذا تعارض نصّ لفظ وارد ... والعقل حتى ليس يلتقيانِ
فالعقل إما فاسد ويظنه ... الرائي صحيحاً وهو ذو بطلانِ
أو أن ذاك النّص ليس بثابت ... ما قاله المعصوم بالبرهانِ

(١) مجموع القصائد المفيدة ص : ١١٤ .

والخلاصة :

أن للعقل عند أهل السنة والجماعة مكانته اللائقة به، وهم وسط بين طرفين:

الطرف الأول : من جعل العقل أصلًا كلياً أوليّا، مستقلًا بنفسه عن الشرع، مستغنياً عنه .

الطرف الثاني : من أعرض عن العقل، وذمه وعابه، وقدح في الدلائل العقلية مطلقاَ والوسط في ذلك - وهم أهل السنة - قالوا :

١- إن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال . ولهذا كان سلامة العقل شرطاً في التكليف، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة . والأقوال المخالفة للعقل باطلة، وتدبر القرآن يكون بالعقول، قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[(١)] فالعقل هو المدرك لحجة اللّه على خلقه [(٢)] .

٢- إن العقل لا يستقل بنفسه، بل هو محتاج للشَّرع .

٣- إن العقل مصدِّق للشَّرع في كل ما أخبر به .

٤- إن الشَّرع دلّ على الأدلة العقلية وبيَّنها ونبَّه عليها [(٣)] .

* * *

(١) سورة النساء آية : ٨٢ .

(٢) انظر « درء التعارض » ١/١٤٧ ومجموع الفتاوى ٣ / ٣٣٨، ٣٣٩ .

(٣) - انظر « درء التعارض » ٢ / ٢٨، ٢٩ « والصواعق المرسلة» ٢ / ٤٦٠ - ٤٩٧ . «ومعالم أصول الفقه للجيزاني » مختصراً .

المبحث الخامس

الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة

والجمع بين النصوص في المسألة الواحدة يحتاج إليه الباحث، سواء كانت هذه المسألة من مسائل العقائد، أو من مسائل الأحكام، خاصة إذا كان هناك تعارض ظاهر بين الأدلة .

لأن جمع النصوص يعطي الناظر صورة متكاملة عن الحكم، بحيث لا تتناقض النصوص بل تتعاضد .

- **لا تعارض حقيقي بين الأدلة الشرعية :**

التعارض : هو تقابل الدليلين الشرعيين على وجه يقتضي كل منهما عدم مقتضى صاحبه، كلياً أو جزئياً أي : على وجه لا يمكن الجمع بينهما .

ويجب أن نعلم أن الأدلة الشرعية لا تتعارض أبداً، وأما ما يظهر للناظر من تعارض بين النصوص من الكتاب والسنة، فهو تعارض ظاهري يقع في نفس المجتهد وفهمه، ولا حقيقة له في نفس الأمر .

وأما أن يقع التعارض في نفس الأمر وحقيقته، بأن يصدر عن الشارع دليلان متعارضان يقتضي أحدهما نقيض ما يقتضيه الآخر، ولا يكون بينهما تناسخ، ولا يجمعها جامع، أو يؤلف بينهما رابط، فهذا لا يكون بحال، بل هذا سفه وتيه يتنزه عنه الرجل العاقل، فضلًا عن الشارع الحكيم، (تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً).

والأدلة على هذا كثيرة :

أولًا : من القرآن الكريم .

١- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ (١) . قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتِّساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير اللَّه لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض»(٢) .

٢- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ (٣) . قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذه صريحة في رفع التنازع -أي عن الشريعة- فإنه ردّ المتنازعين إلى الشريعة، وليس ذلك إلا ليرتفع الاختلاف، ولا يرتفع الاختلاف إلا بالرجوع إلى شيء واحد؛ إذ لو كان فيه ما يقتضي الاختلاف، لم يكن في الرجوع إليه رفع التنازع، وهذا باطل»(٤) .

ثانياً : من السنة النبوية.

ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : «جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حُمر النّعم؛ أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من

---

(١) سورة النساء آية ٨٢ .

(٢) جامع البيان ٥/ ١٧٩ للطبري .

(٣) سورة النساء آية ٥٩ .

(٤) الموافقات ٤/ ١١٩، والاعتصام ٢/ ٣٠٩ ٣١٠، .

صحابة رسول اللَّه ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرِهنا أن نُفَرِّق بينهم، فجلسنا حجرة، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول اللَّه ﷺ مغضباً، قد احمرّ وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول : «**مهلًا يا قوم ! بهذا أُهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذِّب بعضه بعضاً، بل يُصدِّق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه**»(١).

ووجه الدلالة أنه ﷺ غضب وتغير لِما فعله الصحابة من معارضة الأدلة بعضها ببعض، فبيّن لهم أن ذلك سبيل الهلاك، وأن الكتاب يُصدِّق بعضه بعضاً، وهكذا ينبغي أن يكون فهمه والاستدلال به على هذا الوجه .

ثالثاً : من الإجماع :

١- اتفقت الأمة على عدم جواز التعارض بين الأدلة القطعية(٢) .

٢- قال أبو بكر الباقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وكل خبرين عُلم أن النبي ﷺ تكلّم بهما، فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين، لأن معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك : أن يكون موجب أحدهما منافياً لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كان أمراً ونهياً وإباحة وحظراً، أو يوجب كون أحدهما صدقاً والآخر كذباً، إن كانا خبرين، والنبي ﷺ منزّه عن ذلك أجمع ومعصوم

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٢٤٣ - ٦٧٠٢ ، وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على شرح الطحاوية : صحيح .
(٢) المسودة ٤٤٨ لمجد الدين بن تيمية، إرشاد الفحول ٢٧٤ للشوكاني .

منه باتفاق الأمة وكل مثبت للنبوة»[١] .

رابعاً : دلالة المعقول على هذه القاعدة .

١- القول بتعارض الأدلة في نفس الأمر، فيه إثبات العجز والجهل؛ العجز عن إقامة أدلة خالية من التعارض، والجهل بعواقب الأمور، وكل هذا مما يجب تنزيه اللَّه تعالى عنه عقلًا وشرعاً[٢] .

٢- الشريعة إنما أُنزلت لرفع الخلاف بين الناس، فلو كان فيها ما يقتضي الاختلاف - بتعارض أدلتها - لم يكن في إنزالها إلا الفتنة، وهذا لا يقوله عاقل يعرف حكمة الرب تعالى ورحمته بالناس .

٣- القول بالتعارض بين الأدلة في نفس الأمر، يلزم منه إبطال العِلم بالناسخ[٣] والمنسوخ، بل يصح العمل بهما دوماً وابتداء، والعمل بالناسخ والمنسوخ معاً باطل إجماعاً [٤] .

٤- القول بالتعارض، بين الأدلة في نفس الأمر : يرفع العمل بالترجيح بين الأدلة التي ظاهرها التعارض، وهو خلاف ما عليه الأصوليون، ولصح العمل بأحد الدليلين من غير مرجح، وكل هذا باطل وفاسد [٥] .

---

(١) الكفاية ٤٣٣ للخطيب البغدادي، وانظر كلام أبي حامد الغزالي في المستصفى ٢/ ٣٩٥ .

(٢) انظر : كشف الأسرار ٣/٧٦، والتقرير والتحبير ٣/٢، وشرح الأنوار في أصول الفقه لابن مالك ص:٢٢٦ .

(٣) النسخ : رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي آخر متراخ عنه. انظر الفقيه والمتفقه ١/ ٨٠ ومذكرة الشنقيطي ٦٦ ومعالم أصول الفقه للجيزاني ص ٢٥٤ .

(٤) انظر الموافقات ٤/ ١٢٠ ١٢١، .

(٥) انظر الموافقات ٤/ ١٢٢ .

٥- القول بوقوع التعارض بين الأدلة لا يخلو من أحد احتمالات أربعة، كلها باطلة [١] :

أ- العمل بالدليلين - سواء أكانا خبرين أم طلبين - ويلزم منه اجتماع المتناقضين وهو باطل؛ لأنه تكليف بما لا يطاق.

ب - ترك العمل بهما، ويلزم منه خلو المسألة عن الحكم، وأن الشارع الحكيم نصبهما عبثاً ولغواً، وكل ذلك ظاهر البطلان.

ت- العمل بأحدهما دون الآخر على سبيل التعيين، وهو تحكم وترجيح بلا مرجح، وقول في الدين بالتشهي والهوى.

ث - العمل بواحد منهما، غير معين على سبيل التخيير، وهذا يستلزم جواز الفعل والترك لكل من الدليلين، مع أن كل واحد منهما يقتضي نقيض ما يقتضيه الآخر، وفيه ترجيح أمارة الإباحة على أمارة الحرمة، وهذا محذور.

خامساً : دلالة الفطرة على هذه القاعدة .

لقد جعل اللَّه في فِطر بني آدم النفور من التناقض والاضطراب، وعدم استحسان ذلك،وفي فطرهم وصْفُ الرب جلَّ وعلا بالعلم والحكمة والقدرة والإرادة، وظهور التناقض والاضطراب فيما يخبر به جلَّ وعلا ينافي هذه الصفات، فتبين أنه لا يصدر عن الشارع الحكيم إلا ما يدل على كمال قدرته وعلمه وحكمته وإرادته .

---

(١) انظر الموافقات ٤/ ١٢١، ١٢٢، والإبهاج ؟شرح المنهاج للسبكي ٣/ ٢٠٠ . وحاشية البناني على الجلال المحلي ٢/ ٣٥٨، ونهاية السول في شرح منهاج الأصول لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي ٣/ ١/ ١٦-١٦٩ (بحاشية التقرير والتحبير) والمستصفى للغزالي ٢/ ٣٧٩ وما بعدها .

- **شواهد من أقوال العلماء :**

١- قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وأن يُعلم أن أحكام اللَّه، ثم أحكام رسوله ﷺ لا تختلف وأنها تجري على مثال واحد»[١].

٢- قال أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا أعرف أنه روي عن رسول اللَّه ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين، متضادين، فمن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما»[٢].

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : «فعلى الناظر في الشريعة بحسب هذه المقدمة أمران : **أحدهما** : وجوب النظر إلى الشريعة بعين الكمال واعتبارها اعتباراً كليّاً.

الثاني : أن يوقن أنه لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جارٍ على منهج واحد، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أداه بادي الرأي إلى ظاهر اختلاف؛ فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف، لأن اللَّه قد شهد له أن لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المُسلِّم من غير اعتراض...»[٣].

٣- ويقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «وأما حديثان صحيحان صريحان متناقضان من كل وجه، ليس أحدهما ناسخاً للآخر، فهذا لا يوجد أصلا، ومعاذ اللَّه أن يوجد في كلام الصادق المصدوق الذي لا يخرج من بين شفتيه إلا الحق ... والآفة في التقصير في معرفة المنقول، والتمييز بين صحيحه ومعلوله، أو من القصور في فهم مراده ﷺ وحمل كلامه على غير

---

(١) الرسالة ١٧٣.

(٢) الكفاية ٤٣٢-٤٣٣ للخطيب البغدادي، ومقدمة ابن الصلاح ١٤٣.

(٣) الاعتصام ٢/ ٣١١.

ما عناه به، أو منهما معاً، ومن هنا وقع في الاختلاف والفساد ما وقع»[1].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

ونصوصه ليست تعارضُ بعضُها بعضاً فسل عنها عليم زمانِ
وإذا ظننتَ تعارضاً منها فذا من آفةِ الأفهام والأذهانِ
أو أن يكونَ البعضُ ليس بثابت ما قاله المبعوث بالقرآنِ[2]

أسباب وقوع التعارض الظاهر بين النصوص:

بعد أن تقرر أنه لا يكون تعارض، في نفس الأمر - بين الأدلة الشرعية، بقي أن نذكر أسباب هذا التعارض الظاهري، فقد ذكر أهل العلم أن له أسباباً، منها:

١- ما يكون بين آي القرآن ونصوص السنة: من عموم[3] وتخصيص[4]، وإطلاق[5] وتقييد[6] واستثناء[7]، ونحو ذلك.

---

(١) زاد المعاد ٤/ ١٤٩، ١٥٠.

(٢) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ١١٤٤.

(٣) العام: هو اللفظ المستغرق لجميع أفراده بلا حصر مثل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٣] (مذكرة الشنقيطي ٢٠٣) الأصول من علم الأصول لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) الخاص: هو قصرُ العام على بعض أفراده، بدليل يدل على ذلك. انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة ص ٤٢٧.

(٥) المطلق: هو ما دلّ على الحقيقة بلا قيد كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾[المجادلة: ٣]. (الأصول من علم الأصول لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٥١).

(٦) المقيد: ما دلّ على الحقيقة بقيد كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء: ٩٢]. انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة ص ٤٤٢.

(٧) الاستثناء: هو إخراج بعض أفراد العام بالإ أو إحدى أخواتها كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ الأصول من علم الأصول لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٤٥.

٢- الجهل بسعة لسان العرب - وقد نزل القرآن بلسانهم، وكذلك جاءت السنة، فمن جهل ذلك، اختلف عنده العلم بالكتاب والسنة [١].

٣- الوضع من قِبل الزنادقة لبعض الأحاديث، معارضاً بها ما صح من معاني الكتاب والسنة .

٤- الوهم الذي قد يقع لبعض الثقات، فيروي الحديث على وجه ظناً منه أنه صحيح، وليس الأمر كذلك . قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فإذا وقع التعارض : فإما أن يكون أحد الحديثين ليس من كلامه ﷺ، وقد غلط فيه بعض الرواة، مع كونه ثقة ثبتاً، فالثقة يغلط . . .» . [٢]

٥- قد ينقل أحد رواة الحديث باللفظ وآخر بالمعنى، وآخر مختصراً، ويحدِّث آخر بحسب ما أدرك من كلام النبي ﷺ، فإذا عَرف التعارض انتفى الخلاف .

٦- قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «. . . تنزيل كلامه - أي الشارع - على الاصطلاحات التي أحدثها أرباب العلوم من الأصوليين، والفقهاء، وعلم أحوال القلوب وغيرهم، فإن لكل من هؤلاء اصطلاحات حادثة في مخاطباتهم وتصانيفهم، فيجيء من قد أَلَفَ تلك الاصطلاحات الحادثة، وسبقت معانيها إلى قلبه، فلم يعرف سواها، فيسمع كلام الشارع، فيحمله على ما ألفه من الاصطلاح، فيقع بسبب ذلك في الفهم عن الشارع ما لم يرده بكلامه[٣] .

(١) انظر : الرسالة للشافعي ص : ٥٣ وما بعدها .
(٢) زاد المعاد ٤ / ١٤٩، وانظر : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص: ١٩٧ .
(٣) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٧١، ٢٧٢ .

٧- الجهل بمعرفة الناسخ من المنسوخ[١].

- **بين يدي طرق الترجيح :**

أولًا : الواجب الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات :

وعليها قامت أحكام الشرع، فالشيء يعطى حكم نظيره، وينفى عنه حكم مخالفه، فالجمع بين المختلفات ظلم، كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)﴾[٢].

وكذلك التفريق بين المتماثلات ظلم كما قال ﷺ لأسامة رضي الله عنه عندما جاء ليشفع في المرأة المخزومية عندما سرقت : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوهُ، وإذا سرق فيهم الضَّعيف أقاموا عليه الحدَّ»[٣].

ولا شك أن ضد هذا يعتبر من أسباب الإنحراف وإليك هذه الأمثلة :

١- عدم الجمع بين المتماثلات .

مثال ذلك: قوله تعالى في ذم اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٤] وذلك أنهم كفروا وأغفلوا حكم التوراة في سفك الدماء وإخراج أنفسهم من ديارهم، وآمنوا به وأقاموه - أي حكم التوراة - في مفاداة الأسرى،[٥] وكان الواجب عليهم إقامته في شأنهم كله .

---

(١) انظر : الرسالة ص: ٢١٤، ٢١٥ .

(٢) القلم ٣٥ - ٣٦ .

(٣) رواه أحمد والبخاري، ومسلم، وأصحاب السنن والترمذي ١٤٣٠ .

(٤) سورة البقرة آية ٨٥ .

(٥) فوائد الالتزام بالقاعدة لابن القيم ٤ / ١٤٣، ١٤٤، وتفسير ابن كثير ١/ ١٧٣، ١٧٤ .

٢- عدم التفريق بين المختلفات :

ومثال ذلك: قياس اليهود الربّ جلّ جلاله على المخلوق الضعيف القاصر، فوصفوه (سبحانه) . بصفات المخلوقين، فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[(١)]، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[(٢)]، وقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[(٣)] . وفيه إثبات الصاحبة والولد وهي من صفات المخلوقين، وشاركهم في ذلك النصارى القائلون: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[(٤)]، فاليهود والنصارى لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

والواجب التفريق، فكل من فرَّق بين متماثلين، أو جمع بين مختلفين من مبتدعة المسلمين، يكون فيه شبه من اليهود والنصارى، وهم إمامه وسلفه في ذلك .

فنفاة الصفات سواء بعضها (كالأشاعرة والماتريدية) أو جميعها (كالجهمية)، أو الصفات دون الأسماء (كالمعتزلة)، أو الصفات والأسماء جميعا (كالجهمية) - فرّقوا بين المتماثلات، إذ القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر نفياً وإثباتاً، وكذلك القول في الصفات كالقول في الأسماء، وكذلك القول في الصفات والأسماء فرع عن القول في الذات[(٥)] .

وهم قد جمعوا كذلك بين المختلفات، لأنهم لم يعتقدوا التعطيل إلا بعد أن

(١) سورة المائدة آية ٦٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٨١ .

(٣) سورة التوبة آية ٣٠ .

(٤) سورة التوبة آية ٣٠ .

(٥) راجع في ذلك الرسالة التدمرية ص : ٢١ وما بعدها .

قامت عندهم (أي في قلوبهم) شبهة التشبيه، ولهذا كان كل معطِّل مُشبهاً .

ونفاة القـدر: فرَّقـوا بين المتشابهات والمتمـاثلات من وجه، حيث اعتمدوا النصوص التي تثبت قدرة العبد ومشيئته، وأنكروا النصوص التي تثبت قدرة الخالق ومشيئته وخلقه وسابق علمه، وهي كلها نصوص من عند اللَّه تعـالى فالواجـب إثباتها جميـعاً وجمعوا بين المختلفات من وجه، حيث قاسوا المخلوق بالخالق، وجعلوا اللَّه كالمخلوق فيما يجوز ويجب ويمتنع .

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ : «ألا ترى أن أهل القدر حين نظروا في قدر اللَّه الذي هو سِرُّه بآرائهم وحملوه على مقاييسهم، أرتهم أنفسهم قياساً على ما جعل في تركيب المخلوق من معرفة العدل من الخلق على الخلق، أن يجعلوا ذلك حكماً بين اللَّه وبين العبد، فقالوا بالتخلية والإهمال، وجعلوا العباد فاعلين لما لا يشاء، وقادرين على ما لا يريد، وكأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس على : ما يشاء اللَّه، كان وما لا يشاء اللَّه لا يكون»(١) .

والوعيدية من الخوارج والمعتزلة: فرَّقوا بين نصوص الوعيد فآمنوا بها، وبين نصوص الوعد فكفروا بها، والجميع يخرج من مشكاة واحدة .

وفي المقابل المرجئة: آمنوا بنصوص الوعد، وكفروا بنصوص الوعيد .

والرافضة: فرّقوا بين الصحابة رضي اللَّه عنهم، فتولّوا آل البيت منهم، وعادوا غيرهم والواجب موالاتهم جميعاً.

وجمعوا بين الرسول ﷺ وبين غيره في إثبات العصمة حيث ساقوها في

(١) اختلاف اللفظ ص ١٢، ١٣ .

أئمتهم، والواجب التفريق في ذلك بين الرسل وغيرهم من الناس .

وممّن خالف هذه القاعدة - أيضاً - :

١- من فرَّق بين الكتاب والسنة، فاعتمد الكتاب دون السنة .

٢- وكذلك من فرَّق بين المتواتر والآحاد في نصوص الأحكام فاعتمدها، وبين نصوص العقائد فأعرض عنها، بتأويل أو تفويض أو تكذيب، كمن ردّ المسائل في باب العقائد بحجة أنها أحاديث آحاد، تفريقاً بين الأحكام العملية وبين المسائل العقائدية فكل هؤلاء واقعون في التناقض والاضطراب، والواجب عليهم الجمع بين المتماثلات والتفريق بين المختلفات حتى يسلموا مما هم فيه.

ثانياً : عدم بتر الدليل، والاستدلال بجزئه :

وهذا هو شأن أهل الابتداع حين يجدون من الكلمات الشرعية ما يُسوغ لهم بدعتهم، ويجعلها تروج عند ضعفاء المسلمين :

قال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الردّ على القدرية :«. . . إنهم ما أتموا آية من كتاب اللّه عَزَّ وَجَلَّ، ولكنهم يأخذون بأولها ويتركون آخرها، ويأخذون بآخرها ويتركون أولها، والذي نفسي بيده، لأبليس أعلم باللّه عَزَّ وَجَلَّ، يعلم من أغواه [١] . وهم يزعمون أنهم يغوون أنفسهم ويرشدونها»[٢] .

ولما احتج غيلان الدمشقي، أمام عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مقالته في القدر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ سورة الحجر ٣٩ .

(٢) الشريعة للآجري ٢٢٢.

﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [(١)].

قال له عمر رَحِمَهُ اللَّهُ : «**اقرأ آخر السورة**: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾[(٢)].

ثم قال له عمر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فما تقول يا غيلان؟

قال : «أقول: قد كنتُ أعمى فبصّرتني، وأصحّاً فأسمعتني، وضالًا فهديتني . . . » فتاب، ثم رجع إلى مقالته السابقة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ : «في عهد هشام بن عبد الملك، فصلبه [(٣)].

- **طرق رفع التعارض الظاهري** :

أولًا: الجمع والتوفيق بين الأدلة : وهو أن يطلب المجتهد الجمع بين الدليلين؛ لاحتمال أن يكون الدليلان في حالين مختلفين [(٤)] أو بينهما عموم وخصوص، أو إطلاقٌ وتقييدولأن إعمال الأدلة كلها أولى من إهمالها أو إهمال بعضها، وهو قول جميع الفقهاء[(٥)] والقاعدة تقول : «**الإعمال خير من الإهمال**».

وقال الخطّابي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وسبيل الحديثين إذا اختلفا في الظاهر، وأمكن

---

(١) سورة الإنسان آية ٢ - ٣

(٢) سورة الإنسان آية ٣٠ - ٣١ .

(٣) الشريعة للآجري ٢٢٨

(٤) قال أبو بكر الباقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ : «متى عُلم أن القولين ظاهرهما التعارض، ونفي أحدهما لموجب الآخر، وأن يحمل النفي والإثبات على أنهما في زمانين، أو فريقين، أو على شخصين، أو على صفتين مختلفتين، هذا ما لا بد منه، مع العلم بإحالة مناقضته ﷺ في شيء من تقرير الشرع والبلاغ،[نقله عنه الخطيب البغدادي في الكفاية ص: ٤٣٣ .]

(٥) انظر : إرشاد الفحول ص : ٢٧٦ .

التوفيق بينهما وترتيب أحدهما على الآخر، أن لا يحملا على المنافاة، ولا يضرب بعضهما ببعض، ولكن يستعمل كل واحد منهما في موضعه، وبهذا جرت قضية العلماء في كثير من الحديث»[١].

ثانياً : **النسخ** : فإن لم يتيسر له الجمع بينهما - وكان الدليلان مما يقبلان التناسخ - نظر في التاريخ لمعرفة المتأخر من المتقدم، فيكون المتأخر ناسخاً للمتقدم .

قال الامام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فإذا لم يحتمل الحديثان إلا الاختلاف. . . كان أحدهما ناسخاً والآخر منسوخاً. . . » .[٢]

ثالثاً : **الترجيح** : فإن تعذّر العلم بالتأريخ، عُمد إلى الترجيح، ووجوه الترجيح كثيرة، عدّها بعضهم خمسين وجهاً، وزاد آخرون [٣] .

فأيهما رُجِّح عُمل به، والعمل بالراجح متعيِّن في فِطر العقول، وعليه إجماع العلماء، وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «**إنه متفق عليه**[٤]».

رابعاً : **العمل عند تعذَّر الترجيح** : وقد اختلفوا بعد ذلك فمنهم من قال :

١- بالتوقف فقال : يتوقف المجتهد إلى أن يتبين وجه الترجيح[٥].

---

(١) معالم السنن ٣ / ٨٠ .

(٢) اختلاف الحديث ٧ / ٥٧ (بحاشية الأم) .

(٣) انظر : الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ ص : ١١ وما بعدها والتقييد والإيضاح ص : ٢٤٥ .

(٤) إرشاد الفحول ٢٧٦

(٥) وذهب إليه أكثر الحنفية، وهي إحدى الروايتين عن مالك والشافعية والحنابلة، انظر : المسودة لمجد الدين بن تيمية ص : ٤٤٦ . ص : ٤٤٨ .

٢- بالتخيير ومنهم من قال: يتخير المجتهد بين الدليلين، إذا لم يعثر على ترجيح وهو مذهب لبعض الشافعية والحنفية [١].

٣- بالتساقط فقال: بتساقط الدليلين، ويُطلب دليلًا ثالثاً على الترتيب[٢].

فالقاعدة تقول: الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال يسقط ولا يصلح به الاستدلال.

٤- يسأل غيره فلعل اللَّه يفتح لغيره ما لايفتح له.

- **أمثلة للأدلة التي ظاهرها التعارض، وكيفية الجمع بينها:**

أولًا: التعارض بين آية وآية

أخرج البخاري - تعليقاً- عن سعيد بن جبير قال: «**قال رجل لابن عباس** ﵄: «إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ[٣]:

السؤال الأول: كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [٤] مع قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[٥].

السؤال الثاني: ﴿**وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا**﴾ [٦] مع قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾**﴾[٧]، فقد كتموا في هذه الآية.

---

(١) روضة الناظر ٢ / ٤٣٢.

(٢) انظر: إرشاد الفحول ص: ٢٧٥، وانظر: روضة الناظر لابن قدامة ٢ / ٤٣٢.

(٣) هو نافع بن الأزرق زعيم طائفة الأزارقة من الخوارج. انظر فتح الباري ٨/ ٥٥٧.

(٤) سورة المؤمنون آية ١٠١.

(٥) سورة الصافات آية ٢٧. فآية تنفي التساؤل بينهم وآية تثبتها.

(٦) سورة النساء آية ٤٢.

(٧) سورة الأنعام آية ٢٣.

السؤال الثالث : قال تعالى : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[١] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال تعالى : ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[٢] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء.

السؤال الرابع : وقال تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣]. وقال تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٤] ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٥] فكأنه كان ثم مضى .

الجواب على السؤال الأول : فقال أي ابن عباس رضي الله عنه : أمّا قوله تعالى : ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[٦] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة[٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ .

---

(١) سورة النازعات :٢٧- ٣٠ .

(٢) سورة فصلت ٩-١١

(٣) سورة الفتح آية ١٤

(٤) سورة الفتح آية ٧

(٥) سورة النساء آية ١٣٤

(٦) سورة الزمر آية ٦٨

(٧) نفخة البعث .

الجواب على السؤال الثاني : أما قوله تعالى: ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[(١)] وقوله: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن اللَّه يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم. وقال المشركون : تعالوا نقول: «**لم نكن مشركين**»، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عُرف أن اللَّه لا يُكْتَم حديثاً، وعندها: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾[(٢)].

الجواب على السؤال الثالث : وخلق اللَّه الأرض ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض؛ ودحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجمال، والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾، وأما قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾[(٣)]، فجُعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخُلقت السموات في يومين.

الجواب على السؤال الرابع : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

سمى نفسه بذلك، وذلك قوله : أي لم يزل كذلك، فإن اللَّه لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد، فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلًا من عند اللَّه[(٤)].

---

(١) سورة الأنعام آية ٢٣ .

(٢) سورة النساء آية ٤٢ .

(٣) سورة فصلت آية ٩ .

(٤) صحيح البخاري ٨/ ٥٥٥ ٥٥٦، «فتح الباري» كتاب التفسير، سورة السجدة، وانظر: الرّد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص : ٥٤ وما بعدها، وهو ضمن عقائد السلف للدكتور علي سامي النشار.

ثانياً : التعارض بين حديث وحديث :

زعم المدّعون للتعارض، أن قوله ﷺ : «**لا يدخل النارَ أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء**»[(١)]، يعارض قوله ﷺ : «**ما من عبد قال لا إله إلا اللّه، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلتُ -أي- أبو ذر : «وإن زنى وإن سرق ؟» قال : «وإن زنى وإن سرق». قلت : «وإن زنى وإن سرق» ؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، (ثلاثا)، ثم قال في الرابعة : «على رغم أنف أبي ذر»**.[(٢)]

فقالوا: «والزِّنا والسرقة أعظم عند اللّه من مثقال حبة خردل من كِبر[(٣)]

الجواب[(٤)] أنّ الكِبر نوعان :

الأول :كِبر مناف للإيمان الواجب (الكِبر الاعتقادي) :

فلا يدخل صاحبه الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[(٥)]، ومنه كِبر إبليس، وفرعون وكذا كِبر اليهود الذين قال اللّه فيهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾[(٦)] وأبو جهل وغيره من أعداء الرسل فهؤلاء كبرهم

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه - حديث : ١٤٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٩٥ كتاب الإيمان - باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل ... حديث ١٥٤ .

(٣) انظر تأويل مختلف الحديث ص : ١١٧ .

(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/ ٦٧٧ ، ٦٧٩ ، وتأويل مختلف الحديث ص : ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) سورة غافر آية ٦٠ .

(٦) البقرة ٨٧ .

هو الذي منعهم أن يؤمنوا بالأنبياء والرسل .

الثاني كِبر غير مناف للإيمان الواجب (الكبر العملي) :

كاحتقار الخلق وجحد الحق، كما قال النبي ﷺ في تفسير الكِبر : «**الكِبر بَطَر الحق، وغمط الناس**»[١] . وكالذي أمره النبي ﷺ أن لا يأكل بشماله بل بيمينه فقال: لا أستطيع فقال : «**لا استطعت**»ما منعه إلا الكبر[٢] .

فمن تلبَّس بالنوع الأول من نوعي الكِبر، (المناف للإيمان الواجب) حُرم من دخول الجنة (مطلقاً) ابتداءً وانتهاءاً.

ومن تلبّس بالنوع الثاني (المنافي للإيمان الكامل) يكون مآله إلى الجنة، وقد يُحرم دخولها ابتداءً لا دوماً، وعليه فيكون مراد الحديث الأول: بيان حكم المتكبّر، وهو عدم دخوله الجنة، أي أن حكم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كِبر: ألا يدخل الجنة أي أنه ليس من أهلها ولا مستحقها إلا إذا تاب أو كانت له حسنات ماحية لذنبه، أو ابتلاء أزال ثمرة الكبر المانع من دخول الجنة، كما أن حكم من كان في قلبه حبة خردل من إيمان ألا يدخل النار، فهذا كهذا من جهة الحكم، ثم اللَّه يفعل بعد ذلك ما يشاء .

وعلى ذلك يكون المنفي في الحديث[٣] : الدخول المطلق للجنة الذي لا يكون معه عذاب، ولا وعيد به، لا الدّخول المقيّد، والذي يحصل لمن دخل النار، ثم دخل الجنة، أو دخل الجنة بعد تمحيصه بنحو ابتلاء أو شفاعة أو

(١) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه - حديث : ١٤٧ ،
وانظر : سنن أبي داود ٤/ ٣٥٢ كتاب اللباس - باب ما جاء في الكبر - حديث: ٤٠٩٢ .

(٢) رواه مسلم . في صحيحه ٢٠٢١ كتاب الأشربة - باب آداب الطعام والشراب.

(٣) كحديث «لا يدخل الجنة قتات» و«ولا يدخل الجنة قاطع رحم. . . . الخ».

مغفرة، أو نحو ذلك.

ثالثاً: التعارض[١] بين آية وحديث :

كما بين قوله ﷺ : «... **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته..**»[٢]. وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٣] وقوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[٤]وذلك حين طلب موسى رؤيته كما قال تعالى عنه: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [٥] فزعم نفاة الرؤية أن هذا تعارض، يُحكم به بعدم صحة الحديث؛ وعلى فرض صحته قالطوا بتأويل الرؤية بمعنى العلم كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٦].

والجواب من وجوه :

الأول : نفي الرؤية في الآيتين يفيد نفيها في الدنيا، والحديث دلّ على إثباتها في الآخرة، فليس ثمّة تعارض .

الثاني : الإدراك المنفي في الآية، معناه : الإحاطة، وهو قدر زائد على الرؤية، فالعيون لا تحيط به تعالى وإن رأته، وذلك لعظمه وكبره [٧]، ومثل

(١) أي التعارض الظاهري .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٢٣ « فتح الباري» كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة العصر - حديث ٥٥٤ .

(٣) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٦) سورة النور آية ٤١ .

(٧) انظر : شرح الطحاوية ص : ١٥٠ .

ذلك في آلاء اللَّه : الشمس نراها بعيوننا، ولا نحيط بها، فاللَّه تعالى أعظم وأكبر. قال تعالى في أصحاب موسى وقوم فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾(١)، فموسى، عليه الصلاة والسلام، نفى الإدراك، ولم ينفِ الرؤية، وعليه؛ فآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾(٢)، نفت الإدراك ولم تنف الرؤية. (٣) والحديث أثبت الرؤية، فلا تعارض .

الثالث : جاء في الكتاب العزيز ما يؤيد مدلول الحديث؛ كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾(٤) فإضافة النظر إلى الوجوه التي هي محل العيون، وتعديته بـ «**إلى**» كل ذلك يُفيد إثبات الرؤية البصرية، وهذا من أعظم نعيم الجنة، ومن أنكره حري بأن يُحرمه.

- **فوائد الالتزام بقاعدة الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة:**

إذا علمنا ذلك فإن في هذا دليلًا واضحاً على أن الشريعة كاملة من كل وجه، وأن تحكيمها في حياة الناس أمر واجب، وأنها لا خلل فيها ولا نقص بوجه من الوجوه، وأنها شاملة لجوانب حياة الإنسان الدينية والدنيوية، وأن الخلاف وإن وُجِد فإنه يمكن توجيهه والوصول إلى الحق فيه.

وهذه جملة لبعض الفوائد:

---

(١) انظر : شرح الطحاوية ص :١٥١ .
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ص : ٢٠٧ .
(٤) سورة القيامة آية ٢٢، ٢٣ .

الفائدة الأولى: أن معارضة نصوص الكتاب والسنة بعضها ببعض معارضة حقيقية يقتضي التكذيب ببعض الحق:

لأنه من باب معارضة حق بحق؛ قال تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

الفائدة الثانية: أن أهل البدع آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض:

فكان فيهم شبه من أهل الكتاب، وكان من عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم وممن كان على سنتهم - الاستدلال على مسائل الاعتقاد بنصوص الكتاب والسنة من غير تفريق بينها، ولا توهم التعارض بينها، مما يدل على أنها جميعاً إنما تخرج من مشكاة واحدة[2] يصدّق بعضها بعضاً.

وعليه، فالتفريق بين نصوص القرآن والسنة في الاحتجاج بها على مسائل الاعتقاد هو من بدع المتأخرين، ولم يكن لهم فيه سلف صالح.

الفائدة الثالثة: أن النصوص يفسِّر بعضها بعضاً:

فيُحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، ويرتفع الإشكال بالبيان وهكذا... بل هذا من أحسن طرق التفسير، إذ يُفسَّر كلام المتكلم بعضه ببعض فما ورد مجملًا في مكان يكون قد ورد مفصّلًا في موضع آخر، وما وقع فيه إشكال في موضع، ارتفع هذا الإشكال ببيانه في موضع آخر، وكذلك مع كلام العلماء سواء في كتبهم أو أشرطتهم.

---

(١) سورة الزمر آية ٣٢، ٣٣.

(٢) انظر صحيح البخاري ١٢/ ٢٨٣ «فتح• الباري» كتاب - استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل الخوارج والملحدين حديث: ٦٩٣١.

الفائدة الرابعة : وقد استعمل هذه القاعدة كثير من أئمة العلم والدين في كسر المبتدعة وتفنيد شبهاتهم، كصنيع الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الرسالة، وفي كتابه مختلف الحديث، وكذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الردّ على الجهمية، والإمام ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه تأويل مختلف الحديث، والطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مشكل الآثار، وغير هؤلاء كثير من أئمة السنة.

الخلاصة:

١- أن الشريعة ليس فيها تناقض ولا اختلاف.

٢- الاختلاف الواقع إنما هو في أذهان المجتهدين.

٣- اهتم العلماء بهذا المبحث قديماً وحديثاً فصنفوا منه المصنفات الكثيرة.

٤- ومن أحسن هذه المصنفات النقلية والعقلية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام الطحاوي، والإمام بن قتيبة رحمهم الله جميعاً.

* * *

المبحث السادس

الإيمان بالمتشابه والعمل بالمحكم

الإحكام في اللغة [١] :

الأول المنع : والعرب تقول : حكمت، وأحكمت، وحكّمت بمعنى : منعت ورددت، ومنه الحاكم الذي يمنع الظالم من الظلم.

قال الأصمعي : «أصل الحكمة : ردّ الرجل عن الظلم» .

الثاني الإتقان : يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم . والحكم : العلم والفقه، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [٢] أي : علما وفقهاً [٣] .

المتشابه في اللغة [٤] :

الشِبه والشَّبيه : المِثل [٥] والجمع أشباه، وأشبه الشيء؛ إذا ماثله، وشابه الشيء الشيء وتشابها؛ إذا أشبه كل واحد منهما صاحبه . وفي التنزيل:

---

(١) انظر : لسان العرب ١٢/ ١٤٠ - ١٤٤ مادة حكم .

(٢) سورة مريم آية ١٢ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٥ / ٢١٠ طبعة الشعب .

(٤) انظر : لسان العرب ١٣/ ٥٠٣ - ٥٠٥ مادة شبه .

(٥) هذا تجوز من صاحب اللسان، وإلا التماثل يكون بين الشيئين من كل وجه، والتشابه في بعض الوجوه، وبعضهم يجعل التشابه في الصفات والتماثل في الذوات.

﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾(١) والمشتبهات من الأمور : المشكلات . قاله الليث، واشتبه الأمر إذا اختلط، والشبه : الالتباس، والإشكال والاشتباه والالتباس لأجل المشابهة .

- **الإحكام والتشابه في الاصطلاح :**

للمحكم والمتشابه إطلاقان : عام وخاص .

أولًا : الإطلاق العام للمحكم والمتشابه :

إن المُحكم والمتشابه بالمعنى العام الكلي يكادان يكونان مترادفين، فقد وصف اللَّه القرآن كله بأنه محكم، فقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾(٢) أي : أُتقنت وأُحسنت : صادقة أخبارها، عادلة أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظها، بهية معانيها .(٣)

وقال ابن عباس رضي الله عنه : «لم يُنسخ بكتاب كما نُسخت الكتب والشرائع» .

وقال قتادة : «أي أحكمها اللَّه، فليس فيها اختلاف ولا تناقض»(٤) .

ووصف القرآن كلَه بأنه متشابه فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾(٥) .

أي في حُسنه، فحيث جعل اللَّه القرآن كله محكماً، أراد أن الكل حق ليس فيه عبث ولا هزل . وحيث جعل الكل متشابهاً : أراد أن بعضه يُشبه بعضاً في

---

(١) سورة الأنعام آية ١٤١ .
(٢) هود آية ١ .
(٣) تفسير الكريم الرحمن ٣٧٦ .
(٤) تفسير البغوي ٣/ ٣٧٢ .
(٥) سورة الزمر آية ٢٣ .

الحق والصدق وفي الحُسن [١].

ثانياً : الإطلاق الخاص للمُحكم وللمتشابه :

قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [٢]، وهنا يكون معنى المُحكم غير معنى المتشابه .

وسنذكر أهم وأشهر هذه الأقوال في المُحكم والمتشابه :

المُحكم:

القول الأول : ما عُرِف معناه والمُراد منه .

القول الثاني : ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً .

القول الثالث : ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان .

القول الرابع : الناسخ .

المتشابه:

القول الأول: ما استأثر اللَّه بعلمه كحقيقة (كيفية) أسماء اللَّه وصفاته وكوقت قيام الساعة، وخروج المسيح الدَّجّال، وهذا مذهب جابر بن عبد اللَّه ﷺ، ومقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما .

القول الثاني: ما احتمل أكثر من وجه .

القول الثالث: ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان[٣].

---

(١) معالم التنزيل تفسير البغوي ٣/ ٢٧٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٧

(٣) انظر : العدة في أصول الفقه لأبي يعلى ٢/ ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، والمسودة ص : ١٦١ ، وشرح الكوكب المنير ٢/ ١٤٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ١/ ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وتفسير البغوي ١/ ٢٦٩ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٤٢٢ .

القول الرابع: المنسوخ، وروي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والضحاك والربيع والسّدِّي(١)، ويميل ابن تيمية(٢) إلى أن النسخ هنا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(٣).

فالمحكم هو جميع القرآن، والمتشابه هو ما يلقيه الشيطان ثم ينسخه اللَّه ويزيله.

- **الأدلة على المحكم والمتشابه**

أولا: القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾(٤).

وفيها عشرة مسائل(٥):

المسألة الأولى المقصود بالآية:

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ

---

(١) انظر: الفقيه والمتفقه ١/٥٩، وتفسير الطبري ٢/١٧٢، ١٧٣، وزاد المسير ١/٣٥٠، ٣٥١ وتفسير القرطبي ٤/١٠، وإيثار الحق ص: ٩٠.

(٢) انظر: المسودة ص: ١٦٢.

(٣) سورة الحج آية ٥٢.

(٤) سورة آل عمران آية ٧.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٩ - ٢٠، ابن كثير ١ / ٤٧٦ - ٤٨٢، الطبري ج٣ / ١٩٦ - ٢١١ تفسير البغوي ٣ / ٣٢٢ - ٣٢٥.

ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[١]. قالت: قال رسول اللّه ﷺ **«إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه، منه فأولئك الذين سماهم اللّه فاحذروهم»**[٢].

وقال أبو غالب: «كنتُ أمشي مع أبي أمامة، (وهو على حمار له)، حتى إذا انتهى حرج مسجد دمشق، فإذا رؤوس منصوبة، قيل: هذه رؤوس خوارج يُجاء بهم من العراق»، فقال أبو أمامة: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار شر قتلى تحت ظل السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه». (يقولها ثلاثا): ثم بكى فقلت: «ما يبكيك يا أبا أمامة؟» قال: «رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام خرجوا منه ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[٣]، ثم قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[٤] فقلتُ: يا أبا أمامة! هم هؤلاء؟ قال: «نعم»، قلت:

---

(١) سورة آل عمران آية ٧.

(٢) رواه مسلم ٢٦٦٥ في كتاب العلم.

(٣) سورة آل عمران آية ٧.

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٥.

أشيء تقوله برأيك، أم شيء سمعته من رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: إني إذاً لجريء! إني إذاً لجريء! إني إذا لجريء! سمعته من رسول اللَّه ﷺ غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس ولا ست ووضع أصبعيه في أُذنيه» وقال: وإلا فصُمِّتا (قالها ثلاثا) ثم ذكر حديث افتراق بني إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهن في النار، ولتزيدن هذه الأمة عليهم فرقة، واحدة في الجنة وسائرهن في النار، فقلت: يا أبا أمامة! فما تأمرني؟ قال: عليك بالسواد الأعظم. قلت: فإن السواد الأعظم ما ترى«؟ قال: السمع والطاعة خير من الفُرقة والمعصية»[(١)].

المسألة الثانية الآيات المحكمات.

قال تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ المحكمات في أَي القرآن: ما عرف تأويله وفهم معناه وهو مالا التباس فيه ولا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحدا وهو الواضح المعاني البّين الذي لا خفاء فيه ولا يشتبه بغيره وما يؤمن به ويعمل به و هي التي فيها حجة الرب، وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل وقيل مثاله فاتحة الكتاب التي لا تجزء الصلاة إلا بها وكسورة الإخلاص، لأنه ليس فيها إلا التوحيد فقط.

وقال ابن عباس رضي الله عنه المحكمات هو قوله في سورة الأنعام: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾[(٢)]. الآية إلى

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة ص ٢٢٢، ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ص ٢٨٣. راجع مختصر الحجة على ترك المحجة ١/ ٢٤٤، ٢٤٥.
(٢) سورة الأنعام آية ١٥١.

ثلاث آيات وقوله في بني إسرائيل : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾(١)، وقيل هي : ناسخه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه كأن الآية المحكمة : تحكم النفس وتمنعها من الجولان وتضبطها إلى محال مصالحها .

المسألة الثالثة : أم الكتاب

قوله تعالى ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصله وجماعة الذي يرجع إليه عند الاشتباه فهنَّ بينات واضحات الدلالة لا التِّباس فيهن . والأم : الأمر الجامع الذي يؤم أي يُقصد . وقيل : المقتبس منه شيء في الروحانيات والنابت منه أو فيه في الجسمانيات وقيل هنَّ اللاتي فيهن الفرائض والحدود والأحكام وعماد الدين .

المسألة الرابعة : المتشابه :

قوله تعالى :﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ المتشابهات هي ما تحتمل وجوهاً ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها حتى تُضم إلى محكمه مثاله : الحروف المقطعة في أوائل السور والمنسوخ ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وهو ما يؤمن به ولا يُعمل بها وقد ابتلى اللَّه فيهن العباد، فخذ أحسن الأقوال فمن ردّ مشتبه عليه إلى الواضح منه وحكّم محكمه : عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس .

المسألة الخامسة : زيغ القلوب .

قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ والزيغ الميل : ومنه زاغت الشمس، وزاغت الأبصار . ويقال : زاغ، يزيغ زيغاً إذا ترك القصد،

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٣ .

والمراد هنا أشد الميل الذي هو ميل القلب عن جادة الاستواء وفي إشعاره ما يلحق بزيغ القلوب من سيء الأحوال في الأنفس وزلل الأفعال في الأعمال والمقصود من الزيغ الاعوجاج والانحراف والإضلال والخروج عن الحق إلى الباطل ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ (١) وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق ومنافق وجاهل وصاحب بدعة، و إن كانت الإشارة بها في ذلك الوقت لنصارى نجران .

المسالة السادسة : اتباع المتشابه :

المتشابه كقوله تعالى : ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي : ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الأباطيل في ذلك ما هم عليه في الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه، إن متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه :

١- إما طلبا للتشكيك في القرآن، وإضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن .

٢- أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسِّمة الذين اعتقدوا أن الباري تعالى له جسم كالإنسان .

٣- أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها .

٤- أو يكثروا فيه السؤال كما فعل (صبيغ) حين أكثر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيه (المتشابه) السؤال .

---

(١) سورة الصف آية ٥ .

- **وحكمهم :**

القسم الأول : (القرامطة والزنادقة) أصولاً لاشك في كفرهم، وأن حكم اللَّه فيهم القتل من غير استتابة .

القسم الثاني : (المجسِّمة) والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا كما يُفعل بمن ارتد .

القسم الثالث : اختلفوا في جواز ذلك بناء على الخلاف في جواز تأويلها، وقد عُرف أن مذهب السّلف ترك التعرض لتأويلها .

فهم يقولون : آمروها كما جاءت، أي تفويض كيفياتها لا معانيها، فمعانيها معروفة .

القسم الرابع : من يسأل عن المتشابه تكثّراً (كصبيغ) فالحكم فيه الأدب البليغ، كما فعله عمر رضي الله عنه بصبيغ .

المسألة السابعة : طلب الفتنة

ومعنى ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ هي : إرادة الشرك وقيل طلب الشبهات وهي أقرب، واللّبس على المؤمنين حتى يفسدوا ذات بينهم، ويردوا الناس إلى الزيغ . ويضلون أتباعهم، إيهاماً لهْم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقران وهو حُجة عليهم لا لهم فالذين في قلوبهم ميل عن الحق وحيف عنه، فيتبعون في أي الكتاب ما تشابهت ألفاظه، واحتمل صدقه في وجوه التأويلات، باحتماله المعاني المختلفة إدارة اللبس على نفسه وعلى غيره، احتجاجاً به على باطله الذي مال إليه قلبه .

المسألة الثامنة : تأويل القرآن

قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ[(١)] إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اختلف القراء في الوقف هاهنا فقيل :

١- الوقف على لفظ الجلالة (اللَّه)، فعن ابن عباس ﵄ أنه قال : التفسير على أربع أنحاء : أ- فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، ب- وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، ج- وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، د- وتفسير لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ.

٢- ومنهم من يقف على قوله : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا : الخِطاب بما لا يُفهم بعيد .

فعن ابن عباس ﵄ أنه قال : «أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله» .

٣- ومن العلماء من فصَّل في هذا المقام، فقال : التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان، أحدهما : التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾[(٢)]، وقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا

(١) التأويل ينقسم إلى قسمين :

أ- تأويل مطلق حقيقي (كلي) وهذا عند الوقوف على لفظ الجلالة (الله) يكون من التأويل الذي لا يعلمه على الحقيقة إلا الله كحقيقة أسماء الله وصفاته وصفة عذاب القبر ونعيمه، والصراط والميزان والجنة والنار ونحوها . . .

ب- تأويل نسبي جزئي : وهذا عند الوقوف على قوله (والراسخون في العلم) فقد يطيب لزيد ما لا يطيب لعمرو وهذا في المسائل الاجتهادية وعلى هذا يحمل قول ابن عباس ﵄ (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله).

(٢) سورة يوسف آية ١٠٠ .

تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾(١) أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، ويكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مبتدأ و ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ خبره. وأما إن أُريد بالتأويل المعنى الآخر، وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾(٢) أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ حالا منهم .

المسألة التاسعة: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْم :

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ : وهم المتحققون في أعلام العلم من حيث الرسوخ - النزول بالثقل في الشيء الرخو- ليس الظهور على الشيء، فلرسوخهم في العلم لم يظهروا بصفاء الإيقان على نور العلم فثبتهم اللَّه سبحانه وتعالى عند حد التوقف فكانوا دائمين على الإيمان . وقولهم : (كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا) فيه ضمير عائد على كتاب اللَّه تعالى محكمة ومتشابهه، والتقدير : كله من عند ربنا .

المسألة العاشرة أُوْلُواْ الأَلْبَابِ :

قوله تعالى : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ) أي : ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع اتباع المتشابهة إلا ذولب وهو العقل . ولب كل شيء خالصة، فلذلك قيل للعقل لب.

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٣ .

(٢) سورة يوسف آية ٣٦ .

- **ثانياً : الأدلة في المحكم والمتشابه من السنة النبوية :**

قوله ﷺ : «. . . **إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»(١) . وفيه بيان المتشابه النسبي والذي يُرفع برده إلى المحُكم أو إلى أُولي العلم .

وقوله ﷺ : «**كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف**» . وعن ابن مسعود عن رسول اللَّه ﷺ قال : فذكره وزاد : زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا : آمنا به كل من عند ربنا»(٢) . وهذا فيه بيان المتشابه الحقيقي والذي فرضه الإيمان به، ويحتمل المتشابه النسبي (الإضافي) لأنه يجب الإيمان به حتى يتبين معناه .

ثالثاً : أقوال السلف وموقفهم من المحكم والمتشابه :

١- قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : «يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به، وهو من عند اللَّه كله»(٣) .

٢- وقالت عائشة رضي الله عنها : «كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه»(٤) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ١٠/ ٢٣٠ حديث ٦٧٠٢، وصححه المحقق (شاكر) ١٠/ ٢٨٨ (طبعة دار المعارف).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٣ كتاب فضائل القرآن، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي . وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/ ١٣٣ - ٥٨٧ .

(٣) الإتقان للسيوطي ٢ / ٤، وتفسير الطبري ٣ / ١٨٦ .

(٤) الإتقان للسيوطي ٢/ ٤ .

٣- وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾(١) قال: «يعملون بمحكمه يؤمنون بمتشابهه، ويَكِلُون ما أَشكل عليهم إلى عالمه»(٢). وهذا جمع بين المتشابه الحقيقي والإضافي.

٤- قول قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في آية آل عمران: «آمنوا بمتشابهه واعملوا بمحكمه»(٣).

٥- وقال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نعمل بالمحكم ونؤمن به، ونؤمن بالمتشابه، ولا نعمل به، وكل من عند ربنا»(٤).

٦- قال محمد بن جعفر بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يقول: «ما يذكر في مثل هذا - يعني في ردّ تأويل المتشابه إلى ما قد عُرف من تأويل المحُكم حتى يتّسقا على معنى واحد - إلا أولو الألباب»(٥).

٧- قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنْ السَّلَفِ: إنَّ الْمُحْكَمَ مَا يُعْمَلُ بِهِ وَالْمُتَشَابِهَ مَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ كَمَا يَجِيءُ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْآثَارِ وَنَعْمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَنُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ وَكَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قَالَ يُحَلِّلُونَ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ وَيَعْمَلُونَ

(١) سورة البقرة آية ١٢١.
(٢) تفسير الطبري ١ / ٥٢٠.
(٣) تفسير الطبري ٣ / ١٨٥.
(٤) تفسير الطبري ٣ / ١٨٦.
(٥) تفسير الطبري ٣ / ١٨٦.

بِمُحْكَمِهِ وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ .» (١)

الواجب على كل أحد أن يعمل بما استبان له، وأن يؤمن بما اشتبه عليه، وأن يرد المتشابه إلى المحكم، ويأخذ من المحكم ما يُفسّر له المتشابه ويُبينه، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضاً، ويُصدِّق بعضها بعضاً، فإنها كلها من عند اللَّه، وما كان من عند اللَّه فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره، فهذه طريقة الصحابة والتابعين في التعامل مع المحكم والمتشابه (٢).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «والمقصود هنا أن الواجب أن يُجعل ما قاله اللَّه ورسوله ﷺ هو الأصل، ويُتدبر معناه ويعقل . . . ويُعرف دلالة القرآن على هذا وهذا، وتجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال لأصحاب هذه الألفاظ : يحتمل كذا وكذا، ويحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول ﷺ قُبل وإن أرادوا ما يخالفه رُدَّ»(٣).

- **موقف المبتدعة من المحكم والمتشابه :**

الواجب الحذر من طريقة أهل الأهواء والبدع، فإن لهم طريقين في ردّ السنن(٤):

أحدهما : رد السنن الثابتة عن النبي ﷺ بالمتشابه من القرآن أو من السنة .

الثاني : جعل المحكم متشابهاً ليعطلوا دلالته .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧ / ٣٨٦ .
(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٨٦، وإعلام الموقعين ٢/ ٢٩٤ .
(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٣/ ١٤٥، ١٤٦، وشرح العقيدة الطحاوية ٢٢٤- ٢٢٥ .
(٤) انظر إعلام الموقعين ٢/ ٢٩٤ .

وقد ورد في آية آل عمران أن موقف المؤمنين الراسخين في العلم من المتشابه هو الإيمان به ورده إلى اللّه، وأن موقف الزائغين أصحاب القلوب المريضة هو اتباع المتشابه والاستدلال به على مقالاتهم الباطلة؛ طلباً للفتنة؛ وتحريفاً لكتاب اللّه [(١)].

- **أمثلة من المتشابه الذي يجب ردّه إلى المحكم:**

المثال الأول:

ردّ الجهمية النصوص المحكمة غاية الإحكام المبيّنة بأقصى غاية البيان أن اللّه موصوف بصفات الكمال: من العلم، والقدرة والإرادة والحياة والكلام والسمع والبصر والوجه واليدين، والغضب والرضا والفرح والضحك والرحمة والحكمة، وبالأفعال كالمجيء والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[(٣)] وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ ونحو ذلك، والعلم بمجيء الرسول ﷺ بذلك وإخباره به عن ربه، إن لم يكن فوق العلم بوجوب الصلاة والصيام والحج والزكاة وتحريم الظلم والفواحش والكذب فليس يقصر عنه، فالعلم الضروري حاصل بأن الرسول ﷺ أخبر عن اللّه بذلك وفرض على الأمة تصديقه فيه فرضاً لا يتم أصل الإيمان إلا به، فردّ الجهمية ذلك بالمتشابه من

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ١/ ٣٥٧ ٣٥٨ .
(٢) سورة المائدة: آية ١ .
(٣) سورة النساء: آية ١٣٤ .
(٤) سورة الفجر: آية ٢٢ .

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١)، ومن قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ (٢)، ومن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ (٣)، وقال: «المحققون أن الأحدية لتفرد الذات والواحدية لنفي المشاركة في الصفات» (٤).

ثم استخرجوا من هذه النصوص المحُكمة المبيّنة احتمالات وتحريفات جعلوها به من قسم المتشابه.

المثال الثاني:

ردّهم المحكم المعلوم بالضرورة أن الرسل جاؤوا به من إثبات علو اللَّه على خلقه، واستوائه على عرشه بمتشابه قول اللَّه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ (٧) ونحو ذلك.

ثم تَحَيَّلوا وتمحَّلوا حتى ردُّوا نصوص العلو والفوقية بمتشابهه.

المثال الثالث:

ردَّ القدرية من النصوص الصريحة المحكمة في قدرة اللَّه على خلقه، وأنه ما

---

(١) سورة الشورى آية ١١.
(٢) سورة مريم آية ٦٥.
(٣) سورة الإخلاص آية ١.
(٤) جامع البيان في تفسير القرآن للايجي الشافعي ص ٨٥٨.
(٥) سورة الحديد آية ٤.
(٦) سورة ق آية ١٦.
(٧) سورة المجادلة آية ٧.

شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

فاستخرجوا لتلك النصوص المحكمة وجوهاً أُخر أخرجوها به من قسم المحكم، وأدخلوها في المتشابه.

المثال الرابع:

ردَّ الجبرية[٤] النصوص المحكمة، في إثبات كون العبد قادراً مختاراً فاعلًا بمشيئته بمتشابه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦].

وأمثال ذلك، ثم استخرجوا لتلك النصوص من الاحتمالات التي يقطع السامع أن المتكلم لم يردها، ما صيروها به متشابهة.

المثال الخامس:

ردَّ الخوارج والمعتزلة النصوص الصريحة المحكمة غاية الإحكام في ثبوت الشفاعة للعصاة وخروجهم من النار فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: أن النَّبِيِّ ﷺ

(١) سورة الكهف آية ٤٩.
(٢) سورة فصلت آية ٤٦.
(٣) سورة التحريم آية ٧.
(٤) والجبرية: أصل قولهم من جهم بن صفوان، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه! أي: أنه مجبور عليه.
(٥) سورة التكوير آية ٢٩.
(٦) سورة الأنعام آية ٣٩.

قَالَ : «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[١] ، **وعن أنس بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : قال يخرج قومٌ من النار بعد ما مَسَّهمُ منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين[٢] ، بالمتشابه من قوله تعالى : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾[٥] . ونحو ذلك ، وفعلوا فيها فعل من ذكرناه سواء .

المثال السادس :

ردّ الجهمية النصوص المحكمة التي قد بلغت في صراحتها وصحتها إلى أعلى الدرجات في رؤية المؤمنين ربهم - تبارك وتعالى - في عَرَصَات القيامة وفي الجنة[٦] بالمتشابه من قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[٧] ، وقوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[٨] ، وقوله تعالى :

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧١٤ .

(٢) رواه البخاري ٩٥٥٩ .

(٣) سورة المدثر آية ٤٨ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٩٢ .

(٥) سورة النساء آية ١٤ .

(٦) من قوله كقول الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤﴾ القيامة وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً يَعْنِي الْبَدْرَ فَقَالَ إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾»متفق عليه . .

(٧) سورة الأنعام آية ١٠٣ .

(٨) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[١] . ونحوها، ثم أحالوا المحكم متشابهاً وردّوا الجميع.

المثال السابع :

ردّ النصوص الصريحة الصحيحة التي تفوق العدد على ثبوت الأفعال الاختيارية[٢] للرب سبحانه وقيامها به : كقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾[٨].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[١٠]،

---

(١) سورة الشورى آية ٥١ .

(٢) هي أفعال الله التي تتعلق بمشية الله تعالى فمتى شاء فعلها كالاستواء والنزول والمجيئ والضحك والغضب ... وغيرها .

(٣) سورة الرحمن آية ٢٩ .

(٤) سورة التوبة آية ١٠٥ .

(٥) سورة يس آية ٨٢ .

(٦) سورة النمل آية ٨ .

(٧) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٨) سورة الإسراء آية ١٦ .

(٩) سورة المجادلة آية ١ .

(١٠) سورة آل عمرآن آية ١٨١ .

وقوله ﷺ: «**ينزل ربُّنا كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا**»[١]. وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾[٢] وقوله ﷺ في الحديث: «**إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلهُ مِثله، ولن يغضب بعدهُ مثله. . .**»[٣].

وقوله ﷺ: «**إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال اللَّه: حمدني عبدي. .**»[٤]. **الحديث، وأضعاف أضعاف ذلك من النصوص التي هي تزيد على الألف؛ فردوا هذا كله مع إحكامه بمتشابه قوله تعالى عن إبراهيم:** ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾[٥].

المثال الثامن:

ردُّ النصوص المحكمة الصريحة التي هي في غاية الصحة والكثرة على أن الربّ سبحانه إنما يفعل ما يفعله لحكمة وغاية محمودة، وجودها خير من عدمها، ودخول لام التعليل في شرعه، وقدره أكثر من أن يعد كقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[٦]، وكقوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[٧] فردوها بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة الأنعام آية ١٥٨ .
(٣) رواه أحمد ٢/ ٤٣٥-٤٣٦ والبخاري ٤٧١٢ ومسلم ١٩٤ .
(٤) رواه مسلم ٣٩٥ في كتاب الصلاة، والنسائي ٩٠٩ .
(٥) سورة الأنعام آية ٧٦ .
(٦) سورة البقرة آية ١٧٩ .
(٧) سورة البقرة آية ١٨٣ .

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[١] أي: هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ أي: وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢] ثم جعلوها كلها متشابهة، والحق أنه لا تعارض بين هذه الآيات.

المثال التاسع:

ردّ النصوص الصحيحة الصريحة الكثيرة الدالة على ثبوت الأسباب شرعا وقدرا كقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[٤] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٥] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[٦] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٧] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[٨] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾[٩].

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾[١٠] وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ

(١) سورة الأنبياء آية ٢٣ .
(٢) سورة الحجر آية ٩٢- ٩٣
(٣) سورة المائدة آية ١٠٥ .
(٤) سورة الأعراف آية ٣٩ .
(٥) سورة آية عمران آية ١٨٢ .
(٦) سورة الحج آية ١٠ .
(٧) سورة الأنعام آية ٩٣ .
(٨) سورة النحل آية ١٠٧ .
(٩) سورة محمد آية ٩ .
(١٠) سورة الجاثية آية ٣٥ .

اتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾[٢]. وقوله تعالى عن المطر: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾[٥].

وقوله تعالى عن المؤمنين: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[٦] وقوله تعالى في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٧] وقوله في القرآن: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

إلى أضعاف ذلك من النصوص المثبتة للسّببية فردوا ذلك كله بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾. [٩] وقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[١٠].

وقول النبي ﷺ: «**ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم**»[١١]، وقوله ﷺ للذي

---

(١) سورة المائدة آية ١٦ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٦ .

(٣) سورة ق آية ٩ .

(٤) سورة الأعراف آية ٥٧ .

(٥) سورة المؤمنون آية ١٩ .

(٦) سورة التوبة آية ١٤ .

(٧) سورة النحل آية ٦٩ .

(٨) سورة الإسراء آية ٨٢ .

(٩) سورة فاطر آية ٨ .

(١٠) سورة الأنفال آية ١٧ .

(١١) رواه البخاري ٦١٣٣، ٦٢٢٤ وكذلك مسلم ٣١٠٩ . .

سأله عن العزل [(١)] عن أَمَتِهِ: «**اعزل عنها، فسيأتيها ما قُدِر لها**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**»[(٣)].

وقوله ﷺ: «**لا عدوى**[(٤)] **ولا طيرة**[(٥)]» [(٦)]، وقوله ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟**»[(٧)]. وقوله ﷺ: «**أرأيت إن منع اللَّه الثمرة ...**». [(٨)] ولم يقل منعها البرد والآفة التي تُصيب الثمار ونحو ذلك من المتشابه، الذي إنما يدل على أن مالك السبب وخالقه يتصرف فيه بأن يسلبه سببيته إن شاء، ويبقيها عليه إن شاء، كما سلب النار قوة الإحراق عن الخليل عليه السلام.

وياللَّه العجب! أترى من أثبت الأسباب وقال: إن اللَّه خالقها، أأثبت خالقاً غير الله؟ وأما قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾[(٩)] فغاب عنهم فقه الآية وفهمها، والآية من أكبر معجزات النبي ﷺ والخطاب بها خاص لأهل بدر، وكذلك القبضة التي رمى بها النبي ﷺ

---

(١) العزل: هو أن ينزع الرجل بعد الايلاج لينزل خارج الفرج منعا للحمل

(٢) مسلم ١٤٣٩ في كتاب النكاح .

(٣) رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني في الجامع .

(٤) الْمُرَاد بِهِ نَفْي مَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّة تَزْعُمهُ وَتَعْتَقِدهُ أَنَّ الْمَرَض وَالْعَاهَة تَعَدَّى بِطَبْعِهَا لَا بِفِعْلِ اللَّه تَعَالَى. مسلم النووي

(٥) وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها (انظر القول السديد شرح كتاب التوحيد).

(٦) رواه البخاري (٥٣١٦) رواه مسلم (٤١١٦).

(٧) رواه البخاري (٥٤٧٨) رواه مسلم (٤١١٦).

(٨) البخاري ٢٠٤٨- مسلم ٢٩٠٦ .

(٩) سورة الأنفال آية ١٧ .

فأوصلها اللَّه سبحانه إلى جميع وجوه المشركين، وذلك خارج عن قدرته ﷺ، وهو الرمي الذي نفاه عنه، وأثبت له الرمي الذي هو في محل قدرته وهو الحذف، وكذلك القتل الذي نفاه عنهم هو قتل لم تباشره أيديهم، وإنما باشرته أيدي الملائكة، فكان أحدهم يشتد في أثر الفارس وإذا برأسه قد وقع أمامه من ضربة المَلَك، ولو كان المراد ما فهمه هؤلاء الذين لا فقه لهم في فهم النصوص، لم يكن فرق بين ذلك وبين كل قتل، وكل فعل من شُرب أو زِنا أو سرقة أو ظلم، فإن اللَّه خالق الجميع، وكلام اللَّه يُنزه عن هذا.

وكذلك قوله ﷺ: «**ما أنا حملتكم، ولكن اللَّه حملكم**»(١).

لم يُرد أن اللَّه حملهم بالقدر، وإنما كان النبي ﷺ متصرفاً بأمر الله، منفذاً له، فاللَّه سبحانه أمره بحملهم، فنفذ أوامره، فكأن اللَّه هو الذي حملهم، وهذا معنى قوله: «**واللَّه إني لا أعطي أحداً شيئاً ولا أمنعه**» (٢)، ولهذا قال: «**وإنما أنا قاسم**»(٣)، فاللَّه سبحانه هو المُعطي على لسانه، وهو يُقسم ما قسمه بأمره، وكذلك قوله في العزل: «**فسيأتيها ما قُدِّر لها**»(٤)، ليس فيه إسقاط الأسباب، فإن اللَّه سبحانه إذا قدَّر خلق الولد، سبق من الماء ما يخلق منه الولد ولو كان أقل شيء، فليس من كل الماء يكون الولد، ولكن أين في السنة أن الوطء لا تأثير له في الولد البتة وليس سبباً له، وأن الزوج أو السيد سواء وطئ أو لم يطأ فكلا الأمرين بالنسبة إلى حصول الولد وعدمه على حد

---

(١) البخاري ٦١٣٣-٦٢٢٤ مسلم ٣١٠٩ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) البخاري (٦٩- ٦٨٦٨- مسلم ١٧٢١).

(٤) سبق تخريجة

سواء ؟ كما يقوله منكرو الأسباب، وكذلك قوله ﷺ : «**لا عدوى ولا طيرة**»[١]. لو كان المراد به نفي السبب كما زعموا، لم يدل على نفي كل سبب، وإنما غايته أن هذين الأمرين ليسا من أسباب الشَّر، كيف والحديث لا يدل على ذلك، وإنما ينفي ما كان المشركون يثبتونه من سببية مستمرة على طريقة واحدة، لا يمكن إبطالها ولا صرفها عن محلها ولا معارضتها بما هو أقوى منها، لا كما يقوله من قصر علمه إنهم كانوا يرون ذلك فاعلًا مستقلًا بنفسه، فالناس في الأسباب لهم ثلاثة طرق :

الأول : إبطالها بالكلية .

الثاني : إثباتها على وجه لا يتغير، ولا يقبل سلب سببيتها، ولا معارضتها بمثلها أو أقوى منها، كما يقوله الطائعيون والمنجمون والدّهريون .

الثالث مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَدَلَّ عَلَيْهِ الْحِسُّ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ : إِثْبَاتُهَا أَسْبَابًا، وَجَوَازًا، بَلْ وُقُوعُ سَلْبِ سَبَبِيَّتِهَا عَنْهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ وَدَفْعُهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى غيرها أَوْ أَقْوَى مِنْهَا، مَعَ بَقَاءِ مُقْتَضَى السَّبَبِيَّةِ فِيهَا، كَمَا تُصْرَفُ كَثِيرٌ مِنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ بِالتَّوَكُّلِ وَالدُّعَاءِ وَالصَّدَقَةِ وَالذِّكْرِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالْعِتْقِ وَالصِّلَةِ، وَتُصْرَفُ كَثِيرٌ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ بَعْدَ انْعِقَادِهَا بِضِدِّ ذَلِكَ، فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ خَيْرٍ انْعَقَدَ سَبَبُهُ ثُمَّ صُرِفَ عَنْ الْعَبْدِ بِأَسْبَابٍ أَحْدَثَهَا مَنَعَتْ حُصُولَهُ وَهُوَ يُشَاهِدُ السَّبَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ أُخِذَ بِالْيَدِ ؟ وَكَمْ مِنْ شَرٍّ انْعَقَدَ سَبَبُهُ ثُمَّ صُرِفَ عَنْ الْعَبْدِ بِأَسْبَابٍ أَحْدَثَهَا مَنَعَتْ حُصُولَهُ ؟، وَمَنْ لَا فِقْهَ لَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلَا انْتِفَاعَ لَهُ بِنَفْسِهِ وَلَا بِعِلْمِهِ، وَاَللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ .

---

(١) سبق تخريجه

المثال العاشر :

ردوا محكم قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾(٢) ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾(٣) ، وقوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٤) ، وقوله تعالى : ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾(٥) .

وغيرها من النصوص المحكمة الثابتة لصفة الكلام لله تعالى بالمتشابه من قوله تعالى : ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(٦) وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾(٧) .

والآيتان حجّة عليهم ، فإن صفات اللَّه جل جلاله داخلة في مسمى اسمه ، فليس اللَّه اسماً لذات لا سمع لها ، ولا بصر لها ، ولا حياة لها ولا كلام لها ، ولا علم ، وليس هذا رب العالمين ، وكلامه تعالى وعلمه وحياته وقدرته ومشيئته ورحمته داخلة في مسمى اسمه ، فهو سبحانه بصفاته وكلامه الخالق ، وكل ما سواه مخلوق ، وأما إضافة القرآن إلى الرسول ، فإضافة تبليغ محض لا إنشاء ، والرسالة تستلزم تبليغ كلام المرسِل ولو لم يكن للمرسِل كلام يبلغه

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٤

(٢) سورة السجدة آية ١٣ .

(٣) سورة النحل آية ١٠٢ .

(٤) سورة النساء آية ١٦٤ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٤ .

(٦) سورة الأنعام آية ١٠٢ .

(٧) سورة الحاقة آية ٤٠ .

الرسول لم يكن رسولًا، ولهذا قال غير واحد من السَّلف: «**من أنكر أن يكون اللَّه متكلماً، فقد أنكر رسالة رسله، فإن حقيقة رسالتهم تبليغ كلام من أرسلهم**». فالجهمية وإخوانهم ردّوا تلك النصوص المُحكمة بالمتشابه، ثم صيَّروا الكل متشابها، ثم ردّوا الجميع فلم يثبتوا لله فعلًا يقوم به يكون به فاعلًا، كما لم يثبتوا له كلاماً يقوم به يكون به متكلماً، فلا كلام له عندهم ولا أفعال، بل كلامه وفعله عندهم مخلوق منفصل عنه، وذلك لا يكون صفة له، لأنه سبحانه إنما يوصف بما قام به لا بمالم يقم به.

المثال الحادي عشر :

إخباره تعالى عن نفسه، وإخبار رسوله ﷺ؛ إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته..».[1]

والذي تفهمه الأمم على اختلاف لغاتها وأوهامها من هذه الرؤية، رؤية المقابلة والمواجهة التي تكون بين الرائي والمرئي فيها مسافة محدودة غير مفرطة في البعد فتمتنع الرؤية، ولا في القرب فلا تمكن الرؤية، لا تعقل الأمم غير هذا.

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] وعن صهيب أن رسول اللَّه ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد : يا أهل الجنة، إن لكم عند اللَّه موعدًا يريد أن**

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٢٣ « فتح الباري» كتاب مواقيت الصلاة - باب فضل صلاة العصر - حديث ٥٥٤ .

(٢) سورة يونس آية ٢٦ .

يُنْجِزَكُمُوه . فيقولون : وما هو ؟ ألم يُثقِّل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ويزحزحنا من النار ؟» . قال : فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون إليه ، فواللَّه ما أعطاهم اللَّه شيئا أحب إليهم من النظر إليه ، ولا أقر لأعينهم»[(١)] .

أما الفوقية فالأدلة أكثر من أن تحصى كقوله تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾[(٢)] وحادثة عروج النبي ﷺ إلى السماء .

فهذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة ، إذا بُسطت أفرادها ، كانت ألف دليل على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه ، فترك الجهمية ذلك كله ، وردّوه بالمتشابه من قوله : ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[(٣)] . ورده زعيمهم المتأخر بقوله : ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾[(٤)] .

وبقوله : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[(٥)] .

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢١ . وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس [قال البغوي وأبو موسى وعبادة بن الصامت] وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف. انظر تفسير ابن كثير .

(٢) سورة الملك آية ١٦ .

(٣) سورة الحديد آية ٤ . معية صفات وليست معية ذات وهذا يشبه قوله تعالى لموسى وهارون : ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ سورة (طه٤٦) وهذه المعية يقصد بها التأييد والنصرة .

(٤) سورة الإخلاص آية ١ .

(٥) سورة الشورى آية ١١ .

ثم ردّوا تلك الأنواع كلها، فسلطوا المتشابه على المحكم، وردّوه به، ثم ردوا المحكم بالمتشابه، فتارة يحتجون به على الباطل، وتارة يدفعون به الحق، ومن له أدنى بصيرة يعلم أنه لا شيء في النصوص أظهر ولا أبين دلالة من مضمون هذه النصوص فإذا كانت متشابهة فالشريعة كلها متشابهة، وليس فيها شيء محكم البتة، ولازم هذا القول لزوما لا محيد عنه أن ترك الناس بدونها خير لهم من إنزالها إليهم، فإنها أوهمتهم وأفهمتهم غير المراد، وأوقعتهم في اعتقاد الباطل، ولم يتبين لهم ما هو الحق في نفسه، بل أُحيلوا فيه على ما يستخرجونه بعقولهم وأفكارهم ومقايسهم، فنسأل اللَّه مثبِّت القلوب - تبارك وتعالى - أن يُثبِّت قلوبنا على دينه .

وما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه قريب مجيب.

المثال الثاني عشر :

ردَّ الرافضة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة، المعلومة عند خاصة الأمة وعامتها بالضرورة، في مدح الصحابة والثناء عليهم، ورضاء اللَّه عنهم، ومغفرته لهم وتجاوزه عن سيئاتهم، ووجوب محبة الأمة واتباعهم لهم واستغفارهم لهم واقتدائهم بهم بالمتشابه من قوله ﷺ : «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[١] ونحوه؛ كما ردُّوا المُحكم الصريح من أفعالهم وإيمانهم وطاعتهم، بالمتشابه من أفعالهم كفعل إخوانهم من الخوارج حين ردّوا النصوص الصحيحة المُحكمة في موالاة المؤمنين

(١) رواه أحمد والبخاري (١١٨) ومسلم (٢٢٣) (٩٨-٩٩).

ومحبتهم وإن ارتكبوا بعض الذنوب التي تقع مُكفِّرة : بالتوبة النصوح والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المُكفِّرة، ودعاء المسلمين لهم في حياتهم وبعد موتهم وبالامتحان في البرزخ، وفي موقف القيامة، وبشفاعة من يأذن اللَّه له في الشفاعة، وبصدق التوحيد، وبرحمة أرحم الراحمين .

فهذه عشرة أسباب تمحق أثر الذنوب، فإن عجزت هذه الأسباب عنها، فلابد من دخول النار ثم يُخرَجون منها .

فتركوا ذلك كله بالمتشابه من نصوص الوعيد، وردّوا المُحكم من أفعالهم وإيمانهم وطاعتهم، بالمتشابه من أفعالهم التي يحتمل أن يكونوا قصدوا بها طاعة اللَّه فاجتهدوا فأداهم اجتهادهم إلى ذلك، فحصلوا فيه على الأجر المفرد، وكان حظ أعدائهم منه تكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم، وإن لم يكونوا قصدوا ذلك، كان غايتهم أن يكونوا قد أذنبوا، ولهم من الحسنات والتوبة وغيرها ما يرفع موجب الذنب، فاشتركوا هم والرافضة في ردّ المُحكم من النصوص وأفعال المؤمنين بالمتشابه منها، فكفروهم وخرجوا عليهم بالسيف يقتلون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان، ففساد الدنيا والدّين من تقديم المتشابه على المُحكم، وتقديم الرأي على الشرع، والهوى على الهدى، وباللَّه التوفيق (١) .

(١) إعلام الموقعين لابن القيم ٢ / ٢٩٤ - ٣٠٤ . وانظر كتاب التسعينية لابن تيمية .

المبحث السابع

عدم الخوض في علم الكلام والتأويل الكلامي

لأنه من أكبر أسباب الإضلال، خاصة في أمور العقائد، فإن من أسباب الإضلال: الإعراض عن كلام اللَّه، والذهاب إلى التأويل الكلامي.

المطلب الأول: الإعراض عن كلام الله تعالى

الإعراض لغةً: صدّ وولّى مُبدياً عرضه، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾[1]، ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾[2]، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[3]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾[4]، ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[5].

وربما حُذف عنه استغناء عنه نحو: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾[6].

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[7] -﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾[8].

وهو: الإعراض عن تدبر كلام اللَّه، وكلام رسوله ﷺ، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة.

---

(١) سورة النساء آية ٦٣.

(٢) سورة السجدة آية ٢٢.

(٣) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٤) سورة طه آية ١٢٤.

(٥) سورة الأنبياء آية ٣٢.

(٦) سورة النور آية ٤٨.

(٧) سورة آل عمرآن آية ٢٣.

(٨) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٣٣٠.

الإعراض في القرآن :

قال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾[1] .

فالقرآن الذي يتضمن ذكراً للأخبار السابقة واللاحقة، وذِكراً يتذكر به ما لله تعالى من الأسماء والصفات الكاملة، ويتذكر به أحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء، والذي يجب تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن يُهتدى بنوره إلى الصراط المستقيم، وأن يُقبلوا عليه بالتعليم والتعلم .

وأما مقابلته بالإعراض عن اتّباعه أمراً وطلباً، وابتغاء الهدى في غيره، أو ما هو أعظم منه من الإنكار - فإنه كُفر لهذه النعمة، ومن فعل ذلك، فهو مستحق للعقوبة؛ ولهذا قال تعالى : ﴿مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ﴾ فلم يؤمن به، أو تهاون بأوامره ونواهيه، أو بتعلم معانيه الواجبة ﴿فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا﴾ وهو ذنبه الذي بسببه أعرض عن القرآن، وأولاه الكفر والهجران، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ﴾ أي : في وزرهم؛ لأن العذاب هو نفس الأعمال، تنقلب عذاباً على أصحابها، بحسب صغرها وكبرها . وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، أهل الكتاب وغيرهم .

قال تعالى : ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ

(١) سورة طه آية ٩٩ - ١٠١ .

وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾[١] . فيخبر تعالى أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأنه سينزل عليهم كتبا ويرسل إليهم رسلًا يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، وبيَّن لهم الموقف الواجب تجاه هذا الكتاب المنزل، فإن من اتبع ما أمر به، واجتنب ما نهي عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة .

وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: كتابي الذي يتذكر به جميع المطالب العالية وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: فإن جزاءه أن نجعل معيشته ضيقة شاقة، ولا يكون ذلك إلا عذابا، وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر، وأنه يضيق عليه قبره، ويحصر فيه ويعذب جزاء لإعراضه عن ذكر ربه، وهذه إحدى الآيات الدالة على عذاب القبر .

وذهب بعض المفسرين، إلى أن المعيشة الضنك، عامة في دار الدنيا، بما يصيب المعرض عن ذكر ربه من الهموم والغموم والآلام، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حَرَج لضلاله، وإن تَنَعَّم ظاهره، ولبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد . فهذا من ضنك المعيشة، التي هي عذاب مُعجَّل في دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها .

---

(١) سورة طه آية ١٢٤ - ١٢٧ .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]. فقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ﴾ أي: لا أظلم ممن ذَكَّرَه اللَّه بآياته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها، وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها.

* * *

(١) سورة السجدة آية ٢٢.

المطلب الثاني : التأويل

التأويل في اللغة : ومادته أول تدور على عدة معانٍ، منها :-

١- **المرجع والمصير والعاقبة** : فيقال آل الشيء يؤول إلى كذا، أي رجع وصار إليه، (١) أي الحقيقة التي يؤول إليها الأمر .

٢-**التفسير** : **قال الطبري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير (٢) . وقال الليث : التأول والتأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه(٣) .

٣- **امتثال الأمر وتنفيذه** (٤) : كما قالت عائشة رضي اللَّه عنها كان الرسولُ يقول في سجوده : «**سبحان ربي الأعلى**» يتأول القرآن» . أي يمتثل ويطبق قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾(٥) .

التأويل عند السَّلف

التأويل في اصطلاح السَّلف ورد بمعنيين :

الأول : العاقبة : وهو غالب استعمال القرآن الكريم؛ كما قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾(٦) . وهو ما

(١) النهاية في غريب الحديث ١/ ٨٠ لابن الأثير . وانظر تاج العروس ٧/ ٢١٥ للزبيدي .
(٢) تفسير الطبري ٣/ ١٨٤ .
(٣) لسان العرب ١١/ ٣٣ .
(٤) وهذا قريب من المعنيين السابقين.
(٥) سورة النصر .
(٦) سورة يوسف آية ١٠٠ .

أخبر اللَّه به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وذلك في حق اللَّه : هو كُنْه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، ولهذا قال مالك وربيعة وغيرهما «**الاستواء معلوم، والكيف مجهول**» وكذلك قال ابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما من السّلف، يقولون : إنا لا نعلم كيفية ما أخبر اللَّه به عن نفسه، وإن علمنا تفسيره ومعناه .

الثاني : التفسير : وهو توضيح الكلام وبيانه ؛ كدعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي اللَّه عنهما : «**اللّهم فقهه في الدِّين وعلمه التأويل**»(١) . فالتأويل هنا : التفسير .

التأويل عند الخلف (أهل الكلام)

التأويل: «هو صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، لدلالة العقل .(٢)

فالتأويل الصحيح(٣) : الذي يوافق ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٢٧/٤، (وصحح إسناده أحمد شاكر . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٦/٩ باب جامع فيما جاء في علمه وما سئل عنه . . . وعزاه إلى أحمد والطبراني ثم قال : « ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح» والمعنيان مرادفان للمعنى اللغوي .

(٢) روضة الناظر ٢ / ٣٠-٣١ مجموع الفتاوى ١٧ / ٤٠١ .

(٣) للتأويل الصحيح أربعة شروط أ- أن يكون اللفظ مُحتمِلًا للمعنى الذي تأوله المتأول في لغة العرب . ب - إذا كان اللفظ محتملًا للمعنى الذي تأوله المتأول فيجب عليه إقامة الدليل على تعيُّن ذلك المعنى، لأن اللفظ قد تكون له معان، فتعين المعنى يحتاج إلى دليل . ج- إثبات صحة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره، فإن دليل مدعي الحقيقة والظاهر قائم، لا يجوز العدول عنه إلا بدليل صارف يكون أقوى منه .
د- أن يَسلَمَ الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره عن معارض .

وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد [١] .

تنبيهات :[٢]

١- الفيصل بين صحيح التأويل وباطله : أن الصحيح ما وافق ما دلت عليه نصوص الكتاب وما جاءت به السنة وطابقها، والباطل ما خالف نصوص الكتاب والسنة[٣] .

٢- يجب أن تُحمل ألفاظ الكتاب والسنة على ظواهرها ولا تصرف عنه إلا بدليل صارف .

٣- الدليل الصارف للفظ عن ظاهره على درجات :[٤]

أ - فإن كان الاحتمال قريباً، فيكفيه أدنى دليل .

ب - وإن كان الاحتمال بعيداً، فيحتاج إلى دليل قوي .

ج - وإن كان الاحتمال متوسطاً، فيحتاج إلى دليل متوسط .

٤- إذا لم يوجد على التأويل دليلٌ صحيح، امتنع حملُ اللفظ وصرفُه عن ظاهره ووجب رد التأويل [٥] .

---

(١) كتأويل حديث : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» . رواه أحمد ٢٣٢٣٦، والترمذي : ١٠٢١، أبو داود: ١٧٨٤، والدارمي: ٢٠٨٩ بأن المراد بالمرأة: الصغيرة. أو يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلًا، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعباً، كقول بعض الرافضة في تفسير قوله تعالى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) (سورة البقرة : ٦٧) يعني عائشة (٢) انظر معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة . للدكتور محمد بن حسين الجيزاني حفظه الله .

(٣) انظر : « مجموع الفتاوى» ٣/ ٦٧، ٦/ ٢١ و "الصواعق المرسلة ١/ ١٨٧.

(٤) انظر :« روضة الناظر» ٢/ ٣٢،٣٣ و«قواعد الأصول» ٥٢ و « مختصر ابن اللحام» ١٣١ .

(٥) انظر : « شرح الكوكب المنير» ٣ / ٤٦١ .

- **من هم أهل الكلام ؟** [١] [٢]

إن أهل الكلام : هم كل من قال برأيه وذوقه وسياسته - مع وجود النّص ، أو عارض النّص بالمعقول ، فقد ضاهى إبليس ، حيث لم يُسلِّم لأمر ربه ، وقال : ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[٣] .

ودخل في زمرة أهل الكلام .

إنما سموا بأهل الكلام ، لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً ، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد ، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما عُلِم بالحس ، وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر ، ومع من ينكر الحس .

- **أهم أصول أهل الكلام في تلقي الدِّين:**

ولأهل الكلام أصول كثيرة في العقائد والأحكام ، ومن أهمها :

١- مسائل الاعتقاد لا تُبنى - عندهم - إلا على القطعيات ، والقطع إنما يُستفاد من جهة العقل ، لا من جهة النقل ، لأن من النقل ؛ ما لا يفيد يقيناً

---

(١) وهي من أسماء أهل التأويل ، أو الذين يُقدِّمون العقل على النقل : أهل الكلام .

(٢) تاريخ ظهور مصطلح التأويل عند أهل الكلام :

لقد ظهر التأويل بمعناه الاصطلاحي (صرف اللفظ عن ظاهره) في عصور متأخرة بعد عصر السَّلف المتقدمين فلم يكن يُعرف عند الصحابة والتابعين التأويل بهذا المعنى المتأخر ، وكذلك عند أهل اللغة المتقدمين (راجع تعريف التأويل في اللغة) . بل كان ظهوره بعد عصر القرون المُفضّلة ، وفي بيئة المتكلمين والفلاسفة ، وذلك بعد ظهور الخلاف والتفرق في المسلمين ، وأول من أظهر هذا المصطلح هو الرازي ، وهو من أعيان المائة السابعة انظر أساس التقديس ٢١١ ، ٢٢٢ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٢ .

(بزعمهم)؛ وعليه فقد أسسوا عقائدهم ومسائلهم ابتداء على قضية العقل [١] .

٢- جواز التعارض بين العقل والنقل، أي بين العقل الصريح والنقل الصحيح .

٣- وجوب تقديم الدليل العقلي مطلقاً، وذلك من جهة كونه عقلياً فقط .

٤- عدم إفادة الدليل النقلي لليقين [٢] .

٥- إن الضابط في حمل اللفظ على الاحتمال المرجوح صحة معناه في اللغة، دون اعتبار للسياق الذي ورد به، أو كليات الشريعة[٣]؛ أو التزام منهج السّلف في فهم النصوص وإجرائها على ظواهرها .

٦- إن الدليل الصارف للفظ عن ظاهره، هو دليل العقل، وهو إحالة معنى اللفظ عقلًا.

- **موقف أهل الكلام من نصوص الكتاب والسنة إذا خالفت أصولهم** :

الأول: الإنكار، وذلك بالطّعن في صحتها، ولا سيّما إذا كانت أخبار آحاد.

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/ ٤٤٠، ١٧/ ٣٠٦، ٣٠٧، ودرء تعارض العقل والنقل ١/ ١٢، وانظر : أساس التقديس ص :٢١١ .

(٢) إن كون الدليل من الأمور الظنية أو القطعية أمراً نسبياً يختلف باختلاف المُدْرِك المستَدِل فليس هو صفة للدليل في نفسه، فهذا أمر لا ينازع فيه عاقل، فقد يكون قطعياً عند زيد ما هو ظني عند عمرو . قاله ابن القيم في مختصر الصواعق (٥٠١)، وانظر الفصل الرابع المبحث الثاني في هذا الكتاب.

(٣) فإن اللفظ قد يحتمل هذا المعنى المرجوح لغة، لكن في غير هذا السياق الخاص . مثال ذلك : لفظ العين له أكثر من معنى : أ- فالعين : الجارحة. ب - العين : الماء، جـ - العين : المال . د - العين : الجاسوس. فالسياق هو الذي يرجح المعنى المقصود والمراد.

الثاني: الإعراض عن معانيها، وذلك بعد ثبوت ورودها، كأن تكون قرآنا أو أخباراً متواترة، ولهم في الإعراض عنها سبيلان:

أ- الإعراض عنها بالكلية، بقلوبهم وعقولهم، وتفويض علم معانيها إلى اللَّه تعالى، مع اعتقاد أن ظواهرها غير مرادة، وهي التي يسمونها زوراً طريقة السّلف.

ب- تحريف الكَلِم عن مواضعه، مستعملين شواذ اللغات وأنواع التمحّلات، وهذا الذي يسمونه تأويلًا.

فحقيقة مذهب هؤلاء المتأولة: أن الرسول ﷺ لم يبيّن الحق، ولا أوضحه لأمته، مع أمره ﷺ أمته أن يعرفوا الحق ويعتقدوه، لكنه لم يبيّنه لهم، بل دلّهم على نقيضه وأن نصوص الكتاب والسنة نطقت بصريح الكفر، والتشبيه والإلحاد، فالمطلوب منهم اعتقاد ما لم تدل عليه النصوص، بل دلّت على نقيضه(١).

- **بطلان مذهب أصحاب التأويل الكلامي:**

١- يستطيع السّلف - رضوان اللَّه عليهم - القول بأن ما أثبتوه من مسائل العقيدة هو من عند اللَّه، فقد ورد في الكتاب والسنة، وقد دلّا عليه.

أما المتأولة فلا يملك أحدهم أن يدّعي في الذي نفاه من دلالة النصوص، أو ما أولّه عليها من المعاني البعيدة.

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ١/ ٢٠٢، ٢٠٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ١٧، ١٧/ ٣٥٧ ٣٦١.

٢- ثم إذا كان الحق ما يقوله هؤلاء المتأولة النافون لمعاني النصوص الثابتة في الكتاب والسنة، من هذه العبارات والاحتمالات ونحوها، دون ما يُفهم من الكتاب والسنة إما نصا وإما ظاهراً، فكيف يجوز على اللَّه تعالى، ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة وأفضلها من الصحابة والتابعين: أنهم يتكلمون بما هو نصٌّ أو ظاهر في خلاف الحق ؟! ويُعلِّمون ذلك أولادهم ونساءهم وإماءهم[1]، هكذا يعلمونهم الباطل والكُفر والتّشبيه، حتى جاء تلامذة الصابئة والفلاسفة فنطقوا بالبيان، وصدعوا بالحق[2]. (سبحانك هذا بهتان عظيم).

٣- القول بمذهب التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسّلف بين أمرين، كلاهما باطل [3]:

أ- إما أن الصحابة والسّلف لم يفهموا الحق من ذلك، وأن ظواهر هذه النصوص باطل.

ب- أو أنهم علِموا الحق وفهموه، لكنهم كتموه، ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين.

٤- والمتأولة يحاولون معرفة كل ما دلّت عليه النصوص على نحو من

---

(١) كالجارية التي أتى بها سيدها إلى النبيﷺ يريد أن يعتقها، فسألها: « أين الله ؟» قالت: في السماء، قال: من أنا قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة». صحيح مسلم ١/ ٣٨٢ كتاب المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة حديث ٥٣٧.

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/١٦، ١٥.

(٣) انظر: إيثار الحق ص ١٣٨-١٣٩، وذم التأويل لموفق الدين ابن قدامه المقدسي رحمه الله ١١، ١٢ تحقيق الشيخ بدر البدر حفظه الله.

التفصيل، وإخضاع ذلك لمعطيات العقل والحسّ، فخرجوا عن حدّ الاتصاف بالإيمان بالغيب.

٥- لا تجد للمتأول فرقاً صحيحاً وضابطاً محدداً بين ما يسوغ تأويله، وبين ما لا يسوغ تأويله، بل كل ما يدعي أنه لا يسوغ فيه التأويل، فهو من جنس ما أوله، وكذا العكس، ولهذا يلزمه أحد أحوال ثلاثة (١) :

أ- الإيمان بجميع النصوص وإثبات ما دلّت عليه، فيوافق الحق لفظاً ومعنى.

ب- إنكار جميع ما دلّت عليه النصوص، فيخرج من التناقض، ويلحق بأهل الكفر الصريح.

ج- أن يُفرِق بين ما لا يجوز التفريق فيه، فيؤمن ببعض، ويكفر ببعض، وهذا هو عين التناقض والاضطراب الذي هو سنة جمهور المتكلمين .

٦- ليس عند فِرقة من فِرق التأويل معيار ترد به دلالة النصوص إلا ما أصّلته واعتقدته مذهبا (٢)، فردّت ما خالفه مهما كانت وضوح حجته، وقوة دلالته :

أ- فالرافضة : أصَّلت عداوة الصحابة، فردوا من النصوص ما دلَّ على فضائلهم والترضي عليهم.

ب- والجهمية : أصَّلت نفي التشبيه والتجسيم، فردّت ما ثبت لله من صفات الكمال والجلال.

---

(١) انظر الصواعق المرسلة ١/٢٢٨-٢٣٠ .

(٢) وهذا من الفروق بين السَّلف والخلف، فالسَّلف يستقرؤن النصوص ثم يؤصلون و يعتقدون. أما الخلف من أهل البدع فهم يؤصلون ويعتقدون ثم يستقرؤن النصوص ويستدلون.

ج- والقدرية : أصَّلت مسألة العدل [١] ووجوبه، فردّت نصوص القدر والمشيئة، وعَكَسَت الجبرية : فأصَّلت القَدَر، والمشيئة، وردّت ما دلَّ على قدرة العبد واختياره وحكمة اللَّه وعدله.

د- والوعيدية : أصَّلت القول بنفوذ الوعيد، وأن من يدخل النار لا يخرج منها، وردّوا ما خالف ذلك من نصوص الوعد والتجاوز والشفاعة وغيرهما .

٧- ومن فساد التأويل : أنك تجد كل واحد من أهل التأويل يلزم المنكِر عليه بمثل ما ألزمه .

ولهذا إذا استدل متأول الصفات على منكِر المعاد وحشر الأجساد بنصوص الوحي، أبدى له تأويلات تخالف ظاهرها، مستنداً لذات حجة المنِكر عليه، ولا سيما أن نصوص الصفات أكثر وأصرح.

٨- انظر إلى طريقة الغزالي في ترجيحه مذهب السّلف في ترك التأويل، وذلك في كتابه إلجام العوام عن علم الكلام[٢] :

فيقول أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أما البرهان الكلي على أن الحق مذهب السّلف، فينكشف بتسليم أربعة أصول هي مُسلَّمة عند كل عاقل» ثم ذكرها وهي :

أ- أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد في معاشهم ومعادهم.

---

(١) وهو أحد أصول المعتزلة الخمسة وَسَتَرُوا تَحْتَهُ نَفْيَ الْقَدَرِ، وَقَالُوا : إنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ الشَّرَّ وَلَا يَقْضِي بِهِ، إذْ لَوْ خَلَقَهُ ثُمَّ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهِ يَكُونُ ذَلِكَ جَوْرًا !! وَاللَّهُ تَعَالَى عَادِلٌ لَا يَجُورُ . وَيَلْزَمُهُمْ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ الْفَاسِدِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُهُ، فَيُرِيدُ الشَّيْءَ وَلَا يَكُونُ، وَلَازِمُهُ وَصْفُهُ بِالْعَجْزِ ! تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

(٢) ولعله من أواخر كتبه .

ب- أنه ﷺ بلَّغ كل ما أوحي إليه من صلاح العباد في معاشهم ومعادهم، ولم يكتم شيئاً، وأنه كان أحرص الخلق على صلاح الخلق وإرشادهم إلى صلاح المعاش والمعاد .

ج- أن أعرف الناس بمعاني كلام رسول اللَّه ﷺ وأحراهم بالوقوف على كنهه وإدراك أسراره، الذين لازموه وعاينوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وهم أصحابه رضي الله عنهم .

د- أن الصحابة في طول أعصارهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان من الدّين لأقبلوا عليه ليلاً ونهارا، ودعوا أولادهم وأهلهم إليه» .

ثم قال أبو حامد : «فنعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه» [١] .

٩- والمتأولة يقولون: «الظاهر المتبادر من نصوص الصفات : التشبيه والتجسيم[٢] . والحق الذي لا مرية فيه أن المتبادر من كل وصف ثبت في الكتاب والسنة هو : التنزيه التام عن مشابهة الحوادث.

١٠- من شؤم التأويل على الإسلام وأهله :

أنه مزقهم كل ممزّق، فاختلفوا في أصول دينهم، وجعل بعضهم يلعن بعضاً وبعضهم يُكّفِر بعضاً، وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين، وتستحل منهم

(١) إلجام العوام عن علم الكلام ص ٢٣-٢٥ فلعله رجع إلى منهج السلف، وقد اشتغل في أواخر أيامه بالحديث ومات وصحيح البخاري على صدره .

(٢) وكأن الله تعالى قصْرت به البلاغة حتى ينّزل كلاماً ظاهره الكفر .

الأنفس والأموال والأعراض :

فما خرجت الخوارج، ولا اعتزلت المعتزلة، ولا رفضت الرافضة، إلا بالتأويل. وما كانت حروب الرّدة، ومقتل عثمان ﷺ، إلا بالتأويل . وما نُصب المنجنيق على البيت (الكعبة) أيام ابن الزبير وأيام القرامطة [١] إلا بالتأويل[٢] .

وما ضُرِب مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، بالسياط، وكذا الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وطُلب قتله إلا بالتأويل .

وما جرى على الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإخراجه من بلده إلا بالتأويل؛ فأي جناية جناها التأويل على الإسلام وأهله .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته عن مفاسد التأويل:

هَـذَا وَأَصْـلُ بَـلِيَّـةِ الإِسـلام مِـنْ ... تَـأويـل ذِا التَّـحْـرِيـفِ وَالـبُـطْـلَانِ
وَهُـوَ الَّذِي قَـدْ فَـرَّقَ السَّـبْـعِـينَ بَـلْ ... زَادَتْ ثَـلَاثـاً قَـولَ ذِي الـبُـرْهَـانِ
وَلأَجْـلِهِ جُـحِـدتْ صِـفَـاتُ كَـمَـالِهِ ... وَالـعَـرْشَ أَخْـلَوْهُ مِـنَ الـرَّحْـمَـنِ
وَلأجْـلِهِ أَفْـنَـى الـجَـحِـيـمَ وَجَـنَّـةَ الـ ... ـمَـأْوَى مَـقَـالَـةَ كَـاذبٍ فـتّـانِ
وَلأَجْــلِه قَــالُوا الإِلــهُ مُــعَــطَّــلٌ ... أَزَلًا بِــغَــيْــرِ نِــهَــايَــةٍ وَزَمَــانِ
وَلأَجْــلِه قَــدْ قَــالَ لَيْــسَ لِفِـعْــلِهِ ... مِـنْ غَـايـةٍ هِـيَ حِـكْـمَـةُ الـدَّيَّـان.

---

(١) القرامطة: كان ظهور هذه الطائفة سنة ١٧٦ هـ بظهور ميمون بن ديصان، وحمدان قرمط فاجتمعا وتساعدا على نشر هذا المذهب الشنيع، فسموا بالقرامطة : وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وكانا يبيحان المحرمات. انظر البداية والنهاية ١١ /٧٦ .

(٢) انظر الصواعق المرسلة ٣٤٨/١ ٣٤٩، ، ٣٧٦، وإعلام الموقعين ٢٥١/٤، ٢٥٢ .

- **موقف السّلف من قضية التأويل الكلامي :**

١- قال محمد بن إسحق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إن الأخبار في صفات اللَّه موافقة لكتاب اللَّه تعالى، نقلها الخلف عن السّلف قرناً بعد قرن، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل [١] الصفات لله تعالى، المعرفة والإيمان به، والتسليم لما أخبر اللَّه تعالى في تنزيله، ونبيه الرسول ﷺ عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود، وترك التمثيل والتكييف» [٢].

وقال أيضاً : «فنحن وجميع علمائنا - من أهل الحجاز وتهامة، واليمن، والعراق والشَّام، ومصر - مذهبنا : أنَّا نُثبت لله ما أثبته لنفسه نقِر بذلك بألسنتنا، ونصدق بذلك بقلوبنا، من غير أن نُشَبّه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين وعزّ ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجلّ ربنا عن مقالة المعطلين، جلّ وعزّ أن يكون عَدَماً كما قاله المبطلون، لأنه ما لا صفة له، تعالى اللَّه عمَّا يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف اللَّه بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ» [٣].

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء اللَّه تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير، فلم أجد - إلى ساعتي هذه- عن أحد

---

(١) لعله خطأ مطبعي، وإنما هي : (إثبات الصفات) حتى يستقيم المعنى (والله أعلم) .
(٢) ذكره عنه ابن قدامة في ذم التأويل ص ١٨-٢٠ .
(٣) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّ وَجَلَّ لابن خزيمة ص ١٠ ١١ ..

من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاه المفهوم المعروف؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته - وبيان أن ذلك من صفات اللَّه ما يخالف كلام المتأولين - ما لا يحصيه إلا اللَّه . . . »[(١)].

٣- وقال الأوزاعي إمام أهل الشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «كنّا والتابعون متوافرون نقول: إن الله- تعالى ذكره - فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا»[(٢)].

وهذه الآثار - وغيرها كثير - تدل دلالة واضحة على عناية الصحابة رضي اللَّه عنهم ومن سار على نهجهم في العقيدة، وعلى بقائها نقية كما أُنزلت على النبي ﷺ، وكذا الردّ على المخالفين فيها، وإن بيان الحق يوجب الردّ على المبتدع حتى لا يختلط الحق بالباطل، وليس هذا من باب الانشغال بالمعارك الكلامية، أو المعارك التاريخية كما يحلو للشانئين رمي السَّلف بهذه الفرية (واللَّه المستعان) .

٤- وقال أبو عيسى الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عقب روايته حديثاً في فضل الصدقة فيه ذكر صفة اليمين للرحمن جلّ ذِكره: «وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات عن الصفات، ونزول الرب - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يُتوهّم، ولا يُقال : كيف ؟ هكذا رُوي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٣٩٤ .

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨ وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٤٣، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إِلَّا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ قَلُوصَهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ .

وعبد اللَّه بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمِرّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من السنة والجماعة...»[١].

٥- قال أبو عمر يوسف بن عبد البرّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل السنة مُجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في القرآن والسنة كلها، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكيفون شيئاً من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة، والخوارج: فكلهم يُنكرها، ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها مشبِّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ، وهم أئمة الجماعة»[٢].

٦- وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[٣]، للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدّاً، ليس هذا موضع بسطها وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السّلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري والليث بن سعد والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل...»[٤].

٧- وقال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فما ذكره اللَّه تعالى في القرآن من ذِكر

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٢٤ كتاب الزكاة - باب ما جاء في فضل الصدقة عقب حديث ٦٦٢.
(٢) التمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٤٥.
(٣) سورة الأعراف آية ٥٤.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٢٢.

الوجه واليد، والنفس، فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: «إن يده قدرته، أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفة بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف»[(١)].

٨- وقال أبو محمد الجويني [(٢)] والد إمام الحرمين رحمهما اللَّه - : «وأثبتنا علو ربنا سبحانه وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذلك، والصدور تنشرح له، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره . . . »[(٣)].

٩- وقال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا يجوز ردّ هذه الأخبار - على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها- على ما ذهب إليه الأشعرية - والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات اللَّه تعالى، لا تُشبه سائر الموصوفين بها من الخَلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبد اللَّه أحمد بن محمد بن حنبل، وغيره من أئمة أصحاب الحديث»[(٤)].

١٠- وقال عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والمماسة كما

(١) - كتاب الفقه الأكبر ص ١٨٥- دار الكتب العربية الكبرى - مصر .

(٢) شيخ الشافعية، أبو محمد، عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف ابن محمد بن حيويه، الطائي السنبسي - كذا نسبه الملك المؤيد - الجويني والد إمام الحرمين. كان فقيها مدققا محققا، نحويا مفسرا.

(٣) رسالة في إثبات الاستواء والفوقية . . . لأبي محمد الجويني (ضمن مجموعة الرسائل المنبرية ١/ ١٨ .

(٤) كتاب إبطال التأويلات ص ٤ .

قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشّرع لم يرد بذلك، ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق»(١).

- **موقف السّلف من أهل الكلام:**

١- عَنْ نَافِعٍ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄ قُعُودًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، (لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ) فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «بَلَغَنِي أَنَّهُ أَحْدَثَ حَدَثًا، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَلَا تَقْرَأَنَّ عَلَيْهِ مِنِّي السَّلَامَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي مَسْخٌ، وَقَذْفٌ، وَهُوَ فِي الزِّنْدِيقِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ(٢).

٢- وقال أبو غالب: «كنتُ أمشي مع أبي أمامة، (وهو على حمار له)، حتى إذا انتهى خرج مسجد دمشق، فإذا رؤوس منصوبة، قيل: هذه رؤوس خوارج يُجاء بهم من العراق، فقال أبو أمامة: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار، شر قتلى تحت ظل السماء، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه». (يقولها ثلاثا): ثم بكى فقلت: ما يبكيك يا أبا أمامة؟ قال: «رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام خرجوا منه ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى

---

(١) الغنية ١/ ٥٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ١٣٧: ٦٢٠٨، وأبو داود ٤٦١٣، وحسّنه الألباني والحديث صححه الحاكم والذهبي والهيثمي، كما حسّنه الترمذي: ٢٠٧٩ وأقره الألباني حاشية المشكاة ١/ ٣٨.

قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[(١)]، ثم قرأ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[(٢)] فقلتُ :يا أبا أمامة !هم هؤلاء ؟ قال : نعم، قلت : أشيء تقوله برأيك، أم شيء سمعته من رسول اللَّه ﷺ ؟ فقال : إني إذاً لجريء! إني إذاً لجريء ! إني إذا لجريء! سمعته من رسول اللَّه ﷺ غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث، ولا أربع، ولا خمس، ولا ست، ووضع أصبعيه في أُذنيه، وقال وإلا فصُمَّتا (قالها ثلاثا) ثم ذكر، حديث افتراق بني إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرهن في النار، ولتزيدن هذه الأمة عليهم فرقة، واحدة في الجنة وسائرهن في النار، فقلت : يا أبا أمامة ! فما تأمرني ؟ قال: عليك بالسواد الأعظم. قلت: فإن السواد الأعظم ما ترى»؟ قال : السمع والطاعة خير من الفُرقة والمعصية»[(٣)]،[(٤)].

٣- قال عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ : " دخلتُ على مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥ .

(٣) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة ص ٢٢٢، ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة ص ٢٨٣ . راجع مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٤) وهذا - أعني الخوض فيما لا طائل من ورائه - شاع وانتشر في زماننا (والله المستعان) فما تبثه الفضائيات في سماء المسلمين كل ليلة وما شغلوا به الناس حتى افتتن بهم فئام من شباب الصحوة تحت دعاوى حرية الرأي، وعدم الحجر على العقول، وزاد الطين بلَّة ترؤس الجهال، وتصديهم للفتوى فضلّوا وأضلوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعنده رجل يسأله عن القرآن [١] والقدر، فقال : لعلّك من أصحاب عمرو بن عُبيد ؟![٢] لعن اللَّه عمراً، فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام عِلماً لتكلّم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم، كما تكلّموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل[٣].

٤- وعن أبي سهل قال : «كنت أسير مع عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدرية ؟ فقلت : أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلا عرضتهم على السيف، فقال عمر: ذلك رأيي. قال القعنبي: ذلك رأيي»[٤].

٥- قال إسحق بن عيسى إنه: " سمع مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول : " كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، أرادنا أن نردّ ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ[٥].

٦- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ما رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح،

(١) أي كان يسأل عن القرآن : أهو مخلوق أم غير مخلوق ؟

(٢) عمرو بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري، المعتزلي القدري . قال ابن علية : أول من تكلم في الاعتزال واصل الغزَّال، ودخل معه في ذلك عمرو بن عبيد، مات سنة ثلاث أو أربع وأربعين ومائة . ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٩.

(٣) مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٠ .

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ كتاب القدر ٣/ ٩٣، ورواه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي ص ٥٦٧ . وقال محمد إبراهيم هارون : إسناده صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ص ٢٤٢، ٢٤٣ .

(٥) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن ص ٢٠١، واللالكائي في السنة ١/ ١٤٤ وقال محمد إبراهيم هارون : إسناده صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٤، ٢٢٥ .

ولأن يُبتلي المرء بكل ذنب نهى اللَّه عنه، ما خلا الشرك، خير له من أن يُبتلى بالكلام(١).

٧- وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً: " حُكمي في أصحاب الكلام، أن يُضربوا بالجريد ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام "(٢).

٨- وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ : " فيما كتبتُ إلى المتوكل : " لستُ بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا، إلا ما كان في كتاب اللَّه أو حديث عن رسول اللَّه ﷺ، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود "(٣).

وبهذا الكلام تتضح أهمية التزام منهج السّلف في فهم النصوص، كما نعرف أهمية التقيُّد بالألفاظ التي وردت، وخاصة في العقيدة، وعدم إطلاق القول في الإثبات دون نظر إلى أقوال الصحابة وتابعيهم بإحسان، فإن هذا مظنّة الضلال والإضلال .

٩- وقال أبو عبد اللَّه (أحمد بن حنبل) رَحِمَهُ اللَّهُ أيضاً : وذُكر أهل البدع،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي ص ١٨٢، ورواه ابن بطة في الإبانة ١/ ٥٠/أ وقال محمد إبراهيم هارون : إسناده صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٢- ٢٢٣ وأورده السفاريني في لوامع الأنوار البهية ١/ ١٠٨ .

(٢) - رواه البيهقي في أدب الشافعي ومناقبه ١/ ٤٦٢، وقال محمد إبراهيم هارون : إسناده إلى الشافعي صحيح في مختصر الحجة على تارك المحجة ص ٢٣٨، وذكره البغوي في شرح السنة ١/ ٢١٨ .

(٣) أخرجه الأصبهاني في بيان الحجة ٣٩، وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمدص٢٠٤ ١/ ٢٠٨ تحقيق ودراسة الشيخ محمد بن ربيع المدخلي حفظه الله.

فقال : " لا أُحب لأحد أن يجالسهم ولا يخاطبهم ولا يأنس بهم، فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة؛ لأن الكلام لا يدعوه إلى خير، فلا أحب الكلام، ولا الخوض ولا الجدال، عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء، أدركنا الناس وما يعرفون هذا، ويجانبون أهل الكلام، ومن أحب أهل الكلام لم تفلح عاقبته، الكلام لا يوصل إلى خير، أعاذنا اللَّه وإياكم من الفتن، وسلَّمنا وإياكم برحمته من كل هلكة برحمته[١] .

١٠- وقال أيضاً رَحِمَهُ اللَّهُ : سمعتُ عليّ بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ يقول : من السُّنة اللازمة التي من لم يؤمن بها لم يكن من أهلها : أن القرآن كلام اللَّه ليس بمخلوق، ولا تضعف أن تقول : ليس بمخلوق، فإن كلام اللَّه منه، وليس شيء منه مخلوق، ولا تخاصم أحداً ولا تناظره، ولا تتعلم الجدل، فإن الكلام مكروه ولا يكون صاحبه - وإن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة، حتى يترك الجدال ويؤمن بالآثار[٢] .

❊ ❊ ❊

(١) مختصر الحجة على تارك المحجة ١/ ٢٢٨، وقال محمد إبراهيم هارون : إسناده صحيح، وأورده السفاريني في لوامع الأنوار البهية ١/ ١٠٩ .

(٢) أخرجه اللالكائي في السنة ص ١/ ١٦٥-١٦، وإسناده إلى ابن المديني صحيح، ورواه اللالكائي في السنة من قول الإمام أحمد أيضاً ١/ ١٥٧ .

المبحث الثامن

عدم استعمال الألفاظ المجملة التي تحتمل أكثر من معنى

المُجمل في اللغة : هو المُبهم : من أجمل الأمر إذا أبهم .

وقيل : هو المجموع من أجمل الحساب إذا جمع وجعله جملة واحدة .

وقيل : هو المتحصل من أجمل الشيء إذا حصله .

المُجمل في اصطلاح الأصوليين : هو ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجيح لواحد منهما أو منها على غيره(١) .

والمقصود في هذا البحث أن السّلف لا يُطلقون هذه الألفاظ والمصطلحات المحدَثة نفياً ولا إثباتاً إلا بعد البيان والتفصيل، بعكس أهل البدع الذين يخفون تحتها باطلهم(٢) .

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣) : " في إطلاق مثل هذه الألفاظ(٤) ثلاثة أقوال:

١ - فطائفة تنفيها ٢- وطائفة تثبتها ٣- وطائفة تفصِّل وهم المتبعون للسَّلف فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا تبين ما أُثبت منها فهو ثابت، وما نفي منها فهو

(١) انظر قواعد الأصول ٥٢ ومختصر ابن اللحام ١٢٦، وشرح الكوكب المنير ٣/ ٤١٤ وأضواء البيان للشنقيطي ١/ ٩٣ .

ومثاله: القُرء: إذ هو متردد بين الحيض والطهرُ، وحكمه: أنه يتوقف فيه حتى يتبين المراد منه- وفي المحصول : هو ما أفاد شيئا من جملة أشياء وهو متعين في نفسه واللفظ لا يعنيه .

(٢)-(٣) شرح الطحاوية ٢١٨ - ٢٢١ (بتصرف بسيط).

(٤) كألفاظ: الحدود والأركان، والأعضاء، والجهات .

منفي لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي، ولهذا كان النفاة ينفون بها حقا وباطلا، ويذكرون عن مثبتيها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل لها معنى باطلا مخالفا لقول السَّلف، ولِما دلّ عليه الكتاب والميزان ولم يرد نص من الكتاب ولا من السّنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف اللَّه تعالى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله ﷺ نفيا ولا إثباتا وإنما نحن متبعون لا مبتدعون فالواجب أن ينظر في هذا الباب أعني باب الصفات فما أثبته اللَّه ورسوله أثبتناه وما نفاه اللَّه ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي فنثبت ما أثبته اللَّه ورسوله من الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تُطلق حتى يُنظر في مقصود قائلها : فإن كان معنى صحيحا قُبِلَ لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد والحاجة: مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك .

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ (١) أراد الرد بهـذا الكـلام على المشِّبهة كداود الجواربي (٢)

(١) الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٢) داود الجواربي : رأس في الرفض للجواربي والتجسيم قال أبو بكر بن أبي عون: سمعت يزيد بن هارون يقول : الجواربي والمريسي كافران . ثم ضرب يزيد مثلًا للجوابي فقال: إنما داود الجواربي عبر جسر واسط فانقطع الجسر، فغرق من كان عليه فخرج الشيطان وقال: أنا داود الجواربي، وذكر ابن حزم في الملل والنحل أن داود هذا كان يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الإنسان . انظر: ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٣ رقم ٢٦٦١، وانظر: لسان الميزان لابن حجر ١/ ٣٨٢ .

وأمثالـه القائلين : إن اللَّه جسـم وانـه جثة وأعضاء . . . [1] وغير ذلك! تعالى اللَّه عمّا يقولون علوا كبيرا .

فالسلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حدا وأنهم لا يحدون شيئا من صفاته .

قال أبو داود الطيالسي رَحِمَهُ اللَّهُ : كان سفيان و شعبة و حماد بن زيد و حماد بن سلمة و شريك و أبو عوانة - لا يحدون ولا يُشبهون ولا يُمثلون، يروون الحديث ولا يقولون : كيف ؟ وإذا سُئلوا قالوا بالأثر .

وسُئل عبد اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ : بم نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على العرش بائن من خلقه . قيل : بحدٍ ؟ قال : "بحد" انتهى .

ومن المعلوم أن الحدَّ يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، واللَّه تعالى غير حال في خلقه ولا قائم بهم بل هو القيوم القائم بنفسه المقيم لما سواه، فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلا، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب ونفي حقيقته وأما الحد بمعنى العلم والقول وهو أن يحده العباد فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة .

وقال أبو القاسم القشيري في رسالته : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السّلمي، سمعت أبا منصور بن عبد اللَّه، سمعت أبا الحسن العنبري سمعت سهل بن عبد اللَّه التستري، يقول وقد سُئل عن ذات اللَّه فقال : «ذات اللَّه موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في

(١) فهذه صفات لم ترد في الكتاب والسنة فلا نقول بها .

العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلّهم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمن بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية(١).

وأما لفظ الأركان والأعضاء والأدوات فيستدل بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية كاليد والوجه قال أبو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الأكبر : له يد ووجه ونفس كما ذكر تعالى في القرآن من ذِكر اليد والوجه والنفس فهو له صفة بلا كيف ولا يقال : أن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة انتهى .

وهذا الذي قاله الإمام رحمه الله ثابت بالأدلة القاطعة : قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾(٦).

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي عبد العز الحنفي ٢١٩ .

(٢) سورة ص آية : ٧٥ .

(٣) سورة الزمر ٦٧ .

(٤) سورة القصص ٨٨ .

(٥) سورة الرحمن آية ٢٧

(٦) سورة المائدة آية ١١٦ .

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(٣) وقال ﷺ في حديث الشفاعة لما يأتي الناس آدم فيقولون له: خلقك اللَّه بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء الحديث(٤).

ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد: القدرة، فإن قوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ لا يصح أن يكون معناه بقدرتيّ مع تثنية اليد ولو صح ذلك لقال إبليس: وأنا أيضا خلقتني بقدرتك فلا فضل له عليَّ بذلك، فإبليس - مع كفره - كان أعرف بربه من الجهمية ولا دليل لهم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾(٥) لأنه تعالى جمع الأيدي لما أضافها إلى ضمير الجمع ليتناسب الجمعان فاللفظان للدلالة على المُلك والعظمة، ولم يقل: أيدي مضافا إلى ضمير المفرد، ولا يدينا بتثنية اليد مضافا الى ضمير الجمع فلم يكن قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ نظير قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾. وقال النبي ﷺ عن ربه ﷻ: " **حجابه النور ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** "(٦).

ولكن لا يقال لهذه الصفات إنها أعضاء أو جوارح أو أدوات أو أركان لأن

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٤ .

(٢) سورة طه آية ٤١

(٣) سورة آل عمران آية ٢٨.

(٤) رواه البخاري ٤٤٧٦، ومسلم ١٩٣.

(٥) سورة يس ٧١ .

(٦) رواه أحمد، ومسلم ١٧٩، وغيرهما .

الركن جزء الماهية واللَّه تعالى هو الأحد الصمد لا يتجزأ سبحانه وتعالى والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية، تعالى اللَّه عن ذلك ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾[1] فالجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع وكذلك الأدوات هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة وكل هذه المعاني منتفية عن اللَّه تعالى ولهذا لم يرد ذكرها في صفات اللَّه تعالى.

- **الخلاصة:**

فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني سالمة من الاحتمالات الفاسدة ولذلك يجب أن لا يعدل عن الألفاظ الشرعية نفيا ولا إثباتا لئلا يثبت معنى فاسد، أو ينفى معنى صحيح، وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمُحِق والمبطِل.

ولهذا يوجد كثيرا في كلام السلف والأئمة النهي عن إطلاق موارد النزاع بالنفي والإثبات، وليس ذلك لخلو النقيضين عن الحق، ولا قصور أو تقصير في بيان الحق، ولكن لأن تلك العبارة من الألفاظ المجملة المتشابهة المشتملة علىٰ حق وباطل، ففي إثباتها إثبات حق وباطل، وفي نفيها نفي حق وباطل فيمنع من كلا الإطلاقين بخلاف النصوص الإلهية[2] فإنها فرقان فرق اللَّه بها بين الحق والباطل ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام

---

(١) سورة الحجر آية ٩١.

(٢) فالواجب أن نجعل ما قالهُ الله ورسوله هو الأصل، ونتدبر معناه ونعقله، ونجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متاشبهة مجملة، فيُقال لاصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يُوافق خبر الرسول ﷺ، قُبِل، وإن أرادوا بها ما يُخالِفُه، رُدَّ. [شرح الطحاوية ١/ ٣١٢ مؤسسة الرسالة تحقيق د. عبد الله التركي وشعيب الأرناءوط].

اللَّه ورسوله، هو الإمام والفرقان الذي يجب اتباعه فيثبتون ما أثبته اللَّه ورسوله وينفون ما نفاه اللَّه ورسوله ويجعلون العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعا من إطلاقها : نفيا وإثباتا لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الاستفسار والتفصيل فإذا تبين المعنى أثبت حقه ونفي باطله بخلاف كلام اللَّه ورسوله فإنه حق يجب قبوله وإن لم يفهم معناه وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه»(١) .

- **تنبيه :**

وهذ لا يخالف موقف السّلف من أسماء اللَّه وصفاته من حيث التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي . فاللَّه سبحانه بعث رسله : بإثبات مفصّل لأسمائه وصفاته ونفي مجمل عن كل ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل .

فالاثبات المُفصَّل :

كَقَوْلِهِ تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ . وَقَوْلِهِ تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣﴾ وقوله تعالى : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ . إِلَى أَمْثَالِ هَـذِهِ الْآيَـاتِ وَالْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مِنْ إثْبَاتِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَإِثْبَاتِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ مَا هَدَى اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ إلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ

(١) انظر : «درء التعارض» لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ .

عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وأما النفي المجمل :

فكقوله تعالى : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ﴾(١) ، وكقوله تعالى : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ﴾ وكقوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٢) .

وَأَمَّا مَنْ زَاغَ وَحَادَ عَنْ سَبِيلِهِمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَمَنْ دَخَلَ فِي هَؤُلَاءِ مِنْ الصَّابِئَةِ والمتفلسفة والجهمية وَالْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ : فَإِنَّهُمْ عَلَى ضِدِّ ذَلِكَ يَصِفُونَهُ بِالصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ وَلَا يُثْبِتُونَ إلَّا وُجُودًا مُطْلَقًا لَا حَقِيقَةَ لَهُ عِنْدَ التَّحْصِيلِ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إلَى وُجُودٍ فِي الْأَذْهَانِ يَمْتَنِعُ تَحَقُّقُهُ فِي الْأَعْيَانِ فَقَوْلُهُمْ يَسْتَلْزِمُ غَايَةَ التَّعْطِيلِ وَغَايَةَ التَّمْثِيلِ؛ فَإِنَّهُمْ يُمَثِّلُونَهُ بِالْمُمْتَنِعَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْجَمَادَاتِ؛ وَيُعَطِّلُونَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ تَعْطِيلاً يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الذَّاتِ . فَغُلَاتُهُمْ يَسْلُبُونَ عَنْهُ النَّقِيضَيْنِ فَيَقُولُونَ : لَا مَوْجُودَ وَلَا مَعْدُومَ وَلَا حَيَّ وَلَا مَيِّتَ وَلَا عَالِمَ وَلَا جَاهِلَ لِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إذَا وَصَفُوهُ بِالْإِثْبَاتِ شَبَّهُوهُ بِالْمَوْجُودَاتِ وَإِذَا وَصَفُوهُ بِالنَّفْيِ شَبَّهُوهُ بِالْمَعْدُومَاتِ فَسَلَبُوا النَّقِيضَيْنِ وَهَذَا مُمْتَنِعٌ فِي بَدَاهَةِ الْعُقُولِ؛ وَحَرَّفُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فَوَقَعُوا فِي شَرٍّ مِمَّا فَرُّوا مِنْهُ فَإِنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِالْمُمْتَنِعَاتِ إذْ سَلْبُ النَّقِيضَيْنِ كَجَمْعِ النَّقِيضَيْنِ كِلَاهُمَا مِنْ الْمُمْتَنِعَاتِ وَقَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ(٣) .

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٣ .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ٣/ ٤ - ٧، أو الرسالة التدمرية ٨ .

تقويم الفصل الخامس

- **السؤال الأول : اكتب الأدلة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة؟**

....

....

....

....

....

....

- **السؤال الثاني : عِّرف ما يلي :**

السنة شرعا : ....

التأويل عند السّلف : ....

المُجمل في الاصطلاح : ....

مصدر التلقي : ....

القرآن الكريم : ....

- **السؤال الثالث: ضع الكلمة المناسبة في الفراغ المناسب.**

(الصحابي - التسليم - الإجماع - الآحاد - العقل - المتواتر).

١) . . . . هو اتفاق مجتهدي عصر من العصور من أمة

محمد ﷺ على حكم شرعي بعد وفاته .

٢) . . . .هو ما رواه جمع عن جمع تحيل العادة تواطئهم على الكذب.

٣) . . . . .من معانيه الغريزة المدركة .

٤) . . . . من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك .

٥) . . . . الاستسلام والإذعان والإنقياد للشرع .

٦) . . . . هو الحديث الذي لم يجمع شروط المتواتر.

● **السؤال الرابع : ضع (√) أمام الجملة الصحيح و(×) أمام الجملة الخطأ.**

١- الالتزام بفهم السّلف عاصم من التفرق والاختلاف ( )

٢- ينبني على رد أحاديث الآحاد في العقيدة عدم الإيمان بسؤال القبر ( )

٣- من أسباب الإنحراف عن فهم السّلف الجهل بلغة العرب وانتشار العُجمة. ( )

٤- الفهم: هو حسن تصور المعنى، واستعداد الذهن للاستنباط ( )

٥- الوعد يكون بالشّر، والوعيد يكون بالخير. ( )

٦- يستطيع العقل أن يستقل بنفسه في معرفة الأحكام الشرعية ( )

❊ ❊ ❊

الفصل السادس

خصائص المنهج السلفي

- المبحث الأول : السهولة والوضوح .
- المبحث الثاني : الاتفاق على المنهج.
- المبحث الثالث : الاجتماع على الحق.
- المبحث الرابع : العدل والإنصاف.
- المبحث الخامس: الوسطية وعدم الغلو.
  - ❊ المطلب الأول : الغلو في العقيدة :
  - ❊ المطلب الثاني : الغلو في العبادات .
  - ❊ المطلب الثالث: الغلو في المعاملات.
  - ❊ المطلب الرابع : الغلو في العادات .

❊ ❊ ❊

خصائص المنهج السَّلفي

لكل منهج وطريقة سمات تميزها، ولمنهج السّلف خصائصه التي تميزه عن غيره من المناهج والطرق وهذا ما يتناوله هذا الفصل من المباحث الآتية :

المبحث الأول

السهولة والوضوح

من المعلوم - ضرورة - تفاوت الناس في الفهم والإدراك لكثير من المسائل؛ فمن مُدرك أمراً بعيداً وشأناً غامضاً ما قد يخفى على غيره من الناس، والحكيم من أهل البيان يلقي على الأسماع أموراً - يريد أن تُفهم عنه - بحيث يحظى كل منها بنصيب يبلغ به المقصود، ويحقق المطلوب، ولا تفوت معه حظوة أهل الكمال في العلم والرسوخ في الفهم .

وعلى هذا، فقد كانت معاني نصوص الكتاب والسنة مشتركة مفهومة لجميع العرب المخاطبين بها، بل نزل القرآن على سبعة أحرف[1] مبالغة في التوسعة

(١) اختلف العلماء بالمقصود بالأحرف السبع إلى أقوال كثيرة، والراجح من هذه الأقوال هو أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد . على معنى أنه حيث تختلف لغات العرب في التعبير بمعنى من المعاني يأتي القرآن منزلًا بألفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى، وحيث لا يكون هناك اختلاف فإنه يأتي بلفظ واحد أو أكثر. اختلفوا في تحديد اللغات السبع. فقيل: هي لغات: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وكنانة، وتميم، واليمن، وهي أفصح لغات العرب. وقيل غير ذلك، نحو الأقوال: أقبل، وتعال، هلمّ، وعجِّل، وأسرع، وقصدي، ونحوي فهذه ألفاظ سبعة معناها واحد هو طلب الإقبال . وهذا القول منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث منهم سفيان بن=

عليهم[(١)]، حتى كانت العرب تفهمه وتدرك مقاصده، ولا سِيَّما ما يحتاج إليه الناس من أمر الإيمان باللَّه ورسالاته، من معرفة معبودهم ومربوبهم، وكيفية عبادته وطاعته، وأما ما قصُرت عنه فهوم أهل اللِّسان والخطاب من ألفاظ

= عيينة، وابن جرير، وابن وهب، والطبري، والطحاوي، وخلائق، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء ويدل على ما جاء في حديث أبي بكرة ﷺ :« أن جبريل قال: يا محمد اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل: استزده حتى بلغ سبعة أحرف قال : كل شاف كاف ما لم تخلط آية عذاب برحمة، أورحمة بعذاب نحوقولك تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع وعجل»$، قال ابن عبد البر : إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها، مختلف مسموعها، لا يكون في شيء منها معنى وضده، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده، ويؤيده أحاديث كثيرة : فعن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها وكان رسول اللهﷺ أقرأنيها وكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه فجئت به رسول اللهﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها! فقال لي: أرسله! ثم قال له: اقرأ! فقرأ، قال: هكذا أُنزلت ثم قال لي: اقرأ! فقرأت، فقال: هكذا أُنزلت، إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما تيسر».

وعن بسر بن سعيد، أن أبا جهيم الأنصاري أخبره : أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا : « تلقيتها من رسول اللهﷺ »، وقال الآخر : « تلقيتها من رسول اللهﷺ »، فسألا رسول اللهﷺ، فقال رسول اللهﷺ : « إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن؛ فإن المراء فيه كفر».

ومن أبرز حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

أ- تيسير القراءة والحفظ على قوم أُميين.

ب- إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب . ج - إعجاز القرآن في معانية وأحكامه .

(١) انظر الموافقات ٢ / ٨٥ .

الكتاب والسنة ومعانيها، فهو على ضربين :

الأول : أن لا يتوقف فهم السياق ومعرفة المقصود عليه، فهذا لا يضر الجهل به إذ العبرة بالمعنى التركيبي لا الإفرادي، ولهذا أعرض عمر رضي الله عنه عن البحث في معرفة الأبِّ في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾، [١] وجعل ذلك من التكلّف .

قال ابن كثير رحمه الله : «وهو محمول على أنه - أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه - أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه (الأب) من نبات الأرض، لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونًا وَنَخۡلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[٢] .

الثاني : أن يتوقف فهم السياق وإدراك المقصود عليه ، فهذا البحث فيه لا بد منه، كما في قوله تعالى : ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[٣] .

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : «بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: «يا أيها الناس! ما تقولون في قول اللّه تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾؟ فسكت الناس، فقال شيخ من بني هُذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنَقُّص.

والمقصود هنا : بيان أن الشريعة قريبة الإدراك، سهلة الفهم، وذلك يعم

---

(١) سورة عبس آية ٣١ .

(٢) سورة عبس ٢٧ - ٣١ .

(٣) سورة النحل آية ٤٧ .

مسائلها الاعتقادية[١] والعملية؛ لأنها مستقاة من النبع الصافي، البعيد عن كَدَر الأهواء والشبهات، والخالي من التأويلات الخارجية، والمصطلحات الكلامية، ولا يُنكر تفاضل المدارك في الجملة، وإنما النظر في القدر المكلّف به .

قال شارح الطحاوية : " ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول ﷺ على التفصيل فرض على الكفاية . . . "[٢] .

والإسلام قد دلَّ على السهولة والوضوح في فهم الإسلام، من نصوص القرآن والسنة وأقوال السلف والمعقول :

أولًا : من القرآن وهذا من أوجه كثيرة، منها .

الوجه الأول : تيسير اللَّه ﷻ القرآن للذّكر والحفظ والفهم قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾[٣] .

---

(١) وهي نوعان : النوع الأول : ما كان من أصول الاعتقاد التي لا يسع أحداً من المسلمين جهله وهو الضروري منه . فإن العلم به من فرض الأعيان لا فرق بين العالم والجاهل، لأن ذلك هو الحد بين الكفر والإيمان، قال تعالى : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس : ٣٢] . كالإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وبالقدر .
النوع الثاني : ما كان من فروع الاعتقاد : فهذه يُلزم بها، والإيمان من قَدَرَ على فهمها وإدراك معانيها والقدرة فيه مختلفة فيجب على كل واحد ما أطاقه عقله وقدر عليه ذهنه، كما قال سبحانه : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن : ١٦] . لكنه يجب على الأمة ممثلة في أئمتها إيجاد من يعلم ذلك ويتخصص فيه لدخوله في الدين المأمور باتباعه، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام : ١٥٣] . [درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ص ٥١ - ٥٢] .

(٢) شرح الطحاوية ص : ٤ ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٣) سورة القمر آية ١٧ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : " لولا أن اللَّه يسره على لسان الآدميين، ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام اللَّه، عز وجل " . [١]

قال ابن القيم رحمه الله : " ومعلوم أنه لو كان بألفاظ لا يفهمها المخاطَب، لم يكن ميسراً له، بل كان معسراً عليه "[٢] .

الوجه الثاني : أن اللَّه تعالى حضّ عباده على تدبّر القرآن وتعقلّه واتباعه والتذكّر فيه؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[٣] .

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[٤] .

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[٥] . قال ابن تيمية رحمه الله : «ومعلوم أن نفي الاختلاف عنه لا يكون إلا بتدبره كله، وإلا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر لما تدبر»[٦] .

الوجه الثالث : ذمّ الذين لا يتدبرون القرآن ولا يفهمونه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ

---

(١) انظر تفسير ابن كثير .
(٢) مختصر الصواعق المرسلة ١/ ٩٥ .
(٣) سورة ص آية ٢٩ .
(٤) سورة محمد آية ٢٤ .
(٥) سورة النساء آية ٨٢ .
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٣٠٧ .

وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾ . (١)

ثانياً : من السنة

عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : " لقي رسول اللَّه ﷺ جبريل فقال : يا جبريل! إني بُعثت إلى أُمة أميين – منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط - قال : يا محمد! إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف "(٢) .

فهذا دليل على أن معاني القرآن مبذولة لكل أحد ممن أُنزل القرآن بلسانهم ، فقد أُنزل على سبعة أحرف ، يقرؤونه على اختلاف قبائلهم تيسيراً لهم .

وقال عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه : « **إن يهودياً جاء إلى النبي** ﷺ **فقال : يا محمد! إن اللَّه يمسك السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع** » ، **ثم يقول : أنا الملِك . فضحك رسول اللَّه** ﷺ **حتى بدت نواجذه ثم قرأ :** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾(٣) .

قال يحيى بن سعيد رحمه الله : «وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد اللَّه : «فضحك رسول اللَّه ﷺ تعجباً وتصديقاً له»(٤) .

(١) سورة الإسراء آية ٤٥ - ٤٦ .
(٢) رواه الترمذي في سننه ٨ / ١٤١ حديث ٢٩٤٥ . وقال حديث حسن صحيح .
(٣) سورة الزمر آية ٦٧ .
(٤) رواه البخاري في صحيحه ٣٩٣/٣١ . فتح الباري كتاب التوحيد حديث ٧٤١٤ .

ثالثاً : من أقوال السَّلف

وقال عبد اللَّه بن مسعود ﷺ : «واللَّه الذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب اللَّه إلا أعلمُ أين أُنزلت، ولو أعلمُ أحداً أعلم مني بكتاب اللَّه تبلغه الإبل لركبتُ إليه» . (١)

وقال مسروق رَحِمَهُ اللَّهُ : «كان عبد اللَّه بن مسعود ﷺ يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار»(٢) .

وقال عبد اللَّه بن مسعود ﷺ: «نِعم ترجمان القرآن ابن عباس»(٣) .

وقال الأعمش عن شقيق قال: «استعمل عليٌّ ابن عباس على الحج، قال: فخطب الناس خطبة، لو سمعها التّرك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسِّرها»(٤) .

وفي رواية : «قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسّرها، فقال رجل : لو سمعت هذا الدّيلم (٥) لأسلمت»(٦) .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلمي : «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلّموا عشر آيات، لم يخلفوها حتى

(١) صحيح البخاري ٩/ ٤٧ فتح الباري .

(٢) تفسير الطبري ١ / ٣٦ (المقدمة) .

(٣) تفسير الطبري ١ / ٤٠ (المقدمة)، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره ١ / ١٣

(٤) المرجع السابق ١ / ٣٦ (المقدمة) .

(٥) الدّيلم : سُمُّوا بأرضه، وليس باسم أبيهم، والدّيلم : ماء لبني عبس، وقيل بأرض اليمامة. وقيل جيل معروف، من العجم، كانوا يسكنون نواحي أذربيجان . وقيل : هم الترك . انظر تاج العروس للزبيدي ٢٣/ ١٦٥، المعجم والوسط ١/ ٣٠٤ .

(٦) تفسير الطبري ١ / ٣٦ (المقدمة) .

يعملوا بما فيها من العمل؛ فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[١] .

والعمل إنما هو فرع العلم والفهم.

وقال الحسن : «ما أنزل اللَّه آية إلا وهو يحب أن يُعلم فِيمَ أُنزلت وماذا عُني بها»[٢] .

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ما في القرآن آية إلا وقد سمعتُ فيها شيئاً»[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب اللَّه، ولا قال : هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين : إن في القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول اللَّه ﷺ، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه "[٤] .

رابعاً : من المعقول

لقد ثبت عدم اختلاف الصحابة والتابعين في نصوص الأخبار ومسائل الاعتقاد، وهذا يدل على أنها كانت في غاية البيان والوضوح، وأنهم فهموا النصوص وما دلّت عليه من المعاني، بحيث لا يقع التباس ولا إشكال، وأن دلالتها - أي نصوص الأخبار - على معانيها أعظم وأوضح من دلالة نصوص

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ١ / ٨٠ (المقدمة)، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٦٩ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٧/ ٣٩٨ .

(٣) سنن الترمذي ٨ / ١٤٨ . كتاب تفسير القرآن - باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه - الحديث ٢٩٥٣ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٢٨٥ .

الأحكام على معانيها [١].

وبهذا يُعلم بطلان مذهب المفوّضة : الذين يفوضون العلم بمعاني نصوص الصفات والمعاد إلى اللَّه تعالى ، ويدَّعون أن هذا هو مذهب السَّلف، وقد عُلِم براءة السَّلف من هذا المذهب بتواتر الأخبار عنهم ، بإثبات معاني هذه النصوص على الإجمال والتفصيل وإنما فوَّضوا العلم بكيفيتها لا العلم بمعانيها [٢].

وأخيراً إليك مثال النهاية عند أهل الكلام في منهجهم المعقّد :

قال الرازي[٣] (الفيلسوف) :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال أيضاً : " لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلًا ولا تروي غليلًا ، ورأيت أقرب الطُرق طريق القرآن : اقرأ في

---

(١) انظر الصواعق المرسلة ١/ ٢١٠ .

(٢) انظر القواعد المثلى ص : ٣٥ . لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٣) الرازي : الاستاذ الفيلسوف، أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكياء أهل زمانه، وكان كثير الاسفار، وكان واسع المعرفة، مكبا على الاشتغال، مليح التأليف، وله كتاب: «الحاوي» ثلاثون مجلدا في الطب، وكتاب «الجامع»، ومن تآليفه كتاب: «الطب الروحاني»، وكتاب: «إن للعبد خالقا»، وكتاب: "المدخل إلى المنطق" ، وكتاب: «هيئة العالم»، ومقالة في اللذة، توفي ببغداد سنة إحدى عشرة وثلاث مئة.

انظر سير أعلام النبلاء.

الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[١]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[٢] ومن جرّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[٣].

وبهذا أيضاً يظهر بطلان مذهب الصوفية، والباطنية، الذين يزعمون أن للدِّين ظاهراً وباطناً، وأن الدِّين طقوسٌ وطُرق خفية لا يصلح سلوكها لكل أحد؛ بل هي للخاصة دون العامة، ونحو ذلك من الخرافات التي تشوِّه سهولة الدِّين ووضوحه .

❊ ❊ ❊

(١) سورة فاطر آية ١٠

(٢) سورة طه آية ١١٠ .

(٣) إغاثة اللهفان ١/ ٤٩ .

المبحث الثاني

الاتفاق على المنهج

وذلك أن السَّلف لا خلاف بينهم في منهجهم الذي سلكوه من تلقي الدين عن الكتاب والسنة بفهم السَّلف، بل كلهم ينهج ويقرر أن الخطأ في خلافه، ويعدُّ مخالفته بدعة في الدين، يجب على المسلم أن يتنزه عن كل منهج يخالف منهج السّلف.

الأدلة من أقوال السّلف:

قال أبو عثمان إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ (١) - بعد أن قرر منهج السَّلف في الاعتقاد - «وهذه الجُمل التي أُثبتها في هذا الجزء، كانت معتقدهم جميعاً، لم يُخالف فيها بعضهم بعضاً، بل أجمعوا عليها كلها، ولم يثبت عن أحد منهم ما يضادها»(٢). وسبب ذلك أن أهل الحديث أخذوا الدين من الكتاب والسنة فأورثهم الاتفاق والائتلاف، بينما أهل البدع أخذوا الدين من المعقولات والآراء؛ فأورثهم الافتراق والاختلاف، فإن النقل والرواية عن الثقات المتقنين قَلَّما يختلفان، وإن اختلفا في لفظ وكلمة، فذلك اختلاف لا يضر الدين ولا يقدح فيه، أما دلائل العقل فقلَّما تتفق، بل عقل كل واحد يرى

(١) الإمام الفاضل أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن النيسابوري الصابوني، فقيه، محدِّث، مفسِّر، خطيب واعظ سمع بنيسابور وسرخس والحجاز والشام وحدَّث بخراسان والهند والشام، والحجاز والقدس، توفي بنيسابور لأربع ليال بقين من المحرم سنة ٤٤٩ هـ . ومن مؤلفاته ذّم الكلام، والفاروق في الصفات .

(٢) عقيدة السَّلف أصحاب الحديث ص ٦٩ . الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ الناشر الدار السلفية للنشر والتوزيع .

صاحبه غير ما يرى الآخر .

ومما يدلّ على أن أهل الحديث هم على الحقّ، أنّك لو طالعت جميع كتبهم المصنّفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وأزمنتهم، وتباعد ما بينهم في الديار، سكن كلّ واحد، منهم قطراً من الأقطار - وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يميلون عنها، ولا يميلون فيها؛ قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافاً، ولا تفرقاً في شيء ما، وإن قلَّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، وما نقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟ " .[(١)]

وقال الأصبهاني أيضاً : " غير أن اللَّه أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف، وقرناً عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وأخذه أصحاب رسول اللَّه ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول اللَّه ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحابه "[(٢)] .

* * *

(١) من كتاب الحجة في بيان المحجة ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٥ لأبي القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) الحجة في بيان المحجة ٢ / ٢٢٣، ٢٢٤ .

المبحث الثالث

الاجتماع على الحق

لقد أمرنا اللَّه بالاجتماع على الحق، وعدم التفرّق والاختلاف الذي هو سبب الظلم والبغي، وما يؤدي إليه من سب الأمة بعضها بعضاً، واستحلال بعضها دماء بعض.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[١].

وقال ﷺ: " **من أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد** "[٢].

وقال عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «يا أيها الناس! عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل اللَّه الذي أمر به، وإن ما تكرهونه[٣] في الجماعة خير مما تحبون[٤] في الفُرقة»[٥].

ولهذا كان الاجتماع على الحق من السِّمات البارزة المميزة لأهل السنة والجماعة التي يفارقون بها أهل البدع.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) رواه الترمذي ٢٠٩١، وصححه الألباني. انظر صحيح الترمذي ٢/ ٢٣٢ - ٢٢٦٨.

(٣) مِن الأثرة وسلب الحقوق وانتشار الظلم.

(٤) من ذياع الصيت والشهرة والترؤس. وكان أحد السّلف يقول: لأن أكن ذيلًا في سُنّة خيراً من أن أكون رأساً في بدعة.

(٥) الإبانة لابن بطة ١/ ٢٩٠ (١٢٢).

وهذا الأصل العظيم قد دلّ عليه كتاب اللَّه تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعمل الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح رحمهم اللَّه؛ ومن أدلة ذلك ما يلي:

أولًا: من كتاب اللَّه تعالى:

١ - قوله عزّوجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[(١)].

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[(٢)].

٣ - وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[(٣)].

٤ - وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾[(٤)].

٥ - وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ﴾[(٥)].

ثانياً: من السنة النبوية:

١- قال رسول اللَّه ﷺ: «**المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا، التقوى ههنا - ويشير إلى صدره - بحسب امرئ من**

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥ .

(٣) سورة الشورى آية ١٣ .

(٤) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

(٥) سورة الأنفال آية ٤٦ .

الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله[١]».

وفي رواية: "**لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد اللَّه إخواناً**». وفي رواية: «لا تقاطعوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد اللَّه إخوانا»[٢].

٢- ويقول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان: يشد بعضه بعضاً**»[٣].

والنبي ﷺ حثّ على التآلف، والتحاب بقوله وفعله ﷺ، ونهى عن التفرق والاختلاف الذي يؤدي إلى تفريق الكلمة وذهاب الريح. حتى في الأمور التي تبدو صغيرة فقد يذكر سبب الحديث قال رسول ﷺ: عندما رأى تفرق الصحابة في الأودية والشِعاب حين ينزلون منزلًا: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالَ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ**»[٤].

ثالثاً: من أعمال الصحابة رضي اللَّه عنهم

فالصحابة رضي الله عنهم وإن وقع بينهم الاختلاف، لكن لم يحصل به التفرق ولا العداوة ولا البغضاء، وإلا فقد حصل الخلاف بينهم في عهد رسول اللَّه ﷺ وهو بين أظهرهم. فمن ذلك: أن النبي ﷺ لما فرغ من

(١) أخرجه مسلم ٤٦٥٠.

(٢) أخرجه البخاري: ٥٦٠٥ ومسلم: ٤٦٤٢.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٢٦٦ ومسلم: ٤٦٨٤.

(٤) رواه أحمد، وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣١٢٧.

غزوة الأحزاب، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج إلى بني قريظة (لنقضهم العهد)؛ فقال النبي ﷺ لأصحابه: "**لا يُصلّين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة**"[(١)]. فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وحان وقت العصر، فقال بعضهم: " لا نُصلي إلا في بني قريظة، ولو غابت الشمس؛ لأن النبي ﷺ قال: "لا يُصلين أحدكم إلا في بني قريظة " . فنقول سمعنا وأطعنا. ومنهم من قال: "نصلي في الوقت؛ لأن رسول اللَّه ﷺ أراد بذلك المبادرة والإسراع إلى الخروج، ولم يرد منا تأخير الصلاة " . فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلم يُعنّف أحداً منهم على الخروج، ولم يوبخه على ما فهم، وهم بأنفسهم ﷺ لم يتفرقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم حديث رسول اللَّه ﷺ .

والإسلام عندما أمرنا بالاجتماع نهانا عن الاختلاف والافتراق.

الاختلاف وموقف أهل السنة والجماعة منه

وينقسم الاختلاف إلى قسمين :

- **القسم الأول: اختلاف تنوع**

يؤدي إلى التكامل وهو الذي تكون فيه الأدلة مختلفة لكن الجمع بينها ممكن كتفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فقيل إنه كتاب الله، وقيل: الإسلام، وقيل: النبي ﷺ، وقيل: صاحباه من بعده. وكل هذه الأقوال كلها صحيحة وهي متلازمة فإن من اتبع النبي ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبي بكر وعمر فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب اللَّه وحبله المتين وصراطه المستقيم

(١) أخرجه البخاري: ٣٨١٠، ومسلم: ٣٣١٧ .

فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضاً[١] .

موقف السّلف من هذا القسم من الاختلاف :

ومثل هذا لا يعترض فيه على المخالف، ولا ينكر عليه، ولا يخطأ ولا يؤثّم .

القسم الثاني : اختلاف تضاد، وينقسم إلى نوعين :

النوع الأول : اختلاف تضاد سائغ :

وهذا مرجعه إلى فقه الدليل وتنوع الاجتهاد في المسألة الواحدة، خاصة إذا كان النص الشرعي محتمل : كاختلاف الصحابة حول رؤية النبي ﷺ لربه في ليلة المعراج، وتعذيب الميت ببكاء أهله عليه. قراءة الفاتحة خلف الإمام، والسجود على اليدين أو الركبتين مع بقاء الجماعة والألفة[٢] .

موقف السّلف من هذا النوع من الاختلاف:

فمن أصول أهل السنة والجماعة في المسائل الخلافية أن ما كان الخلاف فيه صادراً عن اجتهاد وكان مما يسوغ فيه الاجتهاد، فإن بعضهم يعذر بعضاً بالخلاف، ولا يحمل بعضهم على بعض حقداً، ولا عداوة، ولا بغضاء بل يعتقدون أنهم إخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف، فإن الواحد منهم ليصلي خلف من يرى أنه ليس على وضوء، ويرى الإمام أنه على وضوء، مثل : أن يصلي المأموم خلف شخص أكل لحم الإبل، وهذا الإمام يرى أن لحم الإبل لا ينقض الوضوء، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء ومع هذا فهو فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة .

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير سورة الفاتحة، ومجموع الفتاوي ١٩/ ١٣٩ - ١٤٠ .
(٢) الفتاوى ١٩/ ١٢٣ - ١٢٤ .

كما قال النبي ﷺ : "**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**" (١) .

كل هذا لأنهم يرون أن الخلاف الناشئ عن اجتهاد فيما يسوغ فيه الاجتهاد ليس في الحقيقة بخلاف، لأن كل واحد من المختلفين قد تبع ما يجب عليه اتباعه من الدليل الذي لا يجوز له العدول عنه، فهم يرون أن أخاهم إذا خالفهم في عمل ما اتباعاً للدليل هو في الحقيقة قد وافقهم، لأنهم يدعون إلى اتباع الدليل أينما كان، لأنه تماشى مع ما يدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ .

فالواجب على المسلمين جميعاً أن يكونوا أمة واحدة، وأن لا يحصل بينهم تفرق وتحزّب، بحيث يتناحرون فيما بينهم بالأسِّنة والألسن، ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد . فإن هذا أمر فيه سعة ولله الحمد .

وكذلك فإن من تمام الاجتماع السّمع والطاعة لمن تأمرّ علينا، فإنه لا يخفى حال الأمة الإسلامية حين كانت متمسّكة بدينها، مجتمعة عليه، معظّمة لولاة أمورها، منقادة لهم بالمعروف، فقد كانت لها السيادة والظهور في الأرض .

ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت، وتفرق الناس في دينهم، وتمردوا على أئمتهم وخرجوا عليهم، وكانوا شيعاً، نزعت المهابة من قلوب أعدائهم، وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وتداعت عليهم الأمم وصاروا كغثاء السيل .

---

(١) رواه البخاري ٦٨٠٥، ومسلم ٣٢٤٠ .

النوع الثاني: اختلاف تضاد غير سائغ:

وهو ما كان مخالفاً لما كان عليه الصحابة والتابعون: مثل مسائل العقائد التي ضلّ فيها بعض الناس، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضّلة. وتكون الأقوال فيه متضاربه ومتعارضة، وأن وجهة الحق فيه مقطوع بصوابها والقول الآخر مقطوع بخطئه، لمخالفته أصول الإيمان أو بعضها، أو لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة، أو لمخالفته إجماعاً أو نصاً ظاهر الدلالة والحجيّة ولا يعارضه إلا أقوال الرجال.

موقف السّلف من هذا النوع من الاختلاف:

فمثل هذا النوع يُبيَّن خطؤه ويُعلَّم الجاهل، وتزال شُبهة المتعلم، وينكر على الداعية إلى القول الخاطئ، ويحكم على الفرقة التي تتبناه بالكفر أو البدعة أو الفسق أو الضلال. كخلاف أهل السنة مع أهل البدع حول تفسير أسماء اللَّه الحسنى أو تكفير مرتكب الكبيرة وكأمور الغيب من عذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة. فهذا كله خلاف تضاد تتعارض فيه الأقوال مع بعضها البعض"[(١)] كاختلاف أهل السنة مع الوهمية والمرجئة والخوارج والروافض.

فإن هذا النوع من أنواع الاختلاف هو المذموم في القرآن والسنة وأقوال السّلف كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ

(١) انظر: الائتلاف والاختلاف أسسه وضوابطه د. صالح بن غانم السدلان ص(٤٤).
(٢) سور آل عمران آية ١٠٥.

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾[١]

فعن عبد اللَّه بن رباح الأنصاري قال : قال رسول اللَّه ﷺ : " إنما هلك من كان قبلكم من الامم باختلافهم في الكتاب "[٢].

غياب هذا الأصل [٣] :

وصار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر ممن يدّعي العلم والغيرة على دين اللَّه، وترك العمل به ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنزلة الأمير المنابذ للأمير !!

إن الكلمة إذا تفرَّقت، والرعية إذا تمرَّدت دخلت عليها الأهواء والضغائن، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ رأيه حتى وإن تبين أن الحق والعدل في خلافه .

وخرجنا عن توجيهات اللَّه تعالى إذ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[٤].

فإذا عرف كل واحد مَنّا ما له وما عليه – وقام به على وفق الحكمة – فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله[٥] .

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٦ .

(٢) رواه مسلم ٢٦٦٦ .

(٣) ونقصد به اختلاف التنوع واختلاف التضاد السائغ . وهذا النوع من الخلاف هو المقصود من قول بعض العلماء لا إنكار في مسائل الاجتهاد .

(٤) سورة آل عمران آية ١٠٢، ١٠٣

(٥) شرح كشف الشبهات وشرح الأصول الستة . للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

المبحث الرابع

العدل والإنصاف

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾[٢] يتجلى العدل بين العبد وربه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه . . وبين العبد وبين نفسه بمزيد من الطاعات وتوقي الشبهات والشهوات . . وبين العبد وبين غيره بالإنصاف[٣] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[٤] يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "هذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به فإذا كان البغض الذي أمر اللّٰه به قد نُهي صاحبه أن

(١) سورة النحل آية ٩٠ .

(٢) سورة النساء آية ٥٨ .

(٣) فتح الباري ١٠/ ٥٨٩ – كتاب الأدب - باب ٥٦ من شرح الحديث ٦٠٦٣ ، نقله ابن حجر عن القاضي أبي بكر بن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٤) سورة المائدة آية ٨ .

يظلم من أبغضه، فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس ؟ فهو أحق ألا يظلم، بل يعدل عليه" . (١)

إن الدين الذي جعل اللَّه من مقاصده إخراج الناس من جور الأديان إلى عدل الإسلام، لابد أن يتحلى أتباعه بالعدل والإنصاف مع الصديق و العدو، ومع المسلم والكافر، ومع الموافق والمخالف .

وقال رسول اللَّه ﷺ : " ثلاث منجيات : خشية اللَّه تعالى في السر و العلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وثلاث مهلكات : هوى متبع، وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه"(٢) .

والشاهد من الحديث قوله ﷺ : "**والعدل في الرضا والغضب** " .

- **البعد عن الإنصاف يُفسد القلوب** :

وذلك بلا شك مفسدة لطالب العلم أن يغلب عليه روح التتبع للخلافيات والانتصاب للمناظرة فيها والمجادلة عنها؛ إذ إنها تفسد عليه قلبه، وتُعكِّر عليه إخلاصه ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ما أكثر ما يُصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله! ويكون من باب الظلم والعدوان"(٣) .

- **إنصاف المخالف يشيع العدل بين المختلفين:**

يقول إسحق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "الحق يحبه اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: أبو عُبيد القاسم بن

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٥/ ١٢٧ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .
(٢) رواه الطبراني في الأوسط، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٤٥ .
(٣) الفتاوى ١٤/ ٤٨٢ .

سلَّام أفقه مني، وأعلم مني" .[(١)]

وكان أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في إسحق بن راهويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضا " .[(٢)]

- **مذهب أهل السنة جمع حق كل الطوائف:**

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم (أهل السنة والجماعة) يوافقونهم فيه، وهم برآء من باطلهم، فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض، والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه، ونفي باطل كل طائفة من الطوائف، وكره ومعاداة في هذا الوجه، فهم حكَّام بين الطوائف، لا يتحيّزون إلى فئة منهم على الإطلاق" .[(٣)]

- **الإنصاف بتغليب المحاسن:**

١- تُسترُ العيوب إذا غلبت المحاسن :

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " لو قُدِّر أن العالِم الكثير الفتاوى أخطأ في مائة مسألة،لم يكن ذلك عيباً " .[(٤)]

ويقول سعيد بن المسيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " . . . فليس من شريف ولا عالم ولا ذي سلطان إلا فيه عيب لابُد، ولكن مِن الناس مَن لا تُذكر عيوبه . . مَن كان فضله

---

(١) نزهة الفضلاء ٧٧٥ .

(٢) نزهة الفضلاء ٨٤٠، السّير ١١/٣٥٨ - ٣٨٣ .

(٣) شفاء العليل ١١٣ لابن القيم .

(٤) الفتاوى ٢٧/٣٠١ .

أكثر من نقصه وُهِب نقصه لفضله "(١) .

وهذا الكلام في الموازنة بين الحسنات والسيئات إنما هو في الحكم على الشخص . وأما إذا ذُكِر الخطأ من أخطاء العالِم، فلا يلزم الذاكر له ذكر الحسنات والسيئات .

وعليه فإذا بيّنت خطأ إمام، فقلتَ : «أخطأ في الأمر الفلاني» كفاك ذلك . وإذا مدحت عالم (مبتدع) بالجودة في علوم البلاغة مثلًا، كفاك ذلك . . هذا إذا أُمنت الفتنة على السّامع، وأما إذا ظُنَّ أن السّامع سيفهم الكلام على غير وجهه، ويظنه حكماً مطلقاً، فلا بد من البيان(٢) .

٢- لا يشترط في المُحسن العِصمة من الخطأ :

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معتذراً لبعض شيوخ التَّصوّف الأقرب إلى السنة : " لكن شيوخ أهل العلم الذين لهم لسان صدق، وإن وقع في كلام بعضهم خطأ منكر، فأصل الإيمان باللَّه ورسوله إذا كان ثابتاً، غُفر لأحدهم خطؤه الذي أخطأه بعد اجتهاد "(٣) .

٣- إذا أنصفنا أهل الذِّمة، أفلا نُنْصِف أهل المِلة؟!

هذا العدل الذي نطمح أن نعيده بين المسلمين، وذاك الإنصاف الذي نأمل أن يعم بين المختلفين من أهل الملة الواحدة، فقد كان المسلمون يعاملون به أهل الذِّمة : يُذكر أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتب إلى واليه على البصرة

(١) كتاب الكفاية ٧٩ . ويقال في مثل هؤلاء: إذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث» .

(٢) راجع قواعد في التعامل مع العلماء ص: ١٣٨ د. عبد الرحمن بن مُعلا اللّويحق حفظه الله .

(٣) الصفدية ١/ ٢٦٥ لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(عدي بن أرطأة) يوصيه، ونقتطف من رسالته بعض المقاطع، يقول: " ثم انظر مَن قِبَلك من أهل الذِّمة قد كَبِرت سِنُّه، وضعفت قوته، وولّت عنه المكاسب، فأجْر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه . . وذلك أنه بلغني أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مرّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: " ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كِبرك" . قال: ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه " .[1]

ويُذكر من مواقف ابن تيمية رحمه الله السامية في الإنصاف حتى مع غير المسلمين: أنه حين سعى في إطلاق سراح أسرى المسلمين من التتار، وعلِم أنهم لن يُطلقوا معهم أسرى أهل الذِّمة، أصرَّ على إطلاق الجميع معاً، وقال: "بل جميع من معك من اليهود والنصارى، الذين هم من أهل ذِمّتنا، فإنا نفكهم، ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة، ولا من أهل الذِّمة "[2].

- **من مظاهر الإنصاف:**

١- لا يُرد الحق لمجرد أن قائله مُبطِل، فالعبرة بالقول لا بالقائل:

فاللَّه صدّق ملكة سبأ في قولها عن الملوك فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[3] فلم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته[4] .

وكذلك موافقته تعالى المشركين من حكم القتال في الأشهر الحرم . قال

(١) أحكام أهل الذّمة لابن القيم، تحقيق د. صبحي الصالح ١/٣٨ .

(٢) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ محمد بهجت البيطار ص ١٥، عن الرسالة القبرصية لابن تيمية .

(٣) سورة النمل آية ٣٤ .

(٤) أضواء البيان: ١/٦ (بتصرف) .

تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾(١) .

أي لا يحل . وإن كان ما صنعتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام حين كفرتم باللَّه، وصددتم عنه محمداً ﷺوأصحابه، وإخراج أهل المسجد الحرام منه أكبر من القتل عند اللَّه .

وقصة أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان فكان مما قاله له ﷺ : " أما إنه صدقك وهو كذوب "وجاء في وصيّة معاذ بن جبل رضي الله عنه للتابعين" . . . وأحذركم زيغة الحكيم، فإنه قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق . "

٢- لا يُنكر صواب المخالف وإن ساء طبعه :

قال الذهبي عن يوسف بن آدم رحمه الله إنه : من مشايخ السنة . . وكان أمّاراً بالمعروف وداعيا إلى الأثر بزعارَّة " .(٢)

وقال في ترجمة تقي الدين عبد الساتر بن عبد الحميد المقدسي الحنبلي : قلّ من سمع منه، لأنه كان فيه زعارة، وكان صاحب حزبيَّة وتحرّق على الأشعرية، فرموه بالتجسيم، ثم كان منابذاً لأصحابه الحنابلة .(٣)

٣- تمني الصواب للمخالف، علامة التعقّل والإخلاص :

قال حاتم الأصمّ : «معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي : " أفرح إذا

---

(١) سورة البقرة آية .٢١٧

(٢) السير :٢٠/ ٥٩٠-٥٩١ للذهبي . والزعارّة - بتشديد الراء - : شراسة الخُلُق (ولا فِعل له)، والعامة تقول رجل (زَعِرُ) وفيه (زَعَارّة) . مختار الصحاح ٢٧٢ للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي .

(٣) المصدر السابق : ٣/ ٣٤٠-٣٤١ . العبر في خبر من غبر ٣٢٣/٥ .

أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي ألا أجهل عليه» . [١]

فلما بلغ ذلك الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : " سبحان اللَّه ! ما كان أعقله من رجل " . [٢]

٤- خطأ المخالف، لا يُبيح ظُلمه ولا يهدر حقوقه :

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "ومعلوم أن شرّ الكفار والمرتدين والخوارج، أعظم من شر الظالم، وأما إذا لم يكونوا - أي المبتدعون أو غيرهم- يظلمون المسلمين، والمقاتل لهم يريد أن يظلمهم، فهذا عدوان منه، فلا يُعان على العدوان " . [٣]

ولا يمنع هذا من بيان ما في كتب المبتدعة من فساد، يقول القرافي : «ويُنفَّر عن تلك المفاسد ما أمكن، بشرط ألا يتعدّى منها الصدق، ولا يُفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه، بل يُقتصر على ما فيهم من المنفِّرات خاصة، فلا يُقال على المبتدع: إنه يشرب الخمر، ولا إنه يزني، ولا غير ذلك مما ليس فيه»[٤] .

بل عدَّ الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ التخطئة العاجلة مع قلّة العلم، أن هذا المنهج في تقويم الرجال، منهج المبتدعة، لما فيهم من الجهل والظلم، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل

(١) انظر حلية الأولياء، والسّير ١١/ ٤٨٧ للذهبي .

(٢) انظر حلية الأولياء .

(٣) منهاج السنة ٣/ ١٥٨ .

(٤) الفروق للقرافي ٤/ ٢٠٧-٢٠٨ .

وظلم، كحال أهل البدع". [١]

٥- إحسان الظن في المخالف وعدم الطعن في المقاصد والنيات:

لأننا لم نُكلَّف بالتنقيب عن قلوب الناس، فقد ألزمنا الشرع الأخذ بما يظهر لنا من خير أو شر، فالأحكام الشرعية مبنية على الظاهر، والله يتولى السرائر، وهذا المنهج أعدل وأصوب، وأكثر إنصافاً.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [٢].

وحادثة أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: "**بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **سَرِيَّةً إِلَى الْحُرَقَاتِ فَنَذِرُوا بِنَا فَهَرَبُوا فَأَدْرَكْنَا رَجُلاً فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَضَرَبْنَاهُ حَتَّى قَتَلْنَاهُ فَعَرَضَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَذَكَرْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ** ﷺ **فَقَالَ مَنْ لَكَ بِلَاإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا قَالَهَا مَخَافَةَ السِّلَاحِ وَالْقَتْلِ. فَقَالَ: أَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَمْ لَا، مَنْ لَكَ بِلَاإِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَمَا زَالَ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُسْلِمْ إِلَّا يَوْمَئِذٍ**" [٣].

- **الإنصاف أهم آداب المناظرة والخلاف:**

ولهذا قيل: لا تصلح المناظرة، ويظهر الحق بين المتناظرين، حتى يكونا متقاربين أو مستويين في مرتبة واحدة في الدين والفهم والعقل والإنصاف، وإلا

---

(١) منهاج السنة ٢/٢٤٣.

(٢) سورة الحجرات آية ١٣.

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه.

كان مراء ومكابرة.

- **الإنصاف في تقويم المخالف :**

١- لا يُهدر العالم بهفوته ولا يُتّبع فيها:

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ : ومن له علم بالشرع والواقع، يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح، وآثار حَسَنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلّة، هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبع فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته عند المسلمين " .[١]

الخلاصة :

عدم اعتماد تلك الزلّة والأخذ بها، لأنها جاءت على خلاف الشريعة؛ قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ : " من أخذ بنوادر العلماء، خرجَ من الإسلام .[٢]

٢- العدل في الحكم على المخالف :

ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ قال : " أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود . "[٣]

إن زلات العلماء وأخطاءهم تصير فتنة لطائفتين :

الطائفة الأولى : تُعظِّم ذلك العالم وتُصوبه، بل وتكاد تُعصِّمه وتجعل سيئاته حسنات.

---

(١) إعلام الموقعين : ٣/ ٣٥٩ .

(٢) ذكره الذهبي في « سير أعلام النبلاء» ٧ / ١٢٥ .

(٣) رواه أحمد ٦/ ١٨١، وأبو داود ٤ / ١٣٣، حديث ٤٣٧٥، كتاب الحدود، وصححه الألباني . انظر الصحيحة ٦٣٨ .

والطائفة الثانية : تَذُمُّه وتخطِّئه، بل تحيل حسناته سيئات . والحق هو العدل : تعظيم من يستحق التعظيم من مقدمي الأمة : علمائها وأهل الحل والعقد فيها، وصالحيها مع الإقرار بأن الرجل تكون له حسنات وسيئات فيوالي ويُحمد ويمدح، ويعادى ويذم ويبغض بحسب ما فيه من الحسنات السيئات .[١]

٣- إغفال الهفوات لمن غلب خيره:

عند التأمل في حديث بروك راحلة النبي ﷺ وهو في طريقه إلى الحديبية، قال الناس : «خلأت القصواء»، فقال النبي ﷺ : "ما خلأت[٢] القصواء، وما ذلك لها بخُلق ولكن حبسها حابس الفيل" .[٣]

وذكر ابن حجر في هذا الحديث معنى تربوياً فقال: «جواز أن يطرأ عليه تغير فإن وقع شخص بهفوة، لا يُعهد منه مثلها، لا يُنسب إليها، ويُرد على من إليها»[٤] .

قال سعيد بن المسيّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيب ولكن من كان فضله أكثر من نقصه، ذهب نقصُه لفضله كما أن من غلب عليه نقصانه ذهبَ فضله " .[٥]

---

(١) قواعد في التعامل مع العلماء ١٤٢ عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

(٢) خلأت : أي بركت من غير عِلة، ولم تبرح مكانها .

(٣) انظر صحيح البخاري - كتاب الشرك باب ١٥ - الحديث ٢٧٣١٤ - فتح الباري ٥/ ٢٤٠ .
حبسها أي : منعها الذي منع الفيل من هدم الكعبة الذي كان مصاحب لجيش (أبرهة) .

(٤) فتح الباري ٥/ ٢٥٠ .

(٥) رواه ابن عبد البر في « الجامع» ٢ / ٤٨ . وبهذه الخصلة تدوم الصحبة، وتقوى العلاقة.

٤- إنصاف الوالي بتغليب محاسنه :

في محاورة بين المِسور بن مخرمة ومعاوية بن أبي سفيان رضي اللَّه عنهما، بيَّن المِسور لمعاوية عيوبه، فأقر معاوية: بأنه لا يبرأ من الذنوب، وقال: " فهل تعدُّ لنا يا مسور ما نلي من الإصلاح في أمر العامة فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تعدُّ الذنوب وتترك الإحسان؟

فهل لك يا مسور ذنوب في خاصتك تخشى أن تهلك إن لم تُغفر ؟! قال : نعم .قال: فما يجعلك اللَّه برجاء المغفرة أحقَّ مني ؟! فواللَّه ما ألي من الإصلاح أكثر مما تلي فلم يعد المِسور يتكلّم في معاوية إلا بخير " .(١)

من صور عدم الإنصاف بين الأقران (خاصة) :

١- التفتيش عن العيوب : وتلمس الزلات، والهفوات . فيجرح بالخطأ، ويُتبع العالم بالزلة ولا تغفر له هفوة . وهذا منهج مُردِ.

من الذي ما ساء قط ومن الذي له الحسنى فقط

فعن جابر رضي الله عنه : " **أن رسول اللَّه ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يلتمس عثراتهم** "(٢).

٢- التعيير بالنَّقص والسكوت عن المزيَّة.

٣- القول بالهوى والعصبية : يقول الذهبي رحمه الله : «كلام الأقران بعضهم في بعض لا يُعبأ به، ولا سِيَّما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد»(٣).

(١) نزهة العقلاء ٢٤٢ ٢٤٤، والسير ٣/ ١١٩-١٦٢ .

(٢) متفق عليه .

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١١١ .

٤- الافتراء والبهتان بسبب الحسد، قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ لأتباعه: «اعلموا - رحمكم اللَّه - أن الرجل من أهل العلم، إذا منحه اللَّه شيئاً من العلم وحرمه قُرناءه وأشكاله، حسدوه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم»(١).

٥- بُغض القَرين(٢) وبغض من يُثني عليه يقول الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في أمثال هؤلاء: "ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق، ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه، وصلحوا على يديه، لمات غمّاً وحسداً، ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه، لكان أبغض خلق اللَّه إليه.(٣)

ويقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإن كان عالماً - أو شيخاً - أحب من يُعظِّمه من دون من يُعظِّم نظيره، حتى لو كانا يقرآن كتاباً واحداً كالقرآن، أو يعبدان عبادة واحدة متماثلين فيها كالصلوات الخمس، فإنه يُحب من يعظِّمه بقبول قوله والاقتداء به أكثر من غيره، وربما أبغض نظيره وأتباعه حسداً وبغياً. كما فعلت اليهود لما بعث اللَّه محمداً ﷺ يدعو إلى مثل ما دعا إليه موسى(٤).

٦- التهوين من عِلم القَرين: يقول يحيى بن يحيى رَحِمَهُ اللَّهُ: كنتُ آتي ابن القاسم رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول لي: مِن أين جئت؟ فأقول: من عند ابن وهب، فيقول: اللَّه، اللَّه، اتق اللَّه! فإن أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل».

---

(١) نزهة الفضلاء ٧٣٩ في الحاشية.

(٢) القرين: وجمعها أقران وقرناء، وهم الأصحاب الذين يتحدون بصفة كالسن أو الحرفة والمهنة كالمعلم أو المهندس .... إلخ

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٦٩

(٤) الفتاوى ١٤/ ٣٢٥

قال : فآتي ابن وهب فيقول :مِن أين ؟ فأقول : "من عند بن القاسم، فيقول: اتق اللَّه ! فإن أكثر هذه المسائل رأي. . . " .(١)

قواعد في الإنصاف بين الأقران :

١- كلام الأقران في بعضهم لا يُنقص قدرهم.

٢- كل منهم ثقة في نفسه، ولا يُعبأ بقدحه، ولا القدح فيه.

٣- كلام الهوى : يُطوى ولا يُروى؛ يقول الذهبي : " كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه هوى وعصبية، لا يُلتفت إليه، بل يُطوى ولا يُروى "(٢).

٤- وقوع أهل الفضل بعضهم في بعض لا يُسقط عدالتهم :

حين قدم الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى نيسابور (٢٥٠ هـ) كان أحد علمائها (محمد بن يحيى الذهلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ) يحث طلاب العلم على الأخذ عن البخاري، والسماع منه، فلما أحسّ (محمد بن يحيى) بتناقص الطلاب في مجلسه، وتكاثرهم في مجلس البخاري أخذته الغيرة منه، وتكلَّم فيه، (٣) ولما شكا بعضهم إلى البخاري : أن محمد بن يحيى يطرد من مجلسه كل من يُعلن أنه يحضر مجلس البخاري ! قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كم يعتري محمد بن يحيى الحسد في العلم، والعلم رزق اللَّه يُعطيه من يشاء "(٤).

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١١١

(٢) نزهة الفضلاء ٧٤١، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥/ ٩٩ .

(٣) وقيل إن محمد بن يحيى الذهلي تكلّم في الإمام البخاري لما اشيع عنه في مسألة اللفظ في القرآن. وبراءته مما نسب إليه في ذلك وحصلت له من جراء ذلك محنة . انظر : تفصيل ذلك هدى الساري مقدمة فتح الباري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٤) نزهة الفضلاء ٩٠٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٩١-٤٧١ من ترجمة البخاري

٥- لا يُقبَل التجريح فيمن ثبتت إمامته :

والصحيح في هذا الباب : أن من صحت عدالته، وثبتت في العلم إمامته، وبانت ثقته، وبالعلم عنايته، لم يُلتفت فيه إلى قول أحد، إلا أن يأتي في جرحه ببينة عادلة . . . بما يوجب تصديقه فيما قاله لبراءته من الغِل والحسد والعداوة والمنافسة . . إن السّلف رحمهم اللَّه قد سبق بعضهم في بعض كلام كثيرٌ منه في حال الغضب، ومنه ما حمل عليه الحسد(١) .

ندرة الإنصاف :

في أجواء الخلاف والمناظرات، والتّعصّب، وأهواء النفوس، قد يضعف بل ينعدم الإنصاف أحياناً . وقد كان الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشكو من أهل زمانه قائلًا: «ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف»(٢) .

* * *

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/١٠٩٣-١٠٤٩

(٢) جامع بيان العلم ١/١٣٢ . فكيف لو أدرك الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ زماننا هذا؟ (والله المستعان) [انظر فقه الائتلاف للخازندار] .

المبحث الخامس

الوسطية وعدم الغلو

أهل السنة والجماعة (أتباع السلف الصالح) وسط بين الفِرق، كما أن الأمة الإسلامية وسط بين الأمم، وقد جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من سلوك طرق المغضوب عليهم والضالين، وهما طرفا نقيض، وسبيلا الانحراف .

والمقصود بالوسطية : الاعتدال، قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ .[1] أي : عدلًا، خياراً ومن لوازم وسطيتهم عدالتهم ولذا صح أن يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة : لأن الشاهد لا بد أن يكون عدلًا حتى تقبل شهادته وسطية هذه الأدلة هي كونها على الحق بين باطل من غلا وباطل من جفا [2]، وما عدا الوسط [3] فأطراف داخلة تحت الخطر[4] .

والمقصود بالغلو : «مجاوزة الحد في التّعبد والعمل والثناء ؛ قدحاً أو مدحاً» .

---

(١) سورة البقرة ١٤٣ .

(٢) الرسالة الصفدية ٢/ ٣١٠، والجواب الصحيح ١/ ٧ .

(٣) وسط الشيء : ماله طرفان متساويا القدر، والوسط تارةً يقالُ فيما له طَرفان مَذمومان، يقال هذا أوسطهم حَسُباً إذا كان في واسِطة قومه، وأرفَعُهُم محلّا كالجود الذي هو بين البُخل والسَّرَفِ، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به نحو السّواء والعدل والنّصفة، نحو : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وعلى ذلك ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ . وتارةً يقال فيما له طرفٌ محمودٌ وطرف مَذمومٌ كالخيّر والشّرِّ ويُكنَّى به عن البذل نحو قولهم فلانٌ وسطٌ من الرجال تنبيها أنه قد خرج من حَدِّ الخيّر . (المفردات في غريب القرآن) للراغب الأصفهاني ص٥٢٢ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن ٧٢ .

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(١).

ينهى اللَّه تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع؛ فكما أن التقصير والتفريط، من المنهيات، فالغلو كذلك.(٢)

- **إن أهل السنة والجماعة يدعون إلى الاستقامة والوسطية، وعدم الغلو بأساليب عدة، منها:**

١- تعليم المسلمين بأن يدعوا اللَّه أن يُسلِّمهم من كلا الانحرافين، وشرع ذلك لهم في كل صلاة متعددة، بأن يقولوا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾(٣).

ولمّا أمرنا اللَّه سبحانه أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم . . . كان ذلك مما يتبين أنّ العبد يُخاف عليه أن ينحرف إلى هذين الطريقين".(٤)

٢- التحذير من تعدي الحدود، والأمر بلزومها؛ قال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٥)، فما أمر اللَّه تعالى بأمر إلا للشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى إفراط (غلو).

---

(١) سورة النساء آية ١٧١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٢٧٣ .

(٣) سورة الفاتحة آية ٦ - ٧ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١ / ٦٥ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

ودين اللَّه وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين .

فكما أنّ الجافي عن الأمر مضيِّعٌ له، فالغالي فيه : مضيعٌ له، هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد " .[١]

٣- الدعوة إلى الاستقامة ولزوم الأمر، وعدم الغلو والزيادة؛ فاللَّه تعالى يأمر بالاستقامة والوسطية التي هي الاعتدال .

قال تعالى : آمراً نبيه محمداً ﷺ بالاستقامة والعدل : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾[٢] وقال تعالى : ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾[٣] وقد ذكر اللَّه ما أعدّه للمستقيمين فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣﴾[٤]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾[٥] .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢ / ٥١٧ .

(٢) سورة الشورى آية ١٥ .

(٣) سورة هود آية ١١٢ .

(٤) سورة الأحقاف آية ١٣ .

(٥) سورة فصلت آية ٣٠ - ٣٢ .

وسنقسِّم الغلو إلى أربعة مطالب :

المطلب الأول

الغلو في العقيدة

إن الغلو في العقيدة ليس نوعاً واحداً بل يتنوع باختلاف متعلقة وهو على وجهين :

الوجه الأول الغلو الكلي الاعتقادي : وهو ما كان متعلقاً بكليات الشريعة الإسلامية وأمهات مسائلها، وهو أشد خطراً، وأعظم ضرراً من الغلو العملي[1]، إذ الغلو الكلي الاعتقادي : هو المؤدي إلى الانشقاقات، وهو المُظهِر للفِرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم .

- **ومن أنواع الغلو في العقيدة، ووسطية أهل السنة والجماعة فيه:**

النوع الأول: وسطيتهم في أسماء اللّه وصفاته

فأهل السنة وسط فيها بين أهل التعطيل [2]، وأهل التمثيل (التشبيه) :

❊ فأهل التعطيل : غلوا في التنزيه، دون إثبات وأخذوا نصف الدليل فقط، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [3] حتى إن غلاتهم كالجهمية لم يثبتوا لله صفة، فهم ينكرون جميع صفات اللّه .

❊ وأهل التمثيل (التشبيه) : الذين غلوا في الإثبات على نحو ما عليه صفات المخلوقين وأسمائهم، دون تنزيه وأخذوا نصف الآية الآخر ﴿وَهُوَ

(١) وسيأتي بيانه في المطلب الثاني (الغلو في العبادات) .
(٢) أتباع الجهم بن صفوان الضال أول من أنكر الصفات وكان يأخذ من الجعد بن درهم .
(٣) سورة الشورى آية ١١ .

﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فهم يثبتونها مع التشبيه بخلقه .

* وأما أهل السنة والجماعة : فإنهم أخذوا بجميع الآية : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ نفى عن نفسه مماثلة المخلوقات رداً على الممثلة وأثبت لنفسه السمع والبصر رداً على المعطلة الذين جحدوا الأسماء والصفات [(١)] . فهم يُنزِّهون اللَّه عن مشابهة خلقه، مع إثباتهم لصفاته تعالى، على الوجه اللائق به سبحانه .

النوع الثاني : وسطيتهم في أفعال اللَّه تعالى (القضاء والقدر)

فأهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية في أفعال اللَّه تعالى .

فالجبرية : يثبتون قضاء اللَّه في أفعال العبد ويقولون : إن العبد مُجبر، لا قدرة له ولا اختيار ولا إرادة، وجعلوا فعله اضطرارياً، لا كسب له فيه[(٢)]،

---

(١) الجواب الصحيح ١/ ٧ والصفدية ٢/ ٣١٣. ولهذا قال بعض العلماء: إن المعطّل كعابد عدم وأن المشبه كعابد وثن.

(٢) وهذا مخالف لقوله تعالى: قال تعالى :﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١] .

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿يَاأيها الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[البقرة: ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

فهذه الآيات تثبت أن للانسان كسب وأنه محاسب على كسبه. هذا عدا الآيات والأحاديث=

فهم أثبتوا فعل الربّ، ونفوا فعل العبد وكسبه، وقالوا: إنه كالريشة، في مهب الريح وكحركة رمش العين والقلب .. ونحوه؛ وعلى قولهم فكل ما يحصل من فعل فهو فعل اللَّه كالأكل والشرب والنكاح والزنا وغيرها من الأفعال صالحها وفاسدها تعالى اللَّه عن ذلك علواً كبيراً.

والقدرية: يُنكرون قضاء اللَّه في أفعال العبد، ويقولون: " إن الأمر أُنف، فأنكروا علم اللَّه ومشيئته وخلقه لأفعال العباد، وإن العبد قادر مختار، فلا يتعلق فعله بقضاء الله "(١)، فهم أثبتوا فعل العبد، ونفوا فعل الربّ، فجعلوا العبد هو

= الكثيرة والتي تأمر بإقامة الصلاة وأداء الزكاة والحج والصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والنهي عن الزنا وأكل الربا وشرب الخمر .. وغيرها وهذا لا يخاطب به إلا من له كسب وإرادة.

(١) وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[سورة الفرقان آية ٢] أي: كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتسخيره، وتدبيره وتقديره.[تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠١٩، طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي مشروع مكتبة طالب العلم - الطبعة الخامسة] . وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[سورة الصافات آية ٩٦] يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى «الذي» تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب «أفعال العباد»، عن حذيفة ﷺ مرفوعا قال رسول الله ﷺ : «إن الله يصنع كل صانع وصنعته». [أخرجه البخاري في خلق أفعال والحاكم، والبيهقي في الأسماء، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٦٣٧]. وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام:﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الشعراء آية ٧٨]. يعني: لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء،﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ أي: هو الخالق الذي قدر قدرًا، وهدى الخلائق إليه، فكل يجري على ما قدّر، وهو الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء.[تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[سورة القصص آية ٦٨]. يخبر=

الذي يخلق فعله، فكأنه خالق مع اللَّه وقالوا: إن اللَّه لا يقدر على مقدور العبد.

= تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ أي: ما يشاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده، ومرجعها إليه.[تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٣٣/ ٢١٣٤] قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر آية ٤٩]، كقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ وكقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرْقة القَدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة. فعن أبي هُرَيرَة قال ﷺ: " جاء مشركو قريش إلى النبيﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾.رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .٢١٥٧وعن ابن زُرَارة، عن أبيه، عن النبيﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، قال: «نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله».[رواه الطبراني في معجمه، وأبي نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٥٣٩].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول اللهﷺ :« لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم و إن ماتوا فلا تشهدوهم». [رواه الحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥١٦٣]. وانظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٧١٩ . وعَنْ عَمْرِو بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَاوُسٍ أَنَّهُ قَالَ أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِﷺ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ قَالَ وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ :كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ«.[رواه أحمد ٥٦٢٧، رواه مسلم ٤٧٩٩].وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». [رواه مسلم . ٤٧٩٧] .

وعليه فإنه إرادة العبد غلبت إرادة الرب عياذاً بالله، ولهذا سمَّاهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة. فقال: " القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم "[١]. أي: لا تشهدوا جنازتهم .

أما أهل السنة فيثبتون قضاء اللَّه في أفعال العبد: ويقولون: إن العبد له قدرة واختيار وإرادة أودعها اللَّه فيه متعلقين بقضاء اللَّه وإرادته؛ فهم أثبتوا فعل الرب، وفعل العبد، لكن فعل العبد لا يخرج عن قضاء اللَّه وقدره، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾[٢] فنسب الخلق لله، ونسب العمل للعبد، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾[٣]. فاثبت مشيئة للعبد، وأثبت مشيئة للرب وجعل مشيئته قيد وشرط لمشيئة العبد. فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة [٤]، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل اللَّه . ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «وأفعال العباد خلق اللَّه وكسب من العباد» - أثبت للعباد فعلا وكسباً، وأضاف الخلق لله تعالى . والكسب : هو الفعل الذي يعود على

(١) رواه أبو داود والحاكم من حديث ابن عمر، وحسنه الألباني صحيح الجامع ٤٤٤٢ .
ووجه المناسبة - (والله أعلم) أن المجوس يثبتون إلاهين : إله النور وهو إله الخير، وإله الظلمة وهو إله الشر، والقدرية جعلوا كل الناس آلهة لأنهم يخلقون فعلهم .

(٢) سورة الصافات آية ٩٦ .

(٣) سورة التكوير آية ٢٩ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/ ٣٣٣ و ١٤/ ٣٢٧ .

(٥) الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[(١)]، [(٢)].

النوع الثالث : وسطيتهم في الوعد والوعيد والمقصود به مآل العبد في الآخرة عند الله:

فالوعد: هو ما أعدّه اللَّه تعالى لعباده المؤمنين من فضله وكرمه في جنة الخلد .

والوعيد : هو ما أعدَّه اللَّه لمن عصاه من عذاب النار وأهوالها .

فالوعيدية يقولون: فاعل الكبيرة إن مات عليها، ولم يتب فإنه مخلّد في النار" .

والمرجئة يقولون عنه: لا يدخل النار ولا يستحق ذلك. فهم لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية .

وأهل السنة وسط فيه بين الوَعيدية (الخوارج)، وبين الوَعدية (المرجئة) .

فأهل السنة فيقولون : إن فاعل الكبيرة الذي يموت عليها ولم يتب، مستحق لدخول النار دون الخلود فيها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾، [(٣)] فهو تحت مشيئة اللَّه تعالى، ولقوله ﷺ: " **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** " .[(٤)]

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ١/٧، والصفدية ٢/٣١٣ . شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص ٤٤٤ ط. جمعية إحياء التراث الإسلامي.

(٣) سورة النساء آية ٤٨ .

(٤)رواه أحمد١٢٧٤٥، وأبو داود، ٤١١٤، وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح الجامع٣٧١٤

ووجه الدلالة : إن من أمته ﷺ من يفعل الكبائر فيكون مستحقاً للعذاب، لكن لا يكون كافراً، ولهذا يشفع فيهم النبي ﷺ .

النوع الرابع : وسطيتهم في حقيقة أسماء الإسلام والإيمان والدِّين

وهذا في باب أسماء الإسلام والإيمان والدِّين، أي ماذا نُطلِق على من يفعل الكبيرة، في الدنيا ؟ أنُسمّيه مؤمناً، أم كافراً ؟ فهذا غير باب الأحكام في الآخرة، الذي هو (الوعد والوعيد) .

فأسماء الإسلام والإيمان والدّين: هي الحدود الشرعية التي علّق الشارع عليها أحكامه في الدنيا والآخرة. فهي ألفاظ ذات مدلولات شرعية ربط الشارع بينها وبين أحكامه الشرعية إثباتاً ونفياً .

* فأهل الوعيد (الخوارج والمعتزلة) :

فالمعتزلة قالوا : إن من ارتكب الكبيرة فهو يخرج من مسمى الإيمان ولكن لا يدخل الكفر بل يكون في منزلة بين المنزلتين (لا هو مؤمن ولا كافر). والخوارج قالوا: إنه كافر، وليس في الدين منزلة بين المنزلتين: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾(١) فهو خرج من الإيمان ودخل الكفر، فهو كافر حلال الدم والمال ولهذا خرجوا على الأئمة وكفَّروا الناس! وهذا أحد ثمرات فهم الإيمان عندهم وهو أن الإيمان كل لا يتجزأ، فإذا ذهب بعضه ذهب كله .

* وأما أهل الوعد (المرجئة) فقالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان . يَسرق، ويزني ويشرب الخمر، ويقتل، ويقطع الطريق . ونقول

(١) سورة يونس آية ٣٢ .

له: أنت مؤمن كامل الإيمان كرجل فعل الواجبات والمستحبات، وتجنّب المحرمات، أنت وهو في الإيمان سواء. مثل إيمان الأنبياء . وأما الأعمال الصالحة فليست من الدّين [١] فهؤلاء وأولئك على الضّد في الاسم وفي الحكم .

وهذا نتيجة فهم الإيمان عندهم؛ فبعضهم (الجهمية والمرجئة) يفهم الإيمان على أنه المعرفة فقط، فالإيمان- عندهم- لا يزيد ولا ينقص، وبعضهم (مرجئة الفقهاء) يُخرج العمل عن مسمى الإيمان .

لكن المعتزلة يقولون : لا مؤمن ولا كافر، وجعلوه في منزلة بين المنزلتين . والحرورية [٢] يقولون : «إنه كافر» .

وأهل السنة وسط فيه بين المرجئة من جهة، وبين المعتزلة والحرورية الذين يُسمونه غير مؤمن من جهة أخرى، ويقولون : إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، وحملوا على ذلك حديث (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) أي كامل الإيمان، وذلك لأن اللَّه أطلق الإيمان على مرتكب الكبيرة. قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ فأثبت لهما أخوة الإيمان، مع قوله ﷺ (قتال المؤمن كُفر) فدلّ ذلك على أنه له حظ من اسم الإيمان، وله حظ من اسم الكُفر، فيكون مؤمن ناقص الإيمان .فيكون المراد بالكفر : كفراً دون كفر وعليه فسّر بعض السّلف قوله تعالى : ﴿وَمَا

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٢٧٨ .

(٢) الحرورية : فرقة من الخوارج سكنوا حروراء يرون قضاء المرأة للصلاة وقت الحيض ويقولون بتكفير الأمة ويبرؤون من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويستحلون أموال وفروج أعدائهم .

يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[١] . أنه شرك دون شرك أي : أنه شرك أصغر لأن الإيمان لا يجامع الشرك الأكبر . أو أنه مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، وأن الإيمان ذو شُعب ، وأنه يزيد وينقص ، وأن الناس فيه يتفاضلون .

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : " بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله ، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة "[٢] .

النوع الخامس : الموقف من أصحاب النبي ﷺ

وهذا يشمل عدة نقاط :

١- تعريف الصحابي :

فالصحابي نسب للصحابة : وهو كل من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام .

٢- فضل الصحابة :

من القرآن : قال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ﴾ ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣] وقال تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ

(١) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٢) مجموع الرسائل الكبرى ١/ ٢٧٨ .

(٣) سورة الفتح آية ٢٩ .

مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[١] .

من السنة :

قال رسول اللَّه ﷺ : " **لا تسبّوا أصحابي ؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نَصيفه** "[٢] .

٣- موقفنا من الصحابة : نحبهم جميعاً ولا نبغضهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، فحبّهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كُفر ونفاق وطغيان ونترضى عليهم، وندعو لهم، وندعو اللَّه ألا يجعل في قلوبنا غلّا عليهم " .

٤- موقفنا مما شجر بين الصحابة : الواجب علينا : أن نسكت عمّا شجر بين الصحابة؛ كما قال ﷺ : " **إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا** "[٣] .

٥- حكم من سبَّ الصحابة :

أ- سبّ واقترن سبه بكفر :

فزعم أنهم ارتدوا بعد الرسول ﷺ، أو فسقوا .

فهذا لا شك في كُفره، وكذلك من توقف في تكفيره، وقد أجمع أهل المذاهب الأربعة على كُفر من كَفَّر الصحابة أو سبهم :

قال الحنفية : من سَبَّ الشيخين (أبي بكر وعمر رضي اللَّه عنهما) ولعنهما،

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٢) رواه البخاري ٣٤٧٠، رواه مسلم ٢٥٤٠ . والمُدّ : ما يملأ الكفين .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ٢ / ٢٨ / ٢، وابن عدي في الكامل ١/ ٣٤٣، وعبد الرزاق في الأمالي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٥ وانظر الصحيحة ٣٤ .

كَفَرَ، وكذلك من كَفَّر عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم[١].

وقال المالكية: إن قال: «كانوا - أي الصحابة - على ضلال وكُفر، قُتِل[٢].

وقال الشافعية: ويقطع بتكفير كل قائلٍ قولًا يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير الصحابة[٣].

وقال الحنابلة: من زعم أن الصحابة ارتدّوا أو فسقوا بعد النبي ﷺ، فلا ريب في كفره.[٤]

قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكُفر، قُتِل؛ وإذا شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس، نُكِّل نكالًا شديداً»[٥].

ب- من سبَّهم سباً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم:

مثل وصف بعضهم بالبُخل أو الجُبن أو قلة العلم أو عدم الزهد، فهذا يستحق التأديب والتعزير، ولا يُحكم بكفره بمجرد ذلك.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن سبّ أصحاب رسول اللّه ﷺ أو أحداً منهم فهو مبتدع رافضي، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم. فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس

---

(١) الفتاوى الهندية: ٤ / ٢٦٤

(٢) الشفاء ٢/ ٣٠٨.

(٣) روضة الطالبين. ١٠/ ٧٠ وبمعناه في مغني المحتاج ٤/ ١٣٦.

(٤) الصارم المسلول ٥٨٦.

(٥) الشفاء ٢ / ٣٠٨.

له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قُبِل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده في المجلس حتى يتوب ويرجع [(١)].

ج- من لعن وقبَّح : فعند أحمد خلاف لتردد الأمر بين لعن الغيظ، ولعن الاعتقاد .

فالخلاصة : أن أهل السنة وسط بين الروافض، والنواصب [(٢)] والخوارج .

فالروافض: بالغوا في حب آل النبي ﷺ وأبغضوا أصحابه ﷺ وغلوا فيهم، حتى رفعوهم فوق منزلتهم من العصمة وعلم الغيب، فاستغاثوا بهم .

والنواصب والخوارج يبغضونهم ويسبونهم، بل ويكفرونهم واستحلوا دمائهم .

وأهل السنة : يحبون الصحابة جميعهم، وينزلون كل واحد منزلته التي يستحقها من غير غلو ولا تقصير، وقوله: (ونحب أصحاب رسول اللّه ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم أو نبغضهم، أوبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[(٣)] كما قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

---

(١) شذرات البلائين ١/ ٤٩- ٥٠ للشيخ حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ طبعة ١٣٥٧ السنة في مصر .

(٢) النَّوَاصِبِ والناصبية وأهل النصب هم الَّذِينَ يوالون الصحابة، وينَاصَبُوا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ الْعَدَاءَ والأذية والطعن فيهم، وأخذوا يتكلمون فيهم، ويلعنوهم لِأَسْبَابٍ وَأُمُورٍ سِيَاسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ، وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة وَلَمْ يَعُدْ لِهَؤُلَاءِ وُجُودٌ الْآنَ والحمد الله . أما الرافضة الآن فيُطلقون هذا اللقب (النواصب) على أهل السنة . انظر : تاج العروس١/ ٩٤٧، وشرح العقيدة الواسطية محمد خليل هراس ١ / ٣٤٤ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٤٦٧ .

النوع السادس : وسطيتهم من المنقول والمعقول

أهل السنة وسط بين :

المعتزلة؛ ومن تبعهم من المتكلمين، الذين غلوا في المعقول حيث قدموه على المنقول- الكتاب والسنة - وجعلوا دلالة المنقول خبرية محضة محتملة (للصدق والكذب)، فهو (المنقول) لا يفيد القطع، بعكس المعقول (عندهم) الذي يفيد القطع، فردّوا بذلك ما دلّ عليه كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف من عقائد :كعذاب القبر ونعيمه والشفاعة ونحوهم من العقائد ونفوا أسماء اللَّه تعالى وصفاته .

والأشعرية : الذين غلوا في المنقول؛ (في باب الحكمة والتعليل) فنفوا العِلل والحِكَم التي جعلها اللَّه مناطاً للأحكام وشرائع دينه .

وقالوا : إنما يأمر وينهى بمحضِ الإرادة فقط، لا لعلة ولا لحكمة .

وتوسّط أهل السنة والجماعة، فلم يقبلوا من المنقول إلا ما صحّ سنده، وصحت دلالته، ولا من المعقول إلا ما كان صحيح البناء ولم يعارض كتاب اللَّه، ولا سنة رسوله ﷺ ولا إجماع سلف الأمة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

وهذا الموضع (المنقول والمعقول) غلط فيه طائفتان من الناس :

١- طائفة غالية : غلت في المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولاً من المعقول وقدّمته على الحسّ ونصوص الرسول ﷺ .

٢- وطائفة جَفت عنه : فردّت المعقولات الصريحة، وقدَّمت عليها ما ظنته من السمعيات والحسّيات : وهكذا الناس في السمعيات نوعان، وكذلك هم في

الحسّيات الباطنة والظاهرة نوعان .

فيجب أن يُعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضاً، بل يصدّق بعضه بعضاً، بخلاف الباطل، فإنه مختلف متناقض، كما قال تعالى في المخالفين للرسل: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩)﴾[(١)] .

وإن ما عُلِم بمعقول صريح، لا يخالفه قط لا خبر صحيح ولا حس صحيح، وكذلك ما عُلِمَ بالسّمع الصحيح، لا يعارضه عقل ولا حسّ، وكذلك ما علم بالحسّ الصحيح، لا يناقضه خبر ولا معقول "[(٢)] .

كما أن قواعد الشريعة العامة لا تخالف ولا تمنع الأخذ من العلوم العصرية النافعة، بل هي على مراتب ثلاث :

إما واجبة أو مستحبة أو مباحة، ومحل ذلك كتب القواعد الفقهية .

* * *

---

(١) سورة الذاريات .

(٢) الجواب الصحيح ٣ / ١٣٣ .

المطلب الثاني

الغلو في العبادات

وهو يدخل في النوع الثاني من أنواع الغلو، وهو الغلو الجزئي العملي .

فالمراد بالجزئي : هو ما كان متعلقاً بجزئية أو أكثر من جزئيات الشريعة الإسلامية .

والمراد بالعملي : ما كان متعلقاً بباب العمليات، فهو محصور في جانب الفعل، سواء أكان قولًا باللسان أو عملًا بالجوارح .

والعملي هنا : المقصود به ما كان عملًا مجرداً ليس نتاج عقيدة فاسدة، فأما إن كان كذلك فهو غلو عقدي، وبالمثال يتضح المقال :

١- فالذي يقوم الليل كله، يعد غالياً غُلواً عملياً .

٢- أما الذي يعتزل مساجد المسلمين، لأنه يراها مساجد ضرار . فهذا غالٍ غلواً كلياً اعتقادياً (١) .

إن هذا الدِّين بُني على اليسر ورفع الحرج، يقول - عليه الصلاة والسلام - : "إن اللَّه لم يبعثني معنّتاً، ولكن بعثني معلِّماً ميسّراً " (٢) .

صور من الغلو في العبادات :

١- يقول أنس بن مالك ﷺ في وصف صلاته - عليه الصلاة والسلام - :

---

(١) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة ص: ٧٧ د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

(٢) رواه أحمد ٣ / ٣٢٨، ومسلم ٢ / ١١١٣، .

«**كان رسول اللَّه ﷺ أخفّ الناس صلاة في تمام**»[١]، وكان - عليه الصلاة والسلام - يأمر أصحابه بالتخفيف . فقد صلى معاذ بن جبل رضي الله عنه ليلة بقومه، فافتتح البقرة، فانحرف رجلٌ فسلَّم ثم صلى وحده وانصرف، فقالوا له : أنافقت يا فلان؟ ! فقال : لا واللَّه ! ولآتين رسول اللَّه ﷺ فلأُخبرَنه، فأتى رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول الله! إنَّا أصحاب نواضح [٢]، نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة فأقبل رسول اللَّه ﷺ على معاذ فقال :**يا معاذ أفتان أنت ؟! ، اقرأ بكذا، واقرأ بكذا**» .

وفي رواية البخاري كررها ثلاثاً . وفي رواية أنه قال : (**اقرأ والشمس وضحاها، والضحى، والليل إذا يغشى، وسبح اسم ربك الأعلى**) [٣] .

٢- وعن عبد اللَّه بن مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : **قال رجل : يا رسول اللَّه ﷺ ! إني لأتأخر عن الصلاة في الفجر، مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول اللَّه ﷺ، ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذٍ، ثم قال : يا أيها الناس ! إن منكم منفّرين! فمن أمّ الناس فيلتجوّز؛ فإن خلفه الضعيف، والكبير، وذا الحاجة** [٤] .

٣- وعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : «**آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي**

---

(١) أحمد ٣ / ٢٥٥، ورواه البخاري ١/ ١٨١، ومسلم ١ / ٣٤١، والترمذي ١٤٧، والنسائي ٢/ ٦٤، وابن ماجه ٩٨٥ .

(٢) النّواضحُ : الإبل التي يستقي عليها الماء . [النهاية ٥/ ٦٩] .

(٣) رواه أحمد ٣ / ١٢٤ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣١٨ - ٣٦٩، والبخاري ٢ / ١٧٩، ومسلم ١/ ٣٣٩، وأبو داود ٧٩، والنسائي ٢ / ٩٧ - ٩٨، وابن ماجه ٩٨٦ .

(٤) رواه البخاري ١ / ١٨٠ ومسلم ١ / ٣٤٢ .

الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ كُلْ! قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ»(١).

قال الحافظ: وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يُفضي إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها، على فعل المستحب المذكور(٢).

٤- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **«جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»**(٣).

---

(١) رواه البخاري ٤ / ٤٩، الترمذي ٢٤١٣

(٢) فتح الباري ٤ ص: ٢١٢، وينظر الشاطبي، الموافقات ٢ / ١٤٣-١٤٦.

(٣) رواه البخاري: ٥٧٥٩.

المطلب الثالث

الغلو في المعاملات

وهو التشدد بتحريم كل شيء . حتى لو كان وسيلة مثل تحريم الترفة من الطعام أو الشراب أو العمل .

قال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾[1] .

وقد حذَّر رسوله ﷺ من مشابهة أهل الكتاب، فقد سأل رجلٌ النبي ﷺ فقال: إن من الطعام طعاماً أتحرج منه فقال: «لا يختلجن في نفسك شيئاً ضارعت فيه النصرانية»[2] والمعنى: «لا يدخل في قلبك ضيق وحرج، لأنك على الحنيفية السهلة، فإذا شككت وشددت على نفسك بمثل هذا شابهت فيه الرهبانية»[3] .

وهذا التشدد يؤدي غالباً للانقطاع عن العمل بأمرين :

أولًا : السآمة والملل ثم العجز وقد عبّرت عنه النصوص أحياناً بتبغيض العبادة أو الملل أو العجز ونحو ذلك وإلى هذه المعاني أشارت النصوص الآتية :

أ- فعن عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال:

(١) سورة المائدة آية ٧٧.

(٢) رواه أحمد ٥/٢٢٦، وأبو داود ٣٧٨٤ كتاب الأطعمة : باب في كراهية التقذر من الطعام، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٦٦٣ وحجاب المرأة المسلمة ٩٢ .

(٣) انظر : عون المعبود ٣/٤١٢ أبو الطيب الآبادي - الطبعة الهندية.

«من هذه ؟ قالت : فلانة، تذكر من صلاتها، قال : «مه، عليكم بما تطيقون، فواللَّه لا يمل اللَّه حتى تملوا" وكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه»(١) .

ب- وعن عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ أنه قال : **إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق.** "(٢)

ج- وقوع الخلل :

فالعمل متى ما كان مؤديًا إلى خلل في العامل - نفسي أو بدني - بأن يعذب الإنسان نفسه أو يمنعها عن لوازم الحياة تدينًا وتعبدًا فإنه من المشقة على النفس.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها . فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول اللَّه ﷺ إليهم **فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما واللَّه إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**(٣) .

فالنبي ﷺ استنكر عليهم هذا الفعل، لأنه تحريم للطيبات المدفوع إليها البشر بالغرائز الطبيعية، وفي منع الإنسان نفسه عنها إيقاع خلل بنفسه، كما

(١) رواه البخاري ٤٣ في كتاب الإيمان.
(٢) رواه أحمد في مسنده، والبيهقي في سننه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢٢٤٦ .
(٣) رواه البخاري ٥٠٦٣، وغيره .

قال ابن عباس ﷺ : "بينما كان النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم فقال النبي ﷺ مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه"[(١)] .

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ : " وفيه أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلًا مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة كالمشي حافياً والجلوس في الشمس ليس من طاعة اللَّه، فلا ينعقد به النذر "[(٢)] . ، [(٣)]

ويقابل هذا التشدد تساهل كمن قال : " بحِلِّ كل شيء ينمّي المال ويقوي والاقتصاد حتى الربا، والغش، وغير ذلك " ، وبجواز الفوائد الربوية عن طريق التعامل مع البنوك والمؤسسات المالية الاستثمارية[(٤)] .

تحت مسوغات واهية كقولهم : إن الربا عصب الحياة ولا بد منه لقيام المجتمعات، وأنه أصبح ضرورة للأمة تستدعيه الحياة المعاصرة .

وكذلك بجواز العمل في البنوك والمصارف الربوية [(٥)] . وبيع الخمور

---

(١) رواه البخاري ٦٧٠٤، وغيره .

(٢) فتح الباري ١١/ ٥٩٠ .

(٣) انظر : الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة للشيخ عبد الرحمن اللويحق ٣٨٤ - ٣٨٩ .

(٤) انظر : حوار لا مواجهة ٩٤، والفتاوى للشيخ شلتوت ٣٢٦ .د. أحمد كمال أبو المجد، الشيخ محمود شلتوت رَحِمَهُ اللَّهُ ، والاستاذ محمد عبده رَحِمَهُ اللَّهُ انظر : الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم. لغازي التوبة ٥٤ . ، والاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا انظر: تفسير المنار ٤/ ١٠١، وانظر : مفهوم تجديد الدين ١٣٠ .

(٥) انظر : أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ٣٢ للشيخ يوسف القرضاوي . وقريب منه قول الشيخ شلتوت، والفتاوى ٣٤٨ .

ولحم الخنزير على غير المسلمين .[١]

والوسط أن يقال : " تُحل المعاملات المبنية على العدل، وهي ما وافق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة "[٢].

أما التطبيقات العملية لمنهج التيسير المعاصر في مجالات الأسرة فكثيرة جداً، فمن جواز الاختلاط بين الجنسين، إلى عدم وجوب لبس النساء الحجاب الشرعي[٣] .

ومنها دعوة الشيخ القرضاوي : إلى أن اشتراك المرأة في التمثيل أمر ضروري لا بد منه، ومن غير المقبول إنشاء قصة خالية من المرأة[٤] .

وبجواز مصافحة المرأة الأجنبية [٥]، وسفر المرأة بغير محرم [٦]، وزواج المسلمة بالكتابي، وبقاء المرأة تحت الكافر إذا أسلمت[٧] .

---

(١) الشيخ شلتوت الفتاوى ٣٨٠، وكذلك الشيخ مصطفى الزرقا رحمه الله انظر : فتاوى مصطفى الزرقا ٥٦٣ .

(٢) انظر : معجم التعريفات والضوابط والتقسيمات ٣٢٦ للعلامة ابن عثيمين رحمه الله .

(٣) انظر : مناقشة هادئة لبعض أفكار الدكتور الترابي، للأمين الحاج محمد أحمد ١٢٨، وانظر : المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع للترابي ٢٧، وانظر : كتب حذَّر منها العلماء للشيخ مشهور حسن حفظه الله ١/ ٣٢٥، وانظر : حديث إلى الشباب المتطرف للدكتور عبد المنعم النمر ٨٥ .

(٤) مجلة المجتمع عدد ١٣١٩/ ٤٤، ومجلة الدعوة ١٦٧٢/ ٣٤ .

(٥) انظر : المراة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع ٤٢ للدكتور الترابي ٤٢، وانظر : فتاوى معاصرة ٢/ ٢٩٤ للقرضاوي .

(٦) انظر : الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ٦٨ للقرضاوي .

(٧) انظر : الدكتور الترابي وفساد نظرية تطوير الدين ٦٢ . وممن يقول بذلك د. طه جابر العلواني، وانظر : مقاصد الشريعة عبد الجبار الرفاعي ١٢٣ . وكذلك الشيخ عبد الله=

وقالوا : بتجويز دخول المرأة في مجالات السياسة بلا قيود، ومشاركتها في الانتخابات والمجالس النيابية، بل وبالقضاء، وأن تكون إماماً للمصلين من الرجال . (١) وغيرها كثير نسأل اللّه السلامة والعافية .

ثانياً تزاحم الحقوق:

وقد وقع هذا لبعض صحابة رسول الله ﷺ فعن ابي جحيفة عن أبيه رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان(٢) وأبي الدرداء(٣)، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء(٤)، متبذلة(٥). فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك

= العلايلي . انظر : أين الخطأ تصحيح مفاهيم ونظرية تجديد للشيخ عبد اله العلايلي ١١٤ - ١١٧ . (انظر : منهج التيسير المعاصر دراسة تحليلية) . عبد الله إبراهيم الطويل حفظه الله .

(١) انظر : أولويات الحركة الإسلامية د. القرضاوي ١١٣، انظر ردود ومناقشات حول تولي المرأة الولايات العامة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله. (رداً على د. يوسف القرضاوي).

(٢) سلمان الفارسي، صحابي، من مقدمي الصحابة، عمّر طويلًا وقصة إسلامه طويلة عجيبة حيث تنقل من المجوسية إلى النصرانية ثم إلى الإسلام، وولي إمارة المدائن، وكان متواضعاً يتصدق بعطائه وتوفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ ينظر سير أعلام النبلاء ١/ ٥٠٥ ، والإصابة ٤/ ٢٢٣ ، الأعلام ٣/ ١١٢ .

(٣) هو عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي أبو الدرداء، صحابي كان تاجراً قبل البعثة في المدينة، ثم انقطع للعبادة، ولي القضاء الخزرجي وهو أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً مات بالشام سنة ٣٢ هـ وله ١٧٩ حديث ينظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٣٥ ، والإصابة ٧/ ١٨٢ ، الأعلام ٥/ ٩٨ .

(٤) هي خيرة بنت أبي خدر صحابية تعرف بأم الدرداء حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن زوجها، وروى عنها جمع من التابعين توفيت بالشام نحو عام ٣٠هـ، ينظر: الأعلام ٢/ ٣٢٨ .

(٥) التَّبذُّلُ: ترك التديُّن والتَّهيُّؤ بالهيئة الحسنة الجميلة [النهاية ١/ ١١].

أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء ابو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل قال: فبإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل، ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم فنام ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفيه جواز النهي عن المستحبات، إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري ١٩٦٨ في كتاب الصوم.

(٢) انظر: فتح الباري ٤/ ٢١٢، والموافقات للشاطبي ٢/ ١٤٣-١٤٦.

المطلب الرابع

الغلو في العادات

وهو التّشدد في التّمسك بالعادات القديمة، وعدم التحول إلى ما هو خير منها .

ومن هذه العادات :

١- استئذان ابن العم قبل خطبة الفتاة - ابنة عمه - من رجل غريب عن العائلة.

وهذه العادات والبدع العجيبة والقبيحة، أن الرجل يمنع ويحجز بنت عمه (وإن كانت لا ترغب به) ظناً وزعماً أنه أولى بها، وليس على هذا الظن القبيح دليل شرعي، إلا عادات وأعراف ما أنزل اللَّه بها من سلطان، وهذا مخالف لقوله ﷺ : " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض "(١).

ومخالف كذلك قوله ﷺ: «لا تنكحُ الأيمُ (٢) حتى تستأمر، ولا تُنكحُ البكرُ(٣) حتى تستأذن، قيل: وكيف إذنها؟ قال: إن تسكت "(٤).

٢- ومنها عدم تمكين الزوج من النظر إلى زوجته إلا ليلة الزواج وهذا فيه

(١) رواه الترمذي ١٠٨٤، وابن ماجه ١٩٦٧، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٢٢).

(٢) الأيم : من سبق لها الزواج .

(٣) البكر : التي لم يسبق لها الزواج .

(٤) رواه البخاري ٥١٣٦، ومسلم ١٤١٩ .

تشدد فقد قال عليه الصلاة والسلام : " إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعوه إليها فليفعل "(١) .

وفي حديث آخر قال لجابر ﵁: «انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكُما»(٢) . وجاء من حديث جابر ﵁ قال: «فكنت أتخبأ لها، حتى رأيت منها بعض ما دعاني إلى نكاحها»(٣) . وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخِطْبَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ»(٤) .

ويقابل هذا التشدد والغلو والتساهل والتفرط .

٢- خلوة الرجل مع خطيبته لوحدهما .

وهذه من الأمور المحرمة لأنه لا يجوز لفتاة أن تخلو مع رجل أجنبي لقوله ﷺ : «لا يخلو رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»(٥)، لم يعقد عليها، وهذا الفعل من أعظم الأسباب لوقوع ما لا يحمد عقباه بين الطرفين، وهذا يقع عند الخروج لتناول وجبة الطعام أو للنزهة، أو حتى لخلوة بها في البيت، ثم تجد الرجل يفسخ الخطبة بحجة عدم التفاهم .

---

(١) رواه أبو داود ٢٠٨٢، وغيره، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٦ .

(٢) رواه الترمذي ٣/ ٣٩٧ (١٠٨٨)، والنسائي ٣/٣٧٨ (٣٢٣٥)، وابن ماجه ٢/ ٤١٨ (١٨٦٥).

(٣) رواه أحمد١٤٦٢٦، وأبو داود ٢٠٨٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(٤) رواه أحمد٢٣٦٥١، والطبراني٩٢٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٧ وفي السلسلة الصحيحة ٩٧ .

(٥) رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٦ .

٣- دخول جمع من الرجال مع المعرس ليوصلوه إلى زوجته، أمام النساء.

وهذا الأمر فيه مدعاة للاختلاط والنظر إلى النساء وهن في كمال زينتهن، وهو محرم.

٤- جلوس المعرس مع عروسه وهما في كمال الزينة، أمام النساء الأجانب[١].

وهذا كسابقة لا يخلو من الفتنة سواء للرجال أو للنساء. وقد أمر اللَّه الرجال والنساء بغض البصر قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾[٢].

وهناك عادات وأعراف سيئة كثيرة، تختلف باختلاف المجتمعات والقبائل. وبعضها متأصل وبعضها وافد إلى المجتمعات الإسلامية من المجتمعات الغربية الكافرة.

أما إن كانت العادات متساوية في المصالح، فإن كون الإنسان يبقى على ما هو عليه خير من تلقي العادات الوافدة[٣].

* * *

(١) انظر: رسالة «عادات وليست عبادات» للشيخ راشد سعد العليمي حفظه الله ص ٣٧ - ٣٩.

(٢) سورة النور آية ٣٠- ٣١.

(٣) انظر شرح كشف الشبهات والأصول الستة للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

تقويم الفصل السادس

- السؤال الأول : ما أقسام الخلاف ؟ وما موقف أهل السنة والجماعة منها؟

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

- السؤال الثاني: لقد أمرنا الشرع بالاجتماع ونهانا عن التفرق والاختلاف . اكتب دليلًا من الكتاب والسنة يؤكد هذا المعنى ؟

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

- السؤال الثالث: للإنصاف مظاهر . اكتب ثلاثة منها ؟

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

- السؤال الرابع : وضح وسطية أهل السنة والجماعة باختصار في كل من:

القضايا	قول أهل السنة والجماعة	الفِرق الضالة في هذا الأصل
أسماء اللَّه وصفاته		
الوعد والوعيد		
حقيقة الإيمان		
أفعال اللَّه (القضاء والقدر)		
أصحاب النبي ﷺ		
المنقول والمعقول		

- **السؤال الخامس : ضع (√) أمام الجملة الصحيح و (×) أمام الجملة الخطأ.**

١- الوسطية هي الاعتدال . ( )

٢- من أدلة سهولة ووضوح نصوص أهل السنة أنه لا يعرفها إلا المثقف( )

٣- لا تهدر حسنات العالم بهفواته ولا يتبع بسقطاته . ( )

٤- الذي يقوم الليل كله، يُعد غالياً غلواً عقدياً ( )

٥- من الغلو في المعاملات التشدد في تحريم كل شيء. ( )

- **السؤال السادس : اختر من المجموعة الأولى مع ما يناسبه من المجموعة الثانية**

م	المجموعة الأولى	الإجابة	المجموعة الثانية
١	**الاتفاق على المنهج.**		**التساهل في العادات.**
٢	**التفتيش عن العيوب.**		**الغلو في العبادات.**
٣	**خلوة الرجل بخطيبته.**		**التحذير من تعدي الحدود.**
٤	**حادثة أبو الدرداء مع زوجته (وتبذلها).**		**مخالفته بدعة في الدين يجب التنزه عنها.**
٥	**أهل السنة والوسطية.**		**عدم الانصاف بين الأقران.**

❊ ❊ ❊

الفصل السابع

أصــول الــدعــوة السـلفيــة

- المبحث الأول: الرجوع إلى الكتاب والسنة وفهمهما على فهم السلف الصالح رضوان اللَّه عليهم .
- المبحث الثاني : الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العمل لله وحده.
- المبحث الثالث : تحذير الناس من الشرك على اختلاف مظاهره.
- المبحث الرابع : الدعوة إلى الاتباع ونبذ التقليد .
  - ١- المطلب : الاتباع
  - ٢- المطلب الثاني : التقليد
- المبحث الخامس : نبذ البدع والأفكار الدخيلة .
- المبحث السادس : طلب العلم النافع .
- المبحث السابع : التصفية والتربية .
- المبحث الثامن: الأخلاق والتزكية .
- المبحث التاسع : تحذير المسلمين من الأحاديث الضعيفة والمنكرة .
- المبحث العاشر : نبذ التّحزّب والتّعصَب بكافة أنواعه وألوانه .
- المبحث الحادي عشر: السَّعيُ نحو استئناف الحياة الإسلامية

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

الرجوع إلى الكتاب الكريم، والسنة النبوية الصحيحة وفهمهما على النهج الذي كان عليه السّلف الصالح رضوان اللّه عليهم(١)

إن الرجوع إلى الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة والاجتماع على ما كان عليه الصحابة في العقيدة والشريعة والسلوك - هو سبيل المؤمنين، وقد قامت على ذلك الأدلة الكثيرة منها :

أولًا : من القرآن

١- قال تعالى : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾(٢) .

٢- وقال تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾(٣) فقوله تعالى : ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما أجمعت عليه الأمة المحمدية، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقًا، فإنه قد ضُمِنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ، تشريفًا لهم وتعظيما لنبيهم، والذي عول عليه الشافعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الاحتجاج على كون

---

(١) انظر الفصل الرابع المبحث الأول والثاني والثالث، والفصل الخامس المبحث الثاني .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٧ .

(٣) سورة النساء آية ١١٥ .

الإجماع حجة تَحْرُم مخالفته هذه الآية الكريمة، بعد التروي والفكر الطويل. وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها[١].

ووجه الدلالة من الآيتين ظاهر، حيث علّق سبحانه الهداية والنجاة على لزوم سبيل الصحابة، الذين هم أول المؤمنين وسادات المتقين، مما يدل على لزوم اتباع منهجهم.

ثانياً : من السنة

١- قال رسول اللَّه ﷺ : " **إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب اللَّه وسنة نبيه**»[٢].

٢- عن عبد اللَّه بن مسعود ﵁ قال: «خط ﷺ خطًّا مستقيماً، وخطَّ عن يمينه وشماله خطوطاً كثيرة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[٣].

وبيَّن أن الخط المستقيم هو صراط اللَّه الموصل إليه، وأن هذه الخطوط التي عن يمينه وشماله طرق منحرفة، على كل طريق منها شيطان يدعو إليه[٤].

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٦٦ - الشعب لابن كثير رحمه الله .
(٢) الحاكم في المستدرك ١/٩٣ . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٤٠ .
(٣) سورة الأنعام آية ١٥٣ .
(٤) رواه الإمام أحمد ١/ ٤٣٥، والنسائي في الكبرى : ٣٤٣، والدارمي : ٢٠٨، وابن حبان ٦ ، ٧، وابن عاصم في السنة ١٧ ، واللالكائي في السنة : ٩٢ ٩٣ ، ، ٩٤، وابن نصر في السنة : ١٤ ، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه الحاكم، وابن كثير، والألباني، وغيرهم .

لهذا فالأمر عظيم، وتبيُّن سبيل المؤمنين واجب، ومعرفة طريق المجرمين مطلوب، حتى لا يقع المسلم في الضلال وهو لا يدري، وحتى لا تختلط عليه السُبل وتشتبه .

كما قال تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[١] . ولا يقع فيما وقع فيه بعض من يزعم أنه من أهل السنة والجماعة، وهو لا يدعو للعقيدة الصافية، ولا يوالي لأجلها .

إن مَن فارَقَ المؤمنين، وسلك طريقاً مخالفاً لطريقهم، فقد شاق اللَّه ورسوله وفارق الجماعة، وضلَّ عن السبيل المستقيم .

٣- عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال: «**كان رسول اللَّه ﷺ في خطبته يحمد اللَّه ﷻ بما هو أهله، ثم يقول: من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأصدق الحديث كتاب اللَّه ﷻ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**».[٢]

٤- وعن عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمي وحُجْر الكلاعي قالا: " دخلنا على العرباض بن سارية رضي الله عنه وهو الذي فيه نزلت: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾[٣] وهو مريض - فقلنا له: إنّا جئناك زائرين وعائدين ومقتبسين، فقال عرباض رضي الله عنه: «**إن رسول اللَّه ﷺ صلى صلاة الغداة، ثم أقبل علينا**

(١) سورة الأنعام آية ٥٥ .
(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ١٨٦٠ .
(٣) سورة التوبة آية ٩٢ .

بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! إن هذه لموعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى اللَّه، والسّمع والطاعة - وإن أُمِّرَ عبدٌ حبشيّ - فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" (١).

ثالثاً: من آثار الصحابة رضوان اللَّه عليهم:

فعن بكير بن عبد اللَّه الأشج قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " إن ناسا يجادلونكم بشُبَه القرآن، فخذوهم بالسُنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب اللَّه عز وجل (٢).

وهكذا نجد أن سلامة الاعتقاد وصحته هي الطريق الوحيد لإقامة المجتمع المسلم المترابط المتآلف، ولا سبيل إلى اجتماع الأمّة الإسلاميّة قاطبة، ووحدة صفها، وعزّها وسعادتها في الدّنيا والآخرة؛ إلا بالعودة الصّحيحة إلى الإسلام الصّافي النّقي من شوائب الشّرك، والأهواء والبدع.

وهذا يقتضي من كل مسلم أن ينبذ كلّ المذاهب والمناهج الحادثة المخالفة لما كان عليه سلف الأمة، وأن تكون له عناية فائقة بمذهب السّلف الصالح، وعقيدتهم ومنهجهم.

---

(١) رواه أحمد: ١٤٤٥٥، وأبو داود: ٣٩٩١، والترمذي: ٢٦٠٠، وابن ماجة: ٤٤، والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤٩.

(٢) الشريعة ٥٥ للآجرِّي.

رابعاً : من أقوال السّلف :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " وإذا تأمّل اللّبيب العاقل هذه الأمور[١]، تبيّن له أنّ مذهب السّلف والأئمّة في غاية الاستقامة والسّداد، والصّحة والاطّراد، وأنّه مقتضى المعقول الصّريح، والمنقول الصّحيح، وأن من خالفه كان - مع تناقض قوله المختلف الذي يُؤْفكُ عنه من أُفِكَ - خارجاً عن موجب العقل والسّمع، مخالفاً للفطرة والسّمع "[٢].

خامساً من أقوال المعاصرين :

يقول الدكتور مصطفى حلمي حفظه اللَّه : " وإذا كان المسلمون يتلمّسون اليوم طريقاً للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح؛ والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسّنة، وهذا خلاصة الاتجاه السَّلفي "[٣].

فما أصاب المسلمين من ضرر فبسبب تفرقهم عن الحق، وعدم اجتماعهم عليه . والحق الذي تَرَكَنا عليه رسول اللَّه ﷺ أبلجُ واضحٌ، كما قال ﷺ : " قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك "[٤].

---

(١) يقصد اختلاف أهل البدع في مسائل الاعتقاد واضطرابهم فيها .

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٢١٢- ٢١٣ .

(٣) قواعد المنهج السلفي ص ١٣ .

(٤) رواه أحمد : ٤/ ١٢٦، وأبو داود : ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجة : ٤٣ وغيرهم، وصححه الترمذي والبزار والضياء المقدسي والحاكم ووافقه الذهبي، انظر الإرواء: ٢٤٥٥ للألباني، وجامع العلوم والحكم ص : ١٨٧ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٦٩ .

والدعوة للاجتماع بدون أساس من العقيدة الصحيحة : دعوة باطلة، يروِّج لها من لا فقه عنده في الدين؛ فليس معنى الدعوة للائتلاف أن نقول لأهل العقيدة الصحيحة اجتمعوا مع أهل البدع والمناهج المنحرفة، بحجة عدم التفرق كما يزعمه المنحرفون، وإنما نطلب من أهل الانحراف أن يتركوا انحرافاتهم ومناهجهم وأحزابهم الضالة ويعودوا إلى طريق أهل العقيدة الصحيحة، فيحصل الاجتماع على كلمة سواء بين أهل الحق وغيرهم على كلمة التوحيد والمنهج السديد.

وقد جمع الرسول ﷺ أصحابه على الحق والعقيدة الصحيحة والمنهج القويم، فألَّف اللَّه به بينهم بعد الفرقة، وجمعهم بعد الشَّتات، وقوَّاهم بعد الضعف، وأعزَّهم بعد الذلَّة؛ قال اللَّه تعال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1]، [2]

* * *

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٢) منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله ١٤-١٥ للشيخ عبد الله بن محمد المعتاز .

المبحث الثاني

الدعوة إلى التوحيد وإخلاص العمل لله وحده

إن كلمة التوحيد وإخلاص العمل لله وحده : هي التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر اللَّه عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسست الملة، ونُصبت القبلة، وُجردت سيوف الجهاد .

وهي محض حق اللَّه على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للمال والدم والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار .

وهي المنشور [١] الذي لا تدخل الجنة إلا به، والحبل [٢] الذي لا يصل إلى اللَّه إلا من يتعلق به [٣] وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر عن دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، فقد قال رسول اللَّهﷺ : **«من كان آخر كلامه لا إله إلا اللَّه، دخل الجنة»**[٤]، [٥] .

---

(١) أي حديث البطاقة التي كُتب فيها لا إله إلا الله . . .) .

(٢) أي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ فقد فسّر بعض أهل التفسير الحبل بأنه كلمة التوحيد .

(٣) السَبَبُ الحبل .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٥ / ٢٤٧، أبو داود : ٣١١٦، والحاكم في مستدركه ١ / ٣٥١، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦٤٧٩ .

(٥) الداء والدواء، ابن القيم، ص : ٣٣٢ .

وفي رواية: «**إلا وجبت له الجنة**».

والسَّلفيون عندما يُنادون بوجوب الدعوة إلى التوحيد، لا يقصدون أنهم ينادون بالدعوة إليه مجرداً، بل لا بد أن يتعرضوا إلى شيء من مقتضياته ولوازمه المختلفة .

والأخذ بالأولويات لا يعني أخذ الأولى وترك ما سواه، أو أخذ الأهم وترك المهم، فالإسلام دين شامل، قائم على الأركان والواجبات والسنن المستحبات.

فعلى الدعاة أن تكون انطلاقتهم من التوحيد، فكل دعوة لا تقوم على هذا الأساس - في أي زمان وأي مكان - فإنها دعوة قاصرة ناقصة، ويُخشى أن يكون نصيبها إما الفشل، وإما الانحراف عن الصراط المستقيم، أو هما معاً؛ لأن هذا أصل عظيم من أصول الدين، متى غفلت عنه الأمم، وقعت في كارثة الشرك والابتداع[(١)] وعليه؛ فإن على الدعاة والمصلحين - من الأفراد والجماعات - أن يبدؤوا دائماً وأبداً - وفي كل الظروف والأحوال - بالدعوة إلى التوحيد أولًا، واستفراغ الوسع فيه، مع عدم إغفال شيء من مقتضياته ولوازمه، التي يُبدأ فيها بالأهم فالمهم، على ضوء المشكلات والأمراض التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية، على اختلاف بيئاتها وتباين قضاياها»[(٢)] وسنأخذ نبذة مختصرة عن المقصود بالتوحيد وأهميته، وأقسامه ولوازمه :

---

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل ص : ٢٣ .

(٢) التوحيد في مسيرة العمل الإسلامي بين الواقع والمأمول. لعبد العزيز بن عبد الله الحُسيني ص ٤٧ .

أولاً : تعريف التوحيد

التوحيد لغةً : مصدر وَحَّدَ يُوحِّد أي جعل الشيء واحدا، ولا يتم هذا التوحيد إلا بنفي وإثبات، فننفي الألوهية عن غير اللَّه ونثبتها لله وحده(١).

قال تعالى : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾(٢).

التوحيد شرعاً : هو إفراد اللَّه سبحانه وتعالى بما يختص به(٣). من : الربوبية، والأسماء والصفات، والألوهية.

ثانياً : أهمية التوحيد

١- التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾(٤).

٢- إن من حقق التوحيد الكامل، دخل الجنة دون حساب ولا عذاب؛ لقوله ﷺ : «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي انْظُرْ إِلَى الْأُفُقِ الْآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ بَعْضُهُمْ فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ

(١) انظر : شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين .

(٢) سورة ص آية . ٥

(٣) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين رحمه الله .

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ هُمْ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ "(١) .

٣- إن من حقق التوحيد لم يخلَّد في النار : لقوله ﷺ : "**فإن اللَّه حرَّم على النار من قال : لا إله إلا اللَّه، يبتغي بذلك وجه اللَّه**"(٢) .

٤- إن التوحيد هو أول دعوة الرسل - صلوات اللَّه وسلامه عليهم - لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٣) .

٥- إن التوحيد يُكفِّر الذنوب؛ قال تعالى في الحديث القدسي : «**يا ابن آدم! مهما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان منك، وإن استقبلتني بملء السماء والأرض خطايا وذنوباً، استقبلتك بملئهن من المغفرة، وأغفر لك ولا أبالي**»(٤) .

٦- إن التوحيد يعصم الدَّمَ، وتقوم عليه عقيدة الولاء والبراء؛ لقوله ﷺ : «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه**»(٥) .

٧- إن التوحيد هو أول حق على العباد : كما قال رسول اللَّه ﷺ لمعاذ رضي الله عنه :

---

(١) رواه البخاري ٥٩٩١، ومسلم ٣٢١ .
(٢) رواه البخاري ٤٠٧، ومسلم ٣٣ .
(٣) سورة النحل آية ٣٦ .
(٤) رواه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٤١ .
(٥) رواه البخاري ٢٤، ومسلم ٣١ .

«يا معاذُ بن جبلٍ ! هل تدري ما حقُّ اللَّه على عباده، وما حقُّ العباد على اللَّه ؟ فإن حق اللَّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على اللَّه أن لا يُعذِّب من لا يُشرك به شيئاً»(١) .

٨- إن التوحيد هو أول أمر في القرآن الكريم : قال تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾(٢) .

٩- إن التوحيد أول أمر يجب على الداعي أن يدعو الناس إليه : لقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن : "**إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه**"(٣) .

١٠- إن التوحيد هو أول بند من القاعدة المشتركة، والكلمة السواء التي بيننا وبين الكفار، إن أرادوا الإسلام وهي الانطلاقة لما يُسمّى اليوم بحوار الحضارات أو الأديان . قال تعالى : ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٤) .

١١- إن التوحيد مما كان الرسول ﷺ يعلِّمه الصبيان والغلمان الصغار؛ كقوله لابن عباس رضي اللَّه عنهما وهو غلام : "**يا غلام ! إني أعلمك كلمات : احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك**

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد ٢٦٤٤، ولمسلم كتاب الإيمان : ٤٣ . من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، ولمسلم كتاب الإيمان : ٤٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١ .

(٣) رواه البخاري ١٣٦٥، ومسلم ٢٨ .

(٤) سورة آل عمران آية ٦٤ .

بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك رُفعت، الأقلام وجفّت الصُحف " . [(١)]

١٢- كلمة التوحيد خفيفة على اللِّسان، ثقيلة في الميزان، حبيبة إلى الرحمن قال رسول اللَّه ﷺ : " كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان اللَّه وبحمده، سبحان اللَّه العظيم "[(٢)] .

ولقوله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ لا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَال: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ قَالَ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلا يَثْقُلُ شَيْءٌ»[(٣)] .

١٣- لا تقوم الساعة على أهل التوحيد : لقول الرسول ﷺ : " **لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : اللَّه اللَّه** "[(٤)] .

---

(١) رواه أحمد ٢٥٣٧، والترمذي ٢٤٤٠، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٣٤ .

(٢) رواه البخاري ٥٩٢٧، ومسلم ٤٨٦٠ .

(٣) رواه أحمد ٦٦٩٩، والترمذي ٢٥٦٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٧٦ .

(٤) أي لا يقال : لا إله إلا الله انظر شرح النووي، رواه أحمد، ومسلم عن أنس رضي الله عنه.

١٤- التوحيد هو دين الفطرة : قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾(١)، وقال رسول اللَّه ﷺ ذات يوم في خطبته : " **ألا إن ربي أمرني أن أُعلِّمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا. كل مال نحلته عبداً، حلال. وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم . . . .** "(٢).

١٥- مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو قومه إلى العقيدة، وخاصة التوحيد.

١٦- التوحيد سبب الاستخلاف في الأرض : قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾(٣)؛ فالتمكين في الأرض يستلزم وصفا سابقاً عليه، وهو عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وبعد حصول التوحيد، وتحقيقه يكون الاستخلاف والتمكين.

ثالثاً : أقسام التوحيد

قسّم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

١- توحيد الربوبية:

وهو أحد قسمي توحيد الإثبات والمعرفة، وهو : الإقرار بأن اللَّه وحده هو خالق كل شيء، ورازقه، ومالكه، والمتصرف فيه .

(١) سورة الروم آية ٣٠ .

(٢) رواه مسلم ٥١٠٩ .

(٣) سورة النور آية ٥٥ .

٢- توحيد الأسماء والصفات[١] :

ويسمى بتوحيد الإثبات والمعرفة أو العلمي :

وهو الإقرار بأن لله تعالى الأسماء الحسنى والصفات العلا، فنثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ دون تشبيه ولا تعطيل، ولا تكييف؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].

(١) انظر الشكل رقم ١ .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

قواعد في الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات

أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ورسوله ﷺ وأن ننفي عنه ما نفاه عن نفسه ورسوله ﷺ أن نسكت عن ما سكت عنه الله ورسوله ﷺ ويكون الإثبات دون تحريف أو تشبيه أو تمثيل .

القاعدة الأولى: أسماء الله وصفاته (توقيفية) لا تثبت إلا بالكتاب والسنة.
القاعدة الثانية: يجب إجراء نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها دون تحريف.
القاعدة الثالثة: ظاهر نصوص الصفات معلومة باعتبار المعاني ومجهولة باعتبار الكيفية.
القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني فلفظ(القرية) مثلاً يرد به القوم تارة ومساكن القوم تارة أخرى

قواعد في أسماء الله تعالى

١ ـ أسماء الله تعالى كلها حسنى: أي بالغة في الحسن غايتها قال تعالى: {ولله الأسماء الحسنى} .
٢ ـ أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف: أعلام باعتبار دلالتها على الذات. وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.
٣ ـ أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعد تضمنت ثلاثة أمور:
أ ـ ثبوت الاسم لله (ب) ثبوت الصفة (جـ) ثبوت حكمها ومعناها وأثرها.
٤ ـ أسماء لله غير محصورة بعددٍ معيّن.

قواعد في صفات الله تعالى

١ ـ صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها.
٢ ـ باب الصفات أوسع من باب الأسماء لأن كل اسم متضمن لصفة ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى التي لا منتهى لها.
٣ ـ صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

ثبوتية

كالحياة والعِلم ... وهي ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ

منفية (سلبية)

وهي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ كالموت والنسيان والعجز.

ذاتية

وهي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها كالعِلم والقدرة والسمّع والوجه واليدين

فعلية

وهي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء والنزول والفرح

شكل رقم (١)

٣- توحيد الألوهية :

ويسمى بتوحيد الإرادة والقصد والطلب :

وهو إفراد اللَّه تعالى وحده بالعبادة، فلا صلاة، ولا قيام، ولا زكاة، ولا صيام، ولا ذبح ولا نذر، ولا خوف ولا رجاء، ولا محبة ولا رغبة . . . إلا له وحده سبحانه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[الأنعام: ١٦٢] [١] .

- **العبادة:**

العبادة لغةً : التذلل والخضوع.

العبادة شرعاً : " اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة "[٢].

أركان العبادة : وللعبادة ركنان : ١- كمال الذل. ٢- كمال الحب.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذّل ومعنى الحبّ، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى، بغاية المحبة له " .[٣]

والعبادة لا تُقبل حتى يتوفر فيها شرطان :

(أ) الإخلاص : أي أن تكون خالصة لله، فلا يشركه فيها معه شيء .

(ب) المتابعة : إفراد النبي ﷺ بالاتباع؛ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٤] أي لا يُرائي بعمله، بل يكون عمله

---

(١) العبودية لابن تيمية ١ .

(٢) العبودية لابن تيمية (١).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/ ٣٦١، والعبودية ص ٥.

(٤) سورة الكهف آية ١١٠ .

خالصا لوجه اللَّه تعالى، موافقاً لشرع اللَّه، من واجب ومستحب، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة[١]. قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾[٢] أي أخلَصُه وأصوَبُه [٣].

من لوازم دعوة التوحيد :

محبة أهل التوحيد، ومناصرتهم بالنفس والمال، وبغض أعدائهم. قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾[٤].

وقال ﷺ: «**ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكُفر كما يكره أن يُقذف في النار**»[٥].

وقد بلغ الصحابة رضي الله عنهم بحبهم لإخوانهم الموحّدين شأناً بعيداً، حتى آثروهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة، وحتى فارقوا أعداء التوحيد وناصبوهم العداء مهما قربوا منهم من جهة النّسب أو الأوطان، فخرجوا من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦٧٢ للعلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٢) سورة الملك آية ١-٢ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١٢٣٣ للعلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٤) سورة التوبة آية ٢٤ .

(٥) البخاري ١٦، ومسلم ٤٣ .

ديارهم، وهاجروا لدينهم، تاركين أموالهم وأولادهم وعشيرتهم ابتغاء مرضاة اللَّه .

واستقبلهم إخوانهم الذين تبوَّؤوا الدار والإيمان من قبلهم، وأحبوهم وآثروهم على أنفسهم، وضربوا أمثلة رائعة في ذلك لم يعهدها التاريخ، وما ذلك إلا بسبب جذوة الإيمان التي في قلوبهم، والحبّ لأجله الذي أنساهم ما عداه، فصار ولاؤهم للتوحيد، وعداؤهم لأجله .

قال أحد السّلف : «ليتق أحدكم أن يكون يهوديًّا أو نصرانيّاً . قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[(١)] فإنه من يوالي المشركين فهو منهم» .

وكثير ممن يقوم بأعمال كبيرة يظن أنه يخدم الإسلام وهو في الحقيقة يهدم أركانه ويقوِّض بنيانه .

فيجمع التبرعات الطائلة، والأموال الكثيرة والزكوات والصدقات، ويعطيها أصحاب المبادئ المنحرفة عن الصراط المستقيم، ويظن أنه على حق، وأنه يساعد الدعاة، وهو في الحقيقة يقوي أهل البدع والخرافات على أهل التوحيد والعقيدة الصحيحة . وسبب ذلك : الانحراف في عقيدة الولاء والبراء، والمحبة التي هي شرط من شروط كلمة التوحيد[(٢)] .

* * *

(١) سورة المائدة آية ٥١ .

(٢) منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله للشيخ عبد الله بن محمد المعتاز .

المبحث الثالث

تحذير الناس من الشرك على اختلاف مظاهره

أولًا : تعريف الشرك :

الشرك في اللغة : الشريك جمعه شُركاء، والمشترك خلط المُلكين، وقيل : ما كان لك ولغيرك فيه حصة أو نصيب . يقال : شركته وشاركته واشتركوا، نحو قول موسى عن هارون ؑ . في قوله تعالى : ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ .(١)

الشرك شرعاً : أن تجعل لله شريكا، أو أن تجعل لله نداً سواءً استقلالاً أو تصرفاً. كقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾(٣)، (٤) .

ثانياً : أقسام الشرك : (انظر الشكل ٢)

١- **شرك الربوبية** : وهو الشرك بأفعال اللَّه تعالى، وينقسم إلى قسمين :

أ) شرك التعطيل : وهو نفي بعض أفعال اللَّه أو كلها : كشرك الدّهرية وغلاة الجهمية، وشرك فرعون والنمرود - في السابق، والشيوعيين والملاحدة في الوقت الحاضر (٥) .

ب) شرك من جعل مع اللَّه إلهاً آخر في الخلق والتصرف ولم يعطل أفعال

---

(١) سورة طه آية ٣٢ .

(٢) سورة الإسراء آية ١١١، سورة الفرقان آية ٢ .

(٣) سورة القصص آية ٦٢ - ٧٤، وسورة فصلت آية ٤٧ .

(٤) انظر المفردات للراغب ٢٥٩ .

(٥) وهو في الواقع إلى الكفر والجحود أقرب .

اللَّه : كالمجوس الذين اعتقدوا أن هناك إلهين : إله النور وإله الظلمة، وكشرك غلاة الرافضة الذين اعتقدوا في بعض أئمتهم أنهم يتصرفون في ذرات هذا الكون، وكذلك غلاة المتصوفة.

٢- **شرك الأسماء والصفات** : وهذا الشرك ينقسم إلى أقسام وهي :

القسم الأول شرك التشبيه :

أ- تشبيه المخلوق بالخالق : كشرك عُبَّاد القبور وشرك النصارى، والأولياء، الذي أعطوا بعض صفات اللَّه للمخلوق : كالعلم والقدرة، وفي الأفعال : كجلب النفع، ودفع الضر، وهذان الشركان يؤديان في النهاية إلى شرك الألوهية .

ب- تشبيه الخالق بالمخلوق : كشرك الممثلة (المشبهة) الذين يقولون : إن له يداً كيدنا، وكاعتقاد اليهود، أن اللَّه يتعب، وأنه بخيل، وأنه تنطلي عليه الحيل (والعياذ بالله).

القسم الثاني شرك الاشتقاق : وهو أن يشتقوا من أسماء اللَّه الحسنى منها أسماء لآلهتهم؛ كما اشتق مشركوا العرب قبل البعثة من اسم اللَّه تعالى المنان (مناة)، ومن العزيز (العُزّى)، ومن اللَّه (اللّات)، وأطلقوا هذه الأسماء على آلهتهم الباطلة .

القسم الثالث شرك التّسمية : وهو أن يسموا اللَّه بما لم يسمِّ به نفسه ؛ كما أطلقت النصارى اسم (الأب) على اللَّه . والفلاسفة يُطلقون (العِلة الفاعلة) على اللَّه .

رابعاً جحد شيء من الأسماء والصفات : قال تعالى : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾(١) ، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾(٢) ، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ

(١) سورة الرعد آية ٣٠ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٠ .

﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[١] .

٣- شرك الألوهية : وينقسم شرك الألوهية إلى قسمين، هما :

القسم الأول: الشرك الأكبر، وهو أن يصرف شيئاً من العبادة لغير اللَّه كالذبح والاستعاذة والخوف، والرجاء، والنذر والتعظيم والسجود والركوع؛ قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[٢] .

القسم الثاني : الشرك الأصغر :

١- كيسير الرياء والتصنع للخلق : قال رسول اللَّه ﷺ : «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدَّجال؟ قالوا: « بلى يا رسول الله»، قال: «الشرك الخفي: أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجلٍ»[٣] .

٢- شرك الألفاظ : كقول الرجل للرجل : ما شاء اللَّه وشئتَ، وهذا من اللَّه ومنك، وأنا باللَّه وبك . . ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : «أن رجلا قال للنبي ﷺ : ما شاء اللَّه وشئت؛ فقال : أجعلتني لله ندّاً ؟! بل ما شاء اللَّه وحده»[٤] . ومنه الحلف بغير اللَّه كمن يحلف بالنبي ﷺ والعباس والحسين والبدوي، والسيدة زينب وغيرهم وقوله ﷺ : «من حلف بغير اللَّه، فقد كفر أو أشرك»[٥] .

---

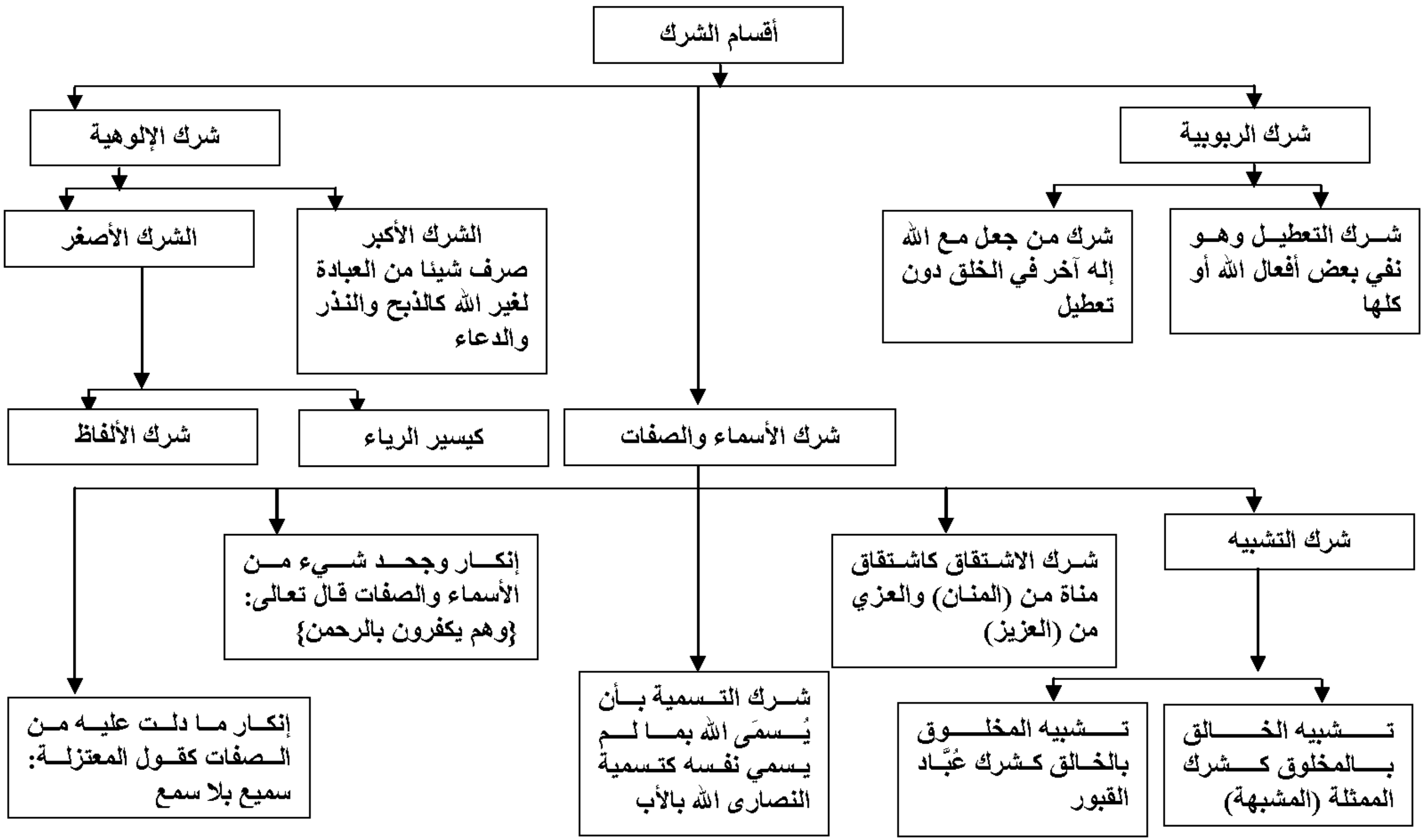
(١) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٢) سورة النساء آية ٣٦ .

(٣) رواه أحمد ١٠٨٢٢، وابن ماجة ٤١٩٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦٠٧ .

(٤) رواه أحمد ١/ ٢١٤ ٢٢٤، ، والبخاري في الأدب المفرد ٧٨٣، وصححه الألباني .

(٥) رواه احمد ٥٧٩٩،والترمذي ١٤٥٥، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٠٤ .


أقسام الشرك
شرك الربوبية
شرك الإلوهية
شرك التعطيل وهو نفي بعض أفعال الله أو كلها
شرك من جعل مع الله إله آخر في الخلق دون تعطيل
الشرك الأكبر صرف شيئا من العبادة لغير الله كالذبح والنذر والدعاء
الشرك الأصغر
شرك الأسماء والصفات
كيسير الرياء
شرك الألفاظ
شرك التشبيه
شرك الاشتقاق كاشتقاق مناة من (المنان) والعزي من (العزيز)
إنكار وجحد شيء من الأسماء والصفات قال تعالى: {وهم يكفرون بالرحمن}
تشبيه الخالق بالمخلوق كشرك الممثلة (المشبهة)
تشبيه المخلوق بالخالق كشرك عُبَّاد القبور
شرك التسمية بأن يُسمَى الله بما لم يسمي نفسه كتسمية النصارى الله بالأب
إنكار ما دلت عليه من الصفات كقول المعتزلة: سميع بلا سمع

(شكل ٢)

ثالثاً : أسباب الشرك

١- الغلو في الصالحين :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ۝٢٣﴾(٢)، قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما (ود) كانت لكلب بدومة الجندل وأما (سواع) كانت لهذيل وأما (يغوث) فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبإ وأما (يعوق) فكانت لهمدان وأما (نسر) فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت»(٣).

وعنه أيضاً قال: «في قوله تعالى: ﴿ اللات والعزى ﴾ كان اللات رجلا يلت سويق الحاج»(٤).

وعن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝١٩﴾ قال كان

---

(١) سورة النساء آية ١٧١ .

(٢) سورة نوح آية ٢٣ .

(٣) رواه البخاري ٤٥٣٩ .

(٤) رواه البخاري ٤٥٧٨ .

يلت[١] السويق للحاج فعُكف على قبرة "[٢].

قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٣].

وقال رسول اللَّه ﷺ: " **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد اللَّه ورسوله** "[٤].

٢- التقليد:

قال تعالى عن المشركين: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[٥] وقال رسول اللَّه ﷺ: " **لتتبعن سَنَنَ مَن كان قبلكم، حذو القذة بالقُذَةِ**[٦]**، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** "، **قالوا: يا رسول اللَّه! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!** "[٧].

٣- الجهل بحقيقة ما بعث اللَّه به الرسول ﷺ:

من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك، فقلّ نصيبهم جداً من ذلك، ودعاهم، الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن فيهم من العلم ما يبطل دعوته فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل، وعُصموا بقدر ما معهم من

---

(١) يلِتّ: اللِّتَاتُ: ما فُتَّ من قُشُور الشَّجَر وقوله: «كان يَلُتُّ السَّويق عند الأصنام: أي يَخْلِطُه فخُفّف وجُعل اسْماً للصَّنَم». انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/ ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ٥٨.

(٣) رواه مالك في الموطأ، وأحمد في مسنده، وصححه الألباني في المشكاة.

(٤) البخاري ٣١٨٩.

(٥) سورة الزخرف آية ٢٢.

(٦) وفي رواية شبراً بشبر، أو ذراعاً.

(٧) رواه أحمد ٩٤٤٣، والبخاري ٦٧٧٥، ومسلم ٤٨٢٢.

العلم ؛ قال تعالى عن قوم موسى : ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[(١)] .

٤- أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ مختلقة :

وضعها أشباه عبّاد الأصنام، من القبورية، على رسول اللَّه ﷺ تناقض دينه، وما جاء به، كحديث : " إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور "[(٢)] . وحديث : " لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه "[(٣)] .

٥- قصص مكذوبة مختلقة حُكيت لهم عن تلك القبور :

أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدَّة، فخلُص منها، وفلاناً دعاه في حاجة فقُضيت له، وفلاناً نزل به ضرٌّ فاسترجى صاحب القبر، فكُشف ضره .

رابعاً : من أسباب استمرار الشرك وزيادة انتشاره :

الوقوف في وجه الدعوة السَّلفية لعدم إيصالها إلى الناس، وذلك من خلال خصومها أدعياء العلم، وهم كثير (لا كثّرهم اللَّه)، ولا يكاد يخلو منهم بلد من بلدان العالم الإسلامي [(٤)] .

ولو قُدِّر للدعوة السَّلفية أن لا تتعرض لما تعرضت له من ضغوط مختلفة -

---

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية :« هذا الحديث كذب مفتري على النبيﷺ بإجماع العارفين بحديثه» مجموع الفتوى ١/ ٣٥٦ و ١١/ ٢٩٣ .

(٣) قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ : حديث موضوع . انظر : السلسلة الضعيفة ١/ ٤٥٢ ٤٥٠ .

(٤) واقرأ - إن شئت - الموسوعة القيّمة بعنوان (كتب حذَّر منها العلماء) لأبي عبيدة مشهور بن حسن حفظه الله لتقف على مئات الكتب التي تقدح وتطعن في الدعوة السَّلفية وبعلمائها، تلبيساً على العامة وإقراراً لهم على باطلهم، وجعل هذا سلاحاً بيد الخرافيين يحاربون به السَّلفيين .

من جانب خصومها وأعدائها - لتمكنت من نشر التوحيد الخالص، الذي سيوحِّد المسلمين كما وحدهم من قبل؛ ولذا يقول أحد أعدائها - والحق ما شهدت به الأعداء - وهو الدكتور طه حسين: « ولولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب[١]، وحاربوه في داره، بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها، لكان من المرجو جداً أن يوحّد هذا المذهب كلمة العرب في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، كما وحّد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول»[٢].

خامساً: خطورة الشرك:

١- الشرك أكبر الكبائر:

قال رسول اللَّه ﷺ: « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول اللَّه! قال: الإشراك باللَّه . . .** »[٣].

٢- الشرك يحبط العمل: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[٥].

(١) وكما لا يخفى فإن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله دعوة إصلاحية على منهج السَّلف - رضوان الله عليهم وليست مذهباً كما يعتقده معظم المسلمين اليوم الملبَّس عليهم زوراً وبهتاناً.

(٢) الحياة الأدبية في جزيرة العرب د. طه حسين، ص: ٣٧.

(٣) رواه البخاري ٢٤٦٠، ومسلم ١٢٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٨٨.

(٥) سورة الزمر آية ٦٤-٦٥.

٣- الشرك ذنب لا يغفره اللَّه :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[١] .

٤- الشرك أكبر سبب لدخول النار :

قال ﷺ : "**من مات وهو يدعو من دون اللَّه نداً، دخل النار** " .[٢]

٥-الشرك سبب للخلود في نار جهنم :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦﴾ .[٣]

٦-الشرك أكبر سبب لإهدار الدم بشروطه :

قال تعالى : ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾[٤] .

٧- الشرك سبب اجتناب الاهتداء في الدنيا والأمان في الآخرة :

قـال تـعـالـى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾[٥] .

وقد فسَّر النبي ﷺ (الظلم) بالشرك، وبمفهوم المخالفة أن المشرك لا اهتداء له في الدنيا، ولا أمان له في الآخرة .

٨- اجتناب الشرك سبب للاستقرار النفسي :

قال تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ

(١) سورة النساء آية ٤٨ .

(٢) رواه البخاري : ٤١٣٧ .

(٣) سورة البينة آية ٦ .

(٤) سورة التوبة آية ٣٦ .

(٥) سورة الأنعام آية ٨٢ .

يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾(١) .

٩- الشرك أعظم ذنب عُصي اللَّه به :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنْ مَسعود رضي الله عنه قَالَ : " **سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ** "(٢) .

١٠- الشرك أخفى في هذه الأمة من دبيب النَّمل :

قال رسول اللَّه ﷺ : " **الشرك فيكم أخفى من دبيبِ النَّمل، وسأدُلُّكَ على شيءٍ إذا فعلتهُ أذهبَ عنكَ صغارَ الشِّركِ وكبارَهُ، تقول : اللّهم إني أعوذُ بكَ أن أُشْرِكَ وأنا أعلمُ، وأستغفركَ لِما لا أعلمُ** "(٣) .

١١- الشرك خافه أكمل الناس وهم الأنبياء :

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾(٤) .

١٢- الشرك يوصي باجتنابه الآباء للأبناء :

قال تعالى : ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾(٥) .

١٣- الشرك سبب لحرمان دخول الجنة :

قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾(٦) .

---

(١) سورة الزمر آية ٢٩ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الحكيم الترمذي عن أبي بكر الصديق، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٢٥) .

(٤) سورة إبراهيم آية ٣٥ .

(٥) سورة لقمان آية ١٣ .

(٦) سورة المائدة آية ٧٢ .

١٤- المشرك مفترٍ وضالٌّ : وإثمه عظيم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾[(٢)].

١٥- المشرك نجس :

لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ﴾[(٣)].

١٦- المشرك عمله مردود:

لقول ﷺ : «**قال اللّه : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عِمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**»[(٤)].

١٧- حرمة الزواج من المشركين والمشركات :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾[(٥)].

١٨- وأن الشرك هو أول نهي في القرآن الكريم :

قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٦)].

١٩- الشرك سبب مانع من الاستغفار .

---

(١) سورة النساء آية ٤٨ .

(٢) سورة النساء آية ١١٦ .

(٣) سورة التوبة آية ٢٨ .

(٤) رواه مسلم ٢٩٨٥ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٢١ .

(٦) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

قال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾(١) .

سادساً : التحذير من الشرك :

قال تعالى :﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾(٢) . فقد أوصى لقمان ابنه الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد اللَّه وحده ولا يشرك به شيئًا، ثم قال محذرًا له: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ أي: هو أعظم الظلم(٣) .

وقال تعالى لنبيه ﷺ محذراً ومنذراً :﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٤) وقال تعالى لخليله إبراهيم عليه السلام :﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾(٥) وقال تعالى للأبناء :﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٦) فجمع وصيته تعالى بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما إلا أن اللَّه حذرنا من متابعتهما على دينهما إن كانا كافرين . وقال تعالى :﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٧) .

(١) سورة التوبة آية ١١٣.
(٢) سورة لقمان آية ١٣.
(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٦/٣٣٨ . طبعة الشعب .
(٤) سورة الزمر آية ٦٥ .
(٥) سورة الحج آية ٢٦ .
(٦) سورة العنكبوت آية ٨ .
(٧) سورة الأنعام آية ١٤ .

المبحث الرابع

الدعوة إلى الاتباع ونبذ التقليد

المطلب الأول: الاتباع

الاتباع في اللغة : مصدر اتبع الشيء وتبعه، إذا سار في أثره(١). كما قال تعالى عن موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(٢) .

وكما في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣) .

وقال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾(٥) .

وفي الحديث قال رسول اللّه ﷺ : " مَطلُ الغنيِّ ظلم، وإذا أُتْبعَ أحدُكم على مليءٍ فليتَّبع "(٦) .

وعلى ذلك فالكلمة تدور حول معنى اللحاق، والاقتفاء، والاقتداء. ومما يقترب من هذا المعنى كالتأسي والأسوة. يقال تأسى به، إذا اتبع فعله واقتدى به، وَأْتَسى به، أي اقتدى به وكان مثله (٧).

(١) انظر النهاية لابن الأثير ١/ ١٧٩، والراغب ٧٢ .

(٢) سورة الكهف آية ٦٦ .

(٣) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٤) سورة الكهف آية ٨٥ - وآية ٨٩ .

(٥) سورة الصافات آية ١٠ .

(٦) رواه البخاري ٢١٢٥، ومسلم ٢٩٢٤ .

(٧) انظر لسان العرب . مادة (أسا)٤/ ٣٤-٣٦ .

الاتباع شرعاً : هو - كما عرَّفه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : «أن يتَّبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد في التابعين مُخيَّر»[(١)] .

فاتباع النبي ﷺ، فيكون في القول ، ويكون في الفعل، ويكون في التَّرك .

فالاتباع في القول هو المؤدّي إلى مقتضاه من وجوب، أو ندب، أو حظر لأجله. والاتباع في الفعل أو في الترك هو إيقاع مثله في صورته على وجهه، لأجل أنه ﷺ أوقعه. يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً أهمية هذا الأمر : وذلك لأن المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلًا على وجه العبادة، شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان خصصناه بذلك. كمن كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يستلم الحجر الأسود، وأن يصلي خلف المقام، وكان يتحرى الصلاة خلف أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصعود على الصفا والمروة والدعاء والذكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما[(٢)] .

وقد أمرنا اللَّه بأن نتبع رسوله ﷺ ونمتثل أمره ونهيه في كل ما جاءنا به، فقال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(٣)] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه

---

(١) أضواء البيان ٧ / ٥٤٨ . ويحمل هذا القول بالنسبة للتابعين عند اختلافهم، أما عند اتفاقهم فالأخذ بقولهم متعين .

(٢) مجموع الفتاوى ١/٧٨ .

(٣) سورة الحشر آية ٧ .

فاجتنبوه؛ فإنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر»[١].

وجوب طاعة النبي ﷺ واتباع سنته :

١- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثلي ومثل ما بعثني اللَّه به، كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق**»[٢].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال : «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : ومن يأبىَ يا رسول اللَّه؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٣].

والمراد بالإباء هنا الامتناع عن التزام سنة رسول اللَّه ﷺ وعصيان أمره. والموصوف بالإباء إن كان كافراً لا يدخل الجنة أبداً، وإن كان مسلماً مُنع من دخولها مع أول داخل إلا من شاء اللَّه تعالى[٤].

الترهيب من مخالفة أمره ﷺ :

مثلما أمر رسول اللَّه ﷺ المسلمين بطاعته، فقد حذَّرهم من الخروج عن

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ١١٥، ومسلم، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ٤/ ١٧٨٨-١٧٨٩ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٩/ ١١٤ .

(٤) انظر فتح الباري ١٣/ ٢٥٤ .

سنته، ورهّبهم من تركها والإعراض عنها :

١- فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)] .

٢- وعن عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعاً : «من عمِل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد»[(٢)] .

- **مظاهر الاتباع:**

أولًا : الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به في الاعتقادات والأعمال ظاهراً وباطناً:

قال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[(٣)] .

- **ومتابعة النبي ﷺ لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة:**

١- السَّبب : فإذا تعبّد الإنسان لله عبادة، مقرونة بسبب ليس شرعيًّا فهي بدعة مردودة على صاحبها .

مثال ذلك : أن بعض الناس يحيي ليلة السابع والعشرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عُرج فيها برسول اللَّه ﷺ، فالتّهجد عبادة، ولكن لما قُرن بهذا السبب كان بدعة، لأنه بنى هذه العبادة على سبب لم يثبت شرعاً. . وهذا الوصف - موافقة العبادة الشرعية في السبب - أمر مهم يتبين به ابتداع كثير

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٢/٧، ومسلم، باب استحباب النكاح لمن تاقت إليه نفسه ووجد مؤنة ٢/١٠٢٠ .

(٢) رواه مسلم ٣٢٤٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١ .

مما يظن أنه من السنة وليس من السنة . ومثله يقال فيمن خصص رجب لعمرة أو زيارة القبور أيام الجُمع والأعياد .

٢- الجنس : فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبّد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة .

مثال ذلك : أن يُضحي رجل (بفرس) فلا تصح أضحيته؛ لأنه خالف الشريعة في الجنس، فالأضاحي لا تكون إلا من بهيمة الأنعام مثل : الإبل، البقر، الغنم . ومثله يقال في زكاة الفِطر عند من يرى أن زكاة الفطر تُخرج طعاماً من قوت البلد فلا تجزأ نقداً .

٣-العدد (القَدْر أو الكمية) : فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة، فهذه بدعة غير مقبولة؛ لأنها مخالفة للشرع في القدر؛ ومن باب أولى لو أن الإنسان صلى الظهر مثلًا خمساً، فإن صلاته لا تصح بالاتفاق .

٤- الصِّفـة (الكيفية والهيئة) : فلو أن رجلًا بدأ الصلاة بالسجود ثم الركوع لكانت صلاته باطلة. وكذلك لو بدأ العمرة بقص شعره ثم السعي ثم الطواف، ومثله يقال في الذِكر الجماعي كما في حديث عبد اللَّه بن مسعود ﷺ حين أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِى أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ. قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَىْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِى نَفْسِى فِى يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِىَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ، أَوْ مُفْتَتِحِى بَابِ ضَلَالَةٍ. قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ.

قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ»[١]. لأنها مخالفة للشرع بالكيفية .

٥- الزمان فلو أن رجلًا ضحى في أول أيام ذي الحجة، فلا تقبل الأضحية؛ لمخالفة الشرع في الزمان، وكذلك لو صلى قبل الوقت أو حج في غير أشهر الحج .

٦- المكان : فلو أن رجلًا اعتكف في غير المسجد، فإن اعتكافه لا يصح وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، ولو قالت امرأة : أريد أن أعتكف في مصلى البيت، فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان.

ثانياً : تحكيم السنة والتحاكم إليها

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[٢] .

وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾[٣] .

ثالثاً : الرضى بحكم رسول اللَّه ﷺ وشرعه :

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : «ذاق طعم الإيمان : من رضي باللَّه ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً

(١) رواه الدارمي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٠٠٥ .

(٢) سورة النساء آية ٥٩ .

(٣) سورة النساء آية ٦٥

ورسولًا»[١].

رابعاً : الوقوف عند حدود الشريعة :

وهذا الأمر ثمرة للرضى، فمن رضي بحكم رسول اللَّه ﷺ، ودينه وشرعه، وقف عند حدود شريعته، ولم يتجاوزها إلى غيرها، كما جاء في حديث عبد اللَّه بن مُغفل أنه سمع ابنه يقول: «اللهم إني أسألك القصر الأبيض، عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال: أي بُنيَّ ! سل اللَّه الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول ﷺ يقول: سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»[٢].

فمن التعدي في الطهور : الإسراف فيه، أو أن يتوضأ أكثر من ثلاث مرات، أو أن يتجاوز العضو الذي أُمر بوضوئه .

* * *

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولًا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبار، ١/ ٦٢ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مغفل، ٤/ ٨٦، ٨٧، وأبو داود ٤٥ الطهارة (باب الإسراف في الماء)، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٤، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني صحيح سنن أبي داود ٩٦، وانظر صحيح الجامع ٣٦٧١ .

المطلب الثاني

التقليد

التقليد لغةً : «هو جعل القلادة في العنق»(١) .

التقليد اصطلاحاً : «هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله»(٢) .

نشأة التقليد : وقد حدث التقليد في القرن الرابع الهجري (٣) .

- **ذمّ التقليد**

الأدلة من القرآن :

قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾ . (٥)

وقال تعالى : ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧﴾(٦) .

---

(١) المصباح المنير ٥١٢ .

(٢) مجمع الفتاوى ٢٣٣/٣٥، روضة الناظر ٤٥٠/٢ .

(٣) الرد على من أخلد إلى الأرض ١٣٣ للسيوطي .

(٤) سورة الزخرف آية ٢٣ – ٢٤ .

(٥) سورة الأنبياء آية ٥٢ - ٥٣ .

(٦) سورة الأحزاب آية ٦٧ .

الأدلة من آثار الصحابة :

١- قال عبد اللَّه بن مسعود ﷺ : " ألا لا يقلدن أحدكم دينه رجلًا ، إن آمن ، آمن ، وإن كَفَرَ ، كَفَرَ ؛ فإنه لا أسوة في الشر "(١) .

وقال أيضاً ﷺ : " كنّا ندعوا الإمَّعة في الجاهلية الذي يدعى إلى الطعام فيأتي معه بغيره ، وهو فيكم المحقب دينه الرجال " .(٢)

٢- قال ابن عباس ﷺ : " ويل للأتباع من عثرات العالم ! قيل : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : يقول العالم من قبل رأيه ثم يسمع الحديث عن النبي ﷺ فيدع ما كان عليه وفي لفظ : فيلقى من هو أعلم برسول اللَّه ﷺ منه فيخبره فيرجع ويقضي الأتباع بما حكم "(٣) .

٣- قال علي بن أبي طالب ﷺ : «إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة : فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق»(٤) .

---

(١) إعلام الموقعين ٢ / ١٩٥ لابن القيم .

(٢) المحقب دينه الرجال : أي الذي يقلد دينه لكل أحد . أي يجعل دينه تابعاً لدين غيره بلا حُجَّة ولا برهان ولا رويّة ، وهو من الإرداف الحقيبة النهاية ١/ ٤٠٢ إعلام الموقعين ٢/ ١٩٤ لابن القيم . رواه الحاكم في المستدرك ٧١٧٨ .

(٣) رواه البيهقي من حديث حماد بن زيد عن المثنى بن سعيد عن أبي العالية . انظر إعلام الموقعين ٢/ ١٩٣ لابن القيم . كأبي الحسن الأشعري رحمه الله رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ومضى أتباعه على الأشعرية - هداهم الله .

(٤) اعلام الموقعين ٢ / ١٩٥ لابن القيم .

- **من أقوال الأئمة :**

١- قال الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه»[(١)]. وقال : «إذا صح الحديث فهو مذهبي»[(٢)].

٢- وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «إنما أنا بشر، أُخطئ وأُصيب، فانظروا في رأيي : فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه»[(٣)]

٣- وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول اللَّه ﷺ ويعزب عنه فهمها . فمهما قلت من قول أو أصَّلت من أصل، وفيه عن رسول اللَّه ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قاله رسول اللَّه ﷺ، وهو من قولي»، ثم جعل يُردِّد هذا الكلام»[(٤)].

وقال أيضاً : «كل ما قلت؛ فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح، فحديث النبي ﷺ أولى، فلا تقلدوني»[(٥)].

٤- وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا تُقلدني، ولا تُقلد مالكاً، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي، ولا الثوري، وخُذ من حيث أخذوا»[(٦)].

---

(١) ابن عابدين في « حاشية» على البحر الرائق ٦ / ٢٩٣، وابن القيم في : إعلام الموقعين " ٢/ ٣٠٩ .

(٢) ابن عابدين في الحاشية ١/ ٦٣، والشيخ صالح الفلاني في إيقاظ الهمم ص ٦٢ .

(٣) أورده ابن عبد البر في الجامع ٢/ ٣٢، وأورده الفلاني في إيقاظ الهمم ص ٧٢ .

(٤) رواه الحاكم بسند متصل إلى الشافعي، وابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ٣٦٣، ٣٦٤، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٥/ ١/ ٣ .

(٥) رواه ابن أبي حاتم وأبو نعيم وابن عساكر ١٥/ ٩/ ٢ .

(٦) أورده الفلاني في إيقاظ الهمم ١١٣، وابن القيم في إعلام الموقعين ٢/ ٣٠٢ .

- **أضرار التقليد**: وللتقليد أضرار كثيرة، منها :

١- التقليد أدى إلى تقديم الرأي المجرد عن الدليل، على الحُكم المستند إلى الدليل، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1] .

٢- التقليد يؤدي إلى التعصّب المذهبي، ومن ثم الاختلاف في العقائد والأحكام.

٣- التقليد رسَّخ في أذهان المسلمين مفاهيم خاطئة،كقولهم: (اختلاف أُمتي رحمة).

٤- التقليد خلَّف آثاراً سيئة في حياة الأمة، كالجمود الفقهي، وإغلاق باب الاجتهاد .

٥- في التقليد إبطال منفعة العقل؛ لأنه إنما خُلق للتأمل .

والتقليد نوعان : عام وخاص .

فالعام : أن يلتزم مذهباً معيناً يأخذ برخصه وعزائمه في جميع أمور دينه، وقد اختلف العلماء فيه :

فمنهم من حكى تحريمه لما فيه من الإلتزام المطلق لاتباع غير النبي ﷺ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ "إن في القول بوجوب طاعة غير النبي ﷺ في كل أمره ونهيه هو خلاف الاجماع وجوازه فيه ما فيه" .

والخاص: أن يأخذ بقول معيّن في قضية معينة فهذا جائز إذا عجز عن معرفة

(١) سورة الأعراف آية ٣٣ .

الحق سواء الاجتهاد سواء عجز عجزاً حقيقياً، أو استطاع ذلك مع المشقة العظيمة.

حكم التقليد :

التقليد جائز في الجملة للعامة الذين لا قدرة لهم على النظر في الأدلة واستنباط الأحكام، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "ولم يختلف العلماء أن العامة عليهم تقليد علمائهم، وأنهم المرادون بقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1] .

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " والذي عليه جماهير الأمة، أن الاجتهاد جائز في الجملة والتقليد جائز في الجملة، ولا يوجبون الاجتهاد على كل أحد ويُحرِّمون التقليد ولا يُوجبون التقليد على كل أحد ويُحرِّمون الاجتهاد "[2] .

شروط التقليد الجائز :

١- أن يكون المقلِّد عامياً، جاهلًا، عاجزاً، لا يستطيع معرفة حكم اللَّه ورسوله ﷺ بنفسه، ففرضه التقليد لقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3] ويقلد أفضل من يجده علماً وورعاً، فإن تساوى عنده إثنان خيّر بينهما.

٢- أن يقلد من عُرِف بالعلم والاجتهاد من أهل الدِّين والصلاح.

٣- ألا يتبين للمقلِّد الحق، بأن يكون قول غير مقلِّده أرجح.

(١) سورة النحل آية ٤٣، وسورة الأنبياء آية ٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٠٣-٢٠٤

(٣) سورة النحل آية ٤٣ . وسورة الأنبياء آية ٧ .

٤ - ألا يكون في التقليد مخالفة واضحة للنصوص الشرعية، أو لإجماع الأمة.

٥ - ألا يلتزم المقلِّد مذهباً بعينه في كل المسائل، بل عليه تحري الحق ويتبع الأقرب للصواب، وليس معنى هذا أن يتنقل بين المذاهب؛ تتبعاً للرخص، وبحثاً عن الأسهل.

٦ - أن يقع للمجتهد حادثة تقتضي الفورية ولا يتمكن من النظر فيها فيجوز له التقليد حينئذ .

هل يلزم العامي التّمذهب ؟

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لا يلزمه، وهو الصواب المقطوع به؛ إذ لا واجب إلا ما أوجبه اللَّه ورسوله، ولم يوجب اللَّه ورسوله على أحد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الأئمة، فيقلده دينه دون غيره»[(١)] .

إن عدم الالتزام بمذهب معيّن هو الأصل، إلا أن هناك استثناء، وهو :

١ - إذا لم يستطع العبد أن يتعلم دينه إلا بالتزام مذهب معين[(٢)] .

٢ - إذا ترتب على التزامه بمذهب معين دفع فساد عظيم لا يتحقق دفعه إلا بذلك[(٣)] .

الفرق بين الاتباع والتقليد .

إن المتبع في الدرجة بين العالم المجتهد، والعامي المُقلِّد .

- **مدى صحة قولهم : لا إنكار في مسائل الخلاف!**

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقولهم: «إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها، ليس

---

(١) إعلام الموقعين ٤/ ٢٦١-٢٦٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ١١/ ٥١٤ -٢٠/ ٢٠٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ١١/ ٥١٤-٢٠/ ٢٠٩ .

بصحيح؛ فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى، أو العمل .

أما الأول : فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعاً شائعاً، وجب إنكاره اتفاقاً.

وإن لم يكن كذلك، فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله .

وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة أو إجماع، وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار.

وكيف يقول فقيه : لا إنكار في المسائل المختلف فيها ؟ والفقهاء من سائر الطوائف قد صرَّحوا بنقض حكم الحاكم إذا خالف كتاب اللَّه أو سنة رسول اللَّه ﷺ، وإن كان قد وافق فيه بعض العلماء ؟! .

وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ، لم تُنكر على من عمل بها مجتهداً أو مقلداً، والمسائل التي اختلف فيها السَّلف والخلف وقد تيقّنا صحة أحد القولين فيها، كثيرة، ومنها :

١- كون الحامل تعتَّد بوضع الحمل. لقوله تعالى : ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾(١)

٢- إصابة الزوج الثاني شرط في حِلها للأول. لقوله ﷺ لامرأة رفاعة القرظي : « أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك »(٢)

٣-وجوب الغُسل بمجرد الإيلاج وإن لم ينزل . لقوله ﷺ: « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل »(٣) .

(١) سورة الطلاق آية ٤ .

(٢) رواه البخاري ٢٦٣٩، ومسلم ١٤٣٣ .

(٣) رواه ابن ماجه ٦٠٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٨٥ .

٤- كون ربا الفضل حرام " أن رسول اللَّه ﷺ بعث أخا بني عدي الأنصاري واستعمله على خيبر فقدم بتمر جنيب[١] فقال له رسول اللَّه ﷺ : " أكل تمر خيبر هكذا ؟ قال: لا واللَّه يا رسول اللَّه إنا لنشتري الصاع بالصاعين من الجمع فقال رسول اللَّه ﷺ: " لا تفعلوا ولكن مثل بمثل أو بيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا وكذلك الميزان "[٢].

٥- أن زواج المتعة حرام . عن عليّ رضي الله عنه قال: " نهى رسول اللَّه ﷺ عن المتعة عام خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية " [٣]

٦- وأن النبيذ المُسكر حرام . عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : " كُلُّ مُسكر خمر، وكُلُّ مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها، لم يَتُبْ لم يشربها في الآخرة " . [٤]

٧- وأن المسلم لا يُقتل بالكافر. لقوله ﷺ: «لا يقتل مسلم بكافر»[٥].

٨- المسح على الخفين جائز حضراً وسفراً. عن شريح بن هانئ قال: أتيت عائشة رضي الله عنها أسألها عن المسح على الخفين فقالت عليك بابن أبي طالب فسله فإنه كان يسافر مع رسول اللَّه ﷺ، فسألناه فقال: جعل رسول اللَّه ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم قال وكان سفيان إذا ذكر عمرا أثنى عليه»[٦].

(١) جنيب : نوع جيد معروف من أنواع التمر النهاية ١/ ٣٠٤ .
(٢) رواه البخاري ٢٢٠١، ٢٢٠٢، ٢٣٠٢، ومسلم ١٥٩٣.
(٣) رواه البخاري ٤٢١٦، ومسلم ١٤٠٧ .
(٤) ومسلم ٢٠٠٣ .
(٥) رواه البخاري ٦٩١٥، وغيره، وانظر صحيح الجامع ٦٦٦٦ .
(٦) رواه مسلم ٢٧٦ .

٩- أن في الركوع وضع اليدين على الركبتين دون التطبيق:

عن مصعب بن سعد قال: صليت مع سعد فلما أردت الركوع طبقت، فنهاني عنه، وقال: كنا نفعله حتى نُهي عنه»[(١)]. إلى أضعاف ذلك من المسائل، ولهذا صرَّح الأئمة بنقض حكم الحاكم بخلاف كثير من هذه المسائل، من غير طعن منهم على من قال بها»[(٢)].

- **الرد عل من أجاز التقليد بحجج عقلية:**

وَقَدْ احْتَجَّ جَماعَةٌ مِنْ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ النَّظَرِ عَلَى مَنْ أَجازَ التَّقْلِيدَ بِحُجَجٍ نَظَرِيَّةٍ عَقْلِيَّةٍ قَالَ الْمُزَنِيّ، وَأَنَا أُورِدُهُ، قَالَ: يُقَالُ لِمَنْ حَكَمَ بِالتَّقْلِيدِ: هَلْ لَك مِنْ حُجَّةٍ فِيمَا حَكَمْت بِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: «نَعَمْ» بَطَلَ التَّقْلِيدُ؛ لِأَنَّ الْحُجَّةَ أَوْجَبَتْ ذَلِكَ عِنْدَهُ لا التَّقْلِيدَ.

وَإِنْ قَالَ: «حَكَمْتُ بِهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ» قِيلَ لَهُ: فَلِمَ أَرَقْت الدِّمَاءَ وَأَبَحْت الْفُرُوجَ وَأَتْلَفْت الْأَمْوَالَ وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ إلَّا بِحُجَّةٍ؟ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَآ﴾ أَيْ مِنْ حُجَّةٍ بِهَذَا.

فَإِنْ قَالَ: "أَنَا أَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَصَبْت وَإِنْ لَمْ أَعْرِفْ الْحُجَّةَ لِأَنِّي قَلَّدْت كَبِيرًا مِنْ الْعُلَمَاءِ وَهُوَ لَا يَقُولُ إلَّا بِحُجَّةٍ خَفِيَتْ عَلَيَّ" قِيلَ لَهُ: إذَا جَازَ تَقْلِيدُ مُعَلِّمِك لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ إلَّا بِحُجَّةٍ خَفِيَتْ عَلَيْك فَتَقْلِيدُ مُعَلِّمِ مُعَلِّمِك أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ لا يَقُولُ إلا بِحُجَّةٍ خَفِيَتْ عَلَى مُعَلِّمِك كَمَا لَمْ يَقُلْ مُعَلِّمُك إلَّا بِحُجَّةٍ خَفِيَتْ عَلَيْك، فَإِنْ قَالَ: «نَعَمْ» تَرَكَ تَقْلِيدَ مُعَلِّمِهِ إلَى تَقْلِيدِ مُعَلِّمِ مُعَلِّمِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ هُوَ أَعْلَى

---

(١) شرح معاني الآثار ١ / ٢٣٠.

(٢) انظر إعلام الموقعين ٣/ ٢٨٨-٢٨٩.

حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنْ أَبَى ذَلِكَ نَقَضَ قَوْلَهُ، وَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ تُجَوِّزُ تَقْلِيدَ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ وَأَقَلُّ عِلْمًا وَلَا تُجَوِّزُ تَقْلِيدَ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ وَأَكْثَرُ عِلْمًا وَهَذَا تَنَاقُضٌ؟ فَإِنْ قَالَ: «لِأَنَّ مُعَلِّمِي وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ فَقَدْ جَمَعَ عِلْمَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ إِلَى عِلْمِهِ فَهُوَ أَبْصَرُ بِمَا أَخَذَ وَأَعْلَمُ بِمَا تَرَكَ» قِيلَ لَهُ: وَكَذَلِكَ مَنْ تَعَلَّمَ مِنْ مُعَلِّمِك فَقَدْ جَمَعَ عِلْمَ مُعَلِّمِك وَعِلْمَ مَنْ فَوْقَهُ إِلَى عِلْمِهِ، فَيَلْزَمُك تَقْلِيدُهُ وَتَرْكُ تَقْلِيدِ مُعَلِّمِك، وَكَذَلِكَ أَنْتَ أَوْلَى أَنْ تُقَلِّدَ نَفْسَك مِنْ مُعَلِّمِك؛ لِأَنَّك جَمَعْت عِلْمَ مُعَلِّمِك وَعِلْمَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ إِلَى عِلْمِك، فَإِنْ قَلَّدَ قَوْلَهُ جَعَلَ الْأَصْغَرَ وَمَنْ يُحَدِّثُ مِنْ صِغَارِ الْعُلَمَاءِ أَوْلَى بِالتَّقْلِيدِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَذَلِكَ الصَّاحِبُ عِنْدَهُ يَلْزَمُهُ تَقْلِيدُ التَّابِعِ، وَالتَّابِعُ مِنْ دُونِهِ فِي قِيَاسِ قَوْلِهِ، وَالْأَعْلَى لِلْأَدْنَى أَبَدًا، وَكَفَى بِقَوْلٍ يُؤَوِّلُ إِلَى هَذَا تَنَاقُضًا وَفَسَادًا [(١)].

- **المآخذ على التّعصب المذهبي:**

١- التعصب المذهبي يناقض المناداة بالحاكمية لله وحده.

فاللَّهَ سُبْحَانَهُ ذَمَّ مَنْ إِذَا دُعِيَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَعْرَضَ وَرَضِيَ بِالتَّحَاكُم إِلَى غَيْرِهِ، وَهَذَا شَأْنُ أَهْلِ التَّقْلِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ الدَّاعِي لَهُ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى غَيْرِهِ فَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ هَذَا الذَّمِّ؛ فَمُسْتَكْثِرٌ وَمُسْتَقِلٌّ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ

(١) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم ٢/١٦٨ - ٢٦٠ فقد أنكرها بأكثر من ثلاثين وجهاً.

عَلِيمٌ ۝١﴾[(١)] وَقَالَ تَعَالَى : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ فَأَكَّدَ هَذَا التَّأْكِيدَ وَكَرَّرَ هَذَا التَّقْرِيرَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ لِعِظَمِ مَفْسَدَةِ الْحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَهُ، وَعُمُومِ مَضَرَّتِهِ، وَبَلِيَّةِ الْأُمَّةِ بِهِ، وَقَالَ : ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ وَأَنْكَرَ تَعَالَى عَلَى مَنْ حَاجَّ فِي دِينِهِ بِمَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فَقَالَ : ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٦﴾.

وَنَهَى أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِمَا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ نَصًّا، وَأَخْبَرَ أَنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، فَقَالَ : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝١١٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١٧﴾ وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ .

وَأَمَّا السُّنَّةُ : مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : « أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ شَرِيكَ بْنَ سَحْمَاءَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ حَدِيثَ اللِّعَانِ وَقَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «أَبْصِرُوهَا؛ فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ خَدْلَجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذَا وَكَذَا فَهُوَ لِهِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الْمَكْرُوهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**»[(٢)] يُرِيدُ - وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - بِكِتَابِ اللَّهِ قَوْله تَعَالَى ﴿وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا

---

(١) سورة الحجرات آية ١ .

(٢) رواه البخاري ٥٣٠٧، ومسلم ١٤٩٦ .

ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾ وَيُرِيدُ بِالشَّأْنِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ كَانَ يَحُدُّهَا لِمُشَابِهَةِ وَلَدِهَا لِلرَّجُلِ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ، وَلَكِنَّ كِتَابَ اللَّهِ فَصَّلَ الْحُكُومَةَ، وَأَسْقَطَ كُلَّ قَوْلٍ وَرَاءَهُ، وَلَمْ يَبْقَ لِلاجْتِهَادِ بَعْدَهُ مَوْقِعٌ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى شَيْخٍ مِنْ زُهْرَةَ كَانَ يَسْكُنُ دَارَنَا، فَذَهَبْت مَعَهُ إِلَى عُمَرَ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنْ وِلَادٍ مِنْ وِلَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: أَمَّا الْفِرَاشُ فَلِفُلَانٍ، وَأَمَّا النُّطْفَةُ فَلِفُلَانٍ؛ فَقَالَ عُمَرُ : صَدَقْت، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «قَضَى بِالْفَرْشِ» .

قَالَ الشَّافِعِيُّ : وَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ قَالَ : قَضَى سَعْدُ بْنُ إبْرَاهِيمَ عَلَى رَجُلٍ بِقَضِيَّةٍ بِرَأْيِ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَأَخْبَرْته عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِخِلَافِ مَا قَضَى بِهِ، فَقَالَ سَعْدٌ لِرَبِيعَةَ : هَذَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، وَهُوَ عِنْدِي ثِقَةٌ يُخْبِرُنِي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ بِخِلَافِ مَا قَضَيْت بِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبِيعَةُ : قَدْ اجْتَهَدْت وَمَضَى حُكْمُك، فَقَالَ سَعْدٌ : وَاعَجَبًا، أُنَفِّذُ قَضَاءَ سَعْدِ بْنِ أُمِّ سَعْدٍ وَأَرُدُّ قَضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ أَرُدُّ قَضَاءَ سَعْدِ بْنِ أُمِّ سَعْدٍ وَأُنَفِّذُ قَضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا سَعْدٌ بِكِتَابِ الْقَضِيَّةِ فَشَقَّهُ وَقَضَى لِلْمَقْضِيِّ عَلَيْهِ .

وَقَالَ أَبُو النَّضْرِ هَاشِمُ بْنُ الرَّسْمِ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ عَنْ عَبْدَةَ بْنِ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ يَحْيَى الْمَخْزُومِيِّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ ثَقِيفٍ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَسَأَلَهُ عَنْ امْرَأَةٍ حَاضَتْ وَقَدْ كَانَتْ زَارَتْ الْبَيْتَ يَوْمَ النَّحْرِ، أَلَهَا أَنْ تَنْفِرَ ؟ فَقَالَ عُمَرُ : لَا، فَقَالَ لَهُ الثَّقَفِيُّ : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَفْتَانِي فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ مَا أَفْتَيْت بِهِ، فَقَامَ إلَيْهِ عُمَرُ يَضْرِبُهُ بِالدُّرَّةِ وَيَقُولُ لَهُ: لِمَ تَسْتَفْتِينِي

فِي شَيْءٍ قَدْ أَفْتَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد بِنَحْوِهِ .

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : قَالَ لِي قَائِلٌ : دُلَّنِي عَلَى أَنَّ عُمَرَ عَمِلَ شَيْئًا ثُمَّ صَارَ إِلَى غَيْرِهِ لِخَبَرٍ نَبَوِيٍّ، قُلْت لَهُ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ ابْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَقُولُ : الدِّيَةُ لِلْعَاقِلَةِ، وَلَا تَرِثُ الْمَرْأَةُ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا، حَتَّى أَخْبَرَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُوَرِّثَ امْرَأَةَ الضَّبَابِيِّ مِنْ دِيَتِهِ» فَرَجَعَ إِلَيْهِ عُمَرُ، وَأَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرٍو وَابْنُ طَاوُسٍ أَنَّ عُمَرَ قَالَ : أُذَكِّرُ اللَّهَ امْرَأً سَمِعَ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنِينِ شَيْئًا، فَقَامَ حَمَلُ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّابِغَةِ فَقَالَ : كُنْت بَيْنَ جَارِيَتَيْنِ لِي، فَضَرَبَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِمُسَطَّحٍ، فَأَلْقَتْ جَنِينًا مَيِّتًا، فَقَضَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِغُرَّةٍ» .

فَقَالَ عُمَرُ : لَوْ لَمْ نَسْمَعْ فِيهِ هَذَا لَقَضَيْنَا فِيهِ بِغَيْرِ هَذَا، أَوْ قَالَ : إنْ كِدْنَا لَنَقْضِيَ فِيهِ بِرَأْيِنَا، فَتَرَكَ اجْتِهَادَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّصِّ .

وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ إذْ اجْتِهَادُ الرَّأْيِ إنَّمَا يُبَاحُ لِلْمُضْطَرِّ كَمَا تُبَاحُ لَهُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ لَا يَرَى لِلْحَائِضِ أَنْ تَنْفِرَ حَتَّى تَطُوفَ طَوَافَ الْوَدَاعِ، وَتَنَاظَرَ فِي ذَلِكَ هُوَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : إمَّا لَا فَسَلْ فُلَانَةَ الْأَنْصَارِيَّةَ، هَلْ أَمَرَهَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَ زَيْدٌ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : مَا أَرَاك إلَّا قَدْ صَدَقْت(٢)، (٣) .

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٥ .

(٢) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ بِنَحْوِهِ ١٧٥٨، ١٧٥٩ في كتاب الحج .

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٤ . (بتصرف يسير)

انظر الفرق بين موقف السّلف السابق وموقف الخلف بهذا المثال الآتي :

قال ابو الحسن عبيد اللّه الكرخي : " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة،، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ . [١]

٢- مخالفته للنصوص الثابتة من الكتاب والسنة تعصباً للمذهب، وتقديم الرأي المحض عليها.

قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[٢] وحذر اللّه ﷻ من مخالفة أمره وأمر رسوله ﷺ أشد التحذير فقال سبحانه : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] ووصف سبحانه المؤمنين بأنهم سريعو الاستجابة لأمر اللّه ورسوله، ويقابلونه بالرضا والطاعة والإذعان فقال سبحانه : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[٤]،[٥] ولعل هذا أخطر العيوب وأبعدها تأثيراً، ذلك لأن أساس الدين وقوامه هو اتباع ما جاء عن اللّه ورسوله ﷺ، وأساس الكفر وجوهره هو رد ما جاء به اللّه ورسوله ﷺ .

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي ص ٣٢٤ محمد الخضيري .

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦ .

(٣) سورة النور آية ٦٣ .

(٤) سورة النور آية ٥١.

(٥) انظر : بدعة التعصب المذهبي ١٣٩ للشيخ محمد عيد عباسي حفظه الله .

تقديم الرأي المحض على النصوص :

الرَّأْيُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ " رَأَى الشَّيْءَ يَرَاهُ رَأْيًا "[(١)] .

أقسام الرأي :

فَالرَّأْيُ ثَلَاثَةُ أَقْسَام : ١- رَأْيٌ بَاطِلٌ بِلَارَيْبٍ، ٢- وَرَأْيٌ صَحِيحٌ، ٣- وَرَأْيٌ هُوَ مَوْضِعُ الِاشْتِبَاهِ، وَالْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا السَّلَفُ، فَاسْتَعْمَلُوا الرَّأْيَ الصَّحِيحَ، وَعَمِلُوا بِهِ وَأَفْتَوْا بِهِ، وَسَوَّغُوا الْقَوْلَ بِهِ، وَذَمُّوا الْبَاطِلَ، وَمَنَعُوا مِنْ الْعَمَلِ وَالْفُتْيَا وَالْقَضَاءِ بِهِ، وَأَطْلَقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِذَمِّهِ وَذَمِّ أَهْلِهِ .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : سَوَّغُوا الْعَمَلَ وَالْفُتْيَا وَالْقَضَاءَ بِهِ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ إلَيْهِ حَيْثُ لَا يُوجَدُ مِنْهُ بُدٌّ، وَلَمْ يُلْزِمُوا أَحَدًا الْعَمَلَ بِهِ، وَلَمْ يُحَرِّمُوا مُخَالَفَتَهُ، وَلَا جَعَلُوا مُخَالِفَهُ مُخَالِفًا لِلدِّينِ، بَلْ غَايَتُهُ أَنَّهُمْ خَيَّرُوا بَيْنَ قَبُولِهِ وَرَدِّهِ؛ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَا أُبِيحَ لِلْمُضْطَرِّ مِنْ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الَّذِي يَحْرُمُ عِنْدَ عَدَمِ الضَّرُورَةِ إلَيْهِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : " سَأَلْتُ الشَّافِعِيَّ عَنْ الْقِيَاسِ، فَقَالَ لِي : " عِنْدَ الضَّرُورَةِ "، وَكَانَ اسْتِعْمَالُهُمْ لِهَذَا النَّوْعِ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ : لَمْ يُفَرِّطُوا فِيهِ وَيُفَرِّعُوهُ وَيُوَلِّدُوهُ وَيُوَسِّعُوهُ كَمَا صَنَعَ الْمُتَأَخِّرُونَ بِحَيْثُ اعْتَاضُوا بِهِ عَنْ النُّصُوصِ وَالْآثَارِ.

أنواع الرأي الباطل :

فَالرَّأْيُ الْبَاطِلُ أَنْوَاعٌ :

النوع الأول: الرَّأْيُ الْمُخَالِفُ لِلنَّصِّ، وَهَذَا مِمَّا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَام فَسَادُهُ وَبُطْلَانُهُ، وَلَا تَحِلُّ الْفُتْيَا بِهِ وَلَا الْقَضَاءُ، وَإِنْ وَقَعَ فِيهِ مَنْ وَقَعَ بِنَوْعِ تَأْوِيلٍ وَتَقْلِيدٍ .

---

(١) انظر : إعلام الموقعين لابن القيم .

النَّوْعُ الثَّانِي : هُوَ الْكَلامُ فِي الدِّينِ بِالْخَرْصِ وَالظَّنِّ، مَعَ التَّفْرِيطِ وَالتَّقْصِيرِ فِي مَعْرِفَةِ النُّصُوصِ وَفَهْمِهَا وَاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ مِنْهَا، فَإِنَّ مَنْ جَهِلَهَا وَقَاسَ بِرَأْيِهِ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، بَلْ لِمُجَرَّدِ قَدْرٍ جَامِعٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَلْحَقَ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ، أَوْ لِمُجَرَّدِ قَدْرٍ فَارِقٍ يَرَاهُ بَيْنَهُمَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا فِي الْحُكْمِ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى النُّصُوصِ وَالْآثَارِ؛ فَقَدْ وَقَعَ فِي الرَّأْيِ الْمَذْمُومِ الْبَاطِلِ .

النَّوْعُ الثَّالِثُ : الرَّأْيُ الْمُتَضَمِّنُ تَعْطِيلَ أَسْمَاءِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِالْمَقَايِيسِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي وَضَعَهَا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ مِنْ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، حَيْثُ اسْتَعْمَلَ أَهْلُهُ قِيَاسَاتِهِمْ الْفَاسِدَةَ وَآرَاءَهُمْ الْبَاطِلَةَ وَشُبَهَهُمْ الدَّاحِضَةَ فِي رَدِّ النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ؛ فَرَدُّوا لِأَجْلِهَا أَلْفَاظَ النُّصُوصِ الَّتِي وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى تَكْذِيبِ رُوَاتِهَا وَتَخْطِئَتِهِمْ .

فَقَابَلُوا النَّوْعَ الْأَوَّلَ بِالتَّكْذِيبِ، وَالنَّوْعَ الثَّانِيَ بِالتَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ، فَأَنْكَرُوا لِذَلِكَ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْكَرُوا كَلَامَهُ وَتَكْلِيمَهُ لِعِبَادِهِ .

وَهُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

النَّوْعُ الرَّابِعُ : الرَّأْيُ الَّذِي أُحْدِثَتْ بِهِ الْبِدَعُ، وَغُيِّرَتْ بِهِ السُّنَنُ، وَعَمَّ بِهِ الْبَلَاءُ، وَتَرَبَّى عَلَيْهِ الصَّغِيرُ، وَهَرَمَ فِيهِ الْكَبِيرُ .

فَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ الرَّأْيِ الَّذِي اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا عَلَى ذَمِّهِ وَإِخْرَاجِهِ مِنْ الدِّينِ .

النَّوْعُ الْخَامِسُ : مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ جُمْهُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الرَّأْيَ

الْمَذْمُومَ فِي هَذِهِ الْآثَارِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنْ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ الْقَوْلُ فِي أَحْكَام شَرَائِعِ الدِّينِ بِالِاسْتِحْسَانِ وَالظُّنُونِ، وَالِاشْتِغَالُ بِحِفْظِ الْمُعْضِلَاتِ وَالْأُغْلُوطَاتِ وَرَدِّ الْفُرُوعِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ قِيَاسًا، دُونَ رَدِّهَا عَلَى أُصُولِهَا وَالنَّظَرِ فِي عِلَلِهَا وَاعْتِبَارِهَا، فَاسْتُعْمِلَ فِيهَا الرَّأْيُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ، وَفُرِّعَتْ وَشُقِّقَتْ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ .

قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: اجْتِهَادُ الرَّأْيِ هُوَ مُشَاوَرَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَا أَنْ يَقُولَ هُوَ بِرَأْيِهِ .

وقال عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ: سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: قِيلَ لِأَيُّوبَ السِّخْتِيَانِيُّ: مَا لَك لَا تَنْظُرُ فِي الرَّأْيِ؟ فَقَالَ أَيُّوبُ: قِيلَ لِلْحِمَارِ مَا لَك لَا تَجْتَرُّ؟ قَالَ: أَكْرَهُ مَضْغَ الْبَاطِلِ .

عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ قَالَ : عِلْمُنَا هَذَا رَأْيٌ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، وَمَنْ جَاءَنَا بِأَحْسَنَ مِنْهُ قَبِلْنَاهُ مِنْهُ .

قال أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ آثَارُ ... نِعْمَ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْأَخْبَارُ
لَا تُخْدَعَنَّ عَنْ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ
وَلَرُبَّمَا جَهِلَ الْفَتَى طُرُقَ الْهُدَى ... وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

وَلِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ :

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْس خُلْفٌ فِيهِ
مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيِ سَفِيهِ
كَلَّا وَلَا نَصْبُ الْخِلَافِ جَهَالَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ

كَـلَّا وَلَا رَدُّ الـنُّـصُـوصِ تَـعَـمُّـدًا حَـذَرًا مِـنْ التَّـجْسِـيمِ وَالـتَّـشْـبِـيهِ
حَاشَا النُّصُوصَ مِنْ الَّذِي رُمِيَتْ بِـهِ مِـنْ فِـرْقَـةِ الـتَّـعْـطِـيـلِ وَالـتَّـمْـوِيـهِ

وعَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ : دَعُوا السُّنَّةَ تَمْضِي، لَا تَعْرِضُوا لَهَا بِالرَّأْيِ .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل قال : « سَمِعْت عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ : مَا زَالَ أَمْرُ بَنْي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلاً حَتَّى نَشَأَ فِيهِمْ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ، فَأَخَذُوا فِيهِمْ بِالرَّأْيِ، فَأَضَلُّوهُمْ» .

وعَنَ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ، وَهُوَ يَذْكُرُ مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ مِنْ هَذَا الرَّأْيِ وَتَرْكِهِمْ السُّنَنَ، فَقَالَ : إنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إنَّمَا انْسَلَخُوا مِنْ الْعِلْمِ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ حِينَ اتَّبَعُوا الرَّأْيَ وَأَخَذُوا فِيهِ .

أمثلة من مخالفة بعض أحكام المذاهب للنصوص .

المثال الأول : قال صاحب الهداية (١) عند الحديث عن موقف الإمام في الصلاة على الجنازة : " ويقوم الذي يصلي على الرجل والمرأة بحذاء الصدر . قال : لأنه موضع القلب، وفيه نور الإيمان، فيكون القيام عنده إشارة إلى الشفاعة لإيمانه " .

قال هذا - مع أنه ذكر حديث أنس بن مالك ﷺ وهو صريح بأن من السنة أن يقف الإمام عند رأس الرجل، ووسط المرأة. ومع ذلك قدَّم الرأي السابق عليه، بناء على تعليلات باطلة ليس عليها دليل، وما هي في الحقيقة إلا ستار للتعصب للمذهب، واحتيال لعدم رد ما قاله فقهاؤه .

---

(١) المرغياني : وهو من الكتب المقدمة لدى الحنفية ١/ ٤٦٢ .

ومن الغريب أن القول بالحديث السابق، هو رأي الإمام أبي حنيفة نفسه ورأي أبي يوسف وبه أخذ الطحاوي، بالإضافة إلى أنه رأي جمهور العلماء كالشافعي وأحمد وإسحاق رحمهم اللَّه .

والمثال الثاني : ما قاله صاحب شرح العناية [(١)] : " إن حضورهن " أي النساء " الجماعات متروك بإجماع المتأخرين " . وقال مثل ذلك صاحب فتح القدير .

وقد أخطأ في هذا خطأ كبيراً، ومخالفاً الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قال النبي ﷺ " إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها " . [(٢)]

٣- اشتمال الكتب المذهبية على الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والاحتجاج بها واستنباط الأحكام منها، مما يؤثر على الاستنباط ويورث الاختلافات الفقهية .

وإليك أمثلة من الأحاديث الواهية المحتج بها في الكتب المذهبية :

أ- " لا يكون الحيض أكثر من عشرة أيام "، ولا أقل من ثلاثة أيام . قال النووي عنه وعن حديثين آخرين معناه : كلها ضعيفة واهية، متفق على ضعفها عند المحدثين[(٣)] .

ب- «إن بلالاً أخذ في الإقامة، فلما قال : قد قامت الصلاة، قال النبي ﷺ :

(١) الحنفي على الهداية على هامش فتح القدير ١ /٢٢٥ و ٢٦٦ .
(٢) رواه البخاري ٥٢٣٨، ومسلم ٤٤٢، وغيرهما .
(٣) المجموع للنووي ٢/٢٩٣- ٢٩٤ .

« أقامها اللَّه وأدامها». قال النووي : رواه أبو داود بإسناد ضعيف جداً[١] .

ج- " الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش[٢] .

٤- تقديم أقوال العلماء المتأخرين على أقوال الأئمة المتقدمين.

ومن أمثلة ذلك :

المسائل التي خالف فيها المتأخرون أئمتهم مسألة الصلاة وراء المخالف في المذهب، فقد صار الرأي المفتى به في المذهبين الحنفي والشافعي، في القرون المتأخرة، هو بطلان صلاة المأموم إذا علم أن إمامة أتى بما ينقض الوضوء أو الصلاة براي المأموم وكراهيتها إذا أتى الإمام بمكروه، مع أن الأئمة وأتباعهم المتقدمين كان يصلي بعضهم وراء بعض دون أي تحرج، ولم يثيروا أي لغط حول صحة صلاتهم وسلامتها من الكراهة، كما أن الصحابة رضوان اللَّه عليهم لم ينقل عن واحد منهم مثل هذا القول، مع أنه كان فيهم مجتهدون يختلف بعضهم مع بعض في نواقض الوضوء والصلاة وغيرها، وعمدتهم في ذلك حديث أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ عن الأئمة: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم، وإن أ خطؤوا فلكم وعليهم»[٣] .

٥- الانحباس في مذهب واحد، وعدم الاستفادة من علم المذاهب الأخرى، وجهود رجالها وكتبهم تعصباً للمذهب .

وهذا من أضرار المذهبية المتعصبة، فإن أصحابها يحبسون أنفسهم في

---

(١) المجموع ٣/ ٢٣٥ .

(٢) قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ اللهُ: لم أقف له على أصل. الأحياء للغزالي١/٤٨، وقال الألباني: لا أصل له. السلسلة الضعيفة ٤ .

(٣) رواه البخاري ٦٩٤ في كتاب الأذان .

مذهب واحد لا يتعدونه، ولا يجاوزونه إلى المذاهب الأخرى، ليستفيدوا من جهود علمائها ورجالها ومحققيها وأدلتها .

وليس ثمة شك في أن هذا الانحباس داخل جدران المذهب، تضييعاً لجهود علماء كبار، وإهداراً لنتائج عبقريات ضخمة، حفل بها كل مذهب، لا لسبب معقول إلا أن هؤلاء ليسوا من مذهب العالم والطالب المتفقه .

إن الطريقة القائمة على عدم التزام مذهب معين، وأخذ الحق والصواب من الجميع، واختيار خير السبل للاستفادة من جهود جميع المجتهدين والعلماء، الذين وُجدوا في تاريخ الإسلام دون تعصب لواحد على غيره، لأنهم كلهم بذلوا جهوداً مشكورة في خدمة الشريعة، وكلهم كان لديه من العلم والتقوى والإخلاص حظ وافر.

٦- خلو كثير من الكتب المذهبية من الأدلة الشرعية، ورغبة الكثيرين عن دراسة الكتاب والسنة إليها.

وهذه صفة عامة لأكثر الكتب الفقهية المذهبية، المتداولة بين أيدي طلاب العلم من زمن طويل حتى اليوم، فهم يرغبون في المختصرات، التي لا تضم إلا أحكاماً مكثفة خالية من الأدلة الشرعية .

ولا يُنكر أن في كتب المذاهب عدداً لا بأس به من الكتب الحافلة بالأدلة الشرعية، ولكن يؤخذ على غالبية المنتسبين إلى المذاهب، أنهم قلّ أن يهتموا أو يقرؤوها، بل كل دراستهم للمتون والمختصرات المتأخرة، التي صار ما فيها عندهم مسلمات لا يتطرق إليها الشك . وصار من يخالفها فكأنه خالف القرآن وربما أشد .

إن الإسلام دين الحجة والدليل : فإسلامنا قد علمنا ألا نأخذ قولًا من غير حجة، ولا نسلم برأي إلا إذا تأيد بالدليل، وها هو القرآن الكريم يحاجّ الجاهلين، فيقول لهم : " ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، ويقول لهم : ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[2] ويقول: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

٧- شيوع التقليد والجمود، وإقفال باب الاجتهاد.

إن أكبر سِمة من سِمات المذهبية في القرون المتأخرة، هي شيوع التقليد وفشوّه فشوا بين جميع الناس، حتى كاد لا ينجو منه أحد، ولئن كان لا بد من وجود التقليد في كل عصر، لأنه من غير الممكن جعل جميع الناس ذوي أهلية للبحث والنظر والاتباع، لكن لا يتصور كذلك أن يقع فيه من هم أرفع درجات الناس فهما وذكاء، وأكثرهم استعداداً للفقه والاستنباط .

هذا التعصب الذي أدى إلى مبالغات المقلدين في الأئمة : لقد أرهب هؤلاء الجامدون كل من لديه استعداد للنظر والبحث، عن إعادة النظر فيما بحثه السابقون بحجة أن من يفعل ذلك، فإنما يطعن في الأئمة والعلماء السابقين، ثم إنهم - لإكمال خطتهم - غالوا في مدح الأئمة، ولفقوا القصص المختلفة عنهم، حتى كادوا يجعلونهم معصومين، أو مخلوقات خيالية، لا يمكن أن تعيش في عالم الواقع، فقالوا عن الإمام الفلاني[4] : إنه عاش أربعين سنة

(١) سورة البقرة آية البقرة١١١ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

(٣) سورة الأحقاف آية ٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال كتاب الاجتهاد والمجتهدين ص ٢٩ فما بعدها .

كاملة، يصلي الفجر بوضوء العشاء [١]

وهذا الإمام لا يجوز أن نقول: «إن حديثاً ما في الدنيا لم يبلغه»[٢].

ادعاء المقلدين أن الكتاب والسنة لا يمكن فهمهما[٣]: لأنه لم يبق أحد من الناس يستطيع فهمهما وتفسيرهما، وكأنهما طلاسم لا تحل رموزها، ولا تفك أسرارها، وادعوا أن كل ما يجب علينا هو قراءة كتب الفقه المتأخرة الخالية من الأدلة.

لقد غفل المقلدون المتعصبون، عن أن اللّه تعالى جعل القرآن حجة على الناس، وهو لذلك سهّل فهمه ويسّر بيانه، وإلا لم يكن حجة عليهم.

(١) هذا الكلام، مع استحالته في عالم البشر، مخالف للسنة. فقد أنكر النبيﷺ على النفر الثلاثة، الذين تعاهدوا على المبالغة في العبادة، فقال أحدهم فأما أنا فأصلي ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء. فبلغ النبيﷺ مقالتهم، فدعاهم وقال لهم: **أما أنا فأصوم وافطر وأصلي وأنام، واتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**. رواه الشيخان. وبالإضافة إلى ذلك فهذا الوصف للإمام ليس فيه منقبة - كما قال شيخنا -(الألباني) نقلًا عن الشيخ محمد عيد عباس حفظه الله فإن من المعلوم أن الأفضل والأكمل شرعاً للمسلم، أن يجدد وضوءه لكل صلاة، لا أن يصلي الصلوات المتعددة بوضوء واحد، وبما أن الذي لفقوا عنه هذه القصة إمام، فكان من المفروض أن يأتي بالأفضل والأكمل فتأمل.

(٢) انظر: أيضاً كتاب الإجتهاد والمجتهون ص ٧٢.

(٣) كيف يكون هذا؟ والله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ قال ابن سعدي رحمه الله يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفِكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك... وكلما أزداد العبد تأملا فيه، ازداد علماً، وعملًا، وبصيرة ولذلك أمر الله بذلك، وحث عليه، وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن كما قال تعالى: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

العلماء المحققون يحملون على التقليد [١] :

فمن هؤلاء حافظ المغرب ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم جامع بيان العلم وفضله)، ومنهم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، في كتابه القيم (أعلام الموقعين) فجمع وأجاد أيما إجادة، ومنهم الإمام المحقق الأصولي الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابيه القيمين (الموافقات) و (الاعتصام) فاحسن وأفاد، ومنهم الفلاني في كتابه الجيد والفذ (إيقاظ همم أولي الأبصار) فأتى بما نال التقدير والإعجاب وغيرهم كثير .

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ولقد زلّ بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال - أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل. وقال: " إن تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعاً ضلال، وإن الحجة القاطعة والحاكم الأعلى هو الشرع لا غير "[٢].

٨- الخوض في المسائل الخيالية، والانشغال بالافتراضات السخيفة .

قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٣] .

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصرسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «ينهى اللَّه عباده المؤمنين عن السؤال عن الأشياء التي إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول اللَّه ﷺ عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بُيّن للسائل لم يكن له فيه خير،

(١) أصحاب الجمود الذين يقولون بقفل باب الإجتهاد .

(٢) الاعتصام ٢/ ٣٤٧ و ٣٥٥ .

(٣) سورة المائدة آية ١٠١ .

وكسؤالهم للأمور غير الواقعة.

وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأمة، وكالسؤال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها»[(١)].

وقد نهي السّلف عن السؤال عمّا لم يقع: ومن المعروف أن السؤال عن الأمور التي لم تقع والانشغال بالجواب عنها من التكلّف، وقد كرهه اللَّه سبحانه، وأمر نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾[(٢)] وقال الربيع بن خيثم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " يا عبد الله! ما علمك اللَّه في كتابه من علم فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالم ولا تتكلف، فإن اللَّه عَزَّوَجَلَّ يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وهم جمهور أهل العلم: «الرأي المذموم في هذه الآثار عن النبي ﷺ وعن أصحابه والتابعين هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات (أي الافترضات)، . . . فاستعمل فيها الرأي قبل أن تنزل وفرعت وشققت قبل أن تقع، وتكلم فيها قبل أن تكون، بالرأي المضارع للظن، . . . واحتجوا بحديث سهل بن سعد وغيره أن رسول اللَّه ﷺ كره المسائل وعابها[(٣)]، وبأنه ﷺ كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال "[(٤)].

---

(١) تفسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٢) سورة ص آية ٨٦ .

(٣) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما .

(٤) رواه البخاري، ومسلم وغيرهما .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر : « أحرج باللَّه على كل امرئ سأل عن شيء لم يكن ، فإن اللَّه قد بيّن ما هو كائن » .

وروى عن مسروق قال : سألت أُبيّ بن كعب عن شيء فقال : أكان هذا؟ قلت : لا . قال : فأحمنا (أي أرحنا) حتى يكون ، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا "[١] .

وروى مثل ذلك عن زيد بن ثابت ومالك والزهري وأبي وائل رضي الله عنهم .

أمثلة من هذه الافتراضات :

١- قال الشيخ محمد وحيد الجباوي - وهو من فقهاء الأحناف المعاصرين البارزين - في معرض حديثه عن أحق الناس بالإمامة في الصلاة : " والأحق بالإمامة السلطان أو نائبه . . . ، فالأحسن خلقاً ، فالأحسن وجهاً ، فأكثرهم جاهاً ، فالأنظف ثوباً ، فالأكبر رأساً ، فالأصغر عضواً (أي ذكراً) [٢]، [٣] .

٢- وهل سمعت بصلاة من صلى وهو يحمل قربة ملأها فساء هل صلاته صحيحة أم لا ؟

٣- أو ما بحثه بعضهم عن حكم التضحية بإنسان ، وُلِد من أب آدمي ، وأم شاة وغير ذلك .

ولنختم هذه الأمثلة بهذا المثال الغريب .

٤- قال الشيخ محمد أمين عابدين في حاشيته ما يلي : « وفي البحر عن عدة الفتاوى : الكعبة إذا رُفعت عن مكانها لزيارة أصحاب الكرامة ، ففي تلك الحالة

---

(١) الجامع ٢/ ٧٤ .

(٢) علل الشيخ الجباوي تقديم الأصغر عضواً بأنه دليل على عفته .

(٣) كتاب رفيق الأسفار ص ٤٣ و ٤٤ . مراقي الفلاح شرح متن الإيضاح للشيخ حسن الشرنبلالي ص ١٢٠ " .

جازت الصلاة إلى أرضها»[١] .

٩- فتح باب الحيل المحرّمة للتخلُّص من التكاليف الشرعية :

وهذا عيب خطير من عيوب المذهبية المتعصبة، ذلك هو فتح باب الحيل التي سموها شرعية، وما هي واللَّه بشرعية، لأن غرضهم منها هو الهروب من التكاليف الشرعية، وتحليل الحرام، وتحريم الحلال .

الحيل - اشتقاقها ومعناها :

وَالْحِيلَةُ : مُشْتَقَّةٌ مِنْ التَّحَوُّلِ، فَالْحِيلَةُ : هِيَ نَوْعٌ مَخْصُوصٌ مِنْ التَّصَرُّفِ وَالْعَمَلِ الَّذِي يَتَحَوَّلُ بِهِ فَاعِلُهُ مِنْ حَالٍ إلَى حَالٍ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهَا بِالْعُرْفِ اسْتِعْمَالُهَا فِي سُلُوكِ الطُّرُقِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا الرَّجُلُ إلَى حُصُولِ غَرَضِهِ، بِحَيْثُ لَا يُتَفَطَّنُ لَهُ إلَّا بِنَوْعٍ مِنْ الذَّكَاءِ وَالْفِطْنَةِ .

المسلمون يقلدون اليهود :

وقد وقع بعض المسلمون فيما وقع فيه اليهود عند اصطيادهم السمك يوم السبت وقد نُهو فيه عن الصيد . ، وهذا التحايل على الدين والخداع لتحليل الحرام، مصداقاً لقوله ﷺ : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه . . . "[٢] .

إن الإسلام جعل من أصوله الهامة مبدأ سد الذرائع، وجعله أحد أرباع التكليف، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " إن تجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة، فإن الشارع يسد الطريق إلى المفاسد بكل ممكن، والمحتال

(١) حاشية ابن عابدين «رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار» الطبعة الثالثة بالطبعة الأميرية ١/ ٣٠٢ .

(٢) رواه البخاري ٦٢٢٩، ومسلم، وغيرهما .

يفتح الطريق إليها بحيله، فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم إلى من يعمل الحيلة في التوصل إليه ؟

أرباب الحيل نوعان :

النَوْعُ الأول : يُقْصَدُ بِهِ حُصُولُ مَقْصُودِهِ، وَلَا يَظْهَرُ أَنَّهُ حَلَالٌ، كَحِيَلِ اللُّصُوصِ وَعُشَّاقِ الصُّوَرِ الْمُحَرَّمَةِ وَنَحْوِهِمَا،

النَوْعُ الثاني : يُظْهِرُ صَاحِبُهُ أَنَّ مَقْصُودَهُ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ وَيُبْطِنُ خِلَافَهُ .

ليس كل الحيل حراماً :

قال الامام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : " لَيْسَ كُلُّ مَا يُسَمَّى حِيلَةً حَرَامًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) أَرَادَ بِالْحِيلَةِ التَّحَيُّلُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ بَيْنِ الْكُفَّارِ، وَهَذِهِ حِيلَةٌ مَحْمُودَةٌ يُثَابُ عَلَيْهَا، وَكَذَلِكَ الْحِيلَةُ عَلَى هَزِيمَةِ الْكُفَّارِ، كَمَا فَعَلَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ.

فَالْحِيلَةُ جِنْسٌ تَحْتَهُ التَّوَصُّلُ إلَى فِعْلِ الْوَاجِبِ، وَتَرْكِ الْمُحَرَّمِ، وَتَخْلِيصُ الْحَقِّ، وَنَصْرُ الْمَظْلُومِ، وَقَهْرُ الظَّالِمِ، وَعُقُوبَةُ الْمُعْتَدِي، وَتَحْتَهُ التَّوَصُّلُ إلَى اسْتِحْلَالِ الْمُحَرَّمِ، وَإِبْطَالِ الْحُقُوقِ، وَإِسْقَاطِ الْوَاجِبَاتِ، فَالْحِيلَةُ وَالْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ تَنْقَسِمُ إلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ .

فَالْحِيَلُ الْمُحَرَّمَةُ مِنْهَا مَا هُوَ كُفْرٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ كَبِيرَةٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَغِيرَةٌ، وَغَيْرُ الْمُحَرَّمَةِ مِنْهَا مَا هُوَ مَكْرُوهٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ جَائِزٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُسْتَحَبٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ وَاجِبٌ؛ فَالْحِيلَةُ بِالرِّدَّةِ عَلَى فَسْخِ النِّكَاحِ كُفْرٌ، وَكَذَلِكَ التَّحَيُّلُ بِالرِّدَّةِ عَلَى حِرْمَانِ الْوَارِثِ كُفْرٌ، وَالْإِفْتَاءُ بِهَا كُفْرٌ .

أقسام الحيل المحرمة : وتنقسم الحيل المحرمة إلى عدة أقسام :

القسم الأول : أَنْ تَكُونَ الْحِيلَةُ مُحَرَّمَةً وَيُقْصَدُ بِهَا الْمُحَرَّمُ .

القسم الثَّانِي : أَنْ تَكُونَ مُبَاحَةً فِي نَفْسِهَا وَيُقْصَدُ بِهَا الْمُحَرَّمُ؛ فَيَصِيرُ حَرَامًا تَحْرِيمَ الْوَسَائِلِ كَالسَّفَرِ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ وَقَتْلِ النَّفْسِ الْمَعْصُومَةِ .

وَهَذَانِ الْقِسْمَانِ تَكُونُ الْحِيلَةُ فِيهِمَا مَوْضُوعَةً لِلْمَقْصُودِ الْبَاطِلِ الْمُحَرَّمِ، وَمُفْضِيَةً إِلَيْهِ، كَمَا هِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلْمَقْصُودِ الصَّحِيحِ الْجَائِزِ وَمُفْضِيَةٌ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ السَّفَرَ طَرِيقٌ صَالِحٌ لِهَذَا وَهَذَا .

القسم الثَّالِثُ: أَنْ تَكُونَ الطَّرِيقُ لَمْ تُوضَعْ لِلْإِفْضَاءِ إِلَى الْمُحَرَّمِ، وَإِنَّمَا وُضِعَتْ مُفْضِيَةً إِلَى الْمَشْرُوعِ كَالْإِقْرَارِ وَالْبَيْعِ وَالنِّكَاحِ وَالْهِبَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَيَتَّخِذُهَا الْمُتَحَيِّلُ سُلَّمًا وَطَرِيقًا إِلَى الْحَرَامِ، وَهَذَا مُعْتَرَكُ الْكَلَامِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهُوَ الَّذِي قَصَدْنَا الْكَلَامَ فِيهِ بِالْقَصْدِ الْأَوَّلِ .

الْقِسْمُ الرَّابِعُ : هو أَنْ يُقْصَدَ بِالْحِيلَةِ أَخْذِ حَقٍّ أَوْ دَفْعُ بَاطِلٍ، وَهَذَا الْقِسْمُ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ أَيْضًا :

الأول : أَنْ يَكُونَ الطَّرِيقُ مُحَرَّمًا فِي نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ حَقًّا، مِثْلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَيَجْحَدَهُ، وَلَا يُبَيِّنُهُ لَهُ، فَيُقِيمَ صَاحِبُهُ شَاهِدَيْ زُورٍ يَشْهَدَانِ بِهِ، وَلَا يَعْلَمَانِ ثُبُوتَ ذَلِكَ الْحَقِّ، وَمِثْلُ أَنْ يُطَلِّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا، وَيَجْحَدَ الطَّلَاقَ، وَلَا يُبَيِّنُهُ لَهَا، فَتُقِيمَ شَاهِدَيْنِ يَشْهَدَانِ أَنَّهُ طَلَّقَهَا، وَلَمْ يَسْمَعَا الطَّلَاقَ مِنْهُ .

الثاني: أَنْ يَكُونَ الطَّرِيقُ مَشْرُوعَةً، وَمَا يُفْضِي إِلَيْهِ مَشْرُوعٌ، وَهَذِهِ هِيَ الْأَسْبَابُ الَّتِي نَصَبَهَا الشَّارِعُ مُفْضِيَةً إِلَى مُسَبَّبَاتِهَا كَالْبَيْعِ وَالْإِجَارَةِ وَالْمُسَاقَاةِ وَالْمُزَارِعَةِ وَالْوَكَالَةِ، بَلْ الْأَسْبَابُ مَحَلُّ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهِيَ فِي

اقْتِضَائِهَا لِمُسَبَّبَاتِهَا شَرْعًا عَلَى وِزَانِ الْأَسْبَابِ الْحِسِّيَّةِ فِي اقْتِضَائِهَا لِمُسَبَّبَاتِهَا قَدَرًا؛ فَهَذَا شَرْعُ الرَّبِّ تَعَالَى وَذَلِكَ قَدَرُهُ، وَهُمَا خَلْقُهُ وَأَمْرُهُ، وَاللَّهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَلَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَغْيِيرَ لِحُكْمِهِ، فَكَمَا لَا يُخَالِفُ سُبْحَانَهُ بِالْأَسْبَابِ الْقَدَرِيَّةِ أَحْكَامَهَا بَلْ يُجْرِيهَا عَلَى أَسْبَابِهَا وَمَا خُلِقَتْ لَهُ؛ فَهَكَذَا الْأَسْبَابُ الشَّرْعِيَّةُ لَا يُخْرِجُهَا عَنْ سَبَبِهَا وَمَا شُرِعَتْ لَهُ، بَلْ هَذِهِ سُنَّتُهُ شَرْعًا وَأَمْرًا، وَتِلْكَ سُنَّتُهُ قَضَاءً وَقَدَرًا، وَسُنَّتُهُ الْأَمْرِيَّةُ قَدْ تُبَدَّلُ وَتَتَغَيَّرُ كَمَا يُعْصَى أَمْرُهُ وَيُخَالَفُ، وَأَمَّا سُنَّتُهُ الْقَدَرِيَّةُ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً، كَمَا لَا يُعْصَى أَمْرُهُ الْكَوْنِيُّ الْقَدَرِيُّ .

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْقِسْمِ التَّحَيُّلُ عَلَى جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَعَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ، وَقَدْ أَلْهَمَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ؛ فَلِأَنْوَاعِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ أَنْوَاعِ الْحِيَلِ وَالْمَكْرِ مَا لَا يَهْتَدِي إِلَيْهِ بَنُو آدَمَ. وَلَيْسَ كَلَامُنَا وَلَا كَلَامُ السَّلَفِ فِي ذَمِّ الْحِيَلِ مُتَنَاوِلاً لِهَذَا الْقِسْمِ .

الثالث: أَنْ يَحْتَالَ عَلَى التَّوَصُّلِ إِلَى حَقٍّ أَوْ عَلَى دَفْعِ الظُّلْمِ بِطَرِيقٍ مُبَاحَةٍ لَمْ تُوضَعْ مُوَصِّلَةً إِلَى ذَلِكَ، بَلْ وُضِعَتْ لِغَيْرِهِ، فَيَتَّخِذُهَا هُوَ طَرِيقًا إِلَى هَذَا الْمَقْصُودِ الصَّحِيحِ، أَوْ قَدْ يَكُونُ قَدْ وُضِعَتْ لَهُ لَكِنْ تَكُونُ خَفِيَّةً وَلَا يَفْطِنُ لَهَا، وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا الْقِسْمِ وَالَّذِي قَبْلَهُ أَنَّ الطَّرِيقَ فِي الَّذِي قَبْلَهُ نُصِبَتْ مُفْضِيَةً إِلَى مَقْصُودِهَا ظَاهِرًا، فَسَالِكُهَا سَالِكٌ لِلطَّرِيقِ الْمَعْهُودِ، وَالطَّرِيقُ فِي هَذَا الْقِسْمِ نُصِبَتْ مُفْضِيَةً إِلَى غَيْرِهِ فَيَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَا لَمْ تُوضَعْ لَهُ؛ فَهِيَ فِي الْفِعَالِ كَالتَّعْرِيضِ الْجَائِزِ فِي الْمَقَالِ، أَوْ تَكُونُ مُفْضِيَةً إِلَيْهِ لَكِنْ بِخَفَاءٍ[1] .

---

(١) انظر : إعلام الموقعين لابن القيم ٤/ ١٣٠ .

ومن تأمل أحاديث اللعن وجد عامتها لمن استحل محارم اللَّه وأسقط فرائضه بالحيل، كما قال ﷺ: «**لعن اللَّه اليهود، حُرمت عليهم الشحوم فجملوها**[١]، **وباعوها وأكلوا ثمنها**»[٢] و«**لعن اللَّه الراشي والمرتشي**»[٣]. و«**لعن اللَّه آكل الربا ومؤكله وشاهده وكاتبه..**»[٤]، و«**لعن في الخمر عاصرها ومعتصرها...**»[٥]، ومعلوم أنه إنما عصر عنبا... واللَّه تعالى مسخ الذين استحلّوا محارمه بالحيل قردة وخنازير جزاء من جنس عملهم، فإنهم لما مسخوا شرعه وغيّروه عن وجهه، مسخ وجوههم وغيّرها عن خلقتها.

ومن هذه الحيل: من يُسهّل على مسلم ترك فريضة الزكاة فيقول له: «إذا كان الحول فهب مالك لابنك، أو زوجك لحظة، ثم استوهبه إياه فإن الحول ينتقض، ولا تجب الزكاة.

حيل التحليل:

ومن الحيل الموجودة في كثير من الكتب المذهبية المتأخرة، تلك الصورة البشعة المنكرة التي يعافها الذوق السليم، ويلعن فاعليها الدين الحنيف، وهي نكاح التحليل أو (التجحيش) بقصد تحليل المرأة البائنة عن زوجها بينونة كبرى

---

(١) فجملوها أي: أذابوها ليزيلوا عنها اسم الشحم.

(٢) رواه البخاري ٢٠٧٢، ومسلم ٢٦٦١.

(٣) رواه أحمد، ابن حبان، وغيرهما، وصححه الألباني انظر مشكاة المصابيح ٥٣-٣٧.

(٤) رواه أحمد٦٥٣٢، وأبو داود٣١٠٩، والترمذي١٢٥٦، ابن ماجه٢٣٠٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع .٥٠٨٩

(٥) رواه الترمذي ١٢١٦، وابن ماجه ٣٣٧٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٣٥٧.

للرجوع إليه، بأن يؤتى رجل غريب يتواطئ معه على الدخول بها، بعد عقد شكلي، ثم يطلقها بعد ذلك لتحل لزوجها الأول، كقوله ﷺ : "لعن اللَّه المحلل والمحلل له "(١) وقد يكون الشيخ الذي يفتي بذلك هو الذي يدخل عليها؟!

والتحاليل لإسقاط الكفارة عمن أراد الوطء في رمضان، بأن يأكل ثم يطأ زوجته، وحيلة لمن أرادت أن تفسخ نكاح زوجها بأن تمكِّن ابنه من الوقوع عليها (كذا) وحيلة لمن أراد سقوط حد الزنا عنه، بأن يسكر ثم يزني .

وحيلة لمن أراد سقوط الحج عنه مع قدرته عليه بأن يُملِّك ماله لقريب له عند خروج الركب فإذا بعد استرد ماله، وحيلة لإسقاط حدّ السرقة بأن يدّعي السارق أن المال له، أو أن له فيه شركة، فيسقط عنه القطع بمجرد دعواه .

ومن أسباب شيوع الحيل : هو التقليد، فهؤلاء المتأخرون ليسوا علماء في الحقيقة، حتى يعرفوا حقائق الأمور، ومقاصد الشارع (٢) .

١٠- الأخذ بجزء من النّص دون الجزء الآخر .

وهذا أمر غريب وعجيب وقع فيه الفقهاء المتأخرون، ذلك أن المتأمل في كتبهم يجد أنهم استدلوا على بعض اجتهاداتهم بحديث، يدل جزء منه على رأي مذهبهم، فاحتجوا به وتمسكوا به، ويدلّ جزء منه على رأي مذهب آخر، فنبذوه وخالفوه، وليس لذلك سبب إلا التعصب لمذهبهم .

ومثال ذلك :

---

(١) رواه أحمد عن علي، ورواه الترمذي، والنسائي، عن ابن مسعود، ورواه الترمذي عن جابر. وصححه الألباني في صحيح الجامع .

(٢) إعلام الموقعين ٣/ ١٧١ - ١٧٢ .

١- ما احتجوا به على جواز الكلام والإمام على المنبر يوم الجمعة بقوله ﷺ للداخل: «أصليت يا فلان قبل أن تجلس؟ قال: لا، قال: قم فاركع ركعتين!»[١] وخالفوه فيما دلّ عليه فقالوا: «من دخل والإمام يخطب فليجلس ولا يصلي».

٢- واحتجوا في استخلاف الإمام إذا أحدث، بحديث: أن رسول اللَّه ﷺ قال في مرضه: مروا أبا بكر يصلي بالناس، قالت عائشة: قلت: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فَمُر عمر فليصل فقال: مروا أبا بكر فليصل للناس قالت عائشة لحفصة: قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل للناس ففعلت حفصة فقال رسول اللَّه ﷺ: مه إنكن لأنتن صواحب يوسف! مروا أبا بكر فليصل للناس قالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا "[٢].

ثم خالفوه فيما دلّ عليه فقالوا: من فعل ذلك بطلت صلاته، وأبطلوا من فعل مثل فعل النبي ﷺ وأبي بكر والصحابة.

١١- نشر الخلاف والانقسام والفتن بين المسلمين.

ومن مفاسد التعصب المذهبي المقيت، ونتائجه الضارة الخبيثة، تفريق جماعة المسلمين إلى مذاهب وشيع وفروق وطوائف، مختلفة في أكثر أمور الدين الواحد، في العقيدة والعبادة، والحلال الحرام، والفقه والأصول، والعاطفة والشعور.

القرآن يذم الخلاف: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

(١) رواه البخاري ٢٠١٨ في كتاب الجمعة.
(٢) رواه البخاري، ومسلم ٤١٨ في كتاب الصلاة.

تَفَرَّقُواْۚ﴾[١] وقال جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٣].

وقد أرشدنا ربنا تبارك وتعالى إلى الطريق الصحيح للقضاء على كل خلاف ونزاع فقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٤].

... وقد اختلف أصحاب رسول اللَّه ﷺ فخطّأ بعضهم بعضاً، ونظر بعضهم في أقاويل بعض وتعقبها، ولو كان قولهم كله صواباً عندهم لما فعلوا ذلك. وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في غير مسألة أنه قال: أقول فيها برأيي، فإن يك صواباً فمن اللَّه، وإن يك خطأ فمني وأستغفر اللَّه.

وغضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اختلاف أُبيّ بن كعب وابن مسعود رضي الله عنهم في الصلاة في الثوب الواحد، إذ قال أُبي: الصلاة في الثوب الواحد حسن جميل، وقال ابن مسعود: إنما كان ذلك والثياب قليلة. فخرج عمر مغضباً فقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ممن ينظر إليه ويؤخذ عنه، وقد صدق أُبي، ولم يأل ابن مسعود، ولكني لا اسمع أحداً يختلف فيه بعد مقامي هذا، إلا فعلت به كذا وكذا "[٥].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال آية ٤٦.

(٣) سورة الروم آية ٣١- ٣٢.

(٤) سورة النساء آية ٥٩.

(٥) جامع بيان العلم ٢/١٠٢ - ١٠٣.

شبهة وجوابها :

وقد يقال : إن الخلاف المذموم هو في العقائد والأهواء وعلى المناصب والدنيا، وأما الخلاف الفقهي فهو اختلاف اجتهادي، وأهله معذورون .

والجواب: أن الخلاف المذموم هو كل خلاف يمكن للناس معرفة حكم اللَّه تعالى فيه، ثم يعرضون عنه ويصرون على آرائهم، سواء كان هذا الخلاف في الدين أو في الدنيا، وفي العقائد أو في الفقه، فالآيات التي حذرت من الخلاف عامة ولم يأت ما يقيدها، وبعضها قد نهى عن الاختلاف في الدين بشكل خاص، وقد أمرنا اللَّه سبحانه وتعالى باتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأمرنا بالرجوع إليهما عند كل خلاف، أضف إلى ذلك أن الخلاف الذي حدث بين المسلمين لم يقتصر على الفروع بل كان في الأصول أيضاً .

١٢- التشدد في بعض المسائل، مما فيه عنت كبير على الناس .

ومثال ذلك سبب تشيع إيران : قال الأستاذ محب الذين الخطيب : «إن (خدابنده) أحد ملوك إيران سنة ٧٠٣ هـ وكان من أهل السنة، غضب يوماً من زوجته، فطلقها ثلاثاً، ثم أراد أن يردها إلى عصمته، فقال له فقهاء أهل السنة: إنه لا سبيل إلى ذلك حتى تنكح زوجاً غيرك، فصعب على الملك ذلك، فأشار عليه بعض حاشيته من الشيعة، بأن يدعو فقيهاً شيعياً من علماء (الحِلّة)، هو ابن المطهّر (الذي ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في الكتاب المذكور)، فلما حضر واستفتاه السلطان، سأله: «هل طلقت بمحضر شاهدين عدلين»؟ فقال: لا. فأفتى ابن المطهر بأن الطلاق لم يقع لأنه لم تتحقق شروطه، وله إرجاع زوجته.

فسرّ الملك واستخلص ابن المطهر لنفسه، ثم سوّل هذا للملك اعتناق مذهب الشيعة، فكتب إلى عماله يأمرهم بأن يخطبوا باسم الأئمة الاثنى عشر على المنابر، ونقش أسماءهم على نقوده، وعلى جدران المساجد .

وهكذا تشيعت إيران كلها، ثم كمل تشيّعها وتثبّت، عندما قامت الدولة الصفوية، التي تبنت مذهب الشيعة الغلاة [(١)] .

وكان الأولى من ذلك والأجدر بالفقهاء إرجاع زوجة الملك بناء على رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي يرى أن طلاق الثلاث في مجلس يعد طلقة واحدة، وقد استدل على ذلك بأدلة كثيرة منها : حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : «كان الطلاق الثلاث في عهد رسول اللّه ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة . فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم»[(٢)] .

ويضاف إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾[(٣)] فقد قال : مرتان، أي في وقتين مختلفين، ولم يقل : كلمتان . أو غير ذلك[(٤)]، [(٥)]

(١) انظر: تعليقه على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال لشيخ الإسلام ابن تيمية تلخيص الحافظ الذهبي ص ١٨ - ١٩ .

(٢) شرح النووي على مسلم ١٠/ ٧٠-٧٢ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

(٤) ورأي ابن تيمية هذا، هو الذي نراه حقاً وصواباً، وأما اجتهاد عمر فهو تدبير موقت، قصد به زجر الناس عن الاكثار من التلفظ بالطلاق الثلاث، ولا يمكن أن يلغي بحال من الأحوال السنة الثانية عن النبيﷺ .

وقد ذهب إلى هذا القول كثير من العلماء المحققين، منهم الإمام ابن القيم، والإمام الشوكاني، والصنعاني وصديق حسن خان، وسيد سابق وغيرهم رحمهم الله.

(٥) بدعة التعصب المذهبي للشيخ محمد عيد عباسي حفظه الله ٢٠٣، وانظر: التعصب المذهبي في المبحث العاشر نبذ التحزب والتعصب من هذا الكتاب .

من الشعر في التقليد

يا سائلي عن موضع التقليد خُذ　　عني الجواب بفهم لبّ حاضر
وأصِخْ إلى قولي ودِنْ بنصيحتي　　واحفظ عليّ بوادري ونوادري
لا فرق بين مقلد وبهيمةٍ　　تنقاد بين جَنَادِل ودعاثر
تبًّا لقاض أو لمُفتٍ لا يرى　　عَدْلا ومعنى للمقال السائر
فإذا اقتديت فبالكتاب وسنَّة الـ　　ـمبعوث بالدين الحنيفِ الطاهرِ
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهدْ　　ومع الدليل فملْ بفهم وافرٍ
وعلى الأصول فقِسْ فروعك لا تَقس　　فرعاً بفرع كالجهول الحائرِ .

وهذه كذلك بعض أبيات قالها العالم، منذر بن سعيد البلوطي خطيب الخليفة عبد الرحمن الناصر، في زفرة حرّى يشكو فيها من أغلال التعصب المذهبي المقيت ويصف حال المذهبيين المقلدين وموقفهم من دعاة الكتاب والسنة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ :

عذيري من قوم يقولون كلما　　طلبت دليلًا هكذا قال مالك
فان عدت قالوا: هكذا قال أشهب　　وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فان زدت قالوا: قال سُحنُن مثله　　ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فان قلت: قال اللّه ضجوا وأكثروا　　وقالوا جميعا: أنت قرن مماحك
وان قلت: قد قال الرسول، فقولهم　　أتت مالكاً في ترك ذاك المسالك

* * *

المبحث الخامس

نبذ البدع والأفكار الدخيلة

البدعة لغة :

أصل مادة (بدع) للاختراع على غير مثال سابق. ومنه قول اللَّه تعالى : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [(١)]، وقوله تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [(٢)].

ويقال : ابتدع فلان بدعة، يعني ابتدأ طريقة لم يسبقه إليها سابق، وهذا أمر بديع يقال في الشيء المستحسن الذي لا مثال له في الحسن، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة [(٣)].

البدعة اصطلاحاً :

«طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه»[(٤)].

البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية :

البدعة الحقيقية : هي التي لم يدل عليها دليل شرعي، لا من كتاب، ولا من سنة، ولا إجماع ولا قياس، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في الجملة، ولا في التفصيل، لذلك سميت بدعة، لأنها شيء مخترع على غير مثال

(١) سورة البقرة آية ١١٧ .

(٢) سورة الأحقاف آية ٩ .

(٣)، (٤) الاعتصام : للعلامة الشاطبي، تحقيق الشيخ مشهور حسن حفظه الله ١/ ٤٣-٥٤ .

سابق[١] .

ومن أمثلة ذلك :

١- الرهبنة بترك الزواج.   ٢- الوقوف بالشمس تعبداً .

البدعة الإضافية : وهي لها معنيان :

أ – أن يكون لها من الأدلة متعلقاً (أي من ناحية الأصل و الإجمال)، فلا تكون من تلك الجهة بدعة .

ب - ما كان ليس لها من الأدلة متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية [٢].

مثالها :

١- إفراد الجمعة بصيام أو ليلها بقيام .

٢- تخصيص شهر رجب بعمرة .

٣ – الذِكر الجماعي وغيرها .

التحذير من البدع

أولًا : من القرآن الكريم

قال تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٤] . قال ابن عباس رضي اللّه عنهما في تفسير هذه الآية : " أخبر اللّه تعالى

---

(١) الاعتصام ٢ / ١٢٧ للشاطبي ضبط وتخريج الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان حفظه الله .

(٢) المصدر السابق ٢ / ١٢٨ .

(٣) سورة الحديد آية ٢٧ .

(٤) سورة المائدة آية ٣ .

نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه اللَّه فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً» (١) . فالمبتدع يرى أن الدين لم يكمل، أو أن محمداً ﷺ خان الرسالة . قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن اللَّه يقول﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذ ديناً، فلا يكون اليوم ديناً» . (٢)

ثانياً : من السنة

١- المبتدع حقَّت عليه اللّعنة من رسول اللَّه ﷺ الذي قال : " **المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يُقطع شجرها، ولا يُحدث فيها حدث، ومن أحدث حدثاً، فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين** "(٣) .

٢- أن عمله مردود عليه : قال رسول اللَّه ﷺ : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد** "(٤) .

٣- أن صاحب البدعة في النار : قال رسول اللَّه ﷺ : "**وكل محدثة بدعة، وكل بدعة في النار**"(٥) .

٤- أن المبتدع عليه إثم من تبعه : قال رسول اللَّه ﷺ : «**ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»(٦) .

---

(١) تفسير ابن كثير ٢ / ١٢ .
(٢) تهذيب الفروق ٤/ ٢٢٥ .
(٣) رواه البخاري كتاب الحج باب حرم المدينة ١٧٣٤، ومسلم ٢٤٣٤ .
(٤) رواه البخاري ٢٤٩٩، ومسلم ٣٢٤٢ .
(٥) رواه مسلم ١٤٣٥، والنسائي ١٥٦٠ .
(٦) رواه مسلم ٤٨٣١، والترمذي ٢٥٩٨ .

ثالثاً: من أقوال الصحابة رضي اللَّه عنهم

١- عن معاذ بن جبل ﷺ أنه كان بالشام فقال: " أيها الناس! عليكم بالعلم قبل أن يُرفع، ألا وإن رفعه ذهاب أهله. وإياكم والبِدع والتّبدّع والتنطّع! وعليكم بأمركم العتيق ". (١)

٢- وعن أبيٍّ بن كعب ﷺ أنه قال: " عليكم بالسبيل والسُنّة؛ فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسُنّة ذكرَ اللَّه في نفسه، فاقشعر جلده من خشية اللَّه، إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها، فهي كذلك حتى أصابتها ريح شديدة فتحاتّ ورقها إلا حطّ اللَّه عنه خطاياه، كما تحاتّ تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسُنّة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسُنّة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم ". (٢)

٣- وعن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ أنه قال: " عليكم بتقوى اللَّه، وهذه الجماعة؛ فإن اللَّه لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة أبداً، وعليكم بالصبر، حتى يستريح برّ، أو يُستراح من فاجر "(٣).

وعنه أنه كان يقول: «عليكم بالطريق، فلئن لزمتموه لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن خالفتموه يميناً وشمالاً، لقد ضللتم ضلالاً بعيداً»(٤).

---

(١) البدع والنهي عنها للإمام محمد بن وضّاح ص: ٢٥.
(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة ١ / ٣٥٩، وشرح أصول اعتقاد أهل السُنّة للالكائي ص: ٥٤.
(٣) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٣١٣، ٣١٤ - ١٤٩.
(٤) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٣٣٢.

- وعنه أيضاً أنه قال: «عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وإياكم والتنطع والتبدُّع والتعمق وعليكم بالعتيق»[(١)] .

٤- وعن أبي الدرداء ﵁ قال : " لن تضل ما أخذت بالأثر "[(٢)] .

٥- وعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما : " ما ابتُدعت بِدعة إلا ازدادت مضياً، ولا نزعت سُنّة إلا زادت هرباً " .[(٣)]

٦- وقال رجل لابن عباس ﵄ : أوصني قال : " عليك بتقوى اللَّه والاستقامة اتبع ولا تبتدع "[(٤)] .

٧- وقال ابن عمر رضي اللَّه عنهما ﵄ : " كل بدعة ضلالة ولو رآها الناس حسنة " .[(٥)]

رابعا : من أقوال علماء السلف رحمهم الله

١- عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﵀ أنه كتب إلى بعض عماله : " أوصيك بتقوى اللَّه والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده فيما قد جرت به سنته وكفوا مؤونته واعلم أنه لم يبتدع إنسان

---

(١) رواه الدارمي ١ / ٦٦، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص : ٢٥، والمروزي في السُنّة ص ٢٥ ٥ .

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٣٥٣ .

(٣) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص : ٣٧، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُنّة ١/ ٩٣ - ١٨٢ .

(٤) رواه المروزي في السُنّة ص : ٢٤، والدارمي في سننه ١ / ٦٦، والبغوي في شرح السُنّة ١ / ٢١٤ .

(٥) رواه المروزي في السُنّة ص : ٢٤، وابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٣٣٩، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ٩٢ .

بدعة إلا قدم قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن اللَّه عصمة واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق فإن السابقين عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا وكانوا هم أقوى على البحث ولم يبحثوا "(١).

٢- قال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ محذرا من البدع : " ما أحدث رجل بدعة فراجع سنة "(٢).

٣- وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ : " ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من اللَّه بعدا "(٣).

٤- وعن أبي قلابة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال : «ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف»(٤).

٥- قال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ : " كان الفقهاء يقولون : «لا يستقيم قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة»(٥).

٦- وقال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ لبعض أصحابه : «تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٥ / ١٩، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص : ٣٠، وابن بطة في الإبانة الكبرى ١/ ٣٢١ . واللفظ له، وقال الألباني : صحيح مقطوع صحيح سنن أبي داود ٤٦١٢ .

(٢) رواه الدارمي في سننه ١ / ٨٠ - ٢٠٨، وابن بطة في الإبانة الصغرى ص: ١٣١، وأورده السيوطي في الأمر والاتباع ص : ٧٨ .

(٣) رواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص : ١٨، وأورده السيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص : ٨١ .

(٤) رواه الدارمي في سننه ١ / ٥٨ .

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٣٣٣، وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص : ١١ .

لا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينا وشمالا وعليكم بسنة نبيكم وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء "[١].

٧- وكان إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «لو أن أصحاب محمد مسحوا على ظفر لما غسلته؛ التماس الفضل في اتباعهم»[٢].

وقال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " إن المبتدع قد نزَّل نفسه منزلة المضاهي للشارع " .

وقال الإمام الدارمي: «أخبرنا الحكم بن المبارك أنبأنا عمرو بن يحيى قال سمعت أبى يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد اللَّه بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعرى فقال: أَخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعا. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت فى المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أرَ والحمد لله إلا خيرا. قال: فما هو؟ فقال: إن عشتَ فستراه، قال: رأيت فى المسجد قوما حِلقا جلوساً ينتظرون الصلاة، فى كل حلقة رجل وفى أيديهم حصى، فيقول: كِبروا مائة! فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة! فيُهللون مائة. ويقول: سبِحوا مائة! فيُسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم

---

(١) رواه المروزي في السُنّة ص: ٨، وابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٢٤٢ .

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى ١ / ٣٦١، ورواه الدارمي بمعناه في سننه ١ / ٨٣ – ٢١٨ .

أن لا يضيع من حسناتهم.

ثم مضى ومضينا معه، حتى أتى حلقة من تلك الحِلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذى أراكم تصنعون؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال : فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تُكسر، والذي نفسي فى يده، إنكم لعلى مِلة هى أهدى من مِلة محمد، أو مفتتحى باب ضلالة. قالوا : واللَّه يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول اللَّه ﷺ حدثنا أن قوما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم اللَّه ما أدرى لعلَّ أكثرهم منكم. ثم تولىَّ عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلق يُطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج "[١].

وأول من ابتدع التكبير الجماعي : معضد بن يزيد العجلي وأصحابه في الكوفة فنهاهم ابن مسعود رضي الله عنه وحصبهم بالحصى [٢] وقد انتهوا عن فعل ذلك ثم أظهرتها (التكبير الجماعي) الصوفية والرافضة في عهد المأمون وما بعده وكان فيه تشيع وهو الذي ابتدع التكبير الجماعي بعد الصلوات في المساجد[٣].

وعن عبد اللَّه بن أبي الهذيل العنبري قال: " كنا جلوسا مع عبد اللَّه بن خباب بن الأرت وهو يقول سبِحوا كذا وكذا، وكبِروا كذا. وكذا قال فمرّ

(١) سنن الدارمي ٦٨، ٦٩ .
(٢) انظ : الفتاوى ٣٥ / ٤١ .
(٣) انظر : البداية والنهاية ١٠/ ٢٧٠ .

خباب فنظر إليه ثم أرسل إليه فدعاه فأخذ السوط فجعل يضرب رأسه به وهو يقول يا أبتاه فيم تضربني؟ قال مع العمالقة؟ [(١)] هذا قرن الشيطان قد طلع أو قد بزغ "[(٢)].

ظهور بدعة التكبير عند قراءة القرآن :

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال كنت جالسا عند الأسود بن سريع وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع فأفتتح سورة نبي إسرائيل حتى بلغ "و كبره تكبيرا" فرفع أصوات الذين كانوا جلوسا حوله. فجاء مجالد بن مسعود يتوكأ على عصاه فلما رآه القوم قالوا: مرحبا مرحبا أجلس قال ما كنت لأجلس إليكم وإن كان مجلسكم حسنا ولكنكم صنعتم قبل شيئا أنكره المسلمون فإياكم وما أنكر المسلمين "[(٣)].

- **التعريف بأهل الأهواء والبدع**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : " والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء : ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة[(٤)].

- **متى يبدَّع الرجل؟**

لا يبدع أحد من أهل السنة أو يحكم بخروجه من دائرة أهل السنة بمجرد خطئه في الاجتهاد :

---

(١) يعني أنك ارتكبت امراً عظيماً في الدين، ارتقيت به مرتقى صعباً مهلكاً .
(٢) البدع والنهي عنها ٢١ .
(٣) البدع والنهي عنها ١٦ - ١٧ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥ / ٤١٤ .

قال محدث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

المبتدع : هو أولا الذي يحدث من عادته الابتداع في الدين وليس الذي يبتدع بدعة ولو كان هو فعلا ليس عن اجتهاد وإنما عن هوى مع هذا لا يسمى مبتدعا .

وأوضح مثالًا لتقريب هذا المثال أن الحاكم الظالم قد يعدل في بعض أحكامه فلا يقال فيه عادل كما أن العادل قد يظلم في بعض أحكامه فلا يقال فيه ظالم وهذا يؤكد القاعدة الإسلامية الفقهية :

أن الإنسان بما يغلب عليه من خير أو شر فإذا عرفنا هذه الحقيقة : عرفنا من هو المبتدع .

وقال أيضا : فيشترط إذن في المبتدع شرطان :

الشرط الأول : أن لا يكون مجتهدا وإنما يكون متبعا للهوى .

الشرط الثاني : أن يكون ذلك من عادته ومن ديدنه [١] .

فلا يحكم على أحد من علماء أهل السنة ونظارهم أو حكامهم بأنه مبتدع أو خارج عن أهل السنة والجماعة بسبب خطئه في الاجتهاد سواء كان ذلك الاجتهاد في مسألة من مسائل العقيدة والتوحيد أو في مسائل الحلال والحرام مما كثر فيه الاختلاف بين علماء الأمة . لأنه إنما قصد الحق وطلبه وهذا الذي أداه إليه اجتهاده فهو معذور في ذلك بل مأجور على اجتهاده فكيف يقال بتبديعه أو تفسيقه ؟!

وهذه المسألة من المسائل العظيمة التي يقررها أهل السنة ولم يخالف فيها

(١) سلسلة الهدى والنور الصوتية ٧٨٥ الوجه الثاني .

أحد من علماء المسلمين المعتد بأقوالهم وإنما خالف فيها أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ومن تأثر أو انخدع بأقوالهم من عوام المسلمين [١] .

قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[٢] . قال اللَّه : (قد فعلتُ) [٣] . وقال تعالى : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «فدلّت هذه النصوص على أنه لا يُكلف نفساً ما تعجز عنه ، خلافاً للجهمية الْمُجْبِرَةِ ، ودلَّت على أنه لا يؤاخذ المخطئ والناسي خلافاً للقدرية والمعتزلة .

وهذا فصل الخطاب في هذا الباب ، فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومفت وغير ذلك ، إذا اجتهد واستدل ، فاتقى اللَّه ما استطاع ، كان هذا هو الذي كلّفه اللَّه إياه ، وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ، ولا يعاقبه خلافاً للجهمية الْمُجْبِرَةِ»[٥] .

---

(١) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ١ / ٦٤ - ٦٥ للدكتور . إبراهيم بن عامر الرحيلي حفظه الله .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

(٣) صحيح مسلم (كتاب الإيمان - باب بيان أن الله سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق) ١/ ١١٦ الحديث ١٢٥ .

(٤) سورة التغابن آية ١٦ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٩ / ٢١٦ - ٢١٧ .

- **من علامات أهل الأهواء والبدع وصفاتهم:**

١- الفُرقة :

وقد أخبر اللَّه تعالى بقوله﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾(١) . وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾(٢) .

قال ابن كثير في تفسير الآية الثانية: «الآية عامة في كل من فارق دين اللَّه، وكان مخالفاً له، فإن اللَّه بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. وشرعه واحد، لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف فيه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أي : فرقاً كأهل المِلل والنِحل وهي الأهواء والضلالات، إن اللَّه تعالى قد برأ رسوله ﷺ مما هم فيه»(٣) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مؤكداً أن شعار فِرق أهل البدع هو التفّرق، ولهذا وُصِفت الفِرقة الناجية: بأنها أهل السنة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر، والسواد الأعظم وأما الفرق الباقية فإنهم الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء،ولا تبلغ الفِرقة من هؤلاء منها في غاية القلة، وشعار هذه الفِرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع»(٤) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٥ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٩٦ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣ / ٣٤٥ - ٣٤٦ .

٢- اتباع الهوى :

وهي أبرز صفاتهم، ولهذا أُطلق عليهم : أهل الأهواء والبدع، قال تعالى في وصفهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[١] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " أي إنما يأتمر بهواه، مهما رآه حسناً فعله، ومهما رآه قبيحاً تركه، وهذا قد يُستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين "[٢] .

وقد أخبر النبي ﷺ عن لزوم اتباع الهوى لأهل البدع، وأنه لا ينفك عنهم بحال في حديث افتراق الأمة، حيث قال : "**إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني أهل الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة. وإنه سيخرج في أُمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب[٣] بصاحبه، لا يبقى منه عِرق ولا مفصل إلا دخله**»[٤] .

٣- اتباع المتشابه :

وقد أخبر اللَّه تعالى عن اتصافهم بذلك في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٥ / ١٥٠ .

(٣) داء يعرض للإنسان من عض الكَلْب فيصيبه شبه الجنون، فلا يعض أحداً إلا كُلب، وتعرض له أعراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً.
النهاية لابن الأثير ٤/ ١٩٥ .

(٤) رواه أبو داود ٥ / ٥-٦ حديث ٤٥٩٧، والدارمي ٢ / ٣١٤، وأحمد ٤ / ١٠٢، وقال الألباني في (ظلال الجنة تخريج السنة) : حديث صحيح، انظر السُنّة لابن أبي عاصم مع ظِلال الجنة ص : ٣٣ .

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾(١) .

وروى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : تلا رسول اللَّه ﷺ هذه الآية : ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ قالت : فقال رسول اللَّه ﷺ : " **إذا رأيت الذين يتبّعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمَّى اللَّه، فاحذروهم** "(٢) .

٤- معارضة السّنة بالقرآن :

ومن علامات أهل البدع : معارضة السنة بالقرآن، ودعوى الاكتفاء بالقرآن عن السنة في التشريع كما أخبر بذلك رسول اللَّه ﷺ في قوله : ليوشك الرجل متكئاً على أريكته،(٣) يُحدَث بحديثي، فيقول : " **بيننا وبينكم كتاب اللَّه، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول اللَّه ﷺ، فهو مثل ما حرّم اللَّه** "(٤) .

قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " إذا سمعتَ الرجل يطعن على الآثار، أو يرد

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

(٢) صحيح البخاري (كتاب التفسير - باب منه آية محكمة . .) فتح الباري ٨ / ٢٠٩ الحديث ٤٥٤٧ .

(٣) الأريكة : السرير الذي له حجاب، وقيل : هو كل ما اتكئ عليه من سرير أو فراش أو منصة . انظر النهاية لابن الأثير .

(٤) رواه الإمام أحمد ٤ / ١٣٢، والدارمي ١ / ١٥٣، ، والحاكم في المستدرك ١ / ١٠٩، وصححه ووافقه الذهبي وكذلك رواه ابن ماجه في سننه ١ / ٧ حديث ٥٤، وصححه الألباني .

الآثار، أو يريد غير الآثار - فاتهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى، مبتدع " . (١)

٥- بغض أهل الأثر :

ومن علامات أهل البدع بغض أهل الحديث والأثر، والوقيعة فيهم :

فعن أحمد بن سنان القطان رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال : " ليس في الدنيا مبتدع إلا هو يبغض أهل الحديث " . (٢)

وقال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ : " علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية، يريدون إبطال الآثار " . (٣)

٦- إطلاق الألقاب على أهل السنة :

ومن علامات أهل البدع التي نصّ عليها العلماء : إطلاق الألقاب على أهل السنة بقصد انتقاصهم .

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ : " علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبِّهة، وعلامة القدرية، تسميتهم أهل الأثر مُجْبِرَة . وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية (٤) .

وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم

---

(١) كتاب شرح السنة للإمام البربهاري ص : ٥١ .

(٢) رواه إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص : ١٣٢ .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٧٩، وإسماعيل الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ١ / ١٣٢ .

(٤) لما كان المرجئة لا يقولون بزيادة الإيمان ونقصانه وأنه يتجزأ، ويخالفهم في ذلك أهل السنة، أطلقوا عليهم (نقصانية) نسبة إلى قولهم بزيادة الإيمان ونقصانيته .

واحد، ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء "[١].

ويقول الشيخ إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، أظهر آياتهم وعلاماتهم: شِدَّة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية وجهلة، وظاهرية مشبِّهة، اعتقاداً منهم في أخبار رسول اللَّه ﷺ أنها بمعزل عن العلم، وأن العلم ما يلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة، ووساوس صدورهم المظلمة..»[٢].

٧- ترك انتحال مذهب السلف:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمقصود أن المشهورين من الطوائف - بين أهل السنة والجماعة - العامة بالبدعة ليسوا منتحلين للسّلف، بل أشهر الطوائف بالبدعة الرافضة، حتى إن العامة لا تعرف من شعائر البدع إلا الرفض، والسُّني في اصطلاحهم من لا يكون رافضياً... فعُلم أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال مذهب السّلف، ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: «أصول السنة عندنا التمسّك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ»[٣].

٨- تكفير مخالفيهم بغير دليل:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من موضع من كتبه في الرد على من قال بتكفير المتأولين: «وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ١٧٩، وعقيدة السلف أصحاب الحديث لإسماعيل الأنصاري ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١/ ١٣٢.

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث - ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ١ / ١٣١ - ١٣٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٥٥.

بإحسان، ولا أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع، الذين يبتدعون بدعة ويُكفِّرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية»(١) .

وقال أيضاً : " والخوارج تُكفِّر أهل السُنّة والجماعة، وكذلك المعتزلة يُكفِّرون من خالفهم، وكذلك الرافضة، ومن لم يُكفِّر فَسَّق .

وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأياً ويُكفِّرون من خالفهم فيه .

وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذي جاء به الرسول ﷺ، ولا يُكفِّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق " (٢) .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سُئل عمَّن كفَّر مخالفيه: « الجواب أني لا أعلم مستنداً لهذا القول، والتجاسر على تكفير مَنْ ظاهره الإسلام من غير مستند شرعي، ولا برهان مرضي، يخالف ما عليه أئمة العلم من أهل السنة والجماعة، وهذه الطريقة طريقة أهل البدع والضلال»(٣) .

الموقف من أهل البدع :(٤)

عدم مجالسة أهل البدع :

١- قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد حديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في شرح

(١) منهاج السنة النبوية ٥ / ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٢) المصدر السابق ٥ / ١٥٨ .

(٣) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٣ / ٢٠

(٤) يلزم التنبيه على أن هذه الضوابط الآتية لا يشترط استعمالها مع كل مبتدع في كل حال مطلقاً، بل لا بد من التفصيل والتمييز بين أهل البدع وأنواع البدع، ومراعاة المصالح، حتى لا يستعملها طالب العلم في غير موضعها فينشر الفُرقة والعداء بين المسلمين ويعادي من لا يستحق العداء، لزعمه أنه من أهل البدع والواقع على خلاف ذلك ولقد ابتُليت الساحة الدعوية بمثل هذا السبب، وهو إهمال الضوابط والاندفاع بلا علم .

السنة في معرض استدلاله لمجانبة أهل البدع وهجرهم : « هذا حديث صحيح ، وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد ، وكان رسول اللَّه ﷺ خاف على كعب رضي الله عنه وأصحابه النفاق ، حين تخلّفوا عن الخروج معه ، فأمر بهجرانهم ، إلى أن أنزل اللَّه توبتهم وعرف رسول اللَّه ﷺ براءتهم ، وقد مضت الصحابة والتابعون ، وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجتمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم»[١] .

٢ – وروى ابن بطة رحمه الله في الإبانة عن أبي عثمان : «أن رجلًا كان من بني يربوع يُقال له صبيغ سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات والنازعات والمرسلات أو عن إحداهن . . . قال له عمر رضي الله عنه : ضع عن رأسك ! فوضع عن رأسه ، فإذا له وفيرة ، فقال : لو وجدتك محلوقاً [٢] لضربت الذي فيه عيناك ، قال : ثم كتب إلى أهل البصرة ، أن لا تجالسوه ، أو قال : كتب إلينا أن لا تجالسوه قال : فلو جلس إلينا ونحن مائة لتفرقنا عنه»[٣] .

٣- وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : «لا تجالس أهل الأهواء !فإن مجالستهم ممرضة للقلب»[٤] .

---

(١) شرح السنة ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٢) أي محلوق الرأس لكنت من الخوارج الذين من سيماهم التحليق كما ثبت عن النبيﷺ يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه سيماهم التحليق . رواه أحمد، والبخاري .

(٣) الإبانة الكبرى ٢ / ٤١٤ .

(٤) صحيح أخرجه الآجري في الشريعة ص : ١٦، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٢ / ٤٣٨ .

٤- وعن أبي قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول : « لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ! فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يُلبِّسوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّس عليهم»[١] .

٥- وعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال : «لا تُجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم»[٢] .

وعنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أنه كان ينهى عن مجالسة معبد الجهني، ويقول : « لا تجالسوه فإنه ضال مضل» [٣] .

٦- ويروى عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه دخل عليه رجلان من أهل الأهواء فقالا : « يا أبا بكر ! نحدثك بحديث ؟ قال : لا . قالا : فنقرأ عليك آية من كتاب اللَّه عَزَّ وَجَلَّ؟ قال : لا . لتقومنَّ عني أو لأقومنَّ»[٤] .

٧- وعن بشر بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقول في الجهمية: «لا تجالسوهم، ولا تكلموهم، وإن مرِضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟»[٥] .

٨- وعن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال : «أصول السنة عندنا التَّمسك بما كان

---

(١) صحيح أخرجه الدارمي في سننه ١ / ١٢٠، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ٢٤٤ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ / ١٣٣ .

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٢٤٣ .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه ١ / ١٢٠، وعبد الله بن أحمد في السنة ١/١٣٨، الآجري في الشريعة ص : ٥٧ .

(٥) أخرجه الآجري في الشريعة ص ٧٩ .

عليه أصحاب رسول اللَّه ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين " [(١)] .

٩- وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «سمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يُغلّظان في ذلك أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام، والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان، لا يفلح صاحب كلام أبداً»[(٢)] .

عدم السلام على أهل البدع :

عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال : « بئس القوم أهل البدع، لا نُسلِّم عليهم»[(٣)] .

وقال إبراهيم بن الحارث العُبادي، وأبو عبد اللَّه [(٤)] يسمع : «إذا كان صاحب بدعة فلا تُسلِّم عليه، ولا تصلِّ عليه . قال أبو عبد اللَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كافأك اللَّه يا أبا إسحاق، وجزاك اللَّه خيراً»[(٥)] .

ويقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضمن ذكره لأحكام أهل البدع « . . الثاني : الهجران وترك الكلام والسلام حسبما تقدم عن جملة السّلف في هجران

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١ /١٥٦ .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٩، ونصر المقدسي في مختصر الحجة ص٤٧٠ .

(٣)أخرجه البغوي في شرح السنة ١/ ٢٢٩، والسيوطي في الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٨٣ .

(٤) أبو عبد الله : الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٥) أخرجه الخلال ١ / ٤٩٣ - ٤٩٤ .

من تلبَّس ببدعة»[١] .

وذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ترك السلام من جملة وسائل هجران أهل البدع، فقد قال: «المراد بهجران أهل البدع : الابتعاد عنهم، وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم، وزيارتهم وعيادتهم»[٢] .

- **الفرق بين هجران أهل البدع ومن تَلَبّس بمعصية، وهجران الكفار، وذلك من وجهين :**

الوجه الأول : الافتراق بينهما في أصل النية الباعثة على ترك السلام على كل منهما : فيترك السلام على المبتدع المسلم، بقصد هجره وتأديبه، لا اعتقاد حرمة السلام عليه كالكافر .

الوجه الثاني : الافتراق بينهما في العمل : وذلك من ناحيتين :

* من ناحية التزام ترك السلام من عدمه :

فالمبتدع وصاحب المعاصي : التزام السلام عليهما وتركه مبني على المصلحة، أما الكافر فيجب الالتزام بعدم بدئه بالسلام .

* ومن ناحية صيغة رد السلام على كل منهما :

فالمبتدع وصاحب المعاصي : نرد السَّلَامُ بصيغة : «وعليك السلام. . . » أما الكافر : فإذا سلّم فنرد عليه بصيغة : وعليكم، كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا سلّم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»[٣] .

(١) الاعتصام ١ / ١٧٥ .

(٢) شرح لمعة الاعتقاد ص ١١٠ .

(٣) رواه أحمد في مسنده، والبخاري، ومسلم ٢١٦٣ . هذا إذا كانوا يقولون: السّام عليكم، – يعني الموت– وإلا فإذا علِمنا سلامهم صريحاً فنرد عليهم السلام. (والله أعلم).

- **عدم تعظيم أهل الأهواء والبدع وخاصة لمن كان يعارض السنة ويدعو إلى بدعته: ومن صور التعظيم :**

١- إطلاق الألقاب الحسنة :

والمشعرة بالتعظيم عليهم، فقد حذَّر العلماء من ذلك .

ومنه كلام العز بن عبد السلام : « وأما إكرامهم بالألقاب الحسنة، فلا يجوز إلا لضرورة، أو حاجة ماسة، وينبغي أن تهان الكفرة والفسقة »(١) .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف هدي النبي ﷺ : «وكان يكره أن يُستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك»(٢) .

ومن هذه الألقاب التي ورد النهي عنها على وجه الخصوص لفظ : (سيّد) كما في الحديث : « لا تقولوا للمنافق سيّد »(٣) .

وكذا الحُكم في كل لقب أو لفظ مُشعرٍ بالتعظيم، لا يجوز إطلاقه عليهم : (كالحكيم) و (العبقري) و (السّامي).

٢- **تكنيتهم**: فإنها من صور تعظيمهم وتكريمهم .

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : وأما الكُنية فهي نوع تكريم للمُكنَّى وتنويه به كما قال الشاعر :

أُكــنـيّــه حــيــن أنــاديــه لأكُــرِمــهُ ولا أُلــقِــبــه والــســوأة الــلقــب (٤)

---

(١) فتاوى العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ ٦٢ .

(٢) زاد المعاد ٢ / ٩ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود : ٤٣٢٥، وقال النووي : إسناده صحيح . وصححه الألباني، السلسلة ٣٧١ .

(٤) زاد المعاد ٢ / ٧ .

٣- استقبالهم بالبِشر والطلاقة :

ذكر الشيخ سليمان بن عبد اللَّه رَحِمَهُ اللَّهُ أن من صور موالاة أعداء اللَّه : «البشاشة لهم والطلاقة»(١) .

٤- تقديمهم في المجالس أو التلطّف معهم في الكلام :

فإنه من الإكرام لهم المنافي لما تقرر من وجوب إذلالهم وإهانتهم، والإغلاظ عليهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾(٢) .

٥- دعوتهم للطعام :

فإنه من أنواع الإكرام لهم، مع ورود النهي الصريح من النبي ﷺ حيث قال : « لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»(٣) .

٦- تهنئتهم في المناسبات :

العامة كالأعياد وغيرها، والمناسبات الخاصة : كالتهنئة بزواج أو ولادة مولود، أو قدوم غائب، أو بمنصب، أو ولاية، فإنها لا تجوز، لأنها من صور التعظيم لهم وعلى خلاف هدي السّلف .

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : « وقد كان أهل الورع من أهل العلم، يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات، وتهنئة الجهال بمنصب القضاء، والتدريس، والإفتاء، تجنباً لمقت اللَّه وسقوطهم من عينه»(٤) .

---

(١) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٧ / ٧٤ - ٧٥ .

(٢) سورة التوبة آية ٧٣ - سورة التحريم آية ٩

(٣) أخرجه أبو داود ٥/ ١٦٧، والترمذي بشرح تحفة الأحوذي ٧/ ٧٦، والدارمي ١/ ١٤٠، والحاكم في مستدركه : وقال صحيح الإسناد . وحسّنه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ١٢٢٦ .

(٤) أحكام أهل الذمة ١ / ٢٠٦ .

٧- استعمالهم في الوظائف الهامة :

كقضاء، أو إمارة، أو وزارة، فإنه من الإكرام لهم، وسبب في صرف أنظار العامة إليهم، وتعظيمهم لهم، وتوقيرهم إياهم .

وقد عاتب عمر ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ لما اتخذ كاتباً نصرانياً - لِما فهِمه من أن في استعماله إكراماً له، فقال له : « لا أُكرِمهم إذ أهانهم اللَّه، ولا أعزّهُم إذ أذلهم اللَّه، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم اللَّه»[١] .

- **حكم الصلاة خلف أهل البدع :**

إذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر في الإمامة، وجب ذلك .

لكن إذا ولّاه غيره ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان هو لا يتمكن من صرفه إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بتحصيل أعظم الضررين .

فإن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعاً، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعاً، فإذا لم يُمكِن منعُ المُظهِر للبدعة والفجور، إلا بضرر زائد على ضرر إمامته، لم يجز ذلك، بل يُصلى خلفه، مالا يمكن فعلها إلا خلفه كالجُمع والأعياد إذا لم يكن هناك إمام غيره .

ولهذا كان الصحابة يُصلّون خلف الحجاج، والمختار بن أبي عبيد الثقفي وغيرهما الجمعة والجماعة، فإن تفويت الجُمعة والجماعة أعظم إفساداً من

(١) نقله ابن القيم في أحكام أهل الذمة ١ / ٢١١ .

الاقتداء فيهما بإمام فاجر، لا سيما إذا كان التخلّف عنهما لا يدفع فجوره، فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة "[١].

- **حكم هجر أهل البدع :**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر قصة هجر النبي ﷺ لكعب وصاحبيه وأمر المسلمين بهجرهم، وأمر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المسلمين بهجر صبيغ: «فلهذا ونحوه، رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ، من المظهِرين للبدع، الداعين إليها، والمظهرين للكبائر، فأما من كان مستتِراً بمعصية أو مُسرًّا لبدعة غير مكفِرة، فإن هذا لا يُهجر، وإنما يُهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوع من العقوبة، وإنما يُعاقب من أظهر المعصية قولًا أو عملًا»[٢].

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وإن كان لا المهجور، ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشَّر والهاجر ضعيف، بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته، لم يُشرع الهجر بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قوماً ويهجر آخرين، كما أن الثلاثة الذين خُلِّفوا كانوا خيراً من أكثر المؤلفة قلوبهم، لما كان أولئك كانوا سادة مطاعين في عشائرهم، فكانت المصلحة الدينية في تأليف قلوبهم، وهؤلاء كانوا مؤمنين، والمؤمنون سواهم كثير، فكان في هجرهم عزّ الدين وتطهيرهم من ذنوبهم، وهذا كما أن المشروع في العدو القتال

---

(١) المسائل الماردينية، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤ / ١٧٤ - ١٧٥ .

تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك حسب الأحوال والمصالح»[١].

كما أن فيه دليلًا على أن هجران الإمام، والعالِم والمطاع، لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه له دواء، بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه؛ إذ المراد تأديبه لا إتلافه[٢].

وهذا كله يتعلّق بالنظر في أحوال المبتدع نفسه.

وأما ما يتعلّق بالهاجر :

فأن يُراعي عند النظر في هجر أهل البدع، حال الهاجر لهم من حيث اتساع علمه ورسوخ قدمه في العلم، أو ضعفه وعدم تمكنه في العلم، بحيث يخشى عليه الافتتان بمجالسة أهل البدع، ومخالطتهم، فإن لذلك أثره في تقرير مشروعية الهجر من عدمه.

فيُشرع للعالِم المتبحر في العلم الجلوس مع أهل البدع، إن تحققت بذلك مصلحة راجحة كدعوتهم للسنة، وتوضيح ما يُشكل عليهم فهمه[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨ / ٢٠٦ .

(٢) زاد المعاد ٣ / ٢٠ .

(٣) موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع ٢/ ٥٥٦ للشيخ الدكتور : إبراهيم بن عامر الرحيلي حفظه لله .

فصل

الغلو في مسألة الهجر والتبديع

وهذه المسألة (مع الأسف) قد انتشرت، خاصة في أوساط شباب هذه الدعوة . وإليك كلام علماء السَّلف في القديم والحديث حول هذه المسألة :

- **أقوال أئمة السّلف المتقدمين :**

١- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

بعد مناقشة أبي إسماعيل الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ في بعض مسائل التوبة : «ولا توجب هذه الزَلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه، وإساءة الظن به، فَمَحله من العلم، والأمانة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك، المحل الذي لا يُجهل، وكل أحد فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم صلوات اللَّه وسلامه عليه، والكامل من عُد خطؤه[(١)] .

٢- وقال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ :

ولو أنَّا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له، قمنا عليه وبدَّعناه وهجرناه، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نصر[(٢)]، ولا ابنُ مندة[(٣)]، ولا من

---

(١) مدارج السالكين ١ / ١٩٨ .

(٢) هو الإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي قال عنه الحاكم : إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، سمع من يحيى التميمي، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة وغيرهم، وقد غلط في مسألة اللفظ بالقرآن ومسألة الإيمان .

(٣) ابن مندة: الامام الحافظ المحدِّث أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده. ولد سنة ٣١٠ بأصبهان بدأ السماع وعمره ٧ سنوات ورحل إلى نيسابور وعمره حينذاك تسع عشرة سنة وأنه سمع بها نحواً من خمسمائة ألف حديث، ورحل إلى العراق والشام ومصر وكان مجانباً لأهل البدع .انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي، تذكرة الحفاظ=

هو أكبر منهما، واللَّه هو هادي الخلق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ باللَّه من الهوى والفظاظة [(١)].

٣- قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ - شارح الطحاوية -: «وهذا أمر متيقّن به في طوائف كثيرة، وأئمة في العلم والدين [(٢)]، وفيهم بعض مقالات الجهمية، أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع من فروعها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السّلف المشاهير»[(٣)]. فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ومن ممادح أهل العلم أنهم يُخَطِّئون ولا يكفِّرون.

- **أقوال بعض علماء السلف المعاصرين**

١- قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]:

شاع في هذا العصر أن كثيراً من المنتسبين إلى العلم، والدعوة إلى الخير، يقعون في أعراض كثير من إخوانهم الدعاة المشهورين، ويتكلمون في

= للذهبي ٣/ ١٠٣٦ ط الثالثة سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٧٥ .، البداية والنهاية ١١/ ٣٣٦ط الأولى سنة ١٩٦٦ م مكتبة النصر - الرياض، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥/ ورقة ٣٢ - ٣٤ خ / المجمع اللغوي بدمشق .

(١) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤٠ .

(٢) وانظر إلى قول الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في حديث صفة الضحك لله تعالى: «أما قوله: يضحك الله فمعناه: يرحم الله عبده عند ذاك، ويتلقاه، بالروح والراحة والرحمة والرأفة، وهذا مجاز مفهوم». [انظر: سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٤٥].

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٤٣٩ .

(٤) نُشر في الصحف اليومية السعودية: الجزيرة، والرياض، والشرق الأوسط، يوم السبت (٢٢/ ٦/ ١٤١٢هـ).

أعراض طلبة العلم والدعاة والمحاضرين . يفعلون ذلك سرًّا في مجالسهم، ورُبَّما سجّلوه في أشرطة تُنشر على الناس، وقد يفعلونه علانية في محاضرات عامة في المساجد، وهذا المسلك مُخالف لما أمر اللَّه به ورسوله من جهات عديدة منها :

أولًا : أنّه تَعدٍّ على حقوق الناس من المسلمين، بل من خاصَّة الناس من طلبة العلم والدعاة الذين بذلوا وسعهم في توعية الناس وإرشادهم وتصحيح عقائدهم ومناهجهم، واجتهدوا في تنظيم الدروس والمحاضرات وتأليف الكتب النافعة .

ثانياً: أنّه تفريق لوحدة المسلمين وتمزيق لصفِّهم، وهم أحوج ما يكونون إلى الوحدة والبُعد عن الشتات والفُرقة، وكثرة القيل والقال فيما بينهم، خاصَّة وأن الدُعاة الذين نيل منهم من أهل السنة والجماعة، المعروفين بمحاربة البدع والخرافات والوقوف في وجه الدعاة إليها، وكشف خططهم وألاعيبهم .

ولا نرى مصلحة في مثل هذا العمل إلا للأعداء المتربصين من أهل الكفر والنفاق أو من أهل البدع والضلال .

ثالثاً: أنّ هذا العمل فيه مظاهرة ومعاونة للمغرضين من العلمانيين والمستغربين وغيرهم من الملاحدة، الذين اشتُهر عنهم الوقيعة في الدعاة والكذب عليهم والتحريض ضدهم فيما كتبوه وسجّلوه، وليس من حق الأخوَّة الإسلامية أن يعين هؤلاء المتعجلون أعداءهم على إخوانهم من طلبة العلم والدعاة وغيرهم .

رابعاً: أنَّ في ذلك إفساداً لقلوب العامة والخاصَّة، ونشراً وترويجاً للأكاذيب والإشاعات الباطلة، وسبباً في كثرة الغيبة والنميمة، وفتح أبواب

الشر على مصاريعها لضعاف النفوس، الذين يدأبون على بث الشُّبه وإثارة الفتن، ويحرصون على إيذاء المؤمنين بغير ما اكتسبوا .

خامساً: أن كثيراً من الكلام الذي قيل لا حقيقة له، وإنّما هو من التَّوهُّمات، التي زيَّنها الشيطان لأصحابها وأغراهم بها، وقد قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾(١) .

والمؤمن ينبغي أن يحمل كلام أخيه المسلم على أحسن المحامل، وقد قال بعض السّلف: (لا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجدُ لها في الخير محملًا) .

سادساً: وما وُجِدَ من اجتهاد لبعض العلماء وطلبة العلم فيما يسوغ فيه الاجتهاد، فإنَّ صاحبه لا يؤاخذ به، ولا يُثرَّب عليه، إذا كان أهلًا للاجتهاد، فإذا خالفه غيره في ذلك كان الأجدر أن يجادله بالتي هي أحسن، حرصاً على الوصول إلى الحقِّ من أقرب طريق، ودفعاً لوساوس الشيطان وتحريشه بين المؤمنين، فإن لم يتيسر ذلك ورأى أحد أنّه لا بدَّ من بيان المخالفة، فيكون ذلك بأحسن عبارة وألطف إشارة دون تَهجُّم أو تجريح أو شطط في القول، قد يدعو إلى رد الحق أو الإعراض عنه ودون تعرُّض للأشخاص، أو اتهام للنيَّات، أو زيادة في الكلام لا مسوغ لها، وقد كان الرسول ﷺ يقول في مثل هذه الأمور: «ما بال أقوام قالوا كذا كذا»(٢) .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٢ .

(٢) كما في الحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت: «كان رسول اللهُ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول، ولكن يقول: « ما بال أقوام يقولون كذا كذا» . صحيح أبي داود في سننه، باب الإذن والاستئذان وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٢٠٦٤ .

٢- **وقال شيخنا الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ : "في شريط مُسجَّل ينصح فيه بعض الشباب[(١)] :

« . . . إنَّما عليكم بالعلم، فالعلم هو الذي يكشف هل هذا الكلام في ذمِّ زيد من الناس لأنَّ له أخطاء كثيرة، وهل يحق لنا أن نُسمّيه صاحب بدعة أو هو مبتدع، ما لنا ولهذه التعمقات، أنا لا أنصح بأن تتعمقوا كل هذه التعمقات؛ لأنَّ الحقيقة نحن نشكو الآن هذه الفُرقة التي طرأت على المنتسبين لدعوة الكتاب والسنة أو كما نقول نحن (الدعوة السَّلفية)، هذه الفُرقة - واللَّه أعلم - السبب الأكبر فيها هو حظ النفس الأمّارة بالسوء، وليس هو الخلاف في بعض الآراء الفكرية. فنحن نجد في أئمة الحديث من يتقبلون حديثه، ويقال في روايته: أنّه خارجي، أو مرجئ . . . الخ، وهذه كلها ضلالات، لكن يوجد عند هؤلاء ميزان يتمسّكون به ولا يُرجحون تكلفة سيئة على الحسنات، أو سيئتين أو ثلاثاً على جملة حسنات ومن أعظمها شهادة أن لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه .

وقال أيضاً : « . . . [(٢)]إنني في بعض الأحيان قد يَبدُر منّي أثناء حديثي عبارات في أشخاص أو كلمات في أعيانٍ أو هيئاتٍ، ما قلتها إلا غيرةً على الدِّين، واهتماماً بأحكامه، لا تحريضاً على أحد ولا إثارة لأحقاد. وليس هذا غريباً من أمثالنا نحن الخلف، المُحاطين بظلمات من الفتن، فقد صدر نحوها أو مثلها أو ما هو أقسى منها من الرسول ﷺ أو بعض الصحابة، مثل قول أحدهم للرسول ﷺ : ما شاء اللَّه وشئت يا رسول اللَّه، فقال له ﷺ : «

(١) سلسلة الهدى والنور الصوتية ٧٨٤ الوجه الأول .

(٢) مقدمة مجموع فتاويه ١ / ٥ بإملائه نقلًا من كتاب (أهل الإفك والبهتان الصادون عن السنة والقرآن) للشيخ المغراوي حفظه الله .

أجعلتني لله ندا» (١)وقوله ﷺ لذلك الخطيب الذي قال : من يُطع اللَّه ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال له ﷺ : «بئس خطيبُ القوم أنت »(٢) .

ولكِنّا قد ابتُلينا في العصر الحاضر، بأُناس يتتبعون العثرات والمتشابهات، ويُعرضون عن المُحكمات الواضحات المُؤكَّدات، لما قلنا بقصد إيقاع الفتنة بين الإخوة المؤمنين، أو بينهم وبين بعض أولياء الأمور، ولذلك فقد رأينا أن نُعدِّل بعض الكلمات التي تبيَّن لنا بعد دراسة محتويات كثير من الأشرطة المنسوخة، أنَّه من ذاك القبيل، وأنّ الأولى عدم النطق بها، ثم ليمُت المفسدون في الأرض غيظاً، أولئك الذين قال اللَّه في حق أمثالهم: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾(٣) .

وقال نبينا محمد ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبَه ! لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع اللَّه عورته ومن تتبع اللَّه عورته، فضحه ولو في جوف بيته»(٤).

وفي رواية :« ولو في جوف رحلِه » .

٣- **قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على السؤال التالي :

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الكفارات عن ابن عباس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : «إذا حلف أحدكم فلا يقل ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت» .

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم (كتاب الجمعة)، عن عدي بن حاتم أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال : " من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى) .

(٣) سورة النساء آية ١١٢ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه كتاب الأدب من حديث أبي برزة الأسلمي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٨٦١ .

فضيلة الشيخ جزاكم اللّه خيراً: نريد أن نعرف ما هي السلفية كمنهج، وهل لنا أن ننتسب إليها؟ وهل لنا أن ننكر على من لا ينتسب إليها، أو ينكر التسمي بكلمة سلفي أو غير ذلك؟ وجزاكم اللّه خير ؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

السلفيَّة هي اتباع منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ لأنهم سلفنا تقدموا علينا، فاتِّباعهم هو السلفيَّة، وأما اتِّخاذ السلفيَّة كمنهج خاص ينفرد به الإنسان ويضلل من خالفه من المسلمين ولو كانوا على حقٍّ : فلا شكَّ أن هذا خلاف السلفيَّة، فالسلف كلهم يدْعون إلى الإسلام والالتئام حول سنَّة الرسول ﷺ، ولا يضلِّلون مَن خالفهم عن تأويل، اللهم إلا في العقائد، فإنهم يرون من خالفهم فيها فهو ضال.

لكن بعض من انتهج السلفيَّة في عصرنا هذا صار يضلِّل كل من خالفه ولو كان الحق معه، واتَّخذها بعضهم منهجاً حزبيّاً كمنهج الأحزاب الأخرى التي تنتسب إلى الإسلام، وهذا هو الذي يُنكَر ولا يُمكن إقراره، ويقال: انظروا إلى مذهب السلف الصالح ماذا كانوا يفعلون في طريقتهم وفي سعة صدورهم في الخلاف الذي يسوغ فيه الاجتهاد، حتى إنهم كانوا يختلفون في مسائل كبيرة، في مسائل عقديَّة، وفي مسائل علميَّة، فتجد بعضَهم- مثلًا -يُنكر أن الرسول ﷺ رأى ربَّه، وبعضهم يقول بذلك، وبعضهم يقول إن الذي يُوزن يوم القيامة هي الأعمال، وبعضهم يرى أن صحائف الأعمال هي التي تُوزن، وتراهم - أيضاً - في مسائل الفقه يختلفون، في النكاح، في الفرائض، في العِدَد، في البيوع، في غيرها، ومع ذلك لا يُضلِّل بعضهم بعضاً .

فالسلفيَّة بمعنى أن تكون حزباً خاصّاً له مميزاته ويُضلِّل أفراده سواهم: فهؤلاء ليسوا من السلفيَّة في شيء .

وأما السلفيَّة التي هي اتباع منهج السلف عقيدةً، وقولًا، وعملًا، واختلافاً، واتفاقاً، وتراحماً، وتوادّاً، كما قال النَّبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثَل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسّهر»[١]. فهذه هي السلفيَّة الحقَّة "[٢].

٤- قال العلامة عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه اللَّه :

حصل في هذا الزمان انشغال بعض أهل السنة ببعض تجريحاً وتحذيراً، وترتب على ذلك التّفرُّق والاختلاف والتهاجر، وكان اللائق - بل المتعيّن - التواد والتراحم بينهم، ووقوفهم صفاً واحداً في وجه أهل البدع والأهواء المخالفين لأهل السنة والجماعة، ويرجع ذلك إلى سببين :

أحدهما : أنَّ مِن أهل السنة في هذا العصر، من يكون ديدَنَه وشغلُه الشاغل تتبُّع الأخطاء والبحث عنها، سواء كانت في المؤلفات أو الأشرطة، ثم التحذير مِمَّن حصل منه شيءٌ من هذه الأخطاء، ومن هذه الأخطاء التي يُخرَّج بها الشخص ويُحذَّر منه بسببها: تعاونه مثلًا مع إحدى الجمعيات بإلقاء المحاضرات أو المشاركة في الندوات، وهذه الجمعية قد كان الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين - رحمهما اللَّه - يُلقيان عليها المحاضرات عن طريق الهاتف .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٦٧٥١ في كتاب البر والصلة والأدب .

(٢) لقاءات الباب المفتوح السؤال ١٣٢٢ .

ويُعاب عليها (الجمعية) دخولها في أمر قد أفتاها به هذان العالمان الجليلان، واتِّهام المرء رأيه أولى من اتِّهامه رأي غيره، ولا سيَّما إذا كان رأياً أفتى به كبار العلماء، وكان بعضُ أصحاب النبي ﷺ بعدما جرى في صلح الحُديبية يقول : " يا أيها الناس ! اتِّهموا الرأي في الدِّين " .

ومِن المجروحين من يكون نفعه عظيماً، سواء عن طريق الدروس أو التأليف أو الخُطب، ويُحذَّر منه، لكونه لا يُعرف عنه الكلام في فلان أو الجماعة الفلانية مثلًا، بل لقد وصل التجريح والتحذير إلى البقيَّة الباقية في بعض الدول العربية، مِمَّن نفعهم عميم وجهودهم عظيمة في إظهار السنَّة ونشرها والدعوة إليها، ولا شك أنَّ التَّحذير من مثل هؤلاء فيه قطع الطريق بين طلبة العلم ومن يُمكنهم الاستفادة منهم علماً وخلقاً .

والثاني : أنَّ مِن أهل السنَّة مَن إذا رأى أخطاء لأحد من أهل السنة، كتب في الردِّ عليه، ثم إنَّ المردود عليه يُقابل الردَّ بردٍّ، ثم يشتغل كلٌّ منهما بقراءة ما للآخر من كتابات قديمة أو حديثة، والسّماع لِمَا كان له من أشرطة كذلك؛ لالتقاط الأخطاء وتصيُّد المثالب؛ وقد يكون بعضُها من قبيل سبق اللسان، ويتولَّى ذلك بنفسه، أو يقوم له غيرهُ به، ثم يسعى كلٌّ منهما إلى الاستكثار من المؤيِّدين له المُدينين للآخر، ثم يجتهد المؤيِّدون لكلٍّ واحد منهما بالإشادة بقول من يؤيِّده، وذمّ غيره وإلزام من يلقاه بأن يكون له موقف مِمَّن لا يؤيده، فإن لم يفعل بدَّعه تبعاً لتبديع الطرف الآخر، وأتبع ذلك بهجره، وعملُ هؤلاء المؤيِّدين لأحد الطرفين الذامِّين للطرف الآخر من أعظم الأسباب في إظهار الفتنة ونشرها على نطاق واسع، ويزداد الأمر سوءاً إذا

قام كلّ من الطرفين والمؤيِّدين لهما بنشر ما يُذمُّ به الآخر في شبكة المعلومات (الإنترنت)، ثم ينشغل الشباب من أهل السنة في مختلف البلاد، بل في القارات، بمتابعة الاطلاع، على ما يُنشر بالمواقع التي تنتشر لهؤلاء وهؤلاء من القيل والقال الذي لا يأتي بخير، وإنَّما يأتي بالضرر والتفرُّق، مِمَّا جعل هؤلاء وهؤلاء المؤيِّدين لكل من الطرفين يشبهون المتردِّدين على لوحات الإعلانات للوقوف على ما يجدُ نشره فيها، ويُشبهون أيضاً المفتونين بالأندية الرياضية الذين يُشجِّع كلٌّ منهم فريقاً، فيحصل بينهم الخصام والوحشة والتنازع نتيجة لذلك [١].

٥- ويقول العلَّامة الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ [٢]

وهذا الانشقاق في صف أهل السنَّة لأول مرة - حسبما نعلم - يُوجدُ في المنتسبين إليهم من يشاقُّهم، ويُجنِّد نفسه لمُثافنتهم [٣]، ويتوسَّد ذراع الهمِّ لإطفاء جذوتهم والوقوف في طريق دعوتهم، وإطلاق العنان للسان يفري [٤] في أعراض الدعاة ويلقي في طريقهم العوائق في عصبية طائشة، فلو رأيتهم مساكين يُرثى لحالهم وضياعهم، وهم يتواثبون ويقفزون، واللَّه أعلم بما يوعون، لأدركت فيهم الخفَّة. والطّيش في أحلام طير، وهذا شأن من يَخفُقُ على غير قاعدة، ولو حاججت الواحد منهم، لما رأيت عنده إلا قطعةً

---

(١) رسالة : رفقاً أهل السنَّة بأهل السنَّة ص ٤٤ - ٤٧ .

(٢) كتاب (تصنيف الناس بين الظن واليقين) للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ ص ٤٠، ٤١ الطبعة الأولى دار العاصمة عام ١٤١٤ هـ .

(٣) لمُثافنتهم : لملازمتهم حتى يعرف بواطن أمورهم . (الوسيط) .

(٤) يفري : يدعي كذباً .

من الحماس يتدثر بها على غير بصيرة، فيصل إلى عقول السُذَّج من باب هذه الظاهرة : الغيرة، نصرة السُنَّة، وحدة الأمَّة، وهم أوّل من يضع رأس المعول لهدمها، وتمزيق شملها .

٦- قال الشيخ العلاَّمة صالح الفوزان - حفظه اللَّه -

وقد سُئل الشيخ : ما رأي فضيلتكم في ذلك التراشق المكتوب والمسموع الذي حدث بين بعض العلماء ؟ ألا ترون أن جلوسهم للحوار كان أجدى ؟ وأنَّ ذلك ربَّما أفسد مشاريعهم الإسلاميَّة؟ (١)

فأجاب الشيخ : العلماء المعتبرون لم يحصل بينهم شيء مما ذُكر في السؤال، وإنَّما الذي يُمكن حدوثه من ذلك هو بين بعض المتعلمين والشباب المتحمس، ونسأل اللَّه لهم الهداية والتوفيق، وندعوهم إلى ترك هذا العمل المشين، والتآخي فيما بينهم على البر والتقوى، والرجوع إلى أهل العلم فيما أشكل من الحق، ليستبين لهم طريق الصواب .

وفي سؤال آخر: فضيلة الشيخ ! هل من نصيحة للشباب الذي ترك تعلُّم العلم الشرعي والدعوة إلى الله، وأخذ يخوض في الخلاف بين العلماء بلا علم ولا بصيرة؟(٢)

فأجاب : أنا أوصي جميع إخواني - وخاصَّةً الشباب وطلبة العلم - أن يشتغلوا بطلب العلم الصحيح، سواء كانوا في المساجد أو في المدارس أو في المعاهد أو في الكليَّات، أن يشتغلوا بدروسهم وبمصالحهم، ويتركوا

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة، للشيخ صالح الفوزان ٣ / ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ٣ / ٣٣٢ .

الخوض في هذه الأمور لأنها لا تأتي بخير وليس من المصلحة الدخول فيها وإضاعة الوقت فيها وتشويش الأفكار .

هذه من المعوِّقات عن العمل الصالح، ومن الوقوع في الأعراض والتحريش بين المسلمين .

فعلى المسلمين عموماً، وعلى الطُلاب خصوصاً، أن يتركوا هذه الأمور، ويسعوا بالإصلاح مهما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[١] .

ومن رأيتم عليه خطأ فعليكم بمناصحته، وبيان خطئه فيما بينكم وبينه، وطلب رجوعه إلى الصواب وهذا مقتضى النصيحة .

وقال حفظه اللَّه في محاضرة [ظاهرة التّبديع والتّفسيق والتكفير وضوابطها]:

ولهذا يجب على شباب المسلمين، وطلّاب العلم، أن يتعلموا العلم النافع من مصادره، وعلى أهله المعروفين به، ثم بعد ذلك يعلمون كيف يتكلمون، وكيف يُنزلون الأمور منازلها؛ لأن أهل السنَّة والجماعة قديماً وحديثاً قد حفظوا ألسنتهم فلم يتكلموا إلا بعلم[٢] .

* * *

(١) سورة الحجرات آية ١٠ .

(٢) محاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح الفوزان ٣ / ٣٩١ .

المبحث السادس

طلب العلم النافع

إن من أهم أصول الدعوة السَّلفية : العناية بطلب العلم الشرعي وتعليمه ؛ لأن ذلك من الواجبات الشرعية والأُسس الدعوية ، وقد جاء في ذلك أدلة كثيرة ، منها :

- **من القرآن الكريم :**

١- قال تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وعموم هذه الآية ، فيها مدح أهل العلم ، وأن أعلى أنواعه : العلم بكتاب اللَّه المنزَّل»(٢) .

٢- وقال تعالى : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾(٣) .

٣- وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٤) .

قال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : «العالِم بالرحمن من عباده ، من لم يُشرك به شيئاً ، وأحلّ حلاله وحرَّم حرامه ، وحفِظ وصيَّته ، وأيقن أنه ملاقيه ، ومحاسب بعمله»(٥) .

---

(١) سورة النحل آية٤٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤/٢٠٦ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٨ .

(٤) سورة فاطر آية ٢٨ .

(٥) تفسير ابن كثير ٣/٥٥٣ .

- **من السنة :**

١- عن أنس بن مالك ﵁ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**"(١) .

٢- وعن معاوية ﵁ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : "**من يرد اللَّه به خيراً، يفقّهه في الدين**"(٢) .

٣- وعن أبي الدرداء ﵁ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك اللَّه به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورّثوا العِلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(٣) .

- **من أقوال الصحابة :**

١- عن عمر بن الخطاب ﵁ قال : «تفقّهوا قبل أن تسودوا»(٤) .

أي تعلّموا العِلم ما دمتم صغاراً، قبل أن تصيروا سادة .

٢ - وقال عبد اللَّه بن مسعود ﵁ : « اغدُ عالماً أو متعلماً، ولا تغد إمّعة

---

(١) رواه ابن ماجه ١/ ٤٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٨٠٨ .

(٢) رواه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٢١ .

(٣) رواه أحمد ٢/ ٢٥٢، ٣٢٥، ٤٠٧، وأبو داود كتاب العلم، و الترمذي كتاب القرآن ١٠ وعلم ١٩، وابن ماجه في المقدمة ص ١٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٧٣ .

(٤) أخرجه البخاري، تعليقاً بصيغة الجزم ١/ ١٦٥، والدارمي، وابن عبد البر وغيرهم.

بين ذلك»[١].

٣- وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال : " إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة : فعالم ربّاني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق "[٢].

- **مراتب العلم**

وللعلم ستة مراتب :

الأولى : حسن السؤال . فمِن الناس من يُحرمه لعدم حسن سؤاله، إما لأنه لا يسأل بحال، أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه مِنه، كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها، ويدع ما لا غِنى له عن معرفته، وهذه حال كثير من الجهّال المتعلمين . قال عبد اللَّه بن أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب العِلل له : كان عروة بن الزبير يحب مماراة ابن عباس، فكان يخزن عِلمه عنه، وكان عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة يلطف له في السؤال، فيعزُّه بالعِلم عزاً .

الثانية : حسن الإنصات والاستماع، ومن الناس من يُحرمه لسوء إنصاته، فيكون الكلام والمماراة آثر عنده وأحبّ إليه من الإنصات، وهذه آفة كامنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم، وهي تمنعهم علماً كثيراً، ولو كان حسن الفهم.

وقال ابن جريج رَحِمَهُ اللَّهُ : "لم أستخرج العِلم الذي استخرجتُ من عطاء إلا بِرفقي به" .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٢٩ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٢٩، والاعتصام للشاطبي ٢/ ٣٥٨ .

وقال بعض السَّلف : إذا جالست العالِم، فكُن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾[١] . فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العِلم وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العِلم والهدى، وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها[٢] .

الثالثة : حسن الفهم **الرابعة** : الحفظ **الخامسة** : التعليم، **السادسة** : العمل به، ومراعاة حدوده .

انقسام العِلم إلى نافع وغير نافع :

قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفعُ به، أو ولد صالح يدعو له**»[٣] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**اللَّهم انفعني بما علَّمتني، وعلِّمني ما ينفعني وزدني علماً**»[٤] .

وقال ﷺ : «**اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يُستجاب لها**»[٥] .

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والعلم ما قام عليه الدّليل، والنافع منه ما جاء به

---

(١) سورة ق آية ٣٧ .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢ / ٢٤- ٢٥ .

(٣) رواه أحمد ٨٤٨٩، ومسلم ٣٠٨٤، وغيرهما .

(٤) رواه الترمذي ٣٥٢٣، وابن ماجه ٢٤٧ - ٣٨٢٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣١٥١ .

(٥) رواه أحمد ١٣٥١٢ ومسلم ٢٧٢٢ .

الرسول ﷺ(١) وقال أيضاً : " والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر في نوعين : في العلم النافع، والعمل الصالح، وقد بعث اللَّه محمداً بأفضل ذلك، وهو الهدى ودين الحق "(٢).

العلم النافع هو ما وافق الحق :

والحق هو ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسّنة وإجماع السَّلف .

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾(٣) . **وقال تعالى عن رسوله** ﷺ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾(٤) .

- **من ثمرات العلم :**

اليقين بالآخرة: فلو لم يكن من فوائد العلم إلا أنه يثمر اليقين، الذي هو أعظم حياة للقلب، وبه طمأنينته وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة لأصبح من الواجب علينا طلبه والسّعي إليه، ولهذا مدح اللَّه سبحانه وتعالى أهله في كتابه، وأثنى عليهم بقوله: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾(٥) وقوله تعالى في حق خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾(٦) .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٣٦.
(٢) المصدر السابق ١٩/ ١٦٩ .
(٣) سورة الأعراف آية ٣ .
(٤) سور الحشر آية ٧ .
(٥) سورة البقرة آية ٤ .
(٦) سورة الأنعام آية ٧٥ .

وذمّ من لا يقين عنده فقال: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (١)، (٢).

وهو أن يتيقّن ويجزم جزماً لا شك فيه، بأن له داراً غير هذه الدار، ومعاداً له خُلق، وإن هذه الدار طريق إلى ذلك المعاد، ومنزل من منازل السائرين إليه، ويعلم مع ذلك أنها باقية، ونعيمها أو عذابها لا يزول، ولا نسبة لهذا النّعيم والعذاب العاجل إلا كما يدخل الرّجل إصبعه في اليمِّ ثم ينزعها، فالذي تعلّق بها منه هو كالدنيا بالنسبة إلى الآخرة، فيثمر له هذا العلم إيثار الآخرة وطلبها والاستعداد التام لها، وأن يسعى لها سعيها وهذا يُسمّى: تفكراً وتذكراً، ونظراً وتأملاً واعتباراً وتدبراً واستبصاراً وهذه معان متقاربة، تجتمع في شيء وتتفرق في آخر، ويُسمّى تفكراً؛ لأنه استعمال الفكرة في ذلك وإحضاره عنده. ويُسمّى تذكراً، لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ (٣)(٤).

- **طلب العلم أفضل من النوافل:**

قال ابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنت عند مالك بن أنس، فحانت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه وأنظر في العِلم بين يديه، فجمعتُ كُتبي وقمت لأركع، فقال لي مالك: ما هذا؟ فقلت: أقوم إلى الصلاة. فقال: إن هذا لعجب! ما الذي قمت إليه أفضل من الذي كنت فيه، إذا صحَّت فيه النّية».

---

(١) سورة النمل آية ٨٢.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢ / ٤.

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠١.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢ / ٤٣.

وقال الربيع رَحِمَهُ اللَّهُ : " سمعت الشافعي يقول : « طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة ». وقال سفيان الثوري : « ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت فيه النّية ».

وقال رجل للمعافى بن عمران : « أيّما أحبّ إليك الليل أقوم أُصلي كله، أو أكتب الحديث ؟ فقال : حديث تكتبه أحبّ إليّ من قيامك من أول الليل إلى آخره ». وقال أيضا : « كتابة حديث واحد أحبّ إليّ من قيام ليلة » .

وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما : « تذاكر العلم بعض ليلة، أحبّ إليّ من إحيائها».

وفي مسائل إسحاق بن منصور[١] قلت لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ : قوله تذاكر: العِلم بعض ليلة أحبّ إليّ من إحيائها، أي علم أراد ؟ قال : هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم، قلت : في الوضوء والصلاة والصوم، والحج، والطلاق ونحو هذا ؟ قال : نعم، قال اسحق وقال لي إسحق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ : هو كما قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : لأن أجلس ساعة فأتفقّه في ديني، أحبّ إلي من إحياء ليلة إلى الصباح "[٢] .

انقسام طلب العِلم إلى فرض عين، وفرض كفاية

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَطَلَبُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إلَّا فِيمَا

(١) اسحاق بن منصور : إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج: فقيه حنبلي، من رجال الحديث. ولد بمرو. ورحل إلى العراق والحجاز والشام، واستوطن نيسابور وتوفي بها. له (المسائل - خ) في الفقه، دونها عن الإمام أحمد. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلي ١ : ١١٣ وطبقات الحنابلة اختصار النابلسي ٧٤ .

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٣٧ .

يَتَعَيَّنُ؛ مِثْلَ طَلَبِ كُلِّ وَاحِدٍ عِلْمَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَمَا نَهَاهُ عَنْهُ؛ ، فَإِنَّ هَذَا فَرْضٌ عَلَى الْأَعْيَانِ »[١] والعمل الصالح هو ثمرة العلم النافع، وهو نتيجة لازمة له، ولا خير في عِلم لا يعمل صاحبه بمقتضاه، ولا يتأثر سلوكه بما دلّ عليه، وهذا نبي اللّه شعيب عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[٢].

- **تنبيهات لطلبة العلم والدعاة :**

الأول : رد الفروع إلى الأصول

يقول ابن تيمية رحمه الله: لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم[٣].

الثاني: عدم إشغال الناس بالتفاصيل والمسائل الفقهية

وَالْوَاجِبُ أَمْرُ الْعَامَّةِ بِالْجُمَلِ الثَّابِتَةِ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَمَنْعُهُمْ مِنْ الْخَوْضِ فِي التَّفْصِيلِ الَّذِي يُوقِعُ بَيْنَهُمْ الْفُرْقَةَ وَالِاخْتِلَافَ، فَإِنَّ الْفُرْقَةَ وَالِاخْتِلَافَ مِنْ أَعْظَمِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ﷺ .[٤]

الثالث : المنع من إثارة الفتاوى الشاذة والأقوال الضعيفة :

يقول ابن تيمية رحمه الله : «ومثل هذه المسألة الضعيفة ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين، لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٨٠ .
(٢) سورة هود آية ٨٨ .
(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٧/ ٨٨ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٩٨

فيها فإن ذلك ضرب من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، بمثل ذلك صار وزير التتر يلقي الفتنة بين مذهب أهل السنة، حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة، ويوقعهم في مذاهب الرافضة وأهل الإلحاد»[(١)] .

الرابع : ليس كل ما يعلم مما هو حق يُطلب نشره :

وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام فذلك ينقسم إلى قسمين:

أ- قسم ما هو مطلوب نشره وهو غالب علم الشريعة .

ب- قسم مالا يطلب نشره بإطلاق أو يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص، فإنه وإن كان حقاً فإنه يثير الفتنة، فعن علي ﷺ قال: « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب اللّه ورسوله ؟ »[(٢)] . وعن معاذ ﷺ قال لرسول اللّه ﷺ :« **أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا** »[(٣)] .

وعن أبي هريرة ﷺ لما بعثه رسول اللّه ﷺ بنعليه فقال : « **من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمد رسول اللّه فبشره بالجنة** »، **وفيه قال عمر** ﷺ :« **يا رسول اللّه لا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، فقال الرسول** ﷺ فخلهم»[(٤)] .

وروى ابن عباس عن عبد الرحمن بن عوف رضي اللّه عنهم : " قال لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل، قال : إن فلاناً يقول : لو مات أمير

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٢٧٦

(٢) رواه البخاري تعليقاً في كتاب العلم، باب : من خص بالعلم قوتاً .

(٣) رواه أحمد، ومسلم ٣٠ .

(٤) رواه مسلم ٣١ .

المؤمنين لبايعنا فلاناً، فقال عمر : لأقومن العشية فاحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم، قلت : لا تفعل ! فإن الموسم يجمع رعاع الناس ويغلبون على مجلسك، فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها، فيطير بها كل مطير، فأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة فتخلص بأصحاب رسول اللَّه ﷺ من المهاجرين والأنصار فيحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها، فقال : واللَّه لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة "(١) .

الخامس : أن لا يُذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي بل يربى بصغار العلم قبل كباره كما قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(٢) قال : يربون الناس بصغار العلم قبل كباره .

السادس : الاعتناء بقاعدة «سد الذرائع» وهي نوعان :

النوع الأول : أن تكون مصلحة الفعل أرجح من مفسدته .

النوع الثاني : أن تكون مفسدته راجحة على مصلحته فهو هنا أربعة أقسام :

١- وسيلة موضوعة للإفضاء إلى المفسدة : كشرب المسكر المفضي إلى مفسدة السكر والزنا المفضي إلى اختلاط المياه وفساد الفراش .

٢- وسيلة موضوعة للمباح قصد بها التوصل إلى المفسدة.

مثاله : كمن يعقد النكاح قاصداً به التحليل .

٣- وسيلة موضوعة للمباح لم يقصد بها التوصل إلى المفسدة لكنها مفضية

---

(١) رواه البخاري ٧٣٢٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ٧٩ .

إليها غالباً ومفسدتها أرجح من مصلحتها كالصلاة في أوقات النهي، ومسبّة آلهة المشركين بين ظهرانيهم، وتزيين المتوفى عنها في زمن عدتها .

أمثلة على القاعدة :

أ- قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] فحرم اللَّه تعالى سب آلهة المشركين مع كون السب غيظاً وحمية لله وإهانة لآلهتهم لكونه ذريعة إلى سبهم لله تعالى . وكان مصلحة ترك مسبته تعالى أرجح من مصلحة سبنا لآلهتهم وهذا كالتنبيه بل كالتصريح لمنع الجائز سبباً لفعل ما لا يجوز .

ب- وكقوله تعالى لكليمه موسى عليه السلام وأخيه هارون : ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[2] فأمر تعالى أن نلين القول لأعظم أعداءه وأشدهم كفراً واعتاهم عليه لئلا يكون إغلاظ القول له مع أنه حقيق به ذريعة إلى التنفير وعدم صبره لقيام الحجة فنهاهما عن الجائز لئلا يترتب عليه ما هو أكره إليه تعالى .

ت- ونهيه تعالى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد وأمرهم بالعفو والصفح لئلا يكون انتصارهم ذريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدة من مفسدة الإغضاء واحتمال الضيم ومصلحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة .

وكان النبي ﷺ يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى

(١) سورة الأنعام آية ١٠٨ .

(٢) سورة طه آية ٤٣ - ٤٤ .

تنفير الناس عنه وقولهم أن محمداً يقتل أصحابه فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومن لم يدخل فيه ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل .

وكنهيه عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة وإن ظلموا أو جاروا ما أقاموا الصلاة سداً لذريعة الفساد العظيم والشر الكثير بقتالهم كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم والخروج عليهم أضعاف أضعاف ما هم عليه من منكر، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن، وقال عليه الصلاة والسلام : «إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[(١)] . سداً لذريعة الفتنة .

٤- وسيلة موضوعة للمباح وقد تفضي إلى المفسدة ومصلحتها أرجح من مفسدتها مثاله : النظر إلى المخطوبة - فعل ذوات الأسباب في أوقات النهي[(٢)] - وكلمة الحق عند ذي سلطان جائر .

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم ٣٤٤٤، وغيره .

(٢) كتحية المسجد، أو كمن نام عن الصلاة أو نسيها، وكركعتي الطواف .

المبحث السابع

التّصفية والتربية

المقصود بالتّصفية : هي تنقية الإسلام من كل ما دخله من شوائب .

والسّبيل إلى ذلك تصفية : السّنة مما دخلها من أحاديث ضعيفة وموضوعة، ثم تفسير القرآن على ضوء هذه السنة الصحيحة، وما كان عليه السّلف الصالح من تصورات ومفهومات .

المقصود بالتربية : هي تنشئة الجيل الناشئ على هذا الإسلام، وخاصة العقيدة الإسلامية الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة، ولقد قال ربُّنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[1]

والربّاني: هو الذي يُربي الناس بمنهج الله، ويتدرّج بهم حتى يصل بهم إلى المستوى الرفيع الذي يريده اللّه»[2] .

ولقد فسَّر بعض أهل العلم الآية الكريمة بقولهم : « هم الذي يُربّون الناس بصغار العلم قبل كباره» [3]، أي : تربية الناس على العلم الصحيح المُصفَّى - الذي ليس فيه غَبَشٌ أو دخنٌ - بدقيق المسائل قبل جليلها .

(١) سورة آل عمران آية ٧٩ .

(٢) معالم الشخصية الإسلامية ص ٣٠ للشيخ عمر سليمان الأشقر .

(٣) صحيح البخاري ١ / ١٦٢ .

هكذا كان منهاج رسول اللَّه ﷺ مع صحابته عند فجر الدعوة، إذ جاءهم في بيئة كثرت فيها المفاسد والفتن والشوائب، فبوحيٍ من اللَّه له بدأ بتصفيتها وتنقيتها حتى غدت كما قال ﷺ : " قد تركتكم على البيضاء، ليّلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك . . . "[١].

صعوبة تحقيق التربية :

إن تربية الإنسان هي من أصعب الأمور وأعقدها، إنها ليست كالصناعة المادية . .

إن التربية الإنسانية الفعلية بطيئة بطء النّمو الجسماني، فتربية الأفكار والعقائد وآداب السلوك تحتاج من الزمن ما يحتاجه النمو الجسماني . . إننا نحتاج لنُعيد الأمة إلى الجادة الحق، وصراط اللَّه إلى عددٍ من السنين، يناسب الوقت الذي في مثله يتربى الجيل[٢]. وهي وظيفة عظيمة من وظائف الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[٣]. وقال سبحانه : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[٤]. ففي الآية الأولى : ذكر اللَّه تعالى العلم قبل التزكية .

---

(١) رواه وأحمد ٤ / ١٢٦، وابن ماجه ٤٣، والحاكم ١ / ٩٦ عن العرباض بن سارية رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٦٩، والسلسلة ٤٣٦ .

(٢) العقبات التي تعترض بناء الأمة الإسلامية ص ٣٩ للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .

(٣) سورة البقرة آية ١٢٩ .

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

وفي الثانية : ذكر سبحانه التزكية قبل العلم .

وفي ذلك إشارة بليغة إلى عدم استغناء دعوة الرسل بإحداهما عن الأخرى .

أهمية الدعوة إلى التربية قبل العلم :

مما سبق نعلم أنه لا سداد بتربية دون علم . . ولا فلاح بعلم دون تربية .

ولذلك اختصرت عائشة رضي اللَّه عنها هذا كله حين سُئِلت عن خُلُقه ﷺ فقالت : " **كان خلقه القرآن** "(١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «كان الرجل مِنّا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف ما فيهن، والعمل بهن»(٢) .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن - وهم الصحابة : أنهم كان يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً .

- **شمولية قضية التربية :**

والتربية لا تعني : حسنِ الخلق، وبشاشة الوجه فحسب، بل تعني : التزام هذا الدين كافة، قلباً وقالباً، ظاهراً وباطناً، علماً وعملًا، دعوة وعبادة، بدءاً من فهم كلمة التوحيد والعمل بها، وانتهاءً بإماطة الأذى عن الطريق . من غير تفريق ولا تبغيض، ولا تجزئة ولا تهوين .

---

(١) أخرجه أحمد، ومسلم، وانظر صحيح الجامع ٤٨١١ .

(٢) أخرجه الطبراني في « تفسيره » ٨١ .

خطر إهمال قضية التربية:

إن إهمال مسألة التربية على منهاج النبوة[١]، كان وراء معظم النكبات التي بالأمة الإسلامية .

فكم في زماننا من مجاهد بلا عقيدة! وكم من عالِم بلا عمل!! وكم عامل بلا علم!! وكم من داعية بلا تقوى تردعه . . أو علم يقوّمه!!.

وحين يفقد المسلمون حسن التربية . . تمزق صفوفهم، وتزداد خلافاتهم، فيتنابزون الخلاق الذميمة، ويتراشقون الاتهامات العظيمة فينمو فيهم الحقد وتعشّش في قلوهم الكراهية؛ وحينئذ تفسد النفوس، وتضعف الجماعات، وتحل المجتمعات .

- **شبهة دعوية**

إلى من يقول: إلى متى نربي . . . ؟ !! كيف نربي وهم يهدمون . . . ؟ "

والجواب من وجوه :

الأول: إن المسلم ملزمٌ بمنهج الكتاب والسنة، وما كان عليه سّلف هذه الأمة، وما عليه إلا السير على هذا الصراط، غير مبالٍ بنتيجة ولا عدو، ولا تجربة .

الثاني: إن ما يطرأ من شبهات، لا يجوز أن يؤثر في الأصل. أو كلما اعْتَرَضَتْنا عَقَبَةٌ، تركنا الصراط، وكلما جاءتنا شبهة، شككنا في الطريق .

الثالث: لقد كان هذا واقع الأنبياء عامة .

---

(١) والإنشغال عنها بالسياسة، وبالأحداث الجارية، وبفقه الواقع الذي أُعطيَّ حقاً أكبر من حقوقه، وأنزل محلًا غير محله، فشُغِلوا بذلك عن التربية وهم لا يشعرون .

ولذلك نجدهم صلوات اللَّه عليهم لم ينتصروا لظلم وقع عليهم، ولا أراقوا قطرة دم واحدة في الدعوة قبل التمكين، بل ولا لطموا أحداً قط .

إن لازم هذه المقولة : تخطئه الأنبياء وعلى رأسهم نوح عليه السلام، الذي مكث تلك السنين الطوال دون أن يقول :نحن نبني وهم يهدمون،ولم يطلب من ربه. . حمل السلاح. . ولا مقارعة الأعداء . . فهل من مدّكر .

الرابع : إنّنا لو كنا نبني بقوة وثبات - كما كان يبني الأنبياء من قبلنا وكما بنى رسول اللَّه - ﷺ لما استطاعوا أن يهدموا . . وهذه سنة اللَّه في خلقه .

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾[1]. لأن البناء القوي لا تؤثّر فيه العواصف . . ولا تُزلزله الزلازل .

وأما نحن؛ فنظن أننا نبني . . والحقيقة أن بنياننا أوهى من بيوت العنكبوت[2].

الخامس : إنّ العداوة للحق سنة كونية، ما دام على الأرض حق، وليست العداوة أمراً محدثاً، حتى نُحدث لها طرقا وقائية، أو نخترع أساليب جديدة في الواجهة .

السادس : إنّ العاقل إذا أراد أن يبني بناءً قوياً متيناً، لبناه تحت ظروف صعبة، وأجواء متبانية، لكي يكون ملائماً كافة الظروف؛ كما ربى النبي ﷺ أصحابه .

---

(١) سورة الأنفال آية ١٨ .

(٢) ولا أدلّ على ذلك من أن صيحة واحدة في مئات من الألوف من المسلمين اليوم، تجعلهم لا يلوون على شيء.

في مكة حصلت ظروفٌ قاسية، وأحداث مفجعة، عالجها رسول اللَّه ﷺ معالجة تربوية صحيحة أخرجت رجالًا.

السابع: إنَّ في هذه المقولة:

« نحن نبني وغيرنا يهدم، وإذن علينا أن نتحول إلى المواجهة » !! اعترافاً ضمنيّاً، أنّ البناء لم يكتمل بعد، وأن الطلاب لم يتربوا، ولم ينضجوا.

وإذا كان الأمر كذلك:

فكيف نتحوّل إلى المواجهة التي هي أخطر وأشد - على الآخرين - من دعوة.. وإذن سيكون انتقامهم أشدّ واعنف، وسينعكس هذا على الدعوة وستكون النتائج أوخم وأنكى.

إن عدم إدراك هذه القضية من قبل كثير من الجماعات، أوردها المهالك. فهل من معتبر !؟

الثامن: إن حقيقة هذه الشبهة عند إمعان النظر فيها، تُفضي إلى الاستعجال والتضجُّر، وليس إلى التأني والتصبُّر.

التاسع: إنَّ النتائج والأحداث والواقع يشهدون - بإنصاف - على بطلان هذه المقولة، وفساد مضمونها، وشؤم مقتضاها.

العاشر: إنّ هذه المقولة، ليس عليها دليل من كتاب أو سنة أو سِيرة سَلّف.

بل هي من بنات أفكار من لم ينضج علمياً، ومن عواطف مَن لم يصبر دعوياً...

فضلًا عن أنها تخالف ما كان عليه الأنبياء.. وحسبك بهذا دليلًا على بطلانها !!

ويحتج أخواننا على ذلك بقول الشاعر :

متـى يـبـلـغ الـبـنـيـان يـومـاً تـمـامـه   إذا كـنـت تـبـنـيـة وغـيـرك يـهـدم

وما كان حجته الشعر فيرد عليه بالشعر .

قال الشاعر الإسلامي محمد الجبالي، حفظه اللَّه - بشيء من التصرف - :

بـلـى يـبـلـغ الـبـيـان حـتـمـاً تـمـامـة   إذا كـنـتَ تـبـنـيـه بـصـبـر وتُـحـكِـمُ

فـمـا دام أسُّ الـبـيـت صُـلـبـاً مـوطّـداً   تـعـالـى الـبـنـا رغـم الـمـعـاولِ تـهـدِمُ

وإن كـان أسُّ الـبـيـت هـشـاً مـدعَّـمـاً   بِـعـاطـفـة الأحـداثِ خـرَّ يُـدمـدم(١)

وإن كـان أسُّ الـبـيـت قـولاً مُـزيَّـنـاً   تهاوى البنا رغم الهتاف يُحمحم(٢)

ولـو زنـت أسـبـاب الـبـلايـا فَـلْـن تـجـد   كـمـثـلِ الـحـمـاس الـفـجّ داءً يـداهـمُ

ومـن كـانـت الـتـقـوى أسـاس بـنـائـه   فـمـا ضـرَّهُ كـيـدُ ورجـمٌ ودْمـدَمُ

كـذا أنـبـيـاء الـلـهِ كـانـت حـيـاتُـهُـم   جـهـاداً وصـبـراً لا يـكـلّ ويـسـأمُ

تـقـيـم الـبِـنـا رغـم الـمـكـائـد شـامـخـاً   نُـسـورُ الـسَّـمـا تـبـغـي عـلاه وأنـجُـمُ

- **خلاصة هذا المفهوم**

إن من فقه الأولويات الواجب، تقديم التربية والإعداد الإيماني - كما كان رسول اللَّه ﷺ في مكة - على كثير من الأمور .

وإنَّ الاستجابة لتحرّش الآخرين، أو إثارتهم قبل التربية والإعداد، وقبل وحدة الصف والبناء، يعني بالضرورة هدم ما يبنى، واستفاذَ الطاقات،

(١) دمدم : هدّم .

(٢) قال في القاموس : الحمحمة : عرُّ الفرس حين يقصر في صهيل، ويستعين بنفسه . والمقصود : تغطية قلة أعمالنا وسوئها بكثرة كلامنا، وصراخنا .

وتضييع الشباب، وتحقيق أهداف العدو وقد كان . . . !! [١].

● **مجالات التصفية :**

وتتناول التصفية كل ما وصل إلينا من العلوم، والأفكار الإسلامية، فنستبعد منها كل ما يخالف المنهج السّليم، وكذلك تتناول تصفية الفكر الإسلامي من الشوائب الدخيلة التي تسللت إلى أفكار المسلمين المعاصرين عن طريق الدراسات الغربية، وبصورة خاصة الفلسفة، وعلوم التربية والفنون، مما يتسع المجال فيه لدس كثير من السموم المفسدة للفكر الإسلامي[٢].

ومجالات التصفية كثيرة، فهي تتناول جميع العلوم، ومنها - على سبيل المثال لا الحصر :

أولًا : تصفية العقيدة

وهي التي وصلتنا من طريق الوحيين الشريفين نقية من الخرافة؛ خالصةً من الشوائب، بعيدة عن أباطيل الشِّرك، سالمة من هُوَّة التأويل .

ولكن . . لمّا ابتعد الناس عن سلوك سبيل نهج أهل الحديث في فهم الكتاب والسنة، وقعوا - دونما وعي - في الشرك وأوحاله، وتحريف الصفات الإلهية وتأويلها وصرفها عن حقيقتها اللغوية اللائقة بذات اللَّه

---

(١) انظر : صفات الطائفة المنصورة ومفاهمها ص : ٧٥ - ٩٠ للشيخ عدنان بن محمد العرعور حفظه الله .

(٢) علماء ومفكرون معاصرون العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني . تأليف إبراهيم العلي . ولو استبدلت الأفكار الإسلامية بالاجتهادات لكان أنسب (والله أعلم).

سبحانه وتعالى [١].

وأصبحت منكرات الأفكار العقائدية - عند أهل الحديث والسنة - مسلّمات بدَهيّات عند متأخري الخلَفَ [٢].

وذلك مثل التوسل بجاه النبي ﷺ؛ حيث ينسبون إلى النبي ﷺ أنه قال :

١- (توسّلوا بجاهي، فإن جاهي عند اللّه عظيم) [٣].

وقد نصَّ على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في (القاعدة الجليلة)، حيث قال : " ومما لا شك فيه أن جاهه ﷺ ومقامه عند اللّه عظيم، فقد وصف اللّه تعالى موسى بقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [٤] ومن المعلوم أن نبينا محمداً ﷺ أفضل من موسى، فهو بلا شك أوجه منه عند ربه سبحانه وتعالى، ولكن هذا شيء والتوسل بجاهه ﷺ شيء آخر؛ فلا يليق الخلط بينهما كما يفعل البعض؛ إذ إن التوسل بجاهه ﷺ يقصد به من يفعله أنه أرجى لقبول دعائه، وهذا أمر لا يمكن معرفته بالعقل؛ إذ إنه من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل في إدراكها، فلا بد من النقل الصحيح الذي تقوم به الحجة، وهذا مما لا سبيل إليه البتّة، فإن الأحاديث الواردة في التوسل به ﷺ تنقسم إلى قسمين : صحيح وضعيف، أما الصحيح فلا دليل فيه البتّة على المدعى؛ مثل توسلهم به ﷺ في الاستسقاء، وتوسل الأعمى به ﷺ فإنه توسل بدعائه ﷺ لا بجاهه

---

(١) انظر (عقيدتنا قبل الخلاف وبعده في ضوء الكتاب والسنة) بقلم علي حسن عبد الحميد الأثري مشاركة مع الأستاذ محمد إبراهيم شقرة حفظهما الله.

(٢) التصفية والتربية للشيخ علي حسن الحلبي حفظه الله ١٣ .

(٣) قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا أصل له . راجع السلسلة الضعيفة للألباني ١ / ٣٠ الحديث ٢٢ .

(٤) سورة الأحزاب آية ٦٩ .

ولا بذاته ﷺ . ولما كان التوسل بدعائه ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى غير ممكن، كان بالتالي التوسل به ﷺ بعد وفاته غير ممكن وغير جائز. لقول أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون[(١)].

٢- وحديث (أنّ لما اقترف آدم الخطيئة، قال : يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي " ، فقال اللّه : «يا آدم ! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لمّا خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال اللّه : صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»[(٢)].

وهذا مصادم لقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[(٣)].

ثانياً : تصفية السنة :

وهي من أوسع المجالات التي تحتاج إلى تصفية، ولا يخفى ما لانتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة في أوساط الناس من أثر سيئ، وهذه هي

---

(١) رواه البخاري ٩٥٤ .

كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٦١٥، وابن عساكر - ٢/٣٢٣/٢، انظر السلسلة الضعيفة للألباني ١ / ٣٨ الحديث ٢٥ وقال الألباني : حديث موضوع .

(٣) سورة الذاريات آية ٥٦ .

بعض المجالات التي كان يخوضها عُلماءُ الحديث والأثر تأليفاً فيها ودراسة، وهو يدلُّ على هِمَمٍ عاليةٍ وعقول متفتحة خصبة واسعة الآفاق، وإذا كان يحقُّ للأمة أن ترفع رأسها، وتعتزّ بأسلافها فبهؤلاء العباقرة، وبعلومهم الواسعة النافعة، وعقولهم النّيرة المتفتحة في الوقت الذي كان غيرهم - وما يزالون - يبذلون جهودهم، في الحَجر على العقول ودفع الأمة إلى الجمود القاتل المؤدّي إلى الهلاك والضياع والفناء "[١].

ثالثاً : تصفية التفسير

وهو عِلمٌ عظيمٌ ينبغي ألا يخوضَ فيه إلا العارف بمدارك الكتاب والسنة؛ الفاهم حقيقة لغة العرب، المطّلع على ناسخ القرآن ومنسوخه، وأحكامه وآدابه[٢].

كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهذه الكتب التي يُسمّيها كثير من الناس كتبَ التفسير فيها كثير من التفسير منقولات عن السّلف مكذوبة عليهم، وقول على اللّه ورسوله ﷺ بالرأي المجرّد، بل بمجرد شبهة قياسية أو شبهة أدبية، ومعلوم أن في كتب التفسير، من النقل عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الكذب الشيء الكثير . . . فلا بد من تصحيح النقل لتقوم الحجّة. . . »[٣]،[٤].

ومثال على ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَـٰنَا مِن

---

(١) مكانة أهل الحديث ص ١٨ الشيخ ربيع بن هادي حفظه الله .

(٢) التصفية والتربية ص ٢٧ للشيخ علي الحلبي حفظه الله .

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٨٩ .

(٤) وخاصة المنقول من الإسرائيليات .

﴿فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ (١) .

فبعض أهل التفسير يوردون فيه حديث الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب الأنصاري ﷺ وفيه :

* أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول اللَّه ! ادع اللَّه أن يرزقني مالاً ، فقال رسول اللَّه ﷺ : " ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، أما ترضى أن تكون مثل نبيِّ اللَّه ؟ فوالذي نفسي بيده ، لو شئتُ أن تسيل معي الجبال فضةً وذهباً لسالت ، فقال : « والذي بعثك بالحق لئن دعوت اللَّه أن يرزقني مالًا ، لأوتينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقه» ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « اللّهم ارزق ثعلبة مالاً » ، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها ، فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ، ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلاة إلى الجمعة ، وهي تنمو كما ينمو الدود ، حتى ترك الجمعة ، فسأل رسول اللَّه ﷺ ، فقال : «ما فعل ثعلبة» ؟ فقالوا : « اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة . . . فبعث رسول اللَّه ﷺ رجلين على الصدقة . . . وقال لهما : «مرا بثعلبة وبفلان (رجل من بني سليم) فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول اللَّه ﷺ فقال : «ما هذه إلا جزية ! ما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتى أرى رأيي » فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ ، فلما رآهما قال : «يا ويح ثعلبة »! ، قبل أن يكلمهما . . . فأنزل اللَّه ﷻ : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله

(١) سورة التوبة آية ٧٥ .

تعالى: ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[١].

فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إن اللَّه منعني أن أقبل صدقتك» . . . وقُبض رسول اللَّه ﷺ ولم يقبل منه شيئاً . . . »[٢].

قال الشيخ الألباني: وهذا حديث منكر على شهرته[٣].

وفيه أنه أتى أبا بكر رضي الله عنه في خلافته، فلم يقبلها، منه وهكذا عمر رضي الله عنه في خلافته، وعثمان رضي الله عنه في خلافته.

ويدخل في التّصفية لكتب التفسير الردُّ على مخالفي الحقِّ من المفسرين، كما فعل كثيرٌ من دعاة أهل الحديث[٤].

وكما فعل أيضاً الأخ الفاضل الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، في كتابة (المُفسِّرون بين التأويل والإثبات لآيات الصفات)؛ إذ تكلّم عمّا يُقارب الثلاثين" تفسيراً، بَيّن من خلاله أن أكثر من ثلثي هؤلاء المفسرين مخالفون للحقّ، فكان من بينهم: الثعالبي، والرازي، والبيضاوي والنَّسَفي، وأبو السُّعود وسيد قطب، وفريد وجدي، والصابوني، والمَرَاغي وغيرهم.

فإذا كان هؤلاء كلُّهم ذوي تفاسير مخالفةٍ لمنهج السَّلف الصالح، فالواجب إذاً - تصفيتُها ممّا فيها من أغلاط، حتى يتجنّبَ القارئ الخطأ ويأخذ بالصواب،

---

(١) سورة التوبة آية ٧٥ - ٧٧.

(٢) قال الحافظ في تخريج الكشاف ٤ / ٧٧ / ١٣٣: إسناده ضعيف جداً. راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٤ / ١١١ / ١٦٠٧.

(٣) أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ١٩١ / ١٩٢، راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٤/ ١١١ / ١٦٠٧

(٤) مثل العلامة الشيخ الألباني، والعلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، وغيرهما رحمهم الله.

ولا شك أن الخطأُ في هذا الباب ليس بالسهل اليسير، ولكنّه خطأٌ في صفات اللَّه[١]، فضلًا عن غيرها من أحكام الشريعة المختلفة، وتقريراتها المتعددة[٢].

رابعاً: تصفية الفقه

إن الفقه ذخيرة ضخمة من ذخائر علمائنا المسلمين، تدل على سعة أفقٍ، وشمول نظر. وإليك بعض هذه الأحاديث التي يُستدل بها إما تعصباً لمذهب أو لبدعة.

١ - (ما زال رسول اللَّه ﷺ يقنت في صلاة الغداة حتى فارق الدنيا)[٣].

٢- (خمسُ ليالٍ لا تُردُّ فيهن الدعوةُ: أول ليلةٍ من رجب، وليلةُ النصف من شعبان وليلةُ الجمعةِ، وليلةُ الفِطرِ، وليلةُ النحر)[٤].

٣- (لا يدخل ولدُ الزِّنا الجنة، ولا شيء من نسله، إلى سبعة آباءٍ)[٥]. مع مصادمته لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾[٦] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

---

(١) - المفسرون بين التأويل والاثبات ١/ ٨ للمغراوي.

(٢) التصفية والتربية ص ٣٠ للشيخ علي الحلبي حفظه الله.

(٣) رواه وأحمد ٣/ ١٦٢، أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/ ١١٠/ ٤٩٦٤، وابن أبي شيبة ٢/ ٣١٢ مختصراً - والطحاوي في شرح المعاني ١/ ١٤٣، والدارقطني ص ١٧٨، والحاكم في «الأربعين» وعنه البيهقي ٢ / ٢٠١، وكذا البغوي في شرح السنة ٣/ ١٢٣/ ٦٣٩، وابن الجوزي في الواهية ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥،، قال الشيخ الألباني: "حديث منكر. وصلاة الغداة: أي صلاة الفجر.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»١٠/ ٢٧٥ - ٢٧٦. قال الألباني: حديث موضوع، راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٣ / ص ٦٤٩/ ١٤٥٢.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط ١٤٥ قال الشيخ الألباني حديث باطل راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٣ / ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ / ١٢٨٧.

(٦) سورة النجم آية ٣٨.

وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾[١] .

٥- (من تزوج قبل أن يحج، فقد بدأ بالمعصية)[٢] .

٦- (من السّنة أن لا يصلي الرجل بالتيمم إلا صلاة واحدة، ثم يتيمم للصلاة الأخرى)[٣] .

٧- (من زار قبر والديه كل جمعة، فقرأ عندهما أو عنده [يس]، غُفِر له بعدد كل آية أو حرف)[٤] .

خامساً : تصفية السِّير والتأريخ

وهما يشكِّلان جزءاً مما يُسمى في عصرنا الحاضر بالعلوم الإنسانية[٥] .

لذا وَجَبَ له أصولٌ راسخة، وقواعد ثابتة حتى لا تدخله المفتريات، وتُخلَط به المنكرات، وهذا للأسف الشديد ليس بواقع، بل هو مفقود، وإليك بعض الحوادث التي اشتهرت عند الناس وهي لا تصح :

---

(١) سورة الأنعام ١٦٤ . سورة الإسراء ١٥ . سورة فاطر ١٨ . سورة الزمر ٧ .

(٢) رواه ابن عدي ٢/ ٢٠ عن أحمد بن جمهور القرقساني، قال الألباني : حديث موضوع راجع السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٢٥٦/ الحديث ٢٢٢ .

(٣) أخرجه الطبراني ٣/ ١٠٧/ ٣ من طريق الحسن بن عمارة، وأخرجه الدارقطني (ص ٦٨)، ومن طريقه البيهقي ١/ ٣٣١ - ٣٣٢، قال الألباني : حديث موضوع، راجع السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٤٢٣ - ٤٢٤/ ٤٢٢ .

(٤) رواه ابن عدي ١/٢٨٦، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/٣٤٤- ٣٤٥، وعبد الغني المقدسي في السنن ٢/ ٩١ قال الألباني :حديث موضوع راجع السلسلة الضعيفة للألباني ١/٦٦/ الحديث٥٠ .

(٥) «أخطاء يجب أن تصحح من التاريخ»، ص ١ جمال عبد الهادي .

١- قصة غار ثور :

(ليلة الغار (ثور) أمر اللَّه ﷻ شجرةً فخرجت في وجه النّبيِّ ﷺ تستره، وإن اللَّه، ﷻ بعثَ العنكبوت فنسجت ما بينهما، فسترت وجه النبي ﷺ، وأمر اللَّه حمامتين وحشيَّتين فأقبلتا تدفّانِ (وفي نسخة : ترفّان) حتّى وقعنا بين العنكبوت وبين الشجرة، فأقبل فتيانُ قريش من كل بطن رجل، معهم عِصيُّهم وقِسيُّهم وهرواتهم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر مائتي ذراعٍ، قال الدَّليلُ (سراقةُ بن مالك المدُلجي): «انظُروا هذا الحجر ! ثم لا أدري أين وضع رجلَهُ رسول اللَّه ﷺ فقال الفتيان : إنك لم تخطُر منذ اللَّيلة أثرهُ، حتى إذا أصبحنا قال : انظروا إلى الغار ! فاستقدم القوم، حتى إذا كانوا على خمسين ذراعاً، نظر أوّلهم فإذا الحمامات فرجع، قالوا : ما ردّك أن تنظر في الغار" ؟ قال :« رأيت حمامتين وحشيَّتين بفمِ الغار، فعرفتُ أن ليس فيه أحدٌ، فسمعها النبي ﷺ فعرف أن اللَّه ﷻ قد درأ عنهما بهما، فسمَّت عليهما فأحرزهما اللَّه تعالى بالحرم، فأفرجا كُلَّ ما ترون »[(١)].

٢- سماع النبي ﷺ قبل البعثة :

نُسب إلى النبي ﷺ قوله : " ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول اللَّه بيني وبينه، ثم ما هممتُ به حتى أكرمني اللَّه برسالتة قلتُ ليلة لغلام يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرتَ لي غنمي حتى أدخل

---

(١) رواه ابن سعد ١ / ٢٢٨ - ٢٢٩، والمخلص في الفوائد المنتقاة ١٧ / ١٣ / ١ - ٢، والبزّار في مسنده ٢/٢٩٩/١٧٤١ " كشف الأستار"، والطبراني في "الكبير"٢٠/ ٤٤٣/١٠٨٢، والعقيلي ٣٤٦ ، قال الألباني : حديث منكر وانظر السلسلة الضعيفة للألباني ٣ / ٢٥٩ حديث ١١٢٨ .

مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال : أفعل، فخرجتُ حتى إذا كنتُ عند أول دار بمكة سمعتَ عزفاً، فقلت : ما هذا؟ فقالوا: «عرس »، فجلست أسمع، فضرب اللَّه على أذني، فنمتُ فما أيقظني إلا حرّ الشمس . . . ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت مكة، مثل أول ليلة، ثم ما هممتُ بعده بسوء»(١) .

٣- عام الحزن :

أن النبي ﷺ أطلق على هذا العام (عام وفاة السيدة خديجة رضي اللَّه عنها، وعمّه أبي طالب) اسم : (عام الحزن) لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة " (٢).

٤- محاولة انتحار النبي ﷺ (وحاشاه) :

(. . . حتى حَزَن النبي ﷺ – فيما بلغنا - حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه، تبدّى له

---

(١) والحاكم عن علي بن أبي طالب، وقال عنه : صحيح على شرط مسلم . ورواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه . وقال الألباني : حديث ضعيف "دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات البوطي " ص١٣-١٤ .

(٢) وقال الألباني رحمه الله : ومما يدل على ذلك، أن المصدر الوحيد الذي رأيته قد أورده إنما هو القسطلاني في " المواهب اللّدنية "، فلم يزد على قوله : " فيما ذكره صاعد " ! وصاعد هذا : هو ابن عبيدة البجلي، كما قال الزرقاني في شرحه عليه ١ / ٢٤٤، فما حال صاعد هذا ؟ إنه مجهول لا يُعرف، ولم يوثقه أحد، بل أشار الحافظ إلى أنه ليّن الحديث إذا لم يُتابع، كما هو حاله في هذا الخبر ! على أن قول القسطلاني : " ذكره صاعد " يُشعر أنه ذكره معلقاً بدون إسناد فيكون معضلا . ويكون الخبر ضعيفاً لا يصح حتى ولو كان صاعد معروفاً بالثقة والحفظ، وهيهات هيهات !.

جبريل فقال : يا محمد ! إنك رسول اللّه حقاً " ؛ فيسكن ذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي ، غدا لِمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل هذا[١] .

سادساً : تصفية الأخلاق والسلوك والتزكية

وهي إحدى المهمات التي من أجلها بُعث الرسول ﷺ، بل هي غاية الرسالات وثمرتها ، فقد قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[٢]، [٣] .

وقد دخل منهاج إصلاح النفس الذي اندرج تحت اسم " التصوّف " ، فجمع في طيّاته بلاءً ، لا حصر له ولا حدّ ، وانظر إلى أمثلة ذلك :

١- قيل لأبي يزيد البسطامي [٤] : حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك ؟ فقال : " نعم ! دعوت نفسي إلى اللّه ، فجمحت عليَّ [٥] ، فعزمت عليها أن

---

(١) قال الزهري : فأخبرني عروة عن عائشة . . . فساق الحديث إلى قوله : (وفتر الوحي) وزاد ه الزهري ، أخرجه بهذه الزيادة أحمد ٦ / ٢٣٢ - ٢٣٣ وأبو نعيم في " الدلائل " ص ٦٨ - ٦٩ والبيهقي في " الدلائل " ١/ ٣٩٣-٣٩٥ من طريق عبد الرزاق عن معمر به . وبذلك جزم الحافظ في الفتح ١٢ / ٣٠٢ راجع الدفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد على جهالات البوطي ص ٤٠ -٤١ وقال الشيخ الألباني عنه : حديث ضعيف .

(٢) سورة الجمعة آية ٢ .

(٣) الأصول العلمية للدعوة السَّلفية الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله .

(٤) أبو يزيد البسطامي : اسمه طيفور بن عيسى بن علي ، أحد مشايخ الصوفية ، وكان جده مجوسياً فأسلم توفي سنة إحدى وستين ومائتين .

(٥) جمحت عليَّ : أي صعبت ورفضت . .

لا أشرب الماء سنة، ولا أذوق النوم ! فوفّت لي !" [١].

٢- وحُكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام، كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً : « أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً ! وأنا أصدق به، وأحبُّه، فقال أبو يزيد : ولو صمتَ ثلاثمائة سنة، وقمتَ ليلها، ما وجدت من هذا ذرة ! قال : ولِمَ ؟ قال : « لأنك محجوب بنفسك »، قال : « فلهذا دواء ؟ » قال : « نعم» قال : « قل لي حتى أعمله» . قال : « لا تقبله »! قال : « فاذكره ليّ حتى أعمل». قال: « اذهب السّاعة إلى المزيِّن [٢]، فاحلق رأسك ولحيتك ! وانزع هذا اللباس واتَّزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك، وقل : « كل من صفعني صفعة، أعطيته جوزة » ! وادخل السوق، وطف الأسواق كلها عند الشهود، وعند من يعرفك، وأنت على ذلك ! فقال الرجل : « سبحان اللَّه ! تقول لي مثل هذا ؟ فقال أبو يزيد : قولك سبحان اللَّه شرك» ! قال : « وكيف ؟ » قال : « لأنك عظمت نفسك فسبَّحتها، وما سبحت ربك ». فقال: « هذا لا أفعله ! ولكن دلّني على غيره ؟ » فقال : « ابتدئ بهذا قبل كل شيء» فقال : « لا أُطيقه، قال : « قد قلتُ لك إنك لا تقبل»[٣]. . . .

٣. ومنهم الشيخ محمد السروري المشهور بأبي الحمائل، أحد الرجال المشهورين في الهمّة والعبادة، وكان يغلب عليه الحال، فيتكلَّم بالألسن

(١) قوت القلوب ٢ / ٧٠، وإحياء علوم الدين ٤ / ٣٠٤ .
(٢) المزيِّن : أي الحلَّاق .
(٣) القوت : ٢ / ٧٤ - ٧٥، والإحياء : ٤ / ٣٠٦ .

العبرانية والسريانية والعجمية، وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس، كما تزغرت النساء . . . وجاءه الشيخ علي الحديدي يطلب منه الطريق، فرآه ملتفتاً لنظافة ثيابه، فقال : " إن كنت تطلب الطريق، فاجعل ثيابك ممسحة لأيدي الفقراء " ! فكان كل من أكل سمكاً أو زفراً يمسح في ثوبه يده، مدة سنة وسبعة شهور، حتى صارت ثيابه كثياب الزيَّاتين أو السّمّاكين . . . فلما رأى ثيابه، لقّنه الذِكر، وجاء منه في الطريق . . . وكان يغلب عليه الحال ليلًا ! فيتكلَّم بألسنة غير عربية من عجم، وهند، ونُوبة وغيرها، وربما يقول: (قاق، قاق) طول الليل، ويزعق، ويُخاطب قوماً لا يُرون، وإذا قال شيئاً في غلبة الحال نَفَذَ [١] . . . .

وامتدّ الفسادُ من حقل الأخلاق والتعبّد إلى وضع الحديث : ومن أمثلة ما ينسبونه إلى الرسول ﷺ زوراً وبهتاناً .

١- (من حسن ظنه بالناس، كثرت ندامته) [٢] .

واللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [٣] .

(١) طبقات الشعراني : ٢ / ١٢٦، وجامع النبهاني ١ / ٢٩٩ . انظر الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبد الرؤوف القاسم .

(٢) رواه تمام في " الفوائد " ١٤ / ١ / ٢، وابن عساكر ١٦ / ١٤٩ / ٢ عن أبي العباس محمود بن محمد بن الفضل الواقفي . راجع السلسلة الضعيفة للألباني ٣ / ٢٩٣ / ١١٥٢ . قال الشيخ الألباني : حديث باطل .

(٣) سورة الحجرات آية ١٢ .

٢- (عليكم بلباس الصوف تجدوا حلاوة الإيمان في قلوبكم، وعليكم بلباس الصوف تجدوا قلة الأكل، وعليكم بلباس الصوف تُعرفون به في الآخرة، وإن لباس الصوف يورث القلب التَّفكر، ويورث الحِكمة، والحِكمة تجري في الجوف مجرى الدّم، فمن كثر طعمه، وعظم بدنه، وقسا قلبه، والقلب القاسي بعيد من الجنة، قريب من النار)[١].

٣- (الهُوا العبُوا؛ فإني أكره أن يُرى في دينكم غِلظَةٌ)[٢].

٤- (إذا أقلَّ الرجل الطُّعم، مُلئَ جوفه نوراً)[٣].

***

(١) رواه أبو بكر ابن النقور في «الفوائد» ١ / ١٤٧-١٤٨، وابن بشران في «الأمالي» ج ٢/ ٩/ ١، وابن الجوزي في الموضوعات قال الألباني: موضوع، السلسلة الضعيفة ٩٠ .

(٢) رواه الديلمي ١/ ١/ ١٩ في مسند الفردوس قال الألباني : موضوع، السلسلة الضعيفة ٢٢٥٨ .

(٣) رواه الديلمي ١/ ١/ ١٠٢ في مسند الفردوس قال الألباني : موضوع وفيه أبي العلاء، أورده الذهبي في الضعفاء، وقال الدارقطني : كذاب . وفيه كذلك إبراهيم بن مهدي، قال الذهبي متهم بالوضع، انظر السلسلة الضعيفة للألباني ٥ / ٣٦٧ .

المبحث الثامن

الأخلاق والتزكية

التزكية (١) من الزكاة وهي : الطهارة والنّمو الحاصل عن بركة اللَّه تعالى .

وتزكية النفس : أي طهارتها(٢) بحيث يستحق الإنسان في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة ودخول الجنة كما قال تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(٣) أي : طاب لكم المقام أو طهرتم من خبث الخطايا. أو كنتم طيبين في الدنيا طيبة قلوبكم بمعرفة الله ومحبته، وخشيته، وألسنتكم بذكره والثناء عليه وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه.

وعلى الإنسان أن يتحرى ما فيه تطهيره، وذلك يُنسب :

١ - تاره إلى العبد؛ لكونه مُكتسباً لذلك، نحو قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾(٤) .

٢ - وتارة تُنسب إلى اللَّه تعالى ؛ لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة ؛ نحو قوله تعالى : ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾(٥) .

٣ - وتارة إلى النبي ﷺ ؛ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم؛ نحو قوله

---

(١) المفردات ١٥٨، ٢١٣، ٢١٤ للراغب.

(٢) فالبعض من الناس يحرص على طهارة بدنه وثوبه ومجلسه وهي طهارة الظاهر أكثر من حرصه على طهارة الباطن وهي طهارة القلب!

(٣) سورة الزمر آية (٧٣).

(٤) سورة الشمس آية ٩ .

(٥) سورة النساء آية ٤٩ .

تعالى: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[(١)].

والأخلاق: هي القوى والسّجايا، وما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه.

أقسام الأخلاق:

وتنقسم الأخلاق إلى قسمين:

١- قسم جِبلِّي. ٢ - قسم كسبي.

الأول: القسم الجِبلِّي:

أي الذي قد يُفطَر عليه بعض الناس؛ كقوله تعالى عن جبريل أنه قال لمريم عن عيسى عليه السلام: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[(٢)] أي مُزكى بخُلقه، وذلك عن طريق الاجتباء والتوفيق الإلهي.

وكما قال رسول اللَّه ﷺ لأشج وفد عبد القيس: « **إن فيك لخصلتين يحبهما اللَّه تعالى: الحِلمُ والأناة** »[(٣)].

الثاني: القسم الكسبي:

أي الذي يمكن للإنسان أن يكتسبه من بيئته فيتأثر بها، ولهذا قال رسول اللَّه ﷺ: " **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً** "[(٤)].

وقوله ﷺ: «**إنما العِلمُ بالتَّعلُّم، وإنما الحِلمُ بالتَّحلُّمِ، ومن يتحَّر الخير**

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٢) سورة مريم آية ١٩ .

(٣) رواه مسلم ٢٦ .

(٤) رواه البخاري ٥١٠٨، ومسلم ٤٧٦٢.

يُعطه، ومن يتَّق الشر يُوقه»[١] .

وقول العالِم للرجل الذي قتل مئة نفس نفساً : انطلق إلى أرض كذا وكذا ! فإن بها أناساً يعبدون اللَّه، فاعبد اللَّه معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء . . . "[٢] .

ولو لم يكن هناك إمكانية لاكتساب الأخلاق وتغييرها؛ لما أمرنا الشرع (في القرآن والسنة) بالأخلاق الحسنة، والابتعاد عن الأخلاق السيئة .

- **أركان حُسن الخُلق:**

وحُسن الخُلق يقوم على أربعة أركان، لا يُتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعِفة والشجاعة، والعدل" .

١- **فالصبر**: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة .

٢- **والعِفة** : تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء.

٣- **والشجاعة**: تحمله على عزَّة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشِّيم، وعلى البذل والنَّدى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته .

كما قال ﷺ : "ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند

---

(١) الدارقطني في سننه، وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٩/ ١٢٧، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٢٨، والصحيحة ٣٤٢ .

(٢) رواه أحمد ١١١٧٠، ومسلم ٤٩٦٧ .

الغضب"[١]. وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها على قهر خصمه .

٤- **والعدل** : يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خُلق الجود والسّخاء الذي هو توسط بين الإمساك والإسراف والتبذير .

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة [٢] .

- **الأمر بالأخلاق الحسنة** :

من القرآن :

قال تعالى مادحاً نبيه ﷺ وممتناً على هذه الأمة بإرساله إليها : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ . [٣]

من السنة :

قال تعالى مادحاً رسوله ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[٤]. وقال ﷺ : «**إنما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**» ، [٥] وقال ﷺ : « **أثقل شيء في الميزان الخُلق الحسن** »[٦].

---

(١) رواه البخاري ٥٦٤٩، رواه و مسلم ٢٦٠٩ .

(٢) مدارج السالكين ٢ / ٣١٢ - ٣١٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

(٤) سورة القلم آية ٤ .

(٥) رواه ابن سعد، والبخاري في الأدب، المفرد والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٣٤٩ والصحيحة ٤٥ .

(٦) رواه ابن حبان في صحيحة، وصححه الألباني في صحيح الجامع١٣٣، والصحيحة ٨٧٥ .

وقال ﷺ : « **إن المؤمن ليُدرك بحسُن خُلقه، درجة القائم الصائم**»(١) .

- **جوانب حسن الخلق**

وحسُن الخلق له جوانب كثيرة، منها :

- **الجانب الأول : الأخلاق مع اللَّه** عَزَّ وَجَلَّ :

وأعلاها التوحيد، الذي أمر اللَّه به قائلًا : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾(٢) وأدناها الشرك، والذي نهى اللَّه عنه محذراً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾(٤) .

ولقد ضرب اللَّه مثلًا للمشرك بمثال لا يرضاه أحد لعبده، فقد قال ﷺ في الحديث : " إن اللَّه أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات . . . وأولهن : أن تعبدوا اللَّه ولا تُشركوا به شيئاً ؛ فإن مثل من أشرك باللَّه : كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورِق، ثم أسكنه داراً فقال : اعمل وارفع إليَّ، فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيِّده، فأيكم يرضى أن يكون عبْدُه كذلك ؟

وإن اللَّه خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً . . .) (٥) .

(١) رواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح الجامع وتخريج المشكاة ٥٠٨٢ .

(٢) سورة النساء آية ٣٦ .

(٣) سورة النساء آية ٤٨ - ١١٦ .

(٤) سورة المائدة آية ٧٢ .

(٥) رواه أحمد، والبخاري في تاريخه، والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٢٤، وصحيح الترغيب ٥٣٣ .

ومنه أن يعلم أن كل ما يكون منك يوجب عذراً، وكل ما يأتي من اللَّه يوجب شكراً، فلا تزال شاكراً له، معتذراً إليه، سائراً إليه بين مطالعة مِنّته وشهود عيب نفسك وأعمالك.

الجانب الثاني : الأخلاق مع النبي ﷺ

١- النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأقاربهم:

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (١)

٢- عدم رفع الصوت على النبي ﷺ :

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ (٢)

وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع صَوت رجلين في مسجد رسول اللَّه ﷺ قد ارتفعت أصواتهما، فجاء، فقال: أتدريان أين أنتما؟ ثم قال: مِن أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا .

وقال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حيا وفي قبره، صلوات اللَّه وسلامه عليه»(٣).

٣- تعزير (٤) النبي ﷺ :

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦ .

(٢) سورة الحجرات آية ٢.

(٣) انظر : تفسير ابن كثير .

(٤) التَّعزير ها هنا : الإعانَةُ والتَّوقيرُ والنَّصْر مرّة بعد مرَّة . وأصلُ التعزير : المنعُ والرَّدُّ . انظر النهاية لابن الأثير .

عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [١] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [٢] .

٤- نصرة النبي ﷺ :

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [٣] .

كما نسمعه ونشاهده اليوم من هجمة شرسة في بلاد الغرب على نبيبنا محمد ﷺ .

٥- توقير النبي ﷺ :

قال تعال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [٤] .

٦- الصلاة على النبي ﷺ :

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .
(٢) سورة الفتح آية ٩ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٥٧ .
(٤) سورة الفتح آية ٩ .

وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[١] .

والصلاة هنا بمعنى الدعاء . كما جاء من حديث أبو حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول اللّه! كيف نصلّي عليك؟ قال: " **قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**"[٢] .

٧- محبة النبي ﷺ :

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[٣] .

٨- متابعة النبي ﷺ والإقتداء والتأسي به :

قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[٤] . وقال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[٥] . قال رسول اللّه ﷺ : «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[٦] .

---

(١) سورة الحزاب آية ٥٦ .

(٢) رواه البخاري ٥٨٨٠، ومسلم ٦١٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ٣١

(٤) سورة آل عمران آية ٣١ .

(٥) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ ١/ ١٠، ومسلم كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول ﷺ ١/ ١٠ .

٩- تحكيم النبي ﷺ :

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾[(١)].

الجانب الثالث: الأخلاق مع الناس

وجماعه أمران: بذل المعروف قولًا وفعلًا، وكف الأذى قولًا وفعلًا.

كما قال عبد اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُسن الخُلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف وكفّ الأذى».

قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن رجلًا لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر واترك ما عسر، وتجاوز، لعلَّ اللَّه أن يتجاوز عنّا »، فلما هلك قال اللَّه: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام، وكنت أداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى، قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعلَّ اللَّه أن يتجاوز عنّا، قال اللَّه: قد تجاوزت عنك** »[(٢)].

- **الترغيب بالآداب والأخلاق الحسنة:**

قال رسول اللَّه ﷺ: " إن اللَّه يوصيكم بأمهاتكم - ثلاثاً - إن اللَّه يوصيكم

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٧٨، وصحيح الترغيب ٨٦٩ .

بآبائكم - مرتين - إن اللَّه تعالى يوصيكم بالأقرب فالأقرب "[١] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « ليس منّا من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه »[٢] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**بينما رجل يمشي بطريقٍ، وجد غُصن شوكٍ على الطريق فأخّره، فشكر اللَّه له، فغفر له** »[٣]

وعن أنس رضي الله عنه قال: «**كان ﷺ يَمُرُّ بالصبيان فيسلِّم عليهِم** »[٤] .

وقـال رسـول اللَّه ﷺ : «**احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**» . **قِيلَ: إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ:** « **إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا** » **قِيلَ: إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ اللَّهُ:** « **أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنْ النَّاسِ**»[٥] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي** » [٦] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**خيركم خيركم للنساء** » [٧] .

---

(١) رواه البخاري في الأدب، وابن ماجه، والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٩٢٤ .

(٢) رواه أحمد، والحاكم، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع ٥٣١٩ ، وتخريج الترغيب ١ / ٦٦ .

(٣) متفق عليه .

(٤) البخاري انظر صحيح الجامع ٥٠١٤ .

(٥) رواه أحمد، وأبو يعلى، والحاكم، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٣، آداب الزفاف ٣٤ .

(٦) رواه الترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣١٤ .

(٧) رواه الحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣١٦ .

الأخلاق مع العبيد والإماء[١] :

قال رسول اللَّه ﷺ : " إخوانُكم خولُكم [٢]، جعلهمُ اللَّه قنية [٣] تحت أيديكم، فمَن كان أخوهُ تحت يدهِ، فليطعمه من طعامهِ، و ليلبسهُ من لباسهِ ولا يُكلِّفهُ ما يغلبُه فإن كلّفه ما يغلبه، فلْيُعِنه "[٤] .

والإسلام كما أنه أمر بالأخلاق الحسنة، فقد نهى عن الأخلاق السيئة :

- **النهي عن الأخلاق السيئة**

من القرآن :

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [٥] .

وقول لقمان لابنه : ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾[٦] .

---

(١) وإذا كانت هذه الأخلاق مع العبيد والإماء فلا شك أن الأخلاق مع الخدم والأُجراء من باب أولى، كما قالﷺ : " أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه" رواه ابن ماجه وأبو يعلى في مسنده، والطبراني في الأوسط وحسّنه الألباني في صحيح الجامع ١٠٥٥ .

(٢) خولُكم : خدمكم .

(٣) قنية : مملوكين .

(٤) رواه البخاري ٢٩، ٢٣٥٩ ومسلم ٣١٣٩، ٣١٤٠ .

(٥) سورة الحجرات آية ١١ .

(٦) سورة لقمان آية ١٨ - ١٩ .

من السنة :

قال رسول اللَّه ﷺ : " **ليس المؤمن بالطّعان، ولا اللّعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**[1] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ليس المؤمن بالذي يشبع، وجاره جائع إلى جنبه**»[2] .

عن جابر ﷺ : أنّ رسول اللَّه ﷺ قال : « **إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ** »، **قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ ؟ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ** "[3] .

- **الترهيب من الأخلاق السيئة :**

قال رسول اللَّه ﷺ : « **من حمل علينا السِّلاح فليس منّا، ومن غشّنا فليس مِنَّا**»[4] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد اللَّه إخواناً كما أمركم اللَّه، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**»[5] .

---

(١) أحمد، والبخاري في الأدب، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٣٨١ .

(٢) البخاري، والطبراني، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٣٨٢ .

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ح ١٨، ٢ وقال : حسن غريب . وحسنه الألباني الجامع ٢١٩٧ والصحيحة ٧٩١ .

(٤) رواه مسلم ٩٨ .

(٥) رواه أحمد٧٨٧٥، والبخاري٦٠٦٥، ومسلم٦٦٩٠ .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة، ولا ينظر إليهم؛ ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم : رجلٌ على فضل ماءٍ بالفلاةِ يمنعهُ من ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا بسلعةٍ بعد العصر؛ فحلف له باللَّه لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفّى، وإن لم يعطه منها لم يف**»[(١)] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا يدخل الجنة نمّام** »[(٢)] . **وقال رسول اللَّه ﷺ** : « **لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمسّ امرأة لا تحل له**»[(٣)] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة، وعصى إمامه ومات عاصيا، وأمة أو عبد أبق من سيده فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا، فتبرجت بعده، فلا تسأل عنهم** »[(٤)] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تَسُبَنَّ أحداً، ولا تحقّرن من المعروف شيئاً، ولو أن تكلّم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار؛ فإنه من المخيلة، وإن اللَّه لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيّركَ بما يعلم فيك، فلا تعيّرهُ بما تعلم فيه فإنما وبالُ ذلك عليه**[(٥)] .

(١) البخاري ٢٦٧٢ ومسلم ٣١٠ .

(٢) مسلم ٣٠٣ .

(٣) مخيط: الإبرة . الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٤٥ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٤١١، قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث ٣٠٥٨ في صحيح الجامع.

(٥) رواه أبو داود٤٠٨٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧١٨٦، والصحيحة (١١٠٩ - ١٣٢٥).

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا**»(١) .

- **الأخلاق مع العدو:**

قال رسول اللَّه ﷺ « **لكل غادر لواءٌ يُعرف به يوم القيامة** » (٢) .

وقال رسول اللَّه ﷺ « **إذا اطمأن الرجل إلى الرجل، ثم قتلهُ بعدما اطمأنَّ إليه، نُصِبَ له يوم القيامة لواء غدر** » (٣) .

- **الأخلاق مع السفراء والهيئات الدبلوماسية:**

قال رسول اللَّه ﷺ « **أما واللَّه لولا أن الرُسل لا تقتل، لضربت أعناقكما**»(٤) .

- **الأخلاق مع الحيوان :**

قال رسول اللَّه ﷺ : « **دخلت امرأة النار في هِرَّةٍ ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت** »(٥) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : " **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ! فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ**

---

(١) رواه أحمد٢٥٤٧٠، والبخاري١٣٩٣ .

(٢) رواه أحمد٣٩٠٠، البخاري٣١٨٨، مسلم٤٦٣٠ .

(٣) رواه الحاكم٨٠٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٥٧، والصحيحة ٤٤١ .

(٤) رواه أبو داود٢٧٦١، والحاكم٢٦٣٢، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع .١٣٩٩ (قاله لرسولي كسرى) .

(٥) رواه أحمد٧٥٤٧، والبخاري٣٣١٨، ومسلم ٦٨٤٥ .

خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ، لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ! وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "[(١)] .

وعن شداد بن أوس ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : " **قَالَ : إِنَّ اللَّهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الإِحْسَانَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ** "[(٢)] .

- **الأخلاق مع الجماد:**

بل تتعدى هذه الأخلاق إلى الجمادِ :

فهذا رسول اللَّه ﷺ يقول عن جبل أُحد : «**أُحدٌ جبل، يحبُّنا ونحبُّه**»[(٣)] .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه مالك٩٣٣، وأحمد٨٨٧٤، والبخاري٦٠٠٩، ومسلم٥٩٩٦ .

(٢) رواه الطبراني (في الكبير)٦٩٧٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٠٥، والإرواء ٢٤٧٦ .

(٣) رواه البخاري ٤٤٢٢، والترمذي .

المبحث التاسع

تحذير المسلمين من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرة

- **تعريف الحديث الضعيف :**

هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن[١] . وهو أنواع كثيرة [٢] يمكن حصرها في ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الموضوع وهو أشرُّ أنواع الضعيف، وهو ما كان في إسناده : كذَّاب أو وضَّاع .

النوع الثاني : ما كان أخف منه : ولكنه شديد الضعف، وهو ما قيل فيه : مُتَّهم، أو مجمع على تركه، أو هالك، أو ليس بشيء، أو ضعيف جداً " .

النوع الثالث : ما لم يكن الضعف فيه شديداً : وينجبر بمثله، وهو ما كان في سنده سيئ الحفظ، أو له أوهام، أو مدلِّس، أو مُعنعن، أو مختلط، أو ما قيل فيه : ضعيف فقط، أو لم أر فيه توثيقاً . . . ونحو ذلك.

فالنوع الأول والثاني: لا ينجبران بالمتابعة، ولا ينتفعان بالشواهد. وأما الثالث فهو بعكس ذلك؛ وهو الذي وقع الخلاف فيه بالعمل به في حال تفرده[٣] .

---

(١) المقدمة لابن الصلاح ٢٠، أو هو : «كل حديث لم تتوافر فيه صفات القَبول» (النُّكت ٤٩٢) .

(٢) أوصلها العراقي إلى اثنين وأربعين، وابن حبان إلى تسعة وأربعين، وبلغ بها غيرهما إلى ثلاثة وستين نوعاً (راجع تدريب الراوي ١٠٥) .

(٣) تحقيق القول بالعمل بالحديث الضعيف د. عبد العزيز بن عبد الرحمن العثيم ص١٨ .

- **أضرار وأخطار رواية الأحاديث الضعيفة، [١] والعمل بها :**

١ - الكذب على الرسول ﷺ .

٢- يؤدي العمل بمقتضاها إلى زيادة في الدِّين، أي : الابتداع فيه .

٣- تؤدي إلى الاختلاف والشقاق، والتنازع في الدِّين، وقد أُمِرنا بالائتلاف وعدم التنازع .

٤- فتح ثغرات في الدِّين ينفذ منها أعداء اللَّه تعالى، واستغلالها للنّيل منه .

وما لم يثبت عن النبي ﷺ متفاوت في الضعف، فمنه الشَّديد الضعف جداً، ومنه ما قرب ضعفه، والقسم الأخير اخَتلَف فيه العلماء قديماً وحديثاً؛ فمن قائل : يجوز العمل به مطلقاً، ومنهم المانع مطلقاً، ومنهم من فصَّل القول فيه ووضع له شروطاً وضوابط .

- **الفروق بين الاحتجاج بالحديث الضعيف وروايته :**

فيشرع رواية الحديث الضعيف ما لم يشترط مصنف الكتاب أنه لا يروي فيه إلا الصحيح كما فعل الإمام البخاري والإمام مسلم - رحمهما اللَّه - في صحيحيهما وفيه ضوابط، هي :

١- أن لا يكون الحديث الضعيف شديد الضعف أو موضوع .

٢- أن من يروي هذا الحديث الضعيف يرويه بسنده وقد قيل : (أن من أسند فقد بريء) ويعتبر هذا من باب حفظ العلم وعدم التفريط في شيء مما يروى، وأحالوا نقد الأسانيد على نقاد الحديث لكونهم أغنوهم عن الكشف الحثيث .

٣- إذا تبين للمصنف أن الحديث ضعيف فينبغي أن يبين أمره .

---

(١) المقصود بها الشديدة الضعف .

قال أبو شامة المقدسي[١] منكراً على الحافظ ابن عساكر [٢] إيراده حديث أبي هريرة ﷺ : " من صام السابع والعشرين من رجب كتب اللَّه له صيام ستين شهراً " . قال: كنت أود أن الحافظ لم يقل ذلك، فإن فيه تقريراً للأحاديث المنكرة فقدره أكبر من أن يحّدث عن الرسول ﷺ بحديث يُرى أنه كذب، ولكنه جرى في ذلك على عادة جماعة من أهل الحديث يتساهلون في أحاديث فضائل الأعمال، وهذا عند المحققين من أهل الحديث وعند علماء الأصول والفقه خطأ؛ بل ينبغي أن يبين أمره إن علم، وإلا دخل تحت الوعيد في قوله ﷺ : «**من حدث عني بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين**»[٣]، [٤]

ولذلك قال أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ : «والذي أراه أن بيان الضعف في الحديث الضعيف واجب على كل حال؛ لأن ترك البيان يوهم المطلع عليه أنه حديث صحيح، خصوصاً إذا كان الناقل له من علماء الحديث الذين

---

(١) هو عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الشافعي المعروف بأبي شامة، لأنه كان به شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر. توفي سنة خمس وستين وستمائة . انظر : الذيل على الروضتين ص ٣٧ - ٤٥ .

(٢) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي، كان إماماً في الحديث، ومن أعيان الفقهاء الشافعية توفي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . انظر : المختصر في أخبار البشر ٣/ ٥٩، العبر للذهبي ٤/ ٢١٢ - ٢١٣ .

(٣) الحديث : رواه مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ٦٢ بشرح النووي، وأحمد في المسند ٥/ ٢٠، وابن ماجه بالأرقام ٣٨ - ٤١، ورمز له السيوطي في « الجامع الصغير » بالصحة . انظر : الجامع الصغير ٦/ ١١٦ مع شرحه فيض القدير .

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٦٤ - ٦٥ . لأبي شامة المقدسي .

يرجع إلى قولهم في ذلك، لا فرق بين الأحكام وبين فضائل الأعمال ونحوها في عدم الأخذ برواية الضعيفة، بل لا حجة لأحد إلا بما صح عن رسول اللَّه ﷺ من حديث صحيح أو حسن[(١)].

وكذلك قال الدكتور صبحي الصالح: «لا نُسَلِّم برواية الضعيف في فضائل الأعمال، ولو توافرت له جميع الشروط التي لاحظها المتساهلون في هذا المجال، ثم ذكر الشروط، وقال: لا نُسَلِّم برواية الضعيف - رغم هذه الشروط - لان لنا مندوحة عنه بما ثبت لدينا من الأحاديث الصحاح والحسان، وهي كثيرة جداً في الأحكام الشرعية والفضائل الخلقية، ولأننا - رغم توافر هذه الشروط - لا نؤنس من أنفسنا الاعتقاد بثبوت الضعف، ولولا ذلك لما سميناه ضعيفاً وإنما يساورنا دائماً الشك في أمره، ولا ينفع في الدين إلا اليقين»[(٢)].

- **حكم قبول الحديث الضعيف والاحتجاج به في الأحكام، وفضائل الأعمال:**

اختلف العلماء في قبول الحديث الضعيف والاحتجاج به في الأحكام، وفضائل الأعمال على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يحتج ولا يعمل بالحديث الضعيف مطلقاً، لا في الأحكام، و لا في غيرها من الفضائل، والترغيب والترهيب.

حجة هذا القول:

أ - بأن الحديث الضعيف إنما يفيد الظن المرجوح، واللَّه ﷻ قد ذمَّ الظن

---

(١) الباعث الحثيث لأحمد شاكر ص ٧٦.

(٢) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح ص ٢١١ - ٢١٢.

في غير ما آية من كتابه، فقال تعالى : ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾(١)، وقال تعالى ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾﴾(٢).

وقال الرسول ﷺ : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»(٣).

ب- أن في الأحاديث الصحيحة ما يغني المسلم عن الضعيف .

أصحاب هذا القول :

١- قال يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال ابن سيد الناس (٤)، عند الكلام في توثيق محمد ابن إسحاق (٥)، وممن حكي عنه التسويه بين الأحكام وغيرها يحيى بن معين (٦) .

٢- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والظاهر من صنيع

---

(١) سورة يونس آية ٣٦ .

(٢) سورة النجم آية ٢٨ .

(٣) أخرجه البخاري ٩/ ١٩٨ في الفتح، ومسلم ١٦/ ١١٨ - ١١٩ النووي، وأبو داود ٤٩١٧، والترمذي ١٩٨٩ .

(٤) هو : محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس أبو الفتح اليعمري الشافعي الحافظ الأديب المشهور. له: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسّير، ومختصره المسمى نور العيون، وغيرهما، توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة. انظر: الوافي بالوفيات ١/ ٢٨٩ - ٣١١، الدرر الكامنة ٤/ ٣٣٠ - ٣٣٥

(٥) هو: محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق، إمام أهل المغازي صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، مات سنة خمسين ومائة . انظر : تقريب التهذيب ٢/ ١٤٤ .

(٦) عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ١٥ .

البخاري في صحيحه، وشدة شرطه في الرواة، و عدم إخراجه شيئاً من الأحاديث، الضعيفة، أن مذهبه عدم العمل بالحديث الضعيف، وهو ما استظهره الشيخ جمال الدين القاسمي »[١].

٣- الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "والذي يظهر من تشنيعه في مقدمة صحيحه على رواة الضعيف أن مذهبه : عدم الاحتجاج بالحديث الضعيف مطلقاً.

٤- قال ابن رجب [٢] : «وظاهر ما ذكره مسلم في مقدمة كتابه يقتضي أن لا يروي أحاديث الترغيب إلا عمن تروي عنه الأحكام ». [٣]

٥- قال بن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ « : سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: « لا يحتج بالمراسيل ولا تقوم الحجة إلا بالأسانيد الصحاح المتصلة »، وكذا أقول أنا [٤].

٦- قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ما روى الضعيف وما لم يرو في الحكم سيان، أنه لا يعمل بخبر الضعيف وأن وجوده كعدمه»[٥].

٧- الإمام أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « عاب الإمام المحدِّث أبو سليمان الخطابي على الفقهاء عدم تمييزهم بين صحيح الحديث وضعيفه، واحتجاجهم

---

(١) قواعد التحديث للقاسمي ص : ١١٣ .

(٢) هو العلامة الزاهد العمدة الثقة الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي. له فتح الباري شرح صحيح البخاري ولم يكمل، شرح الترمذي، لطائف المعارف، القواعد الفقهية، وغيرها، توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة. انظر : شذرات الذهب ٦/ ٣٣٩، البدر الطالع ١/ ٣٢٨ .

(٣) شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٧٤ .

(٤) المراسيل لابن ابي حاتم ص ٧ .

(٥) المجروحين لابن حبان : ١/ ٣٢٧- ٣٢٨ .

بالأحاديث الواهية الضعيفة»[١] .

٨- أبو محمد ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال في سياق صفة النقل عند المسلمين : والخامس شيء نقل كما ذكرنا إما بنقل أهل المشرق والمغرب أو كافة عن كافة، أو ثقة عن ثقة حتى يبلغ إلى النبي ﷺ إلا أن في الطريق رجلًا مجروحاً بكذب أو غفلة أو مجهول الحال، فهذا أيضاً . يقول به بعض المسلمين، ولا يحل عندنا القول به ولا تصديقه، ولا الأخذ بشيء منه»[٢] .

٩- القاضي أبو بكر ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : نعى القاضي أبو بكر بن العربي على الحارث بن اسد المحاسبي [٣] - بعد أن أشاد به - أخذه بالأحاديث الضعيفة وبناءه الأصول عليها [٤] . كما أوصى تلاميذه أن لا يشتغلوا من الأحاديث بما لا يصح سنده[٥] .

١٠- قال محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الضعيف الذي يبلغ ضعفه إلى حد لا يحصل معه الظن، لا يثبت به الحكم، ولا يجوز الاحتجاج به في إثبات شرع عام، وإنما يثبت الحكم بالصحيح والحسن، لذاته أو لغيره، لحصول

---

(١) معالم السنن للخطابي ١/ ٧ - ٨ .
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢/ ٨٤ .
(٣) هو الحارث بن أسد المحاسبي البصري أبو عبد الله من علماء مشايخ الصوفية، سمي بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه، له : كتاب الرعاية لحقوق الله، رسالة المسترشدين، وغيرهما، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين . انظر : طبقات الصوفية ص ٥٦ - ٦٠ . جمهرة الأولياء لأبي الفيض المتوفي ٢/ ١٩١ - ١٩٧ .
(٤) انظر : عارضة الأحوذي ٥/ ٢٠١ - ٢٠٢ .
(٥) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٨٠ .

الظن بصدق ذلك وثبوته عن الشارع»[١].

وقال شيخنا العَّلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا الذي أُدين اللَّه به، وأدعو الناس إليه: أن الحديث الضعيف لا يُعمل به مطلقاً، لا في الفضائل ولا المستحبات، ولا في غيرهما، ذلك لأن الحديث الضعيف، إنما يفيد الظّن المرجوح بلا خلاف أعرفه بين العلماء، وإذا كان كذلك فكيف يُقال: يجوز العمل به ؟! واللَّه عَزَّ وَجَلَّ ذَّمه في غير ما آية في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ».

القول الثاني: يحتج ويُعمل بالحديث الضعيف مطلقاً، أي: في الحلال والحرام، والفرض والفضائل، والترغيب والترهيب، وغيرها بشرطين:

الأول: أن يكون ضعفه غير شديد؛ لأن ما كان ضعفه شديدًا، فهو متروك عند العلماء كافة.

الثاني: أن لا يوجد في الباب غيره، وأن لا يكون ثمة ما يعارضه.

حجة هذا القول:

أ- بأن الحديث الضعيف لما كان مُحتَمِلًا للإصابة، ولم يعارضه شيء، قوي جانب الإصابة في روايته فيُعمل به.

ب- أن الحديث الضعيف أقوى من رأي الرجال.

أصحاب هذا القول:

١- الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسب هذا القول للإمام أبي حنيفة [٢]، فقد ذكر ابن حزم أن الضعيف أولى

(١) إرشاد الفحول للشوكاني: ص ٤٨.

(٢) انظر: فتح المغيث للسّخاوي ١/٢٦٧، الأجوبة الفاضلة ص ٥١.

عند الإمام أبي حنيفة من الرأي والقياس إذا لم يجد في الباب غيره [١] . ، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «وَأَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَذْهَبَ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّ ضَعِيفَ الْحَدِيثِ عِنْدَهُ أَوْلَى مِنْ الْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ، وَعَلَى ذَلِكَ بَنَى مَذْهَبَهُ، كَمَا قَدَّمَ حَدِيثَ الْقَهْقَهَةِ [٢] مَعَ ضَعْفِهِ عَلَى الْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ، وَقَدَّمَ حَدِيثَ الْوُضُوءِ بِنَبِيذِ التَّمْرِ فِي السَّفَرِ مَعَ ضَعْفِهِ عَلَى الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ [٣]» .

٢- الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ :

ويدّل عليه تقديم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات، وقول الصحابي على القياس وكتابه (الموطأ) أكبر شاهد على ذلك فهو مشتمل على كثير من الأحاديث المرسلة والمنقطعة»[٤] .

وقال ابن العربي : تحقيق مذهب مالك أنه لا تقبل إلا مراسيل أهل المدينة»[٥] .

٣- الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقد عمل بعدة أحاديث ضعيفة وقدمها على القياس[٦]، ومن ذلك : قدَّم في أحد قوليه : حديث : «من قاء أو

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٧/ ٩٢٩، مناقب أبي حنيفة للذهبي ص ٢١، مرقاة المفاتيح شرح المصابيح ١/ ٣ .

(٢) حديث القهقة: رواه الطبراني في الكبير ولفظه عن أبي موسى قال: «بينما رسول الله ﷺ يصلي إذ دخل رجل فتردى في حفرة كانت في المسجد وكان بصره ضرر فضحك كثير من القوم وهم في الصلاة فأمر رسول الله ﷺ من ضحك أن يعيد الوضوء ويعيد الصلاة». انظر: مجمع الزوائد ٢/ ٨٢ .

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٩٨ .

(٤) انظر : إعلام الموقعين ١/ ٣٣ .

(٥) عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي ١/ ٢٤٦ .

(٦) مع توسطه بالأخذ بالحديث المرسل انظر : الرسالة للإمام الشافعي ٤٦٢ - ٤٦٥، ومختصر المزني المطبوع مع الأم ٧/ ٧٨، والمرسل من أقسام الحديث الضعيف .

رعف فليتوضأ وليبن على صلاته»[١] على القياس مع ضعف الخبر وإرساله[٢] .

٤- الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « اشتهر هذا الرأي عن الإمام أحمد بن حنبل حتى قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « أنه الْأَصْلُ الرَّابِعُ : الْأَخْذُ بِالْمُرْسَلِ وَالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ، إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَابِ شَيْءٌ يَدْفَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي رَجَّحَهُ عَلَى الْقِيَاسِ»[٣] . وقال عبد اللَّه بن أحمد[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « سمعت أبي يقول: «الحديث الضعيف أحب إلى من الرأي»[٥] . وقال الأثرم[٦] : «رأيت أبا عبداللَّه (أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ) إن كان الحديث عن النبي ﷺ في إسناده شيء يأخذ به، إذا لم يجئ خلافه أثبت منه، مثل حديث عمرو بن شعيب»[٧] .

٥- الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « يأخذ الأمام أبو داود مأخذ شيخه الإمام أحمد بن حنبل في العمل بالضعيف، ويخرج الإسناد

---

(١) رواه ابن ماجه رقم ١٢٢١، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :« من أصابه قيء أو رعاف أو قلس أو مذي فلينصرف فليتوضأ ثم ليبن على صلاته وهو في ذلك لا يتكلم » .

(٢) اعلام الموقعين لابن القيم ١/ ٣٢ .

(٣) إعلام الموقعين لإبن القيم ١/ ٣١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران ص ٤٣ .

(٤) هو عبد الله ابن أحمد بن حنبل أبو عبد الرحمن، كان ثبتاً فهماً ثقة مكثراً عن أبيه وغيره، وروى عن أبيه المسند والتفسير، وغيرهما، توفي سنة تسعين ومائتين .

(٥) إعلام الموقعين ١/ ٨١ .

(٦) هو : أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، يقال : الكلبي، الأثرم الإسكافي أبو بكر جليل القدر حافظ إمام، أحد الآخذين عن الإمام أحمد والمكثرين من مسائله : توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين . انظر : تهذيب التهذيب ١/ ٧٨-٧٩، مختصر طبقات الحنابلة للنابلسي ص (٣٧-٣٩) .

(٧) هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال القطان : إذا روى عنه ثقة فهو حجة، وقال أحمد : ربما احتججنا به، وقال أبو داود : ليس بحجة، مات سنة ثمان عشرة ومائة . انظر : الكاشف الذهبي ٢/ ٣٣٢ .

الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره؛ لأنه أقوى عنده من رأي الرجال »[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وعلى هذه الطريقة التي ذكرها أحمد بنى أبو داود كتاب السنن لمن تأمله، ولعله أخذ ذلك عن أحمد فقد بيَّن أن مثل عبد العزيز بن أبي رواد[٢]، ومثل الذي فيه رجل لم يُسم[٣] يُعمل به إذا لم يخالفه ما هو أثبت منه وقد صرح بذلك أبو دواد نفسه في رسالته لأهل مكة حيث يقول : وإن من الأحاديث في كتابي «السنن» ما ليس بمتصل وهو مرسل، ومدلس، إذا لم توجد الصحاح عند عامة أهل الحديث على معنى أنه متصل، وهو مثل الحسن عن جابر، والحسن عن أبي هريرة، والحكم[٤] عن مقسم»[٥][٦] .

روي ذلك عن أحمد وأبي داود - رحمهما لله - وغيرهما [٧]، وقال ابن

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص : ٣٤ .

(٢) المسودة في اصول الفقه ص ٢٧٥ .

(٣) هو : عبد العزيز بن أبي رواد العتكي، قال يحيى القطان : ثقة لا يُترك لرأي أخطأ فيه، ووثقه ابن معين وأبو معين وأبو حاتم، وقال ابن عدي : في بعض أحاديثه ما لا يتابع عليه، مات سنة تسع وخمسيين ومائة . انظر : خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢/ ١٦٦.

(٤) هو : الحكم بن عيينة أبو محمد الكندي مولاهم الكوفي عالم أهل الكوفة، قال سفيان بن عيينة : ما كان بالكوفة مثل : الحكم وحماد بن ابي سليمان،وقال العجلي : كان الحكم ثقة ثبتاً فقيهاً من كبار اصحاب إبراهيم، وكان صاحب سنة واتباع، مات سنة خمس عشرة ومائة . انظر طبقات ابن سعد ٦/ ٣٣١ - ٣٣٢، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٨ .

(٥) هو: مقسم بن بجرة، ويقال : ابن نجدة أبو القاسم، ويقال : ابو العباس، قال الساجي: تكلم الناس في بعض روايته، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث، ضعيفاً، توفي سنة إحدى ومائة . انظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٦) رسالة أبي داود لأهل مكة ص ٣٠ .

(٧) انظر فتح المغيث ١ / ٢٦٧ .

تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ولا يجوز أن يُعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة، ولكن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وغيره من العلماء جوَّزوا أن يُروى في فضائل الأعمال ما لم يُعلم أنه ثابت، إذا لم يُعلم أنه كذب، وذلك أن العمل إذا عُلِم أنه مشروع بدليل شرعي، وروي في فضله، حديث لا يُعلم أنه كذب، جاز أن يكون الثواب حقاً، ولم يقُل أحد من الأئمة : " إنه يجوز أن يُجعل الشيء واجباً أو مستحباً بحديث ضعيف، ومن قال هذا، فقد خالف الإجماع [(١)].

وقال أيضاً : «وما كان أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، ولا أمثاله من الأئمة يعتمدون على مثل هذه الأحاديث في الشريعة، ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه»[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وليس المراد بالضعيف عنده (الإمام أحمد) الباطل، ولا المُنكر، ولا ما في روايته متهم، بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن . ولم يكن يُقسِّم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب، فإذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ولا قول صاحب ولا إجماعاً على خلافه، كان العمل به عنده أولى من القياس»[(٣)].

ثم إنّ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ممن نقل عنه القول بجواز العمل بالحديث

---

(١) القاعدة الجليلة ٨٤ .

(٢) المصدر السابق ٨٥ .

(٣) إعلام الموقعين ١/ ٣١ .

الضعيف مطلقاً نُقِلت عنه روايات تدل على منع ذلك، وأن ذلك مخصوص في فضائل الأعمال .

قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ - في رواية الميموني عنه - أحاديث الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حُكم [(١)] . وقال في رواية عباس الدوري عنه : «ابن إسحق رجل تُكتَب عنه هذه الأحاديث (يعني المغازي ونحوها)، وإذا جاء الحلال والحرام، أردنا قوماً هكذا - وقبض أصابع يده الأربعة »[(٢)] .

ثم الذي يحمل عليه تساهلهم المذكور على روايتهم إياها مقرونة بأسانيدها -كما هي عادتهم - هذه الأسانيد التي بها يمكن معرفة قوة الحديث وضعفه، فيكون ذِكر السند مُغنياً عن التصريح بالضعف .

القول الثالث : يحتج ويُعمل بالحديث الضعيف في الفضائل والمستحبات ، دون العقائد والأحكام :

حجة هذا القول :

بأن الحديث الضعيف إن كان صحيحاً في نفس الأمر فقد أعطي حقه من العمل به، وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم، ولا ضياع حق للغير»[(٣)] .

كما استدلوا بحديث ضعيف يروى عن الرسول ﷺ : «من بلغه عني ثواب

---

(١) الكفاية ٢١٣ . وراجع فتح المغيث ١ / ٢٦٧ .
(٢) فتح المغيث ١/ ٢٦٧
(٣) الفتح المبين في شرح الأربعين : ص ٣٦ .

عمل فعمله حصل له أجره و إن لم أكن قلته»[١] .

شروطهم للعمل بالحديث الضعيف في الفضائل :

اشترط القائلون بهذا القول أربعة شروط، هي :

١- **أن يكون الضعف غير شديد،** فيخرج ما اشتد ضعفه : كحديث الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه، وهذا الشرط متفق عليه [٢] .

وهذا يدل على وجوب معرفة حال الحديث الذي يريد أحدهم أن يعمل به، لكي يتجنّب العمل به إذا كان شديد الضعف، وهذه المعرفة مما يصعب الوقوف عليها من جماهير الناس، وفي كل حديث ضعيف يريدون العمل به، لقِلة العلماء بالحديث لا سِيَّما في العصر الحاضر .

٢- **أن يكون الحديث في الفضائل** وما في معناها. وممن قال بهذا ابن المبارك[٣] والإمام النووي[٤]، وابن حجر الهيتمي [٥]رحمهم اللَّه تعالى .

٣-**أن يندرج الحديث الضعيف تحت أصل معمول به،** فيكون العمل في الحقيقة ليس بالحديث الضعيف، وإنما بالأصل العام، فالعمل به وارد،

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٢ بلفظ : « من أدى الفريضة وعلم الناس الخير كان فضله على المجاهد العابد كفضلي على أدناكم رجلاً، ومن بلغه عن الله فضل فأخذ بذلك الفضل أعطاه الله ما بلغه وإن كان الذي حدثه كاذباً » وهو حديث موضوع انظر تذكرة الموضوعات للفتني ص ٢٨، سلسة الأحاديث الضعيفة للألباني ٥/ ٦٨-٦٩ .

(٢) انظر : القول البديع للسخاوي ص ٢٥٨، تدريب الراوي ص ١٩٦، الفتوحات الربانية ١/ ٨٣ - ٨٤ .

(٣) الجرح والتعديل ٢/ ٣٠، وشرح علل الترمذي ١٠٢ .

(٤) فتح المغيث ١/ ٢٦٧ .

(٥) قواعد في علوم الحديث ٩٢ -٩٣ .

سواء وجد الحديث الضعيف أو لم يوجد، ولا عكس، أي: العمل بالحديث الضعيف إذا لم يوجد الأصل العام، فثبت أن العمل بالحديث الضعيف بهذا الشرط شكلي، غير حقيقي.(١)

٤-**أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته**، بل يعتقد الاحتياط، لئلَّا يُنسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله (٢).

وهذا الشرط يلتقي مع الشرط الأول في ضرورة معرفة الحديث؛ لكي لا يعتقد ثبوته، علماً بأن جماهير الذين يعملون في الفضائل بالأحاديث الضعيفة لا يعرفون ضعفها، وهذه الشروط دقيقة ومهمة جداً، لو التزمها العاملون بالأحاديث الضعيفة لكانت النتيجة أن تضيق دائرة العمل بها، أو تُلقى من أصلها، ولاشك أنه فيما ثبت من أحاديث المصطفى ﷺ غُنية ومنجاة من الوقوع في الكذب على النبي ﷺ(٣).

وزاد بعض العلماء شرطاً خامساً وهو: «أن لا يعتقد سنية ما يدل عليه. قال الشيخ علوي المالكي: «وهذا خلف في القول؛ لأنه لا معنى للعمل بالحديث الضعيف في مثل ما نحن فيه إلا كونه مطلوباً طلباً غير جازم، فهو سنة، وإذا كان سنة تعين اعتقاد سنيته»(٤).

وزاد الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كذلك شرطاً غير هذه الشروط، وهو أن لا

(١) المصدر السابق.
(٢) انظر تدريب الراوي ١٩٦، وقواعد التحديث ١١٦، فتح المغيث١/ ٣٦٨، ومقدمة صحيح الجامع للألباني.
(٣) لقوله ﷺ: «كفى بالمرء كذِباً أن يحدِّث بكل ما سمع». رواه مسلم ٦ في المقدمة.
(٤) المنهل اللطيف لعلوي المالكي: ٩-١٠.

يشتهر ذلك لئلا يعمل المرء بحديث ضعيف فيشرِّع ما ليس بشرع، أو يراه بعض الجهال فيظن أنه سنة صحيحة[١].

أصحاب هذا القول :

نسبه الإمام النووي لجمهور العلماء من المحدثين والفقهاء، ومنهم :[٢]

١- قول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ «روى الخطيب البغدادي بسنده عن سفيان الثوري قوله: «لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم الذين يعرفون الزيادة والنقصان، ولا بأس بما سوى ذلك من المشايخ»[٣].

٢- قول عبد اللَّه بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ «قال ابن أبي حاتم حدثني أبي ثنا عبدة يعني: ابن سليمان[٤] قال: قيل لابن المبارك وروى عن رجل حديثاً فقيل: هذا رجل ضعيف؟ فقال: يحتمل أن يروي عنه هذا القدر، أو مثل هذه الأشياء. قلت لعبدة: مثل أي شئ كان ؟ قال : في أدب، في موعظة، في زهد، أو نحو هذا[٥].

وصنيعه في كتابه «الزهد والرقائق» يوحي بذلك، بل هو أكبر شاهد على

(١) تبيين العجب لما ورد في فضل رجب لابن حجر : ص٣ - ٤ .

(٢) الأذكار ١/ ٨٢ مع شرحه الفتوحات الربانية .

(٣) الكفاية ص ٢١٢، شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٧٣ .

(٤) هو: عبدة بن سليمان المروزي أبو محمد، ويقال: أبو عمرو، نزل المصيصة، وصحب ابن المبارك، وروى عنه، وثقه الدارقطني، وقال البخاري: أحاديثه معروفة، ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين. انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٥٩ – ٤٦٠ .

(٥) الجرح والتعديل ١/ ١/ ٣٠ - ٣١ .

ذلك، إذ حشده بكثير من الأحاديث الضعيفة من المراسيل، بمعضلات وغيرها [(١)].

٣- قول عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ «كما أخرج البيهقي في المدخل عن عبدالرحمن بن مهدي أنه قال: «إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام، والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال»[(٢)].

٤- سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)].

٥- قال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ: «في موسى بن عبيدة [(٤)] «يُكتب من حديثه الرقاق» [(٥)]. مع قوله: موسى بن عبيدة لا يحتج بحديثه»[(٦)].

٦- قول أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ كما روى الخطيب البغدادي عنه قوله: «إذا روينا عن رسول اللَّه ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن رسول اللَّه ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع

---

(١) انظر ما أخرجه في كتابه « الزهد والرقائق » ص ٣٤ عن يزيد الرقاشي قال : كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة. ويزيد الرقاشي ضعيف كما في التقريب ٢/ ٣٦١ .

(٢) انظر : المدخل للحاكم ص ٨٣ - ٨٤ ضمن المجموعة الكمالية / والأجوبة الفاضلة للكنوي ص ٥٠ - ٥١، قواعد التحديث للقاسمي ص ١١٤ .

(٣) الكفاية للخطيب البغدادي ص ٢١٢، شرح علل الترمذي لابن رجب ١/ ٧٤ .

(٤) هو : موسى بن عبيدة بن نشيط العدوي مولاهم أبو محمد الربذي . ضعفه ابن المديني والنسائي وابن عدي وجماعة، وقال ابن سعد : ثقة كثير الحديث وليس بحجة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر : خلاصة تهذيب الكمال ٣/ ٦٨ .

(٥) شرح علل الترمذي ١/ ٧٣ - ٧٤ .

(٦) التاريخ ليحيى بن معين ٣/ ٢٥٨ .

حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد »(١) .

تحقيق مذهب الإمام أحمد في هذه المسألة :

تقدم في القول الثاني (يحتج ويعمل بالحديث الضعيف مطلقاً) إن الإمام أحمد من القائلين به، ونراه هنا من القائلين بالتفريق بين أحاديث الفضائل والأحكام، والقاعدة عند الحنابلة أن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إذا نقل عنه في مسألة واحدة أقوال متعارضة، فإن أمكن الجمع، ولو بحمل عام على خاص، ومطلق على مقيد، فهما مذهبه، وإن تعذر الجمع وعلم التاريخ فالثاني مذهبه، وإن جهل التاريخ فمذهبه أقربهما من الأدلة، أو أقربهما من قواعده(٢) .

قلت (٣) : فمقتضى هذه القاعدة أن ما نُسب إليه موافقاً القول الثاني مطلق في الأحكام والفضائل، وغيرها .

وما نُسب إليه موافقاً للرأي الثالث مقيد بالفضائل والترغيب والترهيب فبحمل المطلق على المقيد يكون مذهبه على التحقيق هو الأخير، وهو التفريق بين أحاديث الأحكام، وأحاديث الفضائل والترغيب والترهيب، فإنه

---

(١) الكفاية للخطيب البغدادي ص ٢١٣، وانظر : المسودة لابن تيمية ص ٢٧٣، والآداب الشرعية ٢/ ٣٠٩ - ٣١١ .

(٢) انظر : الفروع لابن مفلح ١/ ٦٤ - ٦٥ الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرادوي ١/ ١٠، قاعدة نافعة جامعة للمرداوي المطبوعة في آخر الانصاف ١٢/ ٢٤١ - ٢٤٣، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص : ٤٨ .

(٣) الشيخ د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير حفظه الله، انظر الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به ص ٢٧٩ .

يتشدد في تلك ويتساهل في هذه كما هو منطوق عبارته مما لا يدع للتأويل أي مجال .

٧- أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ [١] . ٨- موفق الدين ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ [٢]
٩- أبو زكريا النووي رَحِمَهُ اللَّهُ [٣] . ١٠- الحافظ إسماعيل بن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ [٤] .
١١- جلال الدين المحلي رَحِمَهُ اللَّهُ [٥] . ١٢- جلال الدين السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ .
١٣- الخطيب الشربيني رَحِمَهُ اللَّهُ [٦] . ١٤- تقي الدين الفتوحي رَحِمَهُ اللَّهُ [٧] .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٢٢ .

(٢) هو : الإمام الزاهد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الفقيه، أحد الأعلام موفق الدين . له المغني، الكافي، المقنع، العمدة، وكلها في الفقه الحنبلي، وروضة الناظر في أصول الفقه، مختصر العلل، وغيرها، توفي سنة عشرين وستمائة . انظر : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ١٣٣ - ١٤٩ .

(٣) الأذكار ٤/ ٢٣٦ مع الفتوحات الربانية .

(٤) تفسير ابن كثير ٥/ ٨٦ .

(٥) هو : محمد بن أحمد بن إبراهيم بن هاشم الجلال المحلي . له : تفسير لم يكمل شرح جمع الجوامع، شرح الورقات، شرح المنهاج، وغيرها، مات سنة أربع وستين وثمانمائة. انظر: الضوء اللامع للسخاوي ٧/ ٣٩ - ٤١ .

(٦) هو : شمس الدين محمد بن محمد الشربيني القاهري الشافعي الخطيب، الإمام العلامة، صاحب المصنفات الشهيرة، مثل : شرح المنهاج، شرح التنبيه، السراج المنير في التفسير، وغيرها، توفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة .
انظر : الكواكب السائرة ٣/ ٧٩ - ٨٠، شذرات الذهب ٨/ ٣٨٤ .

(٧) هو : محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المصري، الشهير بابن النجار الحنبلي تقي الدين أبو بكر، ولي قضاء مصر بسؤال جميع أهلها . له منتهى الإرادات، مختصر التحرير وشرحه المسمى شرح الكوكب المنير، وغيرها، توفي في حدود سنة ثمانين وتسعمائة . انظر : مختصر طبقات الحنابلة لجميل الشطي ص ٨٧ .

١٥- الملا علي القاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] . ١٦- الدكتور نور الدين عتر رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢] .

- **الخلاصة :**

ومن خلال ما تقدم، يترجح الرأي الثاني : وهو عدم الأخذ والاحتجاج بالحديث الضعيف مطلقاً، لا في الأحكام، ولا في غيرها، لما يلي :

١. لاتفاق علماء الحديث على تسمية الضعيف بالمردود .

٢. لأن الضعيف لا يفيد إلا الظن المرجوح، والظن لا يغني من الحق شيئاً .

٣. لما ترتب عليه من نشوء البدع والخرافات، والبعد عن المنهج الصحيح، لما تتصف به الأحاديث الضعيفة - غالباً - من أساليب التهويل والتشديد بحيث صارت مرتعاً خصباً للمتصوفة، فصلتهم عن دين اللّه الوسط، وليس معنى هذا رد الحديث الضعيف بالكلية، بل يمكن أن يعمل به في غير مجال الاحتجاج، وذلك بترجيح معنى على غيره، فيما إذا عرض نص يحتمل لفظه معنيين دون ترجيح بينهما، وورد حديث ضعيف يرجح أحدهما، فحينئذٍ نأخذ بالمعنى الذي رجحه هذا الحديث ولو كان ضعيفاً .

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ . . . فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾[٣] فقوله : « تَعُولُواْ » يحتمل معنيين :

---

(١) الملا علي القاري: هو علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره. ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفا . انظر : الأعلام الزركلي الدمشقي .

(٢) نور الدين العتر : حقق كثير من كتب الحديث. ككتاب علوم الحديث لابن الصلاح وكتاب المغني في الضعفاء لشمس الدين الذهبي. والكاشف للإمام الذهبي والرحلة في طلب الحديث. وألف كتاب ماذا عن المرأة.

(٣) سورة النساء آية ٣.

أولـهما : أن لا تكثر عيالكم، وبه قال زيد بن أسلم وسفيان بن عيينة والشافعي .

ثانيهما : أن لاتجوروا ولا تميلوا وبه قال جمهور المفسرين .

وروي عن عائشة رضي اللَّه عنها عن النبي ﷺ في قوله تعالى : (ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُواْ) قال : « أن لاتجوروا » . وفي رواية : « أن لا تميلوا » [(١)]

قال ابن أبي حاتم : قال أبي : هذا خطأ، والصحيح عن عائشة موقوف [(٢)] ومع ضعفه، فقد قال ابن القيم : إنه يصلح للترجيح [(٣)] عند هؤلاء الأئمة هو مجرد رجاء الثواب المترتب عليه وخوف العقاب، لا أنه ملزم لأحد حيث يقول : «العمل به بمعنى أن النفس ترجو ذلك الثواب وتخاف ذلك العقاب، كرجل يعلم أن التجارة تُربح، لكن بلغه أنها تُربح ربحاً كثيراً، فهذا إن صدق نفعه وإن كذب لم يضره، ومثال ذلك: الترغيب والترهيب بالإسرائيليات، والمنامات وكلمات السلف من العلماء، ووقائع العالم ونحو ذلك، مما لا يجوز بمجرده إثبات حكم شرعي لا استحباب ولا غيره، ولكن يجوز أن يذكر في الترغيب والترهيب والترجية والتخويف[(٤)]» .

- **الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها على عقيدة المسلمين**
- **تعريف الحديث الموضوع :**

هو الحديث المُخْتَلَّقُ المَصْنُوعُ . وَهُوَ شَرُّ أَنواع الضَّعِيفِ، وَتَحْرُمُ رِوَايَتُه

(١) رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن حبان في صحيحه . انظر : تفسير ابن كثير ٥٩٩ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥٩٩ - ٦٠٠ .
(٣) تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم ص ١٧ .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٨/٦٦ .

مَعَ العِلْم بِهِ فِي أيِّ مَعْنًى كَانَ إلّا مُبَيَّناً .(١)

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «فلا تجوز روايته (الموضوع) لأحد من الناس، إلا على سبيل القدح فيه، ليحذره من يغتر به من الجهلة والعوام والرعاع»(٢) .

الترهيب من الكذب على النبي ﷺ :

١- فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : **إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ** "(٣) .

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ أَوْ يَقُولُ عَلَى رسول اللَّه ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ**»(٤) .

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِين»(٥) . قال السخاوي : «وكفى بهذه الجملة وعيداً شديداً في حق من روى الحديث، وهو يظن أنه كذب » .

---

(١) انظر تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ السيوطي ص ٢٧٤.

(٢) قال : ابن الجوزي قال :« ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع» . ومعنى مناقضته للأصول أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام من المسانيد والكتب المشهورة « . ا الباعث الحثيث ٧٨ .

(٣) البخاري ١٢٠٩، ومسلم ٥ .

(٤) رواه البخاري ٣٢٤٧ .

(٥) رواه مسلم، وهو حديث متواتر، ونقل النووي أنه جاء عن مائتين من الصحابة . وقوله يرى فيه روايتان بضم الياء وبفتحها، أي بالبناء للمجهول والبناء للمعلوم وقوله «الكاذبين» فيه روايتان أيضاً . بكسر الباء وبفتحها، أي بلفظ الجمع وبلفظ اللمثنى . والمعنى على الروايتين في اللفظين صحيح . فسواء أعلم الشخص أن الحديث الذي يرويه مكذوب، بأن كان من أهل العلم بهذه الصناعة الشريفة، أم لم يعلم، إن كان من غير أهلها، وأخبره العالم الثقة بها فإنه يحرم عليه أن يحدث بحديث مفترى على رسول الله ﷺ .

- **من أسباب الوضع :**

١- الأحزاب السياسية : كالرافضة وخصومهم وأثرهم في وضع الحديث :

وكان هذا بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وظهور شيعة عليٍّ وشيعة معاوية رضي الله عنه، قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الرافضة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم . فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة، وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث "[1] .

وقال عامر الشعبي رحمه الله : ما كُذِبَ على أحد في هذه الأمة، ما كُذِبَ على عليٍّ رضي الله عنه !»[2] .

وكان همّ الرافضة إثبات وصية الرسول ﷺ لعليّ رضي الله عنه بالخلافة من بعده، فوضعوا كثيراً من الأحاديث في هذا، ومنها :« وصيّي، وموضع سّري، وخليفتي في أهلي، وخير من أخلف بعدي - عليّ»[3] .

لقد رأى بعض الوضّاعين من الأحزاب الأخرى، أن هذه الأحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأن الشيخين ومعاوية رضي الله عنهم ، فمن ذلك الحديث الموضوع :« لما عُرِج بي إلى السماء، قلت : اللّهم اجعل الخليفة من بعدي عليّ بن أبي طالب، فارتّجت السماوات، وهتف بي الملائكة من كل جانب، يا محمد ! اقرأ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٦ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧ .

(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٣٢٣، واللآلئ المصنوعة ١/ ٣٢٧، قال الجوزقاني : باطل لا أصل له، فيه اسماعيل بن زياد وهو متروك .

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (١)، وقد شاء اللَّه أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق رضي الله عنه »(٢).

ثم قد رأى بعض ذوي النّيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة، وانتقصتهم وكادت تقضى على فضائلهم، فدفعهم حبّهم للصحابة جميعاً إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم، وترفع من شأنهم، وتبَيّن أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة.

ومن ذلك حديث: «إن اللَّه أمرني أن أتخذ أبا بكر والداً، وعمر مشيراً، وعثمان سنداً، وأنت يا عليّ ظهيراً. أنتم أربعة، قد أخذ اللَّه لكم الميثاق في أم الكتاب، لا يحبكم إلا مؤمن تقي، ولا يُبغضكم إلا منافق مسيء، أنتم خلفاء نبوتي، وعقد ذِمّتي»(٣).

٢- أعداء الإسلام (الزنادقة) (٤) الذين أرادوا أن يُفسدوا على الناس دينهم.

ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين، فأضمروا الحقد والكيد للإسلام والمسلمين ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف، لقوة الدولة الإسلامية، فراحوا يُنفِّرون المسلمين من العقيدة الجديدة، بدسِّ الأباطيل والأكاذيب السخيفة على رسول اللَّه ﷺ قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن الإسلام.

(١) سورة الإنسان آية ٣٠ - سورة التكوير آية ٢٩.

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ٣٤٥، واللآلئ المصنوعة ١/ ٢٧٥، قال السيوطي: موضوع.

(٣) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٣٨٤ رواه الخطيب عن أنس مرفوعا وقال منكر جدا وفي إسناده مجهولان وقد أخرجه ابن عساكر من طريق الدارقطني عن عبد الله بن جحش وأخرجه هو وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن حذيفة.

(٤) الزِنْديقُ، بالكسر من الثَّنَوِيَّةِ، أو القائلُ بالنُّورِ والظُّلْمَةِ، أو مَن لا يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ وبالرُّبوبِيَّةِ، أو مَن يُبْطِنُ الكُفْرَ ويُظْهِرُ الإيمانَ، أو هو مُعَرَّبُ زَنْ دينِ، أي دِينِ المَرْأةِ، ج زَنادِقَةٌ أو زَناديقُ، وقد تَزَنْدَقَ، والاسْمُ الزَّنْدَقَةُ. ورَجُلٌ زِنْديقٌ وزَنْدَقِيٌّ شَديدُ البُخْلِ.

كحديث عن النبي ﷺ : «المجرَّةُ التي في السماء عَرَق الأفعى التي تحت العرش »(١) . قال أبو القاسم :« وما يستجيز أن يروي مثل هذا عن رسول اللَّه ﷺ إلا مَن لا يُبالي بدينه، ومتى قال المسلمون: إن تحت العرش أفعى؟ وهل يجوز أن يكون هذا إلا من دسيس الزنادقة لُيقبّحوا الإسلام »(٢) .

٣- التفرقة العنصريّة والتّعصّب للقبيلة والبلد والإمام :

اعتمد الأمويون في إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة، وتعصّب بعضهم للعرب والعربية، حتى إن طبقة الموالى (٣)، شعرت بهذه العنصرية، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب، وانتهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية، فانضموا إليها في سبيل تحقيق ذلك،(٤) وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزار والفخار، فحملهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم، وتبيّن فضائلهم، ومن ذلك حديث :« إن كلام الذين حول العرش بالفارسية، وإن اللَّه إذا أوحى أمراً فيه لين أوحاه بالفارسية، وإذا أوحى أمراً فيه شدة أوحاه بالعربية »(٥).

فوضع بعض العرب الجهله مقابلة حديث :« أبغض الكلام إلى اللَّه الفارسية، وكلام الشياطين الخوزية، وكلام أهل النار البخارية، وكلام أهل الجنّة العربية»(٦).

---

(١) قبول الأخبار ص ١٤ .

(٢) قبول الأخبار ص ١٤ .

(٣) وهم : السبايا، والأرقة الذين تم عتقهم .

(٤) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم ١ / ٣٤٢ .

(٥) تنزيه الشريعة المرفوعة ١ / ١٣٦ .

(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة ١ / ١٣٧ . المجروحين ١٢٩/١ لابن حبان.

٤- القصَّاصون:

والقصاصون هم: الذين يسردون القصص ويكثرون منها دون تحري لصحتها استبدالًا بما في القرآن والسنة. كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنهم: «أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها»[١]، وقال فيهم ابن عراق: «... الصنف الخامس: أصحاب الأغراض الدنيوية كالقُصَّاص والشحاذين وأصحاب الأمراء[٢].

- **أنواع القصص**

النوع الأول: القصص الممدوح:

إن قصص القرآن أحسن القصص، لأن قصصه تمثل الصورة الواقعية الصادقة بأسلوب أدبي راق، متصفة بصفات الجودة التامة في البيان والمقاصد والتوجهات، لترسم نماذج راقية من خلال شخصيات القصة وأحداثها وما يقترن بها أو يعقبها من عبر وتوجيهات وتوجهات، كما تشاهد هذا من خلال قصص الأنبياء في القرآن وبخاصة قصة يوسف عليه السلام.

النوع الثاني: القصص المذموم:

أما القصص المذموم الذي ورد في الأحاديث ذمه وذم أصحابه، فهو القصص المختلق المكذوب على اللَّه وعلى رسوله j وعلى عباده الصالحين، وهو الذي ألفه أصحابه افتراءً على الله، مضمنة العقائد الفاسدة، والأخلاق الباطلة، والمثل الهابطة، والمبالغات التي تزري بالدين، وتذهب بهاءه وصفاءه.

(١) شرح الالكائي لأصول السنة ١/ ١٣٩ والدارمي ١/ ٤٧.
(٢) تنزيه الشريعة ١/ ١٣.

- **حكم القصّاص :**

وعلى هذا فمن كان من أهل العلم الذين يميزون الصحيح من الضعيف ويفرقون بين المقبول والمردود من القصص والأخبار، فلا حرج عليهم في أن يقصوا، إذا راعى الضوابط والقواعد التالية :

أولًا : أن تكون القصة جزءاً من حديث الفقيه أو العالم أو الداعية، يؤكد به ما يريد بيانه من معاني، أما أن يكون الوعظ كله قصصاً فلا .

ثانياً: أن تكون القصص صحيحة مثل قصص القرآن، أو القصص التي حدثنا بها الرسول ﷺ عن الغابرين، وقصص الرسول ﷺ وأصحابه وقصص العلماء والفقهاء والمحدِّثين وغيرهم الثابتة عنهم .

ثالثاً: الإخلاص وعدم الغرور والعجب بالنفس.

إن التصدي لمثل هذا يجعل المرء مشهور يشار إليه بالبنان. قال ملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومن آفات القصاص أن يدخُل عليهم العُجْبُ والغرور في سائر الأمور، فعن الحارث بن معاوية أنه ركب إلى عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسأله عن القصص، قال: ما شئتَ؟ قال: أنا أردت أن أنتهي إلى قولك. قال: أخشى عليك أن تَقُصَّ فترتَفعَ في نفسك، ثم تقُصَّ فترتفع في نفسك، حتى يُخَيَّل إليك أنَّك فوقَهم بمنزلةِ الثريَّا، فيضعك اللَّه تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك[(١)] .

رابعاً : أياك وموت القلب فتُميت قلوب العباد، وهذه ناشئة من الآفة السابقة : قال الشيخ ملا علي القاري: ومن جملة الآفات في مجلس القاصِّ ما أخرجه المروزيُّ في «كتاب» العلم وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي قلابة، قال: ما

(١) رواه أحمد بسند صحيح.

أمات العلمَ إلا القُصَّاصُ، يجالس الرجلُ القاصَّ سنةً فلا يتعلق منه بشيءٍ[١] .

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن عاصم قال: كان قاصٌّ يجلسُ قريباً من مسجد محمد بن واسع، فقال: يوما وهو يُوبِّخُ جُلَسَاءَهُ: ما لي أَرى القُلوبَ لا تخشعُ ؟ ومالي أرى العُيونَ لا تدمعُ؟، وما لي أرى الجُلُود لا تقشعِرُّ؟ فقال محمد بن واسع: يا عبد اللَّه ! ما أرى القوم أتوا إلا من قِبَلِكَ؛ إن الذِّكر إذا خرج من القلب وقع على القلب[٢] .

خامساً: مراعاة حال السّامعين :

فبعض القصَّاص يكون همة إثارة الإهتمام من السّامعين فيلقي إليهم القصة التي إليها يشتاقون، غير مراع لمقتضى الحال، فيُحِّدث الناس بما لا يفهمون، ولا تبلغه عقولهم، قال الزين العراقي فيما نقله عنه ملا علي القاري: «من آفات القصَّاص أن يُحدِّثوا كثيراً من العوامِّ بما لا تبلُغُه العقولُ والأفهامُ [فوقعوا] في الاعتقادات السيئة». هذا لو كان صحيحاً فكيف إذا كان باطلًا ؟[٣]

وقد ظهرت حلقات القصّاصين والوعاظ في أواخر عهد الخلافة الراشدة[٤] .

(١)الأسرار المرفوعة.

(٢) الحلية لأبي نعيم ١/ ٣٧٠ .

(٣) انظر في هذا الموضوع كتاب الوضع في الحديث النبوي تعريفه- خطورته- أسبابه طرق الكشف عنه للشيخ أ.د عمر سليمان الأشقر حفظه الله.

(٤) استشار تميم الداري- صحابي مشهور- عمر ﵁ «ليقصّ على الناس، فأبي عليه، ولم يسمح له. انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص١٨: ب. أ. فلم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا على عهد أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان ﵃ . انظر كتاب العلم للمقدسي ص ٥٢، وانظر ذكر أخبار أصبهان ١/ ١٣٦، طبع ليدن سنة ١٩٣١ . وانظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٨ . والأسرار المرفوعة ٦٥،٦٦ .

وكثرت هذه الحلقات فيما بعد في مختلف مساجد الأقطار الإسلامية[١]، وكان بعض القُصّاص لا يهمّه إلا أن يجتمع الناس عليه، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التي تستثير نفوسهم، وتحرك عواطفهم، وقد كان معظم البلاء من هذا الصِّنف الذي يكذِّب على رسول الله j، ولا يرى في ذلك إثماً ولا بهتاناً .

فعن أبي مليح قال ذكر ميمون القصاص فقال: «لا يخطئ القاص ثلاثاً: إما أن يُسمن قوله بما يهزل دينه، وإما أن يعجب بنفسه، وإما أن يأمر بما لا يفعل»[٢].

ومما وضعه القُصّاص حديث: «إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مُسرّجة، ملجّمة بالدّر والياقوت، لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء اللَّه، فتطير بهم حيث شاءوا . . .»[٣].

٥- الرغبة في الخير مع الجهل بالدِّين :

إنّ ظهور الفِرق والأحزاب السياسية والدينية، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم، ورفع شأن زعمائهم، والحطّ من قيمة خصومهم، وقد ظهر إثر هذا بعض الصالحين والزّهاد والعبَّاد، الذين ساءهم هذا الانشقاق وتفرقة الأمة، فوضعوا الأحاديث يقربون فيها بين المتخاصمين .

وإذا ما ذُكِّروا بقوله ﷺ : «**مَنْ كَذبَ عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعَده مِنَ النار**»[٤]،

---

(١) انظر الخطط للمقريزي ٢/ ٢٤٦- ٢٥٦ حيث يذكر بعض القصّاص والمساجد التي كانوا يقصون فيها، وانظر كذلك البيان والتبيين ١/ ٣٦٨ .

(٢) أخرجه أحمد في الزهد، انظر تحذير الخواص للسيوطي ٢٥١- ٢٥٢ .

(٣) تنزيه الشريعة المرفوعة ٢/ ٣٧٨ .

(٤) سبق تخريجه.

قالوا : «نحن ما كذبنا عليه؛ وإنما كذبنا له! [١] وهذا لا شك من التلفيق .

قال يحيى بن سعيد القطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " ما رأيتُ الكذب في أحد أكثر منه فيمن يُنسب إلى الخير والزهد "[٢] .

ومما وضعه الصالحون : أحاديث في فضائل السّور، وفي هذا يروي الحاكم بسنده إلى أبي عمّار المروي : أنه قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم: من أين لك، عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : «إني رأيتُ الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقه أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعتُ هذا الحديث حسبة! "[٣] .

٦- الخلافات المذهبية والكلامية

وما روي أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرماني : " إن قوماً يرفعون أيديهم عند الركوع وفي الرفع منه، فقال : حدثنا المُسيب بن واضح . . . عن عبد اللَّه بن عمر عن أبيه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «من رفع يديه في الركوع، فلا صلاة له»[٤] .

---

(١) انظر اختصار علوم الحديث ص ٨٦ .

(٢) اللآلئ المصنوعة ٢/ ٢٤٨ .

(٣) تدريب الراوي ص ١٨٤، واللآلئ المصنوعة ٢/ ٢٤٨ .

(٤) تدريب الراوي ١٨١، والباعث الحثيث ص ٨٢ . وقال الحاكم : فهذا مع كونه كذباً من أنجس الكذب، فإن الرواية عن الزهري بهذا السند بالغة مبلغ القطع بإثبات الرفع عند الركوع وعند الاعتدال وهي في موطأ مالك وسائر كتب الحديث أ . هـ من لسان الميزان ٥/ ٢٨٨ - ٢٨٩ .

وكذلك ما رواه زهير بن معاوية، قال: أخبرنا محرز أبو رجاء - وكان يرى رأي القدرية فتاب منه - فقال : «لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئاً، فواللَّه لقد كنّا نضع الأحاديث ندخل بها الناس»، قال زهير : فقلت له: «كيف تصنع بمن أدخلتهم؟» قال: «ها أنا ذا أُخرجهم الأول فالأول»[١].

٧- التّقرب من الحكّام، وأسباب أخرى :

لم يذكر أحد - فيما أعلم- أن أحداً من رجال الحديث أو غيرهم تقرّب من خلفاء بني أمية وأمرائهم بوضع ما يرضي ميولهم من الحديث .

وقد حدث مثل ذلك في عهد العباسيين، فقد أسند الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ : « عن هارون بن أبي عبيد اللَّه عن أبيه قال : قال المهدي : ألا ترى ما يقول لي مقاتل ؟ قال : إن شئتَ وضعتُ لك أحاديث في العباس؟! [٢]، قلت : لا حاجة لي فيها!»[٣].

وقد كذَّب غياث بن إبراهيم للمهدي في حديث : « لا سبق إلا في نصل، أو خُف أو حافر » فزاد فيه : « أو جناح »؛ حين رآه يلعب بالحمام ! فتركها المهدي بعد ذلك، وأمر بذبحها، وقال فيه بعد أن ولّى : « أشهد على قفاك أنه قفا كذَّاب على رسول اللَّه ﷺ »[٤].

---

(١) الجرح والتعديل ٢٢/١، قال الدكتور محمد عجاج الخطيب حفظه الله وفيه (هو ذا) بدل ها أنا ذا وما أُثبت أصوب . انظر : السنة قبل التدوين ٢١٦ .

(٢) أي مدحاً فيه وتعظيماً.

(٣) تدريب الراوي ص ١٨٧، والباعث الحثيث ص ٩٤، وأبو عبيد الله هو وزير المهدي .

(٤) الباعث الحثيث ص ٩٤، وتدريب الراوي ص ١٨٧، وتوضيح الأفكار ٧٦/٢ .

جهود الصحابة والسّلف في محاربة الأحاديث الموضوعة

وإليك بعض ما بذله علماء الأمة في سبيل حفظ الحديث الشريف :

أولًا : التزام الإسناد : الإسناد هم رجال الحديث

فيخبرنا الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك فيقول : «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا : سمّوا لنا رجالكم، فينُظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينُظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[١].

ثانياً : مضاعفة النشاط العلمي والتّثبت في الحديث

مِنْ نِعَم اللَّه عَزَّوَجَلَّ على المسلمين، أن انبث الصحابة في الأمصار والبلدان، وكُتِبَ لبعضهم طول العمر؛ ليساهموا في حفظ السنة المحمدية إثر الفتنة .

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة، ويقطعون الفيافي والقفار للتأكد من حديث سمعوه من تابعي عندهم، وهذا معنى قول أبي العالية : " كنّا نسمع الرواية عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ بالبصرة، فلم نرضى حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم .

بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض في سبيل هذا، فقد ارتحل أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مصر[٢]، ورحل جابر بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عبد اللَّه بن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٨٤، وسنن الدارمي من حديث جابر ١/ ١١٢ .
والإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ : «تابعي جليل وُلد سنة ٣٣ وتوفي سنة ١١٠ هـ».

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ١/ ٩٣ .

أُنيس رضي الله عنه في حديث(١)، وغيرهم كثير. وقد كان (مسروق)(٢) رحمه الله كثير الرحلة في طلب الحديث ومذاكرته(٣)، وحدَّث الشعبي(٤) بحديث ثم قال لسامعه: «خُذها بغير شيء، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة»(٥).

ثالثاً: تتبع الكَذَبة

وإلى جانب احتياط العلماء وتثبُّتهم في قبول الأخبار، كان بعضهم يحاربون الكذابين علانية ويمنعونهم من التحدّث، ويستعدون عليهم السلطان.

قال الشافعي رحمه الله: «ولولا شعبة ما عُرِف الحديث بالعراق وكان يجيء إلى الرجل فيقول: لا تُحدِّث! وإلا استعديتُ عليك السلطان»(٦).

---

(١) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨، وجامع بيان العلم ص ١/٩٣، وتهذيب التهذيب ٥/١٤٩ - ١٥٠.

(٢) مسروق بن الاجدع الامام أبو عائشة الهمداني الكوفي الفقيه أحد الاعلام وكان أبوه فارس أهل اليمن في زمانه. وأن عائشة كانت قد تبنت مسروقا، وقال ابن المديني: ما أقدم على مسروق احدا من اصحاب عبد الله، وقد صلى خلف ابي بكر الصديق رضي الله عنه. توفى مسروق سنة ثلاث وستين رحمة الله عليه. انظر: تذكرة الحفاظ.

(٣) انظر جامع العلم وفضله ١ / ٩٤.

(٤) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. ولد ١٩ - ١٠٣ هـ ونشأ ومات ٦٤٠ - ٧٢١ م فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ إليه حفظه، فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا. واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان. انظر: الأعلام للزركلي.

(٥) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٩٢ - ٩٣ - ٩٤.

(٦) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٤٩.

رابعاً : موقف السّلف من الوضّاعين الكذبة :

لقد أنكر السلف على الكذابين وحذّروا منهم، وكشفوا أحاديثهم المختلقة، ورفعوا أمرهم إلى السلطان لعقوبتهم وردعهم.

كعبد الكريم بن أبي العوجاء الذي قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة، على الزندقة بعد سنة ١٦٠ هـ في خلافة المهدي، ولما أُخذ لتضرب عنقه قال: «لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث، أُحرِّم فيها الحلال، وأُحلِّل الحرام».

وكبيان بن سمعان النهدي، من بني تميم، ظهر في العراق بعد المائة، وادعى - لعنه اللَّه - الإلهية لـ(عليّ) رضي الله عنه وزعم مزاعم فاسدة. ثم قتله خالد بن عبد اللَّه القسري وأحرقه بالنار.

وكمحمد بن سعيد بن حسان الأسدي الشامي المصلوب : قال أحمد بن حنبل : « قتله أبو جعفر المنصور في الزندقة، حديثه حديث موضوع ».

وقال أحمد بن صالح المصري : « زنديق ضَرِبت عنقه، وضع أربعة آلاف حديث عند هؤلاء الحمقى، فاحذروها ». وقال الحاكم أبو أحمد : « كان يضع الحديث، صلب على الزندقة ».

وحكى عنه الحاكم أبو عبد اللَّه : أنه روى عن حميد عن أنس مرفوعاً : أنا خاتم النبين، لا نبي بعدي، إلا أن يشاء اللَّه . وقال : «وضع هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة والدعوة إلى التنبيء»[1].

---

(١) الباعث الحثيث شرح ختصار علوم الحديث ص ٩٠ تأليف أحمد شاكر .

- **كيف يُعرف الحديث الموضوع ؟**

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث وما يدل عليه في متنه، وسنوجز هذه العلامات فيما يلي :

أولًا : علامات الوضع في السّند :

١- **أن يعترف راوي الحديث بكذبه،** ويقر باختلاقه ما يروي، كما أقر عبد الكريم الوضّاع، وأبو عصمة نوح بن أبي مريم ويسمى نوح الجماع، وكما اعترف أبو جزى (وهو مريض) فقال : لولا أنه حضرني من اللَّه ما ترون، كنت خليقاً ألا أقرّ ولا أعترف، ولكني أشهِدَكم أني وضعت من الحديث كذا كذا، وإني أستغفر اللَّه منها، وأتوب إليه»[١]. وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعاً .

٢- **وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع**

كأن يروي عن شيخ لم يلقه، أو يروي عن شيخ في بلد لم يرحل إليه، أو يروي عن شيخ وُلِد بعد وفاته، أو تُوفي هذا الشيخ والراوي صغير لا يدرك، قيل لشعبة : لم لا تُحدِّث عن عثمان بن أبي اليقظان»، وهو عثمان بن عمير ؟ فقال : كيف أحدِّث عن رجل كنتُ جالساً معه، فسألته عن سِنّه، فأخبرني بمولده ثم حدِّث عن رجل قد مات قبل أن يُولد ؟!»[٢].

٣- **أن يتفرَّد راو معروف بالكذب برواية حديث** : ولا يرويه ثقة غيره،

---

(١) قبول الأخبار ص ٦ . وكما أقر ميسرة بن عبد ربه الفارسي أنه وضع أحاديث في فضائل القرآن، وأنه وضع في فضل علي ﷺ سبعين حديثاً الباعث الحثيث ٨٧ .

(٢) قبول الأخبار ص ١٦ .

فيُحكم على روايته بالوضع، وقد استقصى جهابذة الأمة الكذّابين، وبيّنوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد .

٤- ما يؤخذ من حال الراوي :

أ- كما وقع للمأمون بن أحمد، أنه ذُكِر بحضرته الخلاف في كون الحسن سمع من أبي هريرة أولا ؟ فساق في الحال إسناده إلى النبي ﷺ أنه قال : "سمع الحسن من أبي هريرة"(١) .

ب- وما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمي قال : كنت عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتاب فقال : ما لكَ ؟ قال : ضربني المعلم، فقال لأخزينّهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه ﷺ (معلمو صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين) وسعد بن الطريف هذا قال فيه ابن معين : « لايحل لأحد أن يروي عنه » . وقال ابن حبان : « كان يضع الحديث » وراوي قصة عنه، سيف بن عمر، قال فيه الحاكم : « اتهم بالزندقة . وهو في الرواية ساقط ».

ج- وأغرب منه ما روى ابن الجوزي بإسناده إلى أبي جعفر بن محمد الطيالسي قال: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة فقام بين أيديهما قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال

---

(١) قواعد التحديث ص ١٣، وقيل لمأمون بن أحمد الهروي : ألا ترى إلى الشافعي ومن تبعه بخراسان ؟ فقال : حدثنا أحمد بن عبد الله . . . عن أنس مرفوعاً «يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس». انظر تدريب الراوي ص١٨١ .

رسول اللَّه ﷺ (من قال لا إله إلا اللَّه يخلق من كل كلمة منها طير مقاره من ذهب وريشه من مرجان وأخذ من قصته نحوا من عشرين ورقة فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إلى أحمد فقال : أنت حدثته بهذا؟ فقال: واللَّه ما سمعت به إلا هذه الساعة، قال فسكتا جميعا حتى فرغ من قصته وأخذ قطعة ثم قعد ينظر بقيتها، فقال له يحيى بن معين بيده أي تعال فجاء متوهما لنوال يجيزه، فقال له يحيى بن معين من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول اللَّه ﷺ فإن كان لا بد والكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال له:لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما علمته إلا الساعة، فقال له يحيى بن معين: وكيف علمت أني أحمق؟ فقال: كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، كتبت عن تسعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما فوضع أحمد بن حنبل كمه في وجهه وقال دعه يقوم فقام كالمستهزىء بهما .

ثانياً : علامات الوضع في المتن

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ : "وسُئِلتُ : هل يمكن معرفة الموضوع بضابط، من غير أن يُنظَر في سنده ؟ فهذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلَّع في معرفة السنن الصحيحة، واختلطت بدمه ولحمه، وصار له فيها مَلَكَة، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة رسول اللَّه ﷺ وهديه، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأُمة، بحيث كأنه مخالط

للرسول ﷺ كواحد من أصحابه، ومثل هذا يعرف من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر عنه، وما لا يجوز - ما لا يعرفه غيره، وهذا شأن كل متَّبع مع متبوعه فلأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم بها والتمييز بين ما يصح أن يُنسب إليه وما لا يصح . وهذا شأن المقِلّدين مع أئمتهم : يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم وأساليبهم ومشاربهم - ما لا يعرفه غيرهم[١] .

ومن القرائن التي تدلّ على الوضع في المتن:

١- ركاكة اللّفظ في المروي :

بحيث يُدرك من له إلمام باللّغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ، وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها . قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «المدار في الركّة على ركّة المعنى . فحيثما وُجِدت دلّت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركّة اللّفظ، لأن هذا الدِّين كله محاسن . والركّة ترجع إلى الرداءة . أما ركاكة اللّفظ فقط، فلا تدل على ذلك؛ لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغيّر ألفاظه بغير فصيح نعم، إن صرّح بأنه من لفظ النبي ﷺ فكاذب»[٢] . ومثاله كحديث : أربع لا تشبع من أربع أنثى من ذكر وأرض من مطر وعين من نظر وأذن من خبر»[٣] .

قال الربيع بن خثيم : « إن للحديث ضوءاً كضوء النهار، تعرفه، وظلمة كظلمة الليل، تنكره» .

(١) المنار لابن قيم الجوزية ص ١٥، وانظر قواعد التحديث ص ١٤٨ .
(٢) الباعث الحثيث ص ٩٠ .
(٣) المنار المنيف لابن القيم ص ٩٩ - ١٠٠ .

٢- فساد المعنى :

كالأحاديث التي يكذِّبها الحسّ، نحو حديث: «الباذنجان لما أُكل له»، «والباذنجان شفاء من كل داء». ومنها سماجة الحديث، وكونه مما يُسخر منه كحديث: «لو كان الأرز رجلًا لكان حليماً، ما أكله جائع إلا أشبعه».

قال ابن قيم الجوزية: «فهذا من السمج البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء، فضلًا عن كلام سيد الأنبياء».

وكذلك حديث: «من اتخذ ديكاً أبيض، لم يقربه شيطان ولا سحر».

وكل ما يدُّل على إباحة المفاسد والسّير وراء الشهوات، كحديث: «ثلاثة تزيد في البَصَر: النَّظر إلى الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن».

وحديث: «النّظر إلى الوجه الجميل عبادة».

قال ابن قيم الجوزية: «وكل حديث فيه ذِكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم، أو الأمر بالنظر إليهم، أو التماس الحوائج منهم، أو أن النار لا تمسهم - فَكذب مُختلق، وإفك مُفترى»(١).

٣- ما يناقض نصّ الكتاب أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي (٢)، وما يناقض السنة مناقضة بيّنة :

قال ابن قيم الجوزية: «ومنها، مخالفة الحديث صريح القرآن:

كحديث: مقدار الدنيا وأنها «سبعة آلاف سنة، ويجيء في الألف السابعة»(٣).

---

(١) انظر المنار المنيف لابن قيم الجوزية ص ١٩ - ٢٤.

(٢) انظر توضيح الأفكار ٢/٩٦.

(٣) لعله يريد أنه يجيء نهاية عمر الدنيا في الألف السابعة.

وهذا من أبين الكذب، لأنه لو كان صحيحاً، لكان كل أحد عالماً أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا [١] مائتان وخمسون سنة .

والله تعالى يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٣] . وقال النبي ﷺ: «**لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»[٤] .

وكذلك جميع الأحاديث التي تنصّ على وصاية عليٍّ رضي الله عنه أو على خلافته غير صحيحة وهي موضوعة [٥]

٤- كل حديث يدّعي تواطؤ الصحابة على كتمان أمر، وعدم نقله :

كما تزعم الرافضة : " أنه ﷺ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال: « هذا وصِيِّ وأخي، والخليفة من بعدي، فاسمعوا وأطيعوا له . ثم اتفق الكلّ على كتمان ذلك وتغييره، فلعنة الله على الكاذبين »[٦] .

(١) عاش ابن قيم الجوزية من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢ هـ)
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٧ .
(٣) سورة لقمان آية ٣٤ .
(٤) المنار لابن قيم الجوزية ص ٣١ . تخريج وتحقيق عبد الفتاح بو غدة .
(٥) المنار ص ٢٢ .
(٦) المنار ص ٢٢ . قال السيوطي : «ومن القرائن: كون الراوي رافضياً والحديث في فضائل أهل البيت» (الباعث الحثيث ٨٩)

٥- كل حـديث يخالف الحقائق التاريخية التي جرت في عصر الرسول ﷺ :

أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه؛ مثل حديث : « وضع الجزية عن أهل خيبر »، فهو كِذب من عدة وجوه :

أحدها : أن فيه شهادة سعد بن معاذ رضي الله عنه، وسعد توفي قبل ذلك في غزاة الخندق .

الثاني : أن الجزية لم تكن نزلت حينئذٍ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب، وإنما أُنزِلَت بعد عام تبوك، حين وضعها النبي ﷺ على نصارى نجران، ويهود اليمن . . . وبين ابن قيم الجوزية كذب هذا في عشرة أدلة قوية [١] .

٦- أن يكون خبراً عن أمر جسيم ولا ينقله إلا واحد :

كحصر العدو للحاج إلى البيت، ثم لا ينقله منهم إلا واحد؛ لأن العادة جارية بتظافر الأخبار في مثل ذلك .

ويُمثِّله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين [٢] .

٧ – موافقة الحديث لمذهب الراوي، وهو متعصّب مغال في تعصّبه :

كأن يروي رافضي حديثاً في فضائل أهل البيت، أو مرجئ حديثاً في الإرجاء، مثل ما رواه (حبّة بن جوين) قال : «سمعت علياً رضي الله عنه قال : عبدتُ اللَّه مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو

(١) انظر المنار ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) توضيح الأفكار ٢ / ٩٦ .

سبع سنين»[١]، قال ابن حبان : كان (حبّة) غالياً في التشيّع واهياً في الحديث»[٢] .

٨- اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم مقابل عمل صغير :

كالأحاديث المروية في فضائل الأعمال على وجه المجازفة كما يروي مرفوعا : أنه من صلي ركعتين في يوم عاشوراء يقرأ فيهما بكذا وكذا كتب له ثواب سبعين نبيا ونحو ذلك هو عند أهل الحديث من الأحاديث الموضوعة [٣] .

مثال ذلك : ١- " من قال لا إله إلا اللَّه ، خلق اللَّه من تلك الكلمة طائراً ، له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة ، يستغفرون له» .

٢-«من كبّر تكبيرة عند غروب الشمس على ساحل البحر رافعاً بها صوته أعطاه الله من الأجر بعدد كل قطرة في البحر عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ما بين درجتين مسيرة مئة عام بالفرس المسرع»[٤] . و« من فعل كذا وكذا ، أُعطي في الجنة سبعين ألف مدينة ، في كل مدينة سبعون ألف قصر ، في كل قصر سبعون ألف حوراء » .

وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين :

- إما أن يكون في غاية الجهل والحمق .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤٥٨٥ .

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١١٨ .

(٣) انظر درء التعارض لابن تيمية ١/ ٩٨ .

(٤) قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضوع انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤٠٦ ، ١/ ٣٩٩ - ٤٠٠ (موضوع).

- وإما أن يكون زنديقاً قصد التنقيص بالرسول ﷺ .

٩ - أن يكون مخالفاً للعقل :

فلا يعلم حديث واحد يخالف العقل أو السمع الصحيح، إلا وهو عند أهل العلم ضعيف بل موضوع، بل لا يعلم حديث صحيح عن النبي ﷺ في الأمر والنهي أجمع المسلمون علي تركه، إلا أن يكون له حديث صحيح يدل على أنه منسوخ، ولا يعلم عن النبي ﷺ حديث صحيح أجمع المسلمون علي نقيضه فضلا عن أن يكون نقيضه، معلوما بالعقل الصريح البين لعامة العقلاء، فإن ما يعلم بالعقل الصريح البين، أظهر مما لا يعلم إلا بالإجماع ونحوه، من الأدلة السمعية فإذا لم يوجد في الأحاديث الصحيحة ما يعلم نقيضه بالأدلة الخفية كالإجماع ونحوه فإن لا يكون فيها ما يعلم نقيضه بالعقل الصريح الظاهر أولى وأحرى .

وقال الحافظ ابن حجر : « ومما يدخل في قرينه حال المروي ما نقل عن الخطيب عن أبي بكر بن الطيب : أن من جملة دلائل الوضع أن يكون مخالفاً للعقل، بحيث لا يقبل التأويل .

مثل ما رواه ابن الجوزي من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً : « أنّ سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً ! وصلّت عند المقام ركعتين» ! فهذا من سخافات عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقد ثبت عنه من طرق أخرى نقلها في التهذيب (ج٦ ص ١٧٩) عن الساجي عن الربيع عن الشافعي قال : قيل لعبد الرحمن بن زيد : « حدثك أبوك عن جدك أن رسول اللّه ﷺ قال : « إن سفينة نوح طافت بالبيت،

وصلّت خلف المقام ركعتين ! ؟ قال نعم!» .

وقد عُرِف عبد الرحمن بمثل هذه الغرائب، حتى قال الشافعي فيما نقل في التعذيب - وذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال : اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح !».

أمثلة للأحاديث الموضوعة

١- (توسلوا بجاهي، فان جاهي عند اللَّه عظيم) [١].

٢- (أفضل الأيام يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة، وهو أفضل من سبعين حجة في غير جمعة) [٢].

٣-(لولاك (محمد ﷺ) لما خلقت الأفلاك) .[٣]

٤- (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) [٤]

٥- (طاعة المرأة ندامة) [٥].

٦- (اختلاف أمتي رحمة) [٦].

---

(١) (لا أصل له) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٣٠ . وقد نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في القاعدة الجليلة .

(٢) (باطل لا أصل له) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٢٤٥ .

(٣) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/٢٩٩ . كما قاله الصنعاني في الأحاديث الموضوعة، والسيوطي في اللالئ ٢٧٢ .

(٤) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/٣١٦ .

(٥) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٤٣٢ .

(٦) (لا أصل له) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٧٦ .

٧- (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم) [١].

٨- (إذا مات الرجل منكم، فدفنتموه، فليقم أحدكم عند رأسه، فليقل : يا فلان ابن فلانة ! فإنه سيسمع، فليقل : يا فلان ابن فلانة، فإنه سيستوي قاعداً فليقل : يا فلان ابن فلانة فإنه سيقول : أرشدني، أرشدني، رحمك اللَّه، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من دار الدنيا: شهادة أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن اللَّه يبعث من في القبور فإن منكراً ونكيراً، يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه، ويقول له: ما نصنع عند رجل قد لقِّن حجته؟ فيكون اللَّه حجيجهما دونه)[٢].

٩- (من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا)[٣].

١٠- (خلق الورد الأبيض من عرقي، وخلق الورد الأصفر من عرق البُراق)[٤].

١١- (إذا انتهى أحدكم إلى الصفّ وقد تم، فَليجْبِذ إليه رجلًا يقيمه إلى جنبه)[٥].

١٢- (إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا، وإذا سمعتم برجل تغير عن

(١) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٧٨ .

(٢) (منكر) السلسلة الضعيفة للألباني ٢/ ٦٤ .

(٣) موضوع السلسلة الضعيفة للألباني ٢/ ٨٩ .

(٤) (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني ٢/ ١٨٧

(٥) (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني ٢/ ٣٢١ .

خلقه فلا تصدقوا به، وإنه يصير إلى ما جُبِل عليه)[١].

١٣- (من حدث حديثاً فعطس عنده، فهو حق)[٢].

* * *

(١) (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ١٦٧ .

(٢) (باطل) السلسلة الضعيفة للألباني ١/ ١٦٧ .

المبحث العاشر

نبذ التّحزّب والتّعصّب

تعريف التحزّب : هو التّجمّع، من الحزب وهم الجماعة، والجمع أحزاب: وهم كلّ قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم، أو كلّ طائفة هواهم واحد.

وحزب الرّجل: أصحابه وجنده الذين على رأيه؛ والتّحزّب قد يُمدح وقد يُذم .

مدح الحزب المنسوب لله تعالى :

قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [١] .

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [٢] .

فحزب اللّه: هم أولياؤه الذين أحبّوا فيه، وأبغضوا فيه ولأجله، وناصروا

---

(١) سورة المائدة آية ٥٥ - ٥٦ .

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢ .

أولياءه وعادوا أعداءه، فكان اجتماعهم وتحزّبهم لله وفي اللَّه، حيث ربط اللَّه المؤمنين بأخوة الإيمان. فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١) وشرع بينهم الموالاة والنصرة والتّراحم والتّعاطف؛ كما قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى**»(٢).

ودعاهم اللَّه إلى الائتلاف والتعاون والاجتماع، ونهاهم عن التّفرّق والتّشتّت والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾(٣).

ذم الحزب المنسوب لغير اللَّه تعالى:

قال اللَّه تعالى في ذم الحزب المنسوب لغير الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣﴾(٤).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي يفرحون بما هم فيه من الضلال لأنهم يحسبون أنهم مهتدون»(٥).

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠ .
(٢) رواه البخاري ٥٥٥٢، ومسلم ٤٦٨٥ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٣ .
(٤) سورة المؤمنون آية ٥١ - ٥٣ .
(٥) تفسير ابن كثير .

وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾[١].

ومنه التّحزّب غير المشروع، كما في حديث الإفك «وطفقت حمنة[٢] تحازب لها[٣]» أي تتعصَّب وتسعى سعي جماعتها الذين يتحزبون لها[٤].

لقد جاء الإسلام ليأمر الناس بالاعتصام والاتحاد، وينهى عن كل ما من شأنه أن يضعف هذه الوحدة، ومنها التّحزّب والتّعصب والذي جاء بالشّرع بمعنى الغُلو، أي مجاوزة الحد والقدر، سواء كان هذا التّعصّب لبلد، أو قبيلة، أو جنس، أو لون، أو جماعة، أو شيخ . . . ومن هذه الأدلة :

١- نهيه ﷺ أن يُخيَّر على الأنبياء إذا كان على وجه العصبية - مع أنه ﷺ هو سيد البشر وخيرهم وأفضلهم : فهذا رجل من الأنصار يسمع يهودياً يقول : « لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر » فيلطم وجهه، ويقول :« تقول : والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر ورسوله[٥] بين أظهرنا » ؟ ! فذهب اليهودي إلى رسول اللَّه ﷺ فلما أخبره غضب رسول اللَّه ﷺ حتى عُرِف الغضب في وجهه، ثم قال : «**لا تفضِّلوا بين أنبياء اللَّه**»[٦].

(١) سورة الروم آية ٣١ - ٣٢ .
(٢) حمنة بنت جحش رضي الله عنها .
(٣) أي أختها زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ .
(٤) النهاية لابن الأثير ١ / ٣٧٧ .
(٥) أي محمد ﷺ .
(٦) البخاري الرقائق ص٤٣ توحيد ٣١ خصومات ١ أنبياء ٣١ / فضائل ١٦٠، أبو داود ١٨ .

هـذا إذا كان هـذا التفضيل على وجـه العصبية وإرادة التّنقّص من الغير، مـع أن الـلَّه تـعـالـى يـقـول: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢).

٢- وعن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: « كنّا في غزوة، فَكَسَع(٣) رجل من المهاجرين، رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: ياللأنصار،! وقال المهاجري: ياللمهاجرين!. فسمع ذلك رسول اللَّه ﷺ **فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟! قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة ..** »(٤)

فسمّاها الرسول ﷺ بأنها جاهلية، هذا إن كان على قصد ما كانوا عليه في الجاهلية من التعاضد بين القبائل في أمر من أمور الدنيا ومتعلقاتها، والتي تأخذ حقوقها بالعصبية القبلية، مع أن اللَّه قد أثنى على المهاجرين والأنصار.

قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾(٥).

وقـال تـعـالـى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

(٢) سورة الإسراء آية ٥٥ .

(٣) فَكَسَع ضرب ظهره بيده، أو رجله .

(٤) رواه أحمد ٣ / ٣٣٨، والبخاري ٦٣ / ٥، ٧، ومسلم ٦٣، والترمذي سورة ٦٣ / ٤ .

(٥) سورة التوبة آية ١٧٧ .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾[(١)] .

٣- ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **من قاتل تحت راية عِمِّية، يغضب لعصبية أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقُتِل فقتلته جاهلية**»[(٢)] .

- **أنواع التّعصُّب :**

أولًا : التّعصُّب المذهبي :

لقد وصل التعصب المذهبي إلى أشده (خاصة في الأئمة) في القرن الرابع الهجري، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين .

١- فقد منع بعض الفقهاء الأحناف تزوج الحنفي من شافعية [(٣)] ثم صدرت فتوى من فقيه آخر ملقب بمفتي الثّقلين، فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية، وعلّل ذلك بقوله :«تنزيلًا لهما منزلة أهل الكتاب»[(٤)] ومفهوم ذلك : أنه لا يجوز تزوج الشافعي بالحنفية، كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة ! [(٥)] .

٢- وقال محمد بن موسى البلاساغوني :« لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية!»[(٦)] .

(١) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٢) رواه مسلم ٣ / ١٤٧٨ كتاب الإمارة .

(٣) وسبب ذلك اختلاف المذهبين في مسألة الاستثناء في الإيمان، فبينما يقول الحنفي : " أنا مؤمن حقاً " يقول الشافعي: أنا مؤمن إن شاء الله . وذلك بناء على اختلافهما في تعريف الإيمان، وهذا يبيّن أن الاختلاف لم يقتصر على الفروع، بل تعداه إلى الأصول أيضاً .

(٤) كتاب البحر الرائق لابن نجيم .

(٥) صفة صلاة النبي للعلامة الألباني رحمه الله (٥ / ٤٤ - ٥٢) .

(٦) ميزان الاعتدال ٤ / ٥١ للذهبي .

٣- قال أبو الحسن الكَرخي[١] : « كل آية تُخالف ما عليه أصحابنا[٢] ، فهي مؤوَّلة أو منسوخة ! والحديث كذلك، فهو مُؤَوّل أو منسوخ »[٣] .

وهذا كلامٌ باطلٌ؛ إذ : « الحقّ يستحيل أن يكون وقفاً على فئةٍ معيَّنةٍ دون غيرها، والمنصِف مَن دقّقَ في المدارك غاية التدقيق »[٤] .

٤- ومِن ذلك ما قاله صاحب كتاب مراقي الفلاح الحنفي[٥] عن ماء البئر النجس الذي وقع فيه حيوان ومات وانتفخ، قال : « فإن عُجن بمائها، يُلقى للكلاب، أو يُعلف به المواشي. وقال بعضهم: يباع لشافعي!، فقد سوّى هذا الفقيه بين الكلاب والشافعية (والعياذ باللَّه)، فتأمل ! .

٥- ثم إن كثيراً من فقهاء الأحناف قد أفتوا ببطلان صلاة الحنفي وراء إمام شافعي .

---

(١) هو عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أبو الحسن الكرخي من كرخ جدان انتهت إليه رياس الحنفية بعد أبي حازم وأبي سعيد البرعي وانتشرت أصحابه، تفقه عليه أبو بكر الرازي وابو عبد الله الدامغاني وأبو علي الشاشي وأبو القاسم التنوخي وكان كثير الصوم والصلاة صبوراً على الفقر والحاجة، واسع العلم والرواية، صنف المختصر والجامع الكبير والجامع الصغير وأودعها الفقه والحديث والآثار والمخرّجة بأسانيدها أصابه الفالج في آخر عمره فكتب أصحابه إلى سيف الدولة ابن حمدان، فلما علِم الكرخي بذلك بكى وقال اللّهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عودتني فمات قبل أن تصل إليه صلة سيف الدولة وكانت عشرة آلاف درهم.

(٢) أصحابنا: أي الأحناف.

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي ص ٣٣٢ للخضري .

(٤) الجرح والتعديل ٣٢ القاسمي .

(٥) ص ٢١ - ٢٢ .

قال ابن الهمام : قال أبو اليسر : اقتداء الحنفي بشافعي غير جائز، لما روى مكحول النسفي في كتاب له، سمّاه (الشعاع) وأن رفع اليدين في الصلاة عند الركوع، والرفع منه مفسد، بناء على أنه عمل كثير . . ومنهم من قيّد جواز الاقتداء بهم كقاضي خان بأن لا يكون متعصباً، ولا شاكاً في إيمانه، ويحتاط في موضوع الخلاف»[(١)] .

ومثل ذلك قال البابرتي في كتابه (شرح العناية على الهداية)[(٢)] .

٦- ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : " أن عزيز مصر - وهو الملك الأفضل ابن صلاح الدين - كان قد عزم في السنة التي توفي فيها، وهي سنة ٥٩٥ هـ، على إخراج الحنابلة من بلده، وأن يكتب إلى بقية إخوانه بإخراجهم من البلاد»[(٣)] .

٧- كما روى أيضاً فتنة أخرى وقعت في دمشق : "بسبب عبد الغني المقدسي الذي كان يُدرِّس في مقصورة الحنابلة بالجامع الأموي، فتعرض إلى مسألة صفات اللَّه، فغضب أتباع المذاهب الأخرى، وعقد له الأمير (صارم الدين برغش) مجلساً وناظر الفقهاء، فلم يتفقوا، فأمر الأمير بنفيه من البلد، وأرسل الأسارى من القلعة، فكسروا منبر الحنابلة، وتعطلّت يومئذٍ صلاة الظهر في محراب الحنابلة، وأُخرجت الخزائن والصناديق التي كانت هناك، وجرت خبطة شديدة[(٤)] .

(١) فتح القدير ١ / ٣١١ - ٣١٢ .
(٢) على هامش فتح القدير ١ / ٣١٠ .
(٣) البداية والنهاية ١٣ / ٨١ .
(٤) البداية والنهاية ١٣ / ٩١ - ٢١ .

٨- كما أنه كان يحدث خلاف شديد بين الحنفية والشافعية، حتى كان يؤول الأمر في بعض الأحيان إلى خراب البلاد؛ قال ياقوت الحموي عند الكلام عن مدينة (أصفهان) بعد أن ذكر مجدها القديم : «وقد فشا فيها الخراب في نواحيها، لكثرة الفتن والتّعصُّب بين الشافعية والحنفية، والحروب المتصلة بين الحزبين، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الأخرى، وأحرقتها وخرّبتها، لا يأخذهم في ذلك إلًا ولا ذِمة»[١] .

حتى وصل الأمر بعصبية المذاهب لوضع الأحاديث في الأئمة والمذاهب ومنها :

١- « يكون من أمتي رجل يُقال له : «محمد بن إدريس، أضر على أمتي من إبليس» . « ويكون في أمتي رجل يُقال له : أبو حنيفة، هو سراج أمتي»، و«سيأتي من بعدي رجل يقال له :« النّعمان بن ثابت، ويكنّى أبا حنيفة، ليحميّن دين اللَّه وسنتي على يديه .

٢- « كل من في السموات والأرض، وما بينهما فهو مخلوق، غير اللَّه والقرآن، وذلك أنه كلامه، منه بدأ وإليه يعود، وسيجيء أقوام من أمتي، يقولون : القرآن مخلوق . فمن قاله منهم فقد كفر باللَّه العظيم، وطُلِّقت امرأته من ساعته، لأنه لا ينبغي لمؤمنة أن تكون تحت كافر، إلا أن تكون سبقته بالقول »[٢] .

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٢٧٣ . انظر بدعة التعصب المذهبي للشيخ محمد عيد عباسي حفظه الله ٢١٢ - ٢١٤ .

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ١ / ١٣٤ . ويظهر هنا التعصب العقدي في مسألة « خلق القرآن» واضح .

وعلائم الوضع ظاهرة جليّة في تعليلاته، وركاكة لفظه .

٣- وعن زهير بن معاوية، قال : أخبرنا محرز أبو رجاء - وكان يرى رأي القدر فتاب منه – فقال : « لا ترووا عن أحد من أهل القَدَر شيئاً ! فواللَّه لقد كُنّا نضع الأحاديث، ندخل بها الناس في القدر، نحتسب بها، ولقد أدخلتُ أربعة آلاف من الناس ! .(يعني في القدر) .

قال زهير : فقلت له : « كيف تصنع بمن أدخلتهم ؟ قال : هأنذا أخرجهم الأول فالأول »[1] .

ثانياً : التّعصُّب القومي :

لا يشك مُسلم له أدنى بصيرة بالتأريخ الإسلامي في فضل العرب المسلمين، وما قاموا به من حمل رسالة الإسلام في القرون المُفضّلة، وتبليغه لكافة الشعوب والصدق في الدعوة إلى اللَّه، والجهاد لنشره والدفاع عنه، وتحمّل المشاق العظيمة في ذلك، حتى أظهره اللَّه على أيديهم، وخفقت رايته في أغلب المعمورة .

كما لا يشك مُسلم أيضاً فيما، ما للمسلمين غير العرب من الفضل والجهاد المشكور في مساعدة إخوانهم من العرب المسلمين في نشر هذا الدين، والجهاد في إعلاء كلمته وتبليغه، سكان المعمورة شكر اللَّه للجميع مساعيهم الجليلة، وجعلنا من أتباعهم بإحسان، إنه سميعٌ مجيب .

القومية العربية :

لقد اختلف الدعاة إلى القومية العربية في عناصرها، فمن قائل : « إنها الوطن

(١) الجرح والتعديل ١ / ٣٢ وفيه (هو ذا) بدل : هأنذا وما أثبته أصوب (والله أعلم).

والنَّسب واللغة العربية »، ومن قائل : « إنها اللغة فقط »، ومن قائل : " إنها اللغة، مع المشاركة في الآلام والآمال، إلى غير ذلك .

أمّا الدِّين فليس من عناصرها عند أساطينهم [١] والصُرحاء منهم، وقد صرَّح كثير بأن الدِّين لا دخل له في القومية، وصرَّح بعضهم أنها تحترم الأديان كلها من الإسلام وغيره! .

ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم، ومنكر ظاهر، وجاهلية نكراء، وكيد سافر للإسلام وأهله؛ وذلك لوجوه :

١- أن الدعوة إلى القومية العربيةُ تفرِّق بين المسلمين، وتفصل المُسلم العَجَمَي عن أخيه العربي، وتُفرِّق بين العرب أنفسهم، لأنهم ليسوا يرتضونها، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم، وكل فكرة تُقسِّم المسلمين،

(١) مثل : (أنطون سعادة) مؤسس الحزب القومي السوري، وواضع معظم كتبه، وهي نشوء الأمم - المحاضرات العشر . . . . وقد أُعدِم رمياً بالرصاص عام ١٩٤٩ حيث يقول: (إن أعظم عقبة في سبيل تحقيق وحدتنا القومية وفلاحنا القومي: «هي تعلق المؤسسات الدينية بالسلطة الزمنية، وتشبث المراجع الدينية بوجوب كونها مراجع السيادة في الدولة وقبضها على زمام سلطاتها أو بعض سلطاتها على الأقل، والحقيقة أن معارك التحرر البشري الكبرى كانت تلك التي قامت بين مصالح الأمم ومصالح المؤسسات الدينية المتشبثة بمبدأ الحق الإلهي، والشرع في حُكم الشعوب والقضاء فيها. . وهو مبدأ خطر استعبد الشعوب للمؤسسات الدينية استعباداً أرهقها، هذه هي الوجهة الدنيا من الدين. . هي الوجهة التي كان الدين ولا يزال يصلح لها حين كان الإنسان لا يزال في طور بربريته أو قريباً منها، أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح. (المحاضرات العشر للسعادة صفحة (١٠٠ - ١٠٣) .

وتجعلهم أحزاباً فكرة باطلة، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه .

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[١].

٢- إن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية، وحذّر منها، وأبدى في ذلك، وأعاد في نصوص كثيرة، بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية؛ وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك، ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية لأنها دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة الجاهلية، وكم جرَّت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة، وقودها النفوس والأموال والأعراض، وعاقبتها تمزيق الشَّمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب، والتفريق بين القبائل والشعوب .

فعن النبي ﷺ أنه قال : «**إن اللَّه أوحى إليّ : أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «كل ما خرج من دعوى الإسلام والقرآن من نسب، أو بلد، أو جِنس، أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية».

ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية، ويغضبون لعصبية، ويقاتلون على عصبية، ولا ريب أيضاً أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر؛ لأن

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٢ - ٦٣ .

(٢) رواه مسلم ٢٨٦٥، وأبو داود، وابن ماجه عن عياض بن حمار .

القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها، والتعصب لها على من نالها بشيء .

ومن النصوص الواردة في ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : " **إنَّ اللَّه قد أذهبَ عنكم عُبِّيَّة الجاهليّةِ وفخرَها بالآباءِ، إنما هو مؤمن تقيٌّ أو فاجِر شقيٌّ . الناس بنو آدمَ وآدمُ خُلِقَ من ترابٍ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى** "(١) . **وهذا الحديث يوافق قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾(٢) . فقد أوضح اللَّه سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة إنه جعل الناس شعوباً وقبائل للتعارف لا للتفاخر والتعاظم.

ومن ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري في حديث طويل أن النبي ﷺ قال : « **إنّ اللَّه أمر يحيى بن زكريا بخمسٍ أن يعملَ بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بِهنَّ** » . . . **إلى قوله** : « **ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جُثاءِ جهنم» قيل : يا رسول اللَّه ﷺ ! وإن صلى، وصام ؟ قال** : « **وإن صلى وإن صام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوة اللَّه الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد اللَّه**»(٣) .

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، واللفظ له وحسّنه الألباني في الجامع ١٧٨٣ وتخريج الحلال ٣١٢ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٣) رواه أحمد، والبخاري في تاريخه، والترمذي وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٢٤، وصحيح الترغيب ١/ ٨٩ -١/ .٩٧ الطبعة الخامسة ١٤٢٩ - ٢٠٠٨ من المكتبة السادسة لجمعية إحياء التراث الإسلامي .

٣- ومن الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية :

أنها سُلَّم إلى موالاة كفار العرب، وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم .

ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة، الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم، وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة . والنصوص في هذا المعنى كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[١][٢] .

ثالثاً : التّعصّب القَبلي

وشعارهم : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». على حقيقته وإطلاقه .

١- تعريف العصبية :

العصبية في اللغة[٣] : مشتقة من «العَصْبِ»، وهو : الطَّيُّ والشَّدُّ

---

(١) سورة المائدة آية ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر نقد القومية العربية لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٣) انظر : مادة (ع ص ب) في «تهذيب اللغة» للأزهري : ٤٥ - ٥١، و«الصحاح» للجوهري: ١/١٨٢ - ١٨٣ و«لسان العرب»، لابن منظور ٤/٢٩٦٤ - ٢٩٦٦، و«القاموس المحيط» للفيروزآبادي ص ١٤٨ ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، والعلوم للتهانوي ٩٤٦ .

. والتَّعَصُّب : المحاماة، والمدافعة .

والعَصَبَة : «الأقاربُ من جهة الأب»، وعَصَبَةُ الرَّجُلِ : أولياؤه الذّكورُ من وَرَثَتِه، سُمُّوا عَصَبَةً لأنهم عَصَبُوا بنسبه، أي أحاطوا به .

والعُصْبَة والعِصَابة : الجماعة؛ ومنه قوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [(١)]، ومنه حديث : «**اللّهمّ إن تُهلِك هَذه العِصابة من أهل الإسلام، لا تُعبَد في الأرض**» [(٢)].

العصبية في الاصطلاح :

العصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عَصَبته والتألبِ معهم، على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين .» [(٣)]

وقيل هي النُّعَرَةُ [(٤)] : على ذوي القربى، وأهلِ الأرحام أن ينالهم ضَيْم، أو تصيبَهم هَلَكة . . . ومن هذا الباب الولاء والحِلْف؛ إذ نُعَرَةُ كل أحدٍ على أهل ولائه وحِلْفه» [(٥)].

٢- مفهوم القبلية :

هي نسبة إلى القَبيلة، ويُنسب إليها، فيقال : قبلية . والقبيلة من الناس : بنو أب واحد «ومعنى القبيلة من ولد إسماعيل : معنى الجماعة؛ يقال : لكل جماعة من أب واحد : قبيلة» [(٦)].

---

(١) سورة يوسف آية ٨ .

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٢٤٥٣ ع ص ب .

(٤) النُّعَرَةُ : بضم النون، وفتح العين على وزن "هُمَزَة" والعامّة تقول : " النَّعْرَة " على وزن التَّمْرَة . انظر : تاج العروس للزبيدي ٥٤٣/٧ ن ع ر .

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٥ .

(٦) لسان العرب لابن منظور ٣٥١٩/٥ ق ب ل .

٣- الترهيب من العصبية القبلية :

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾(١) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**أربع في أمَّتي من أمر الجاهليَّة، لا يتركُونهنَّ : الفَخرُ في الأحسَابِ، والطَّعنُ في الأنْسَابِ، والاستِسقَاءُ بِالنُّجُوم، والنِّيَاحَةُ**»(٢) .

وليس من المعيب أن يحفظ الإنسان نسبه وحسبه، لكن الزلل يكمن في أن يعتقد أن ذلك هو معيار التفاضل بين البشر، أو أن يتخذ ذلك سبباً للتعالي والتكبر على الآخرين، أو التفريق بين عباد اللَّه المسلمين، وتصنيفهم .

وإن من أعظم البغي تطاول عباد اللَّه بعضهم على بعض، والنبي ﷺ يقول : «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»(٣) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ**

---

(١) سورة الحجرات آية .

(٢) أخرجه مسلم ٩٣٤ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٦٦٩، وأبو داود ٤٩٠٢، والترمذي ٢٥١١، وابن ماجه ٤٢١١ ٩ من حديث أبي بكرة نُفَيْع بن الحارث رضي الله عنه ، وحسّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٧٩ - ٢٩٦٥ .

عَلَى اللَّهِ مِنْ الْجُعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»[١] .

وقال ابن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «مر شاس بن قيس - وكان شيخاً قد عسا [٢]، عظيم الكفر، شديد الضّغْن [٣] على المسلمين، شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلْفتهم، وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية . فقال : قد اجتمع ملأ بني قَيْلَة بهذه البلاد، لا واللَّه ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتىً شاباً من يهود كان معهم فقال: «اعمد إليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بُعَاث[٤] وما كان قبله، وأنشِدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل . فتكلّم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى توثب رجلان من الحيَّين على الرُّكَب، فتقاولا، ثم قال أحدهما إلى صاحبه : إن شئتم رددناها الآن جَذَعة ! فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: «قد فعلنا ! موعدكم الظاهرة – والظاهرة : الحرَّة - السّلاح السّلاح . فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ : «فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم فقال :«**يا، مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! اللّهَ اللّهَ أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللّهُ لِلإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ**

(١) رواه أحمد ٨٣٨١، والترمذي ٤٤٥٢، وحسّنه الألباني في صحيح الجامع ١٧٨٣ .

(٢) عسا : أَسَنَّ .

(٣) الضِّغْن : الحقد .

(٤) بُعَاث : موضع بالمدينة، ويوم بُعَاث : يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان النصر فيه للأوس .

بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ، عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنْ الْكُفْرِ وَأَلّفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟ فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنّهَا نَزْغَةٌ مِنْ الشّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوّهِمْ، فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرّجَالُ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ»[(١)] .

ولقد جاء في الحديث قوله ﷺ : «**إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيسَتْ بِمَسَبَّةٍ عَلَى أَحَدٍ، كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيسَ لِأَحدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِدِينٍ، أَوْ تَقْوَى، وَكَفَى بِالرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ بَذِيًّا بَخِيلاً فَاحِشًا**»[(٢)] .

ولو أن النّسب ينفع صاحبه دون العمل، لانتفع أبو لهب بنسبه، ولكن هيهات، وقد قال اللَّه ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[(٣)] .

وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾[(٤)] .

وقال ﷺ : « **أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي (يَعْنِي فُلَانًا) لَيسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللَّهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ** »[(٥)] .

وقال أيضاً : « وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ »[(٦)] . كما يؤكد هذا المعنى قوله - ﷺ حين أُنزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾[(٧)] . - **يا**

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ٢/ ١٣٦-١٣٧، والطبري في التفسير (٧٥٢٤)

(٢) أخرجه أحمد ١٧٥٨٣، والطبراني في الكبير ٧١ / ٨١٤، من حديث عقبة بن عامر ﵁ .
وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣/ ٧٨ برقم : ٢٩٦٢ .

(٣) سورة المسد آية ١ .

(٤) سورة المؤمنون آية ١٠١ .

(٥) أخرجه البخاري ٥٩٩٠، ومسلم ٢١٥، واللفظ لمسلم .

(٦) جزء من حديث أخرجه مسلم ٢٦٩٩، من حديث أبي هريرة ﵁ .

(٧) سورة الشعراء آية ٢١٤ .

مَعْشَرَ قُرَيْشٍ !- أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا "(١) .

لَعَمْرُكَ ما الإنْسَانُ إلا بِدِينِهِ ... فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبْ
فَقَدْ رَفَعَ الإسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ... وقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيَّ أبا لَهَبْ(٢)

٤- حكم الإسلام في العصبية القبلية (الجاهلية) :

ويمكن تلخيص حكم الإسلام في العصبية الجاهلية في الأمور الآتية :

١- إلغاء العصبية الجاهلية، والتحذير منها : كقوله ﷺ : « ليس مِنّا من دعا إلى عصبيَّة، وليس مِنّا مّن قاتل على عصبيَّة، وليس مِنّا من مات على عصبيَّة»(٣) .

وقال ﷺ : " ومَن قاتل تحت راية عِمِّيَّةٍ (٤) ؛ يَغضبُ لعصبة، أو يدعو إلى عصبة أو يَنصُر عَصبة فقُتِل، فقِتلَةٌ جاهليَّة "(٥) . وقول أبي ذر رضي الله عنه : «**إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ** ﷺ يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّة»(٦) .

٢- تقرير العدل بين الناس، وعدم الاعتراف بالامتيازات الطبقية، أو النفوذ

(١) أخرجه البخاري ٢٧٥٣، ومسلم ٢٠٤ . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) تنسب هذه الأبيات إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٣) أخرجه أبو داود ٥١٢١ من حديث جبير بن مُطعم .
(٤) عِمِّيَّة، أي: في الأمر الأعمى للعصبية، فلا يستبين المقابل ما وجه الأمر الذي عليه يقاتل. انظر لسان العرب ٤/ ٣١١٥ ع م ي .
(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٨٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٦) أخرجه البخاري ٢٩ .

الموروث؛ فأساس التفاضل: التقوى والعمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(١). وعن أبي نَضرة قال: حدثني من سمع خُطبة رسول اللَّه ﷺ في وسط أيام التشريق؛ فقال: «**يا أيها النّاس، ألا إنَّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لِعَرَبِّي على أعجميٍّ، ولا لِعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى**»(٢).

وعن عائشة رضي اللَّه عنها أن قريشاً أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلّم فيها رسول اللَّه ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة، حِبُّ رسول اللَّه ﷺ؟ فكلّمه أسامة، فقال رسول اللَّه ﷺ: **أتشفعُ في حَدٍّ من حدود اللَّه؟، ثم قام فاختطب، فقال: أيها النَّاس، إنَّما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحَدَّ وايْمُ اللَّه، لو أنَّ فاطمة بِنْتَ مُحَمَّدٍ سرقت، لقطعت يَدَها**(٣).

٣ - إلغاء كل مظاهر العبودية لغير اللَّه؛ من نحو تقديس الأعراف القبلية والانسياق معها، باطلًا دون تبصُّر، إلا لمجرد الهوى، واجتماع النّاس عليها، ومِن ثَمَّ إثبات العبودية لله وحده؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾(٤).

---

(١) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢) رواه ابن المبارك في مسنده ٢٣٩، وأحمد ٢٣٨٨٥، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٧٠٠، وصحيح الترغيب والترهيب ٢٩٦٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، وأخرجه مسلم ١٦٨٨.

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦.

٤-النهي عن الطّعن في الأنساب، وعن التفاخر والتعاظم بالآباء والأجداد، والمآثر والأمجاد؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّه أوْحَى إليَّ: أن تَواضَعُوا، حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَبْغِيَ أحدٌ على أحدٍ**»[١].

٥- مظاهر العصبية القبلية:

لم يكن العرب في الجاهلية أُمة واحدة، ولا شعباً واحداً، بل كانوا قبائل وعصائب متفرقة، تحكمها أعراف قبلية متنوعة، وقد كانت العصبية القبلية هي أساس النظام الاجتماعي الجاهلي، الذي شعاره: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»[٢]، الداعي إلى نصرة المنتسب إلى القبيلة، دون اعتبار لكونه مُحقاً، أو غير محق. فـ«جنسيته» هي جنسية القبيلة المنحدر منها، و «هويَّته» التي يحملها في حِلِّة وتَرحاله اسمُ قبيلته ذلك الاسم الذي يميزه عن أفراد القبائل الأخرى.

وقال ناطقهم:

وما أنا إلا من غزية إن غوت   غويتُ، وإن ترشد غزية أرشدِ

- **من أبرز مظاهر العصبية:**

أ- الفخر بالأحساب، والطّعن في الأنساب:

إن اعتزاز الإنسان العربي بنسبه، جعله يغلو فيه أحياناً، فلا يرى نسباً يضاهي نسب قبيلته نُبْلًا وشرفاً، ولا يرضى أن يتطاول أحد من القبائل الأخرى، فيدعي لنفسه نسباً أشرف من نسبه، أو حَسَباً أشرف أرومة منه، وما الأمثلة الآتية إلا

---

(١) أخرجه مسلم ٦١٠٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) وقد قيل: إن أول من قال: «انصر أخالك ظالماً أو مظلوماً» هو جُندب بن العنبر، وقد عنى بها ظاهرها، وهو: ما اعتيد من حمية الجاهلية. كما في: «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٥٩).

صورة واضحة لذلك الغلو .

وقد ورد أن (بدر بن مَعْشَر) - من بني مُدرِكة - وقف في الجاهلية بسوق عكاظ يفخر بنسبه، ويقول :

نـحـنُ بَـنُـو مُـدْرِكَـةَ بـنِ خِـنْـدِفِ   من يَطْعَنُوا في عَيْنِهِ لِمَ يَطْرِفِ[1]
وَمَـنْ يَـكُـونُـوا قَـوْمَـهُ يُـغَـطْـرِفِ [2]   كَـأَنَّـهُ لُجَّـةُ بَـحْـرٍ مُـسْـدِفِ [3]

ثم مدّ رجله، وقال : أنا أعزّ العرب، فمن زعم أنه أعزّ مني فليضربها .

فلم يطق (الأحمر بن مازن الهوازاني) عنجهيته، وادعاءه رفع نسب قبيلته فوق أنساب القبائل الأخرى، فاستلّ سيفه وضرب رِجْله فأنْذَرها[4] من الركَبة، غير مبالٍ بحرمة الشهر الحرام، وقد كاد الشّر أن يستفحل بين قبيلتي الرجلين، لولا أنهم جنحوا إلى الصلح فيما بينهم [5] .

تلك - لا شك - صورة للغلو الشديد في التّعصّب القبلي، وهي - إنصافاً - الصورة السائدة في العصر الجاهلي . وكانت تلك الحادثة دافعاً حدا (بالأحمر الهوازني) إلى المزيد من الفخر بنفسه وقبيلته حين صورها في قوله [6] :

إنِّـي وَسـيـفـي حـليـفـا كـلِّ داهِـيَـةٍ   مِنَ الدَّواهي التي بالعَمدِ أَجنِيها

(١) لم يطرف : أي مات، وهو كقولهم : " ما بقيت منهم عين تَطْرِف" . انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص١٥١-١٥٢ .

(٢) يُغطرف : يمشي مختالاً فخوراً . انظر : القاموس المحيط ص ١٠٨٨ غ ط ر ف .

(٣) مسدف : مظلم . انظر : القاموس المحيط ص ١٠٥٨ س د ف .

(٤) فأنْذَرها: ندر الشيءُ، سقط وشذّ. والمقصود: فقطعها برُكْبتها. انظر: مختار الصحاح للرّازي ٥٦١ ن د ر

(٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ٦/ ٨٧ - ٨٨ .

(٦) المؤتلف والمختلف للآمدي، ص ٤٢ .

إنِّي نَقَمْتُ عليه الفخرَ حينَ دَعَا جَهراً وأبرزَ عَنْ رِجل يُعَرِّيها
ضربتُها آنِفاً إذ مدَّها بَطَراً وقُلْتُ : دُونَكَهَا، خُذْها بِما فيها
لمّا رأى رِجلْهُ بانَتْ بِرُكبتِها أومَا إلى رِجلِهِ الأُخْرى يُفَدِّيها[١]

ب - الأخذ بالثأر :

لا شك أن معاقبة الجاني والثأر منه أمر جائز، فقتل القاتل مثلًا شيء لا ينكره شرع ولا عقل ولا عرف، إنما المذموم هو قتل غير القاتل بحجة أنه من آل فلان، ثم السعي في قتل من هو كفء للمقتول وإن كان بريئاً، وهذا يترك للسلطان أو من ينوب عنه، وإلا كان فوضى.

ت - النُّعَرَة :

إن " النُّعَرَة " هي الصياح، مناداة القوم بشعارهم؛ من أجل الاستغاثة بهم، وحثّهم على الحرب - هي مظهر أساسي من مظاهر العصبية، وحين ينادي أحد قومه؛ فلا بد من إجابته، دون النظر إلى طبيعة موقفه، أو فعله، هل هو ظالم أو مظلوم [٢].

ومن ذلك قول (قُرِيط بن أُنَيْف) أحد بني العنبَر :

قومٌ إذا الشَّرُ أبدى ناجِذَيهِ لهم طَارُوا إليه زُرَافَاتٍ ووحدَانا
لا يسألونَ أخَاهُم حينَ يَنْدُبُهم في النَّائباتِ على ما قال بُرهَانَا[٣]

رابعاً: التعصب للعلماء والمشايخ وطلبة العلم.

١- كجعل العلماء والمشايخ وطلبة العلم معياراً للحق .

(١) انظر : مجلة الخفجي الشاعر والقبيلة، ص ٢٠ - ٢١ .
(٢) انظر : الإسلام والعروبة لمجدي رياض ص ٩٤ .
(٣) البيان في خزانة الأدب للبغدادي ٧/ ٤١٣ - ٤١٤، والعقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٩٦ .

٢- وإلزام الناس بمذهب دون سواه أو إلزامهم بترجيح قول اجتهادي تعصب وبغي.

يقول الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا مِنْ الْأَئِمَّةِ إلَّا مَنْ لَهُ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ لَا يُتَّبَعُ عَلَيْهَا مَعَ أَنَّهُ لَا يُذَمُّ عَلَيْهَا وَأَمَّا الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ الَّتِي لَمْ يُعْلَمْ قَطْعًا مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَلْ هِيَ مِنْ مَوَارِدِ الِاجْتِهَادِ الَّتِي تَنَازَعَ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فَهَذِهِ الْأُمُورُ قَدْ تَكُونُ قَطْعِيَّةً عِنْدَ بَعْضِ مَنْ بَيَّنَ اللَّهُ لَهُ الْحَقَّ فِيهَا؛ لَكِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُلْزِمَ النَّاسَ بِمَا بَانَ لَهُ وَلَمْ يَبِنْ لَهُمْ»(١)

من دواعي العصبية :

أ- المفاضلة بين الشيوخ والمذاهب : يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : " فَهَذَا الْبَابُ أَكْثَرُ النَّاسِ يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ بِالظَّنِّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ مَرَاتِبِ الْأَئِمَّةِ وَالْمَشَايِخِ وَلَا يَقْصِدُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ الْمُطْلَقِ بَلْ كُلُّ إنْسَانٍ تَهْوَى نَفْسُهُ أَنْ يُرَجِّحَ مَتْبُوعَهُ فَيُرَجِّحَهُ بِظَنٍّ يَظُنُّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ بُرْهَانٌ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ يُفْضِي ذَلِكَ إلَى تَحَاجِّهِمْ وَقِتَالِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ وَهَذَا مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (٢).

ب- تعصب الشيوخ ينعكس على الأتباع مضاعفاً :

يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ : «عن أبي جعفر الهاشمي شيخ الحنابلة ومن أعلام القرن الخامس وكان شديداً على المبتدعة وكان أصحابه يقمعونهم (كان منقطعا إلى العبادة وخشونة العيش والصلابة في مذهبه، حتى أفضى ذلك إلى مسارعة العوام إلى إيذاء الناس، وإقامة الفتن، وسفك الدماء، وسب العلماء، فحبس) (٣).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٣٨٣-٣٨٤ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠/ ٨٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٤٦ - ٥٤٨ .

ج- المناظرات العلنية

- **من مظاهر العصبية والحزبية:**

١- كتمان الحق الذي عند المخالف رغم ظهوره .

٢- قصر الحق على عالِم أو شيخ بعينه، وتنزيل أقواله منزلة الشرع :

يقول الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ : « بأن تجعل ما يصدر عنه من الرأي ويُروى له من الاجتهاد حجة عليك وعلى سائر العباد، فإنك إن فعلت ذلك كنت قد جعلته شارعاً لا متشرعاً مكلِّفاً لا مكلَّفاً»[١] .

٣- التحذير من المنصفين : يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ : فرارهم عن علماء الإنصاف، وطعنهم على من اتصل بهم أو أخذ عنهم، وتحذيرهم للعامة وللطلبة عن مجالسة من كان كذلك. . . "[٢]

- **المخرج من العصبية :**

١- عدم العصبية لبشر غير رسول اللَّه ﷺ، ولكتاب غير كتاب الله:

يقول الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْعَلَ الْأَصْلَ فِي الدِّينِ لِشَخْصٍ إلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يَقُولَ إلَّا لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ نَصَّبَ شَخْصًا كَائِنًا مَنْ كَانَ فَوَالَى وَعَادَى عَلَى مُوَافَقَتِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ فَهُوَ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾[٣] . . . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْعُوَ إلَى مَقَالَةٍ أَوْ يَعْتَقِدَهَا لِكَوْنِهَا قَوْلَ أَصْحَابِهِ وَلَا يُنَاجِزَ عَلَيْهَا بَلْ لِأَجْلِ أَنَّهَا مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ . .)[٤] .

---

(١) أدب الطلب ٧٩ .

(٢) أدب الطلب ٢٦ .

(٣) سورة الروم آية ٣٢ .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/٨-٩ .

٢- العلماء والشيوخ أدلاء على الحق :

يقول ابن تيمية : « فَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ وَسَائِلُ وَطُرُقٌ وَأَدِلَّةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الرَّسُولِ يُبَلِّغُونَهُمْ مَا قَالَهُ وَيُفَهِّمُونَهُمْ مُرَادَهُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِمْ وَاسْتِطَاعَتِهِمْ »[١] .

٣- الاحتكام إلى فهم السّلف :

يقول ابن تيمية : «مَعَ أَنِّي فِي عُمْرِي إلَى سَاعَتِي هَذِهِ لَمْ أَدْعُ أَحَدًا قَطُّ فِي أُصُولِ الدِّينِ إلَى مَذْهَبٍ حَنْبَلِيٍّ وَغَيْرِ حَنْبَلِيٍّ، وَلَا انْتَصَرْت لِذَلِكَ، وَلَا أَذْكُرُهُ فِي كَلَامِي، وَلَا أَذْكُرُ إلَّا مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا . . . »[٢]

خامساً : التّعصّب الحِزّبي لدى بعض الجماعات الدعوية :

لما تبيّن أن الجماعة الخاصة ليست إلا وسيلة من وسائل الدعوة إلى اللَّه – ﷻ – فإنه لا يجوز للمسلم أن يكون طريقه لقبول الحق ما جاءت به الطائفة التي ينتمي إليها فإنّ مما ابتُلِي به كثير من المنتسبين إلى طائفة معينة في العلم، أو الدين، أو الدعوة، من المتفقهة أو المتصوفة، أو الدعاة أو المنتمين إلى مُعظّم عندهم في الدين - غير النبي ﷺ – أنهم لا يقبلون من الدين إلا ما جاءت به طائفتهم [٣] .

ومن لم يقبل الحق إلا إذا جاءه من الطائفة التي ينتمي إليها، فقد شابه اليهود الذين ذكر اللَّه واقعهم بقو له تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠/ ٢٢٤ .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٢٢٩ .
(٣) انظر شيخ الإسلام ابن تيمية الاقتضاء ج ١ص ٧٣-٧٤ .

ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾[1] . وذلك بعد أن قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2] .

والملاحظ أن المتّبع لطائفته التي ينتمي إليها اتباعاً مطلقاً، تجده في الغالب يحب ويبغض لأجل الأهواء؛ إذ قبول الحق عنده منوطٌ بوصوله إليه عن طريق طائفته، فهو مبني على الهوى، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " تجد قوماً كثيرين، يُحبون قوماً ويبغضون قوماً لأجل أهواء لا يعرفون معناها، ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلًا صحيحاً عن النبي ﷺ وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها "[3] .

فعندما تحزَّبت كل جماعةُ وحركة، وانغلقت على نفسها، انقلبت الوسيلة (التنظيم) إلى غاية في ذاتها، وأصبح تبرير كل شيء من الكسب والخطأ في سبيل حمايتها، وهذا ما جعلها أجساماً منفصِلة عن الأمة، وجعل لها أهدافاً خاصة بها، وأدى إلى الانغلاق، والتّحزّب، والإعجاب بالرأي، وإشاعة الإرهاب الفكري بحيث لم يبق مكان للحوار والمناقشة والشورى، إلى

---

(١) سورة البقرة آية ٩١ .

(٢) سورة البقرة آية ٨٩ .

(٣) الفتاوى ج٢ ص ١٦٣ ، وينظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٧٢ .

درجة لم تسمح معها بعض هذه التنظيمات بأي فِكر معارض، أو ناقد أو مقوِّم، الأمر الذي أدى إلى نزف العقول المستمر، وابتعاد الكثير من الإمكانات العلمية عن التنظيمات الإسلامية [١].

كما يجب أن لا يقع بسبب ذلك (الاسم) مدح ولا ذمّ، ولا موالاة، ولا معاداة، فإنه إنما يقع ذلك على الأسماء المذكورة في القرآن الكريم : كالمُسلم والكافر والمؤمن والمنافق، والبرّ والفاجر، والصادق والكاذب، والمصلح والمفسد، وأمثال ذلك[٢].

وأما امتحان النّاس بأسماء طوائف معيَّنة، والتفريق بين الأمة بما لم يأمر به اللَّه ورسوله ﷺ، والموالاة والمعاداة على أساس هذه الأسماء، بالظّن والهوى، فهو مما برئ اللَّه ﷻ منه ورسوله ﷺ[٣].

ولقد جعل السَّلف معيار اتّباع السّنة عدم الغضب للأهواء، وسمّوا أتباع المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة أهل الأهواء "[٤].

قيل لأبي بكر بن عياش رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يا أبا بكر ! : من السُنّي ؟ قال : «الذي إذا ذُكِرَت عنده الأهواء، لم يغضب لشيءِ منها»[٥].

وفي الحياة المعاصرة مظاهر من هذا التّعصّب والتّحزّب، فكل يدّعي أن طائفته هم الذين على حق، وأن من سواهم على الباطل، ومن مظاهر هذا

---

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، للاستاذ عمر عبيد حسنة، ص١١٢-١١٣ .
(٢) ينظر شيخ الإسلام، درء التعارض ١/ ٢٧٣ .
(٣) ينظر شيخ الإسلام، الفتاوى ٣/ ٤١٤ .
(٤) راجع أهل الأهواء، الموسوعة الفقهية ج٧ ص١٠٠ .
(٥) نقلًا عن شيخ الإسلام، الاستقامة ج١ص٢٥٥ .

الغُلو والتّعصّب الحزبي المذموم ما يلي :

الغُلو والتّعصّب للجماعة، وجعلها مصدر الحق :

١ - يقول أحد قياديي[(١)] جماعة شكري مصطفى [(٢)] : " نحن جماعة الحق! ومن عدانا فليس بمسلم " ! لقد كان الشاب يُستدعى بأوامر عسكرية، فلا يعلم طبيعة المهمة المقُبل عليها، ولا مدى اقتناعه بها، وكان أغلب الشباب لا يعرفون شيئاً عن طبيعة تركيب عقل قيادة الجماعة، وكان الكل يخضع تماماً لأمر أبي سعد[(٣)] دون مناقشة، بل إن عملية ضرب المرتدين (يعني الخارجين عن الجماعة) والإعلان الواسع عنها، قد بعث الرّعب في قلوب الجميع، الغرباء وأبناء الجماعة أنفسهم [(٤)].

لقد قام بِناء هذه الجماعة على الطاعة المطلقة - بل والعمياء - فأي شخص كان يُشَمّ منه رائحة لقياس الأوامر الصادرة إليه، بمقياس شرعي، أو حتى استفسار عن مغزاها كان يواجه بتهمة الرِدّة، ويُعامل معاملة المرتدين [(٥)].

٢- ويقول الاستاذ محمد أحمد الراشد[(٦)] بعد أن ساق قول أهل العلم بموقفهم من أهل البِدَع، ومنها هجرهم، وعدم السّلام عليهم، ومنها قصة كعب بن مالك ﵁ قال: «وليس ترك الجماعة، والنزاع معها، وعصيان

(١) هو المُكنّى بأبي مصعب، يُنظر : عبد الرحمن أبو الخير، ذكرياتي مع جماعة / المسلمين ص٧٤ .

(٢) وأُطلق عليهم : جماعة التكفير والهجرة .

(٣) كُنية شُكري مصطفى .

(٤) ذكرياتي مع جماعة المسلمين ص ٧٢-٧٣ .

(٥) ذكرياتي مع جماعة المسلمين ص ١٣٤-١٣٥ .

(٦) الأستاذ محمد أحمد الراشد أحد قياديي ومفكري جماعة الإخوان المسلمين .

أوامرها بأقل من هذه الذنوب التي ذكرها جمهور الفقهاء ! والتّحلّل من الوفاء ببيعة واجبة، من أكبر خوارم المروءة فوق كونه حراماً ! فانظر لنفسك أيها المخالف. إن كنتَ تتأول لنفسك، وتأبى التغافر والالتفات إلى عيب النفس، وتلزم النجوى والجدل، ولا تقيس حالك على التعرُّب بعد الهجرة!! ولا تريد الاتعاظ بالتاريخ، ولا تتقي طبائع آخر الزمان، فهلّا ترفق بحالك إزاء مؤمنين، سوف لا يُسلِّمون عليك !! ولا يستغفرون على جنازتك يوم موتك ؟![(١)] فاحفظ مصلحتك! وتواضع وامشّ مع القافلة! نحفظ لك حقك ما دمت حيًّا، ونوصلك إلى قبرك باستغفار، ولا ندع النائحة المستأجرة تنفرد بنعيك![(٢)] .

٣- ويقول الاستاذ سعيد حوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٣)] : «إن جماعة الإخوان- لا غيرها- هي التي ينبغي أن يضع المسلم يده في يدها »[(٤)].

وقال أيضاً : « وبهذا، لا يسع مسلماً أن يتخلّف عن هذه الدعوة »[(٥)].

ويقول أيضاً : « وإذا كانت هذه الجماعة، هذا شأنها، فلا يجوز لمسلم الخروج منها»؛ قال رسول اللَّه ﷺ : «**مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ. . .**»[(٦)] وعلى كل مسلم، ألا ينتّسب لتنظيم، أو جهة

---

(١) وهذا لا يكون إلا للكافر أو المنافق الذي عُلِم نفاقه - والله المستعان .

(٢) العوائق لمحمد أحمد الراشد ص ٢٧٨ .

(٣) سعيد حوى أحد قياديي ومفكري جماعة الأخوان المسلمين .

(٤) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص ٢٩-٣٠ .

(٥) في آفاق التعاليم ص ١٦ .

(٦) رواه أحمد، وابو داود، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٢٤ .

ليست من الجماعة، لأن الطاعة لا تجوز إلا لأولي الأمر من المسلمين، وتحرم على غيرهم اختياراً؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[1]، [2]

ويقول أيضاً: «والبيت المسلم الكامل: هو الملتزم بمبادئ الإخوان المسلمين، لأن ذلك هو الكمال الإسلامي المعاصر، ولذلك جعل الأستاذ البنا، واجبات الأخ العامل: إلزام المنزل بمبادئ الإخوان المسلمين»[3].

الغُلو في قيادة الجماعة ورموزها:

إنّ الدعوة السّلفية تمتاز بين سائر الدعوات: بأنها دعوة لا تتمحور حول شخص من الأشخاص - عدا شخص الرسول ﷺ -، ولا رمز من الرموز، بل تتمحور حول المنهج المُستقى من الكتاب والسنة الصحيحة وآثار السّلف الصالح، فهي وإن كانت تحترم المشايخ والعلماء والكبار ولكن لا تُعصِّمهم أو تُقدِّسهم.

أمثلة من هذا الغلو:

١- قال أ. محمد أحمد الراشد بعد أن ذكر أن الطاعة، يعتبرها الدعاة (من الإخوان المسلمين) ركناً من إيمانهم: «قوم يرون الحق نصر أميرهم، ويرون طاعة أمره إيماناً»[4].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٠.

(٢) من أجل خطوة إلى الأمام ص ٤٠.

(٣) في آفاق التعاليم ص ٢٩.

(٤) العوائق لمحمد أحمد الراشد ص ٨ ولا شك أن هذه النصرة لا تجوز على الإطلاق (بالحق والباطل)، بل هي مقيّدة بما وافق الحق

ويقول أيضاً : « والشعار في هذه المرحلة دائماً : « أمر ، وطاعة »، من غير تردّد، ولا مراجعة، ولا شك، ولا حرج .[(١)]

٢- وقال سعيد حوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وجاءت الحركة الإسلامية المعاصرة، وكان مؤسسها إماماً قد وصل إلى مرتبة الاجتهاد، وهو حسن البّنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)] .

ويقول أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ « : ونقطة البداية في الثقة المطلقة بدعوة الإخوان ترجع إلى الثقة بشخص حسن البنا- رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ولقد أخذنا هذه الثقة ورضعناهم عمن هم أمثال الجبال في الثقة . ومنهم الشيخ محمد الحامد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي كان يعتبر حسن البّنا مجدد القرون السبعة الماضية، وليس مجدداً لقرن واحد، ويعتبر حسن البّنا قد وصل إلى رتبة الاجتهاد، وهو الذي لا يُسلِّم أن الأمة قد وُجِد فيها مجتهد منذ عشرة قرون، وكل ذلك عن تجربة شخصية مع حسن البّنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وكان يعتبر حسن البّنا هو الوحيد الذي أعطته النفس مقاليد القيادة الكاملة »[(٣)] .

فهلّا احترمتم[(٤)] شعور الملايين من المسلمين على مرِّ عشرة قرون، وأنتم تزعمون أنها خالية خاوية لم تحظ بمجتهد واحد، حتى جاء القرن الرابع عشر الهجري؛ وجاء الأستاذ حسن البّنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؟! .

إن الرسول ﷺ أخبر بوجود مجدد على رأس كل مائة عام ! وأنتم تزعمون وجود مجدد على رأس كل ألف عام . . . أنسيتم هازم التتار : شيخ الإسلام ابن

(١) المجموعة، رسالة التعاليم /١٦ لحسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

(٢) تربيتنا الروحية ص ٧٥.

(٣) المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ص١٨٣ .

(٤) الكلام موجه إلى الإخوان المسلمين .

تيمية؟ ! أنسيتم بائع الملوك العز بن عبد السلام ؟ وأين يقع ابن القيم وابن كثير، وابن حجر والنووي، والذهبي، ومحمد بن عبد الوهاب، والشوكاني (رحمهم اللَّه) في قاموسكم؟ أم أنكم تعتقدون أنكم جزء مبتور من تاريخ الأمة الإسلامية الحافل بالمجتهدين والمجددين ؟! (١)

القائد مصدر التّلقّي!(٢) :

يقول الإخوان المسلمون : «إن المسلمين ليس أمامهم إلا فكر الأستاذ البنّا، إذا ما أرادوا الانطلاق الصحيح "(٣) .

ويقولون أيضاً : « إننا لا نرضى لأنفسنا أن ننطلق بعيداً عن سير الأستاذ البنّا؛ لأن التفّريط في ذلك تفريط في السّير الصحيح لنصرة الإسلام في هذا العصر! » . (٤)

ويقولون أيضاً : « ثم إنه نبتت هنا وهناك، أفكار مريضة، تريد أن تتخلّص من دعوة حسن البنّا، ومن أفكاره، فكان لا بد أن يعرف هؤلاء وغيرهم، أن الانطلاقة على غير فكر الأستاذ البنّا في عصرنا، قاصرة أو مستحيلة، أو عمياء ! إذا ما أردنا عملا كاملا متكاملا في خدمة الإسلام والمسلمين »(٥) .

فأين هذا من قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : " من نصّب شخصاً كائناً من كان،

---

(١) مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم للشيخ سليم الهلالي حفظه الله ص ١٢٥ (بتصرف يسير) .

(٢) عند بعض الجماعات والأحزاب .

(٣) في آفاق التعاليم ص ٥ .

(٤) في آفاق التعاليم ص١٢ .

(٥) في آفاق التعاليم ص ٥ .

فوالى وعادى على موافقته، في القول، والفعل، فهو: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٣٢﴾ (١) . (٢)

وقال أيضاً: « وليس لأحد أن يُنصِّب للأمّة شخصاً يدعو إلى طريقته، ويوالي ويعادي عليها، غير النّبي ﷺ، ولا يُنصّب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام اللَّه ورسوله ﷺ وما اجتمعت عليه الأمّة، بل هذا من فِعل أهل البِدع، الذين يُنصِّبون لهم شخصاً، أو كلاماً يُفرِّقون به بين الأمّة »(٣) .

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضاً: " وليس للمعلّمين أن يُحزِّبوا النّاس، ويفعلوا ما يُلقي بينهم العداوة والبغضاء، بل يكونون مثل الإخوة المتعاونين على البر والتقوى، كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(٤)، (٥) .

* * *

(١) سورة الروم آية ٣٢ .
(٢) مجموع الفتاوى : ٢٠/ ٨ .
(٣) المرجع السابق : ٢٠/ ١٦٤ .
(٤) سورة المائدة آية. ٢
(٥) مجموع الفتاوى : ٢٨/ ١٥- ١٦.

مطلب

منهج السَّلف أصحاب الحديث في الدعوة إلى اللَّه تعالى

- **توطئة :**

إن الغُلو والتَّعصّب والتَّحزّب بالباطل، سواء للجماعة، أو لقادتها ورموزها، بالإضافة لبعض الممارسات الخاطئة - نشأ عنه ردة فعل عكسية عند كثير من الناس، وخاصة لبعض الدعاة، وطلبة العلم، حتى أصبح هذا الغُلو وكأنه هو الأصل في العمل الجماعي، عِلماً بأن كثيراً من الأمور التي تكون مشروعة في الأصل قد تتزامن معها بعض الأمور السلبية، لكن هذه السلبيات لا تجعلنا نرفض الأصل المشروع، فالإسلام الآن قد شُوّه من بعض أهله وأبنائه، فهل سنرُفض الإسلام بسبب هذه الممارسات الخاطئة والشاذة ؟ ونعطِّل فريضة الجهاد؛ لأن البعض قد استغل هذا الاسم استغلالًا سيئاً ؟ ونرفض الانتساب للقبيلة والوطن لأن البعض أخذ يوالي ويعادي على هذه النسبة . . ؟

ولهذا أحببت أن أنقل أقوال العلماء حول حكم العمل الجماعي والتنظيمي للدعوة :

- **حكم العمل الجماعي**

نقصد بالدعوة الجماعية أو بالعمل الجماعي : أن يكون أسلوب الدعوة إلى اللَّه قائماً على جهود جماعية لا فردية، جهود جماعية قائمة على أساس من التنظيم والتخطيط حتى المبدأ تُؤتي الدعوة أُكلها، وتحقق أهدافها، وإليك

كلام بعض علماء العصر :

إجابة العلامَّة محدِّث الشّام / الشيخ محمد بن ناصر الدّين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

السؤال : هل ترون أن أصل فكرة العمل الجماعي اليوم بدعة وحرام، أو أن نقدكم يتناول أخطاء التطبيق ؟

فأجاب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا؛ العمل الجماعي ليس هناك مجال لإنكاره، إذا لم يقترن بالتَّحزّب . والعمل الجماعي، يشمله عديد من الآيات الكريمة ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾(١)، ﴿وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝١٨﴾(٢)، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾(٣) .

فمثل هذا التعاون الجماعي، ليس هناك مجال لإنكاره إطلاقاً، لأن الإسلام قائم على هذا التعاون، ولكن الظاهرة التي تبدو في العصر الحاضر، قد انحرفت عن هذه الغاية من التعاون على البر والتقوى، هي التي خالطها من التّحزّب، والتّعصّب إلى درجة أنه صار أمراً مهضوماً مقبولًا عند كثير من الدعاة؛ كالّتكتّل باسم الحزّب .

ونحن نعلم أن اللَّه عَزَّوَجَلَّ قد نهى في كثير من الآيات القرآنية عن التّحزّب والتّعصّب لطائفة، أو لجماعة لها نظامها الخاص، ولها منهجها الخاص، ولو لم يكن هذا النظام وهذا المنهج مطابقاً للسنة من كل جانب.

أصبح التّحزّب اليوم فِرقة، تمثِّل ما حذَّر منه النبي ﷺ في بعض أحاديثه التي تعتبر تبياناً وتفصيلًا، لمثل قوله تبارك وتعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ

(١) سورة التوبة آية ١١٩ .

(٢) سورة الفجر آية ٢ .

(٣) سورة المائدة آية ٢ .

وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[١] .

- **ضوابط العمل الجماعي أو التجمع الشرعي**[٢] :

١- الاجتماع على البر والتقوى .

٢- الدعوة إلى الكتاب والسنة على فهم السّلف .

٣- ألا تدعوا إلى معصية ولا تنصر عصبية .

٤- أن يقره أكابر العلماء من أهل السنة والجماعة .

٥- أن لا تشق عصا الطاعة لولاة الأمر من المسلمين .

٦- أن لا تكون لديهم بيعة .

٧- أن يلتزم الشريعة في وسائله .

خلاصة الأمر : التّكتّل والتّجمع في سبيل العمل بالإسلام الذي كان عليه الرسول ﷺ أمر واجب، لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان كما يقال، بل لن تقوم قائمة المسلمين، ولن يتحقق المجتمع الإسلامي، ولن تقوم الدولة الإسلامية إلا بمثل هذا التجمع، لكن شروطه : أن لا يكون عصبية لشخص، أو لطائفة دون أخرى، وإنما التّعصّب لله فيما جاء عن اللَّه ورسوله ﷺ، وعلى منهج السَّلف الصالح [٣].

أهمية النظام :

إن النظام من الوسائل الجيدة، والتي لا بد منها لحسن استخدام الجهود

(١) سورة الروم آية ٣١- ٣٢

(٢) انظر حكم العمل الجماعي في الاسلام ص ١٥- ١٧ للشيخ عبد الله السبت حفظه الله .

(٣) مجلة الأصالة العدد ١٨ محرم ١٤١٨هـ، وانظر حكم العمل الجماعي في الإسلام للشيخ عبد الله السبت حفظه الله، مراجعة العلامة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان ص٤٩- ٥١ .

وتنسيقها، ثم توجيهها إلى الهدف على نحو مثمر، خاصة في مجال الدعوة إلى اللَّه، وبالتالي زيادة فرص النجاح للداعي لبلوغ أهدافه . وبدون النظام تتبعثر الجهود [١] .

التنظيم في العمل الجماعي :

إن اجتماع طائفة من المسلمين، تتعاون وتتآزر في الدعوة إلى اللَّه ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يُعد أكبر عون لتحقيق الأهداف من دلالة الناس إلى الخير، وتبيين طريق الرشد لهم . . . إلى غير ذلك، كما يساعد هذا الاجتماع على تحقيق القوة، والمنعة للطائفة الداعية إلى اللَّه ﷻ .

ولكن هذا الاجتماع ليس إلا وسيلة من وسائل الدعوة إلى اللَّه، فينظر إلى حال الطائفة المجتمعة : «فإن كانوا مجتمعين على ما أمر اللَّه به ورسوله، من غير زيادة ولا نقصان، فهم مؤمنون، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التّعصّب لمن دخل حزبهم بالحق والباطل، والإعراض عمّن لم يدخل في حزبهم - سواء كان على الحق أو الباطل - فهذا من التفرق الذي ذّمه اللَّه تعالى ورسوله»[٢] .

١- ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «**إن كل اجتماع في العالَم، لابد فيه من التّحالف، وهو الاتفاق والتعاقد على ذلك، من اثنين فصاعداً، فإن بني آدم لا يمكن عيشهم إلا بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم، ودفع مضرتهم، فاتفاقهم على ذلك هو التعاقد والتحالف**»[٣] .

---

(١) انظر أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان رَحِمَهُ اللَّهُ ٤٦٣ - ٤٦٩ .

(٢) شيخ الإسلام ابن تيمية الفتاوى ج ١١ ص ٩٢-٩٣ .

(٣) جامع الرسائل ج٢ ص٣٠٦-٣٠٧ .

وتبدو الحاجة إلى التعاقد والتحالف أكثر في قوم لا تجمعهم طاعة مطاع؛ «**وكل قوم لا تجمعهم طاعة مطاع في جميع أمورهم، فلا بد لهم من التعاقد والتحالف فيما لم يأمرهم المطاع**»(١).

وقال أيضاً: «وما وقع بالتحالف وجب الوفاء به إذا كان أمراً شرعياً؛ لأن الشريعة المنزّلة من الأفعال التي فيها: تجب لله، وتجب لبعض الناس على بعض، تارة تجب بإيجاب الله، وتارة تجب بالعقد، كالنذر وكعقود المعاوضات والمشاركات، فلا واجب في الشريعة إلا بشرع أو عقد»(٢).

وقال أيضاً : «ليس لأحد منهم أن يأخذ عهداً بموافقته على كل ما يريده، وموالاة من يواليه، ومعاداة من يعاديه، بل من فعل ذلك كان من جنس (جنكزخان)(٣) وأمثاله: الذين يجعلون من وافقهم صديقاً موالياً، ومن خالفهم عدواً باغياً، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد اللّه ورسوله، بأن يُطيعوا اللّه ورسوله، ويفعلوا ما أمر اللّه به ورسوله، ويُحرِموا ما حرم اللّه ورسوله، ويرعوا حقوق المسلمين كما أمر اللّه ورسوله»(٤)

٢- قول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول التنظيم لجماعة الدعوة :

إجابة سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على سؤال مِن جماعة أنصار السنة المحمدية في السودان :

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، جامع الرسائل ج ٢ ص ٣٠٩ .
(٢) ينظر شيخ الإسلام، جامع الرسائل ج ٢ ص ٣٠٩ .
(٣) (جنكزخان) قائد مغولي، من نسله قادة التتار الذين اجتاحوا ديار المسلمين ولد سنة ١١٦٧م وتوفي سنة ١٢٢٧م، ينظر الموسوعة العربية المُيسِّرة ص ٦٥٠ .
(٤) الفتاوى ج ٢٨ ص ١٦ .

السؤال: هل يُعتبر التنظيم لجماعة الدعوة أمراً بدعياً كما يقول البعض ؟

الإجابة : التنظيم ليس بدعياً، ومما يعين على أداء الواجب تنظيمه، ويكون لهم رئيس يرجعون إليه، ومجلس شورى يتشاورون فيه، هذا من المهمات العظيمة ومن أسباب النجاح .

والعمل المنظّم أقرب إلى النجاح من العمل غير المنظّم، وكون الجماعة تنظّم أعمالها في الدعوة إلى اللَّه، وبتعليم الناس الخير، وفي تعمير المساجد، وفي الحرص على الأئمة المعروفين بالسّنة والاستقامة، كل هذا أمر مطلوب، وفيه خير عظيم . وليس هذا من البدع، بل هذا من الشرع، كون أهل السنة يعتنون بتنظيم أمورهم وتولية الأخيار عليهم، والتشاور فيما بينهم، فيما يفعلون ويدعون، كل هذا مما جاءت به الشريعة، واللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - يقول في وصفهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(١) .

ويقول للنبي ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٢)، ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فالاجتماع والتعاون والتشاور كله مما يحبه اللَّه ويرضاه فيما يتعلق بمصلحة المسلمين(٣) .

- **الإمارة الدعوية :**

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ(٤):

---

(١) سورة الشورى آية ٣٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٣) حكم العمل الجماعي في الإسلام للشيخ عبد الله السبت حفظه الله ص ٤٣ . قرأه وأجازه العلامة / الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله .

(٤) فتوى صادرة بتاريخ ١٤٠٢/١/١٣ هـ .

من عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز إلى حضرة الإخوان الكرام الجماعة السلفية بالجهراء الكويت وفقهم اللَّه :

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، وبعد :

فقد اطلعت على البحث المعد من أحد أعضاء الجماعة بعنوان " إمارة الدعوة - دراسة سلفية . . . وأفيد بأني قد قرأت الرسالة المذكورة كاملة، ووقفت على جميع ما فيها . ورأيت أن مقصدها يتلخص في عدم إجازة إمارة الدعوة، وتقصي الأدلة المؤيدة لها .

والذي أراه أن المقصود من الإمارة هنا - عند من يعمل بها - إدارة العمل وتوجيهه، وليس المقصود بالإمارة ما يتوهم من اللفظ من الولاية العامة .

فالإمارة هنا شبيهة برئاسة الجمعية أو الشركة أو المصلحة أو المؤسسة أو النادي، تعني كون المسمى بها هو المرجع في العمل والمدير له على المنهج المرسوم، بدليل ما أوردتم في ثنايا البحث ص ٢٤ من أنّ هذه الإمارة عند الذين يقولون بها لا تستلزم القيام بواجبات الإمارة العامة عند للمسلمين، من تنفيذ الشرع، وإقامة الحدود وإعلان الجهاد . . . الخ . وإذا اتضح هذا، واتضح المعنى المقصود بإمارة الدعوة، فإن لفظ الإمارة يبقى هنا اصطلاحاً، ولا مشاحة في الإصطلاحات بعد وضوح المعاني .

وإن الواجب على جميع إخواننا المسلمين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية هو دوام التعاون على البر والتقوى والتواصي بالصبر، والابتعاد عن الجفاء والقطعية والهجر ما دام أن غاية الجميع الوصول إلى الحق. ولا ينبغي أن يكون اختلاف المنهج والطريقة سبباً للتمايز بين الدعاة إلى اللَّه

وبذل كل منهم جهده للصد عن طريقة الآخر ونقدها إذا كانت الغاية واحدة وهي الدعوة إلى الإصلاح والتّمسك بكتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ ولم يكن في المنهج ما يخالف أوامر اللَّه ورسوله ونواهيهما، بل يجب أن يكون عمل كل منهما مكملًا لعمل الآخر، في سبيل القيام برسالة الدعوة إلى الله، ورفع رايتها في وجه الدعوات الهدامة الضالة التي ترمي إلى فساد المجتمع. تشاغل الدعاة وصرف همهم إلى نقد كل منهم للآخر والتنفير من جماعته يشكل خطراً من أكبر الأخطار على مسيرة الدعوة الإسلامية، يتيح الفرصة لأعدائها للنيل منها، ويصد الشباب عن الالتحاق بهذه الجمعيات والاستجابة لدعوتها، ويضيع الأوقات فيما لا جدوى منه، ولا طائل تحته، للدعوة وحملتها. بل يعد من أسباب الفرقة والتناحر وإحلال الكراهية والبغضاء محل الوئام والتعاون .

أسأل اللَّه أن يهدي الجميع إلى الحق وأن يمنحهم التواصي به والصبر عليه، وأن يكتب للإسلام وأهله العز والرفعة والتمكين.

وأود أن أنبه هنا إلى خطأ ما أورده الكاتب في بحثه في الفصل الثالث المعنون بقوله: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، وما صرح به الكاتب من أن زماننا هذا ليس فيه جماعة ولا إمام .

وسبب هذا الخطأ فهم الكاتب أن الجماعة لا تكون جماعة والإمام لا يكون إماماً تجب طاعته على وفق أمر اللَّه ورسوله ويؤدي له من الحقوق ما أمرت به الشريعة إلا إذا كان إماماً عاماً لكل المسلمين، لا يشذ منهم أحد من بلاد المسلمين .

والأمر خلاف ذلك، فإنه متى تم الأمر لشخص مسلم في بلد ما عن طريق البيعة أو بالغلبة والقهر، وقام بتحكيم الشريعة وتنفيذ أوامرها ونواهيها وإقامة حدودها، فقد انعقدت إمامته، ووجبت طاعنه، والجماعة التي تحت سلطانه جماعة إسلامية، لا يحل لها الخروج عليه، ولا نزع اليد من طاعته إلا إذا رأت كفراً بواحاً .

ومثل هذا كثير في تاريخ المسلمين فقد انعقدت الخلافة للعباسين في المشرق، وللأمويين في الأندلس، وكل منهم إمام على من تحت يده، وجماعته جماعة إسلامية وكذا الحال في عصرنا هذا من تعدد الحكومات، فالحكومة الإسلامية وجماعتها جماعة إسلامية ما دامت ملتزمة بتنفيذ أحكام الإسلام وتحكيم شريعة الله، ولا يخل بذلك وجود المعاصي، وهكذا كل جماعة تدعو إلى التوحيد واتباع الكتاب والسنة تسمى جماعة إسلامية في أي مكان كانت وإن لم تكن تحت رعاية سلطان ملتزم بالشريعة، وعلى كل طالب حق أن يلزم الجماعة المتصفة بهذا المعنى، وأن يساعدها ويكثر سوادها لأنها داخلة في حديث حذيفة المشهور . رزقنا اللَّه وإياكم الفقه في دينه، والسير على نهجه، وجعل أعمالنا ونياتنا خالصة لله رب العالمين[١] .

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته؛ ؛ ؛

الخلاصة : وخلاصة هذا المطلب ممكن إجماله بالتالي :

أولًا : أ- أن العمل الجماعي مشروع وهو من باب التعاون على البر

(١) انظر : حكم العمل الجماعي في الإسلام للشيخ عبد الله السبت حفظه الله، قرأه وأجازه فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله. طبعة جمعية الشريعة ١٤٢٢- ١٤٢٣هـ.

والتقوى ولا نعلم عالماً سلفياً قال بمنعه .

ب- إن المحذور في العمل الجماعي التحزب واتخاذ البيعات، فهذا نبرأ منه ونحذر إخواننا السلفين من الوقوع فيه . وهو ما حذر منه العلماء .

ج- أن يكون العمل الجماعي ظاهراً بيّناً معروفاً لدى الناس كلهم، والجماعة واضحة للكل، لا غموض في دعوتها وأشخاصها .

ثانياً : أن من لوازم العمل الجماعي اتخاذ رئيس أو مسؤول أو . . . لإدارة شؤون الدعوة دون اتخاذ بيعة أو إعطائه صفات أمير المؤمنين، وهذا المسؤول يطاع في المعروف فيما قامت الجماعة من أجله من أمور الدعوة وترتيب أحوالها، ومن لم يطعه لا يُعدُّ آثماً، وإنما على المسلم السعي للتعاون مع إخوانه، وأن لا يفرق صفوفهم .

ثالثاً : لا بد من إظهار جماعة الحق (الفرقة الناجية والطائفة المنصورة)، ويبرزهم بين الناس، ليعرف الناس دعوتهم ومنهاجهم، فيميزون أنفسهم ويظهرون دعوتهم .

رابعاً : يجب الابتعاد عن جميع الوسائل الحزبية التي فرقت الأمة إلى شيع وأحزاب، بل الدعوة للأمة بالاعتصام بحبل اللَّه . [١]

* * *

---

(١) انظر : حكم العمل الجماعي في الإسلام ص ٥٥ للشيخ عبد الله السبت حفظه الله .

المبحث الحادي عشر

إن السّعي نحو استئناف الحياة الإسلامية، وتطبيق حكم اللَّه في الأرض : واجب على الحاكم والمحكوم، عملًا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾(١) .

وبقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(٢)، وغيرها من الآيات وبقول النبي ﷺ : " أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "(٣) .

وبقوله ﷺ كما جاء في الصحيح: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا : لمن يا سول اللَّه ؟ قال : لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٤) .

فهذان الحديثان دعامة كبرى في القيام بالواجبات والحقوق، فهما يقرران المسؤولية الفردية والجماعية في النفوس والأعمال، من أن الإسلام لا بد له من أُمّة تحمله، وسلطة تحميه، وهما عنصر واحد في كفة واحدة، يتكاملان

(١) سورة النساء: آية ١٠٥ .

(٢) سورة المائدة: آية ٤٩ .

(٣) رواه البخاري ٨٤٤، ومسلم ٣٤٠٨ .

(٤) صحيح مسلم ٨٢.

ويتآلفان في غاية واحدة ويعملان لهدف واحد .

إن هذا السّعي من معاني انتمائنا للإسلام، وما يقتضيه هذا الانتماء من التزام وسلوك؛ إذ الإسلام ليس مجرد دعوى تُدَّعى، ولا شعار يُرفع، ولا مجرد نص في الدستور على أن دين الدولة هو الإسلام، ثم تسير سفينة الحياة بعدها في خط يجافي الإسلام.

كما أن على كل مسلم أن يكون انتماؤه للإسلام ليس انتماءً بالوراثة، أو انتماء بالهوية، كما أنه ليس انتماء شكلياً يستغرق حياة المسلم في أوضاع من التعبدات إنما الانتماء للإسلام يعني أن يطبِق المسلم الإسلام في بيته وأسرته، ومجتمعه وأمته ودولته وفي كل الأصعدة، وعلى جميع المستويات، وما دام قد رضي بالإسلام ديناً وعقيدة، فلا بد أن يرضى به حكماً وتشريعاً ومنهاجاً في كل جوانب الحياة، ولا يرضى به بديلًا أو عنه تحويلًا .

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " الْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَى الشَّرْعِ وَالِاتِّبَاعِ لَا عَلَى الْهَوَى وَالِابْتِدَاعِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

وَالثَّانِي : أَنْ نَعْبُدَهُ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ لَا نَعْبُدَهُ بِالْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ الْآيَةَ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ .(١)

إنّ الإسلام لن ينتصر إلّا إذا عرف كل واحد منّا واجبه فأداه كاملًا دون

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٨٠ .

وكْس، أو شطط .

ولن ينتصر الإسلام إلَّا إذا فهم المسلمون رسالتهم، وعرفوها حق المعرفة كما فهمها وعرفها المسلمون الأوائل .

إن التشريع الإسلامي، تشريع مُحكم، وعام وخالد، لا يختص بقوم دون قوم، أو جيل دون جيل، فهو موجّه إلى الناس كافة، ومع عمومية التشريع الإسلامي، فإنه شامل كذلك لكل جوانب الحياة، ومناحي الاجتماع، لم يترك شاردة ولا واردة إلَّا ذكر فيها خبراً، أو شملها حكماً، أو أدرجها تحت أصل أو قاعدة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فإنه قد عُلِم بالاضطرار من دين الإسلام :

أن رسالة محمد بن عبد اللَّه ﷺ لجميع الناس؛ عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهّادهم، وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، بل عامة للثّقلين الجنّ والإنس، وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته، وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين، وما سنَّه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله، لوجب عليهم متابعته ومطاوعته "(١) .

إن أحكام الشريعة نظامٌ متكامل متّسق، لا يعتريه التخليط أو التناقض، بل يشتمل على مصالح كلية في الجملة .

وعلى مصلحة جزئية في كل مسألة على وجه الخصوص، ولا مكان لعنصر ناشز غريب فيه، من ابتداع أهواء البشر، بل خطة ثابتة أبداً، يعتنقها المرء على

---

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

وجه القطع لا التجريب، ويتّخِذها منهاجاً دائماً، لا تدبيراً مؤقتاً لبعض مراحل حياته أو ظروفها .

وقد توافرت نصوص كثيرة من القرآن والسنة، لتدل على وحدة الشريعة، ووحدة العقيدة، وأنها السبيل القاصد إلى اللَّه رب العالمين، وكل سبيل غير جائر؛ قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] .

قواعد تطبيق الشريعة الإسلامية وأسسها

أولًا: نقطة البدء تكون بتصحيح العقيدة [2][3]:

وجلاء مفهومها الحقيقي، وارتباطها الوثيق بتحكيم شريعة اللَّه، كما بيّن اللَّه ذلك في كتابه، وكما علّمه الرسول ﷺ وأصحابه، وكما وعتها الجماهير المسلمة، خلال أربعة عشر قرنا من الزمان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[4] .

وتصحيح العقيدة بالبيان الهادي الهادف، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5] .

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) انظر : خطوط رئيسة لبعث الأمة الإسلامية، تأليف الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق .

(٣) الولاء والبراء في الإسلام ص ٣٦٢ - ٣٦٣ . للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله .

(٤) سورة النور آية ٥١ .

(٥) سورة النحل آية ٤٤ .

ثانياً : الإيمان بعموم الشريعة الإسلامية، وشمولها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان :

الإيمان بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى تغيير الوضع القائم، والتغيير يبدأ من ذوات أنفسنا من الداخل، ولا يُستورد من الخارج . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١) .

الاعتقاد بأن الشريعة الإسلامية شريعة عالمية لقد جاءت لجميع البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وأزمنهم وأمكنتهم، فالبشر جميعاً يعودون إلى أصل واحد قال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(٢) .

وما هذه التقاسيم في الجماعة الإنسانية على شعوب وقبائل وهذا الاختلاف في الأشكال والألوان والأجناس إنما هو ليعرف الناس بعضهم بعضاً . قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾(٣) .

والخصائص الإنسانية واحدة على الرغم من هذه الاختلاف ولكن هذه الوحدة لا تتم إلا إذا أقام البشر الهدف الذي من اجله خُلقوا ألا وهو عبادة اللَّه وحده . قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٤) وتحقيق ذلك يكون باتباع الدين الذي أنزله اللَّه تعالى والحاكم إلى الشريعة التي أرادها

---

(١) سورة الرعد آية ١١ .
(٢) سورة النساء آية ١ .
(٣) سورة الحجرات آية ١٣ .
(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

اللَّه أن تكون قانوناً عالمياً للناس كافة ألا وهي شريعة الإسلام قال تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[(١)]، وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[(٢)] وقال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[(٣)].

وعن جابر بن عبد اللَّه ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِىَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[(٤)].

وموضع الشاهد فيه : «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**» وفي حديث أبي هريرة عند مسلم، قال الرسول ﷺ : «**فضلت على الأنبياء بست**» فعدها والفضيلة الخامسة منها : «**وأرسلت إلى الخلق كافة**».

إن الشريعة حكمت الأمة الإسلامية في كل القرون الخاصية على الرغم من اختلاف الأزمنة والأمكنة والأجناس البشرية، وهذا من أعظم الأدلة على صلاحية هذه الشريعة لكل زمان ومكان.

إن القوانين التي تحتاج إلى تغيير دائم وتعديل مستمر هي القوانين البشرية التي يتصف واضعوها بالجهل والعجز، أما الشريعة الإسلامية المنزلة من العليم

---

(١) سورة الفرقان آية ١ .

(٢) سورة سبأ آية ٢٨ .

(٣) سورة الأعراف آية ١٨٥ .

(٤) رواه البخاري، ومسلم .

الخبير الحكيم الذي أحاط بكل شيء علماً فلا يدركها ما يدرك القوانين، ولن تتوصل البشرية يوماً إذا أنصفت إلى أحكام أفضل وأرقى من أحكام الشريعة الإسلامية : ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1] [2] .

ثالثاً : الإيمان بكمال الشريعة، ومرونتها، وصلاحيتها للخلود إلى يوم القيامة :

الإيمان بأنه لا طريق لعزِّنا، ولا سبيل لتقدمنا وسعادتنا إلَّا بالإسلام، وأن مقياس السعادة في التصور الإسلامي نابع من عبادة اللَّه وحده، وتحكيم شرعه، والإخلاص له سبحانه، وأن مصدر الشقاوة والمهانة نابع من عبادة الطاغوت والهوى والشهوة، وتلك هي دركات الشقاء التي يعيش فيها كل من أعرض عن هدي اللَّه ودينه .

قال تعالى :﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾[3] .

وقول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة بن الجراح ﷺ : «**نحن قوم أعزّنا اللَّه بالاسلام مهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله**» .

إن الشريعة الإسلامية قد أنزلت من عند اللَّه لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها، وحياة المجتمع الإنساني بكل أبعادها، فلا تضيق بالحياة، ولا

(١) سورة فصلت آية ٤٢ .

(٢) انظر: خصائص الشريعة الإسلامية للدكتور عمر سليمان الشقر، دار النفائس مكتبة الفلاح .

(٣) سورة طه آية ١٢٤ - ١٢٥ .

تضيق الحياة بها . وحسبنا أن اللَّه الذي شرعها أراد أن تكون كذلك، ومتى أراد اللَّه ذلك فلا راد لحكمه، لقد شاء اللَّه أن تكون هذه الشريعة المباركة كاملة، قال تعالى : ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(١) .

ومن الأدلة على سعة الشريعة عنايتها بإصلاح روح العبد وعقله وفكره وقوله وعمله، وعنايتها بالفرد والأسرة والمجتمع، وقد وضعت نظاماً اجتماعياً وسياسيا واقتصاديا، وشرعت قيام الدولة الإسلامية وحددت معالمها، ورسمت العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها في حالتي السلم والحرب .

- **مرونة الشريعة الإسلامية :**

إن الشريعة الإسلامية مرنة في أصولها، ولا تعني مرونتها إطلاق يد العالِم أو الفقيه أو رجل القانون من كل الضوابط .

وقد عمدت الشريعة الإسلامية في سبيل تحقيق هذه المرونة إلى التالي :

١- مخاطبة هذه الشريعة فطرة الإنسان، والفطرة وصف مشترك بين سائر البشر، وهو مستقر في نفوسهم، مرتاضة عليه عقولهم . قال تعالى : ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾(٢) .

٢- وضع أحكام هذه الشريعة لكل الأمم، ولم يراع فيها أحوال أمة من

---

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

الأمم وبيئة من البيئات، من أجل هذا جعل اللَّه هذه الشريعة مبنية على اعتبار الحِكم والعِلل التي هي من مدركات العقول، لا تختلف باختلاف الأمم والعوائد .

٣- أن كثيرا من النصوص القرآنية وردت على صورة تعبيرات كلية جامعة كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾(٢) . وقال تعالى : ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾(٣) .

ووردت كثير من الأحاديث على هيئة قواعد عامة، كقول النبي ﷺ : «**إن دماءكم وأموالكم وأبشاركم عليكم حرام**»(٤) . وقوله ﷺ : «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»(٥) . وقوله ﷺ : «**لا ضرر ولا ضرار**»(٦) . وكذلك وردت نصوص مجملة ومطلقة ولم يرد ما يقيدها، وهذا يعطي الشريعة سعة يجعلها صالحة لحكم الحياة الإنسانية .

إن الأحكام الجزئية التي نصت عليها الشريعة هي الأحكام التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان : كأحكام العبادات والزواج والميراث ونحو ذلك .

فالشريعة الإسلامية قابلة بأصولها وكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال

(١) سورة البقرة آية ١٨٥

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٥

(٣) سورة الحديد آية ٢٥

(٤) رواه البخاري في كتاب الفتن : ٨، وأحمد في مسنده : ٥/ ٣٩ .

(٥) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارقطني، وصححه . انظر منتقى الأخبار لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ص ٧٧٨ .

(٦) رواه أحمد، وابن ماجه بإسناد . صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع : ٦/ ١٩٥ .

بحيث تساير أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر .

٤- أن الشريعة الإسلامية وضعت سبلا لعلاج ما يستجد من أحكام، فقد شرعت الاجتهاد لتبين أحكام الأمور والمشكلات التي ليس لها حكم منصوص عليه في الشريعة، كما شرعت التعزير لمعالجة الجرائم التي لم ينص الشارع على عقوبة مقدرة لها، ومقدار التعزيرات وأجناسها وصفاتها تتغير بحسب اقتضاء المصلحة لها زماناً ومكاناً . (١)

رابعاً : الإيمان بأن الشريعة الإسلامية ناسخة لجميع الشرائع السابقة :

فكما أن الرسول محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل فكذلك رسالته (الإسلام) هي خاتمة الرسالات .

قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢) إخبار من اللَّه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم اللَّه به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سدّ جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي اللَّه بعد بعثة محمدًا ﷺ بدِين على غير شريعته، فليس بمتقبل. كما قال تعالى:﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾**﴾(٣) وقال في هذه الآية مخبرًا بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام:﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾. وقال تعالى:﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ**

---

(١) خصائص الشريعة الإسلامية ص ٦٠ - ٦٢ للدكتور عمر سليمان الأشقر .

(٢) سورة آل عمران ١٩ .

(٣) سورة آل عمران آية ٨٥ .

دِينًاۚ﴾(١) وهذه أكبر نعم الله، عَزَّ وَجَلَّ، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات اللَّه وسلامه عليه؛ ولهذا جعله اللَّه خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾(٢) أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه اللَّه وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي اللَّه عنهم قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ وهو الإسلام، أخبر اللَّه نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه اللَّه فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه اللَّه فلا يَسْخَطُه أبداً.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرءون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: وأي آية؟ قال قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ فقال عمر: واللَّه إني لأعلم اليوم

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة الأنعام ١١٥.

الذي نزلت على رسول اللَّه ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول اللَّه ﷺ، نزلت عَشية عَرَفَة في يوم جمعة»[١].

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[٢].

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبي ﷺ، فغضب، فقال: **أمتهوّكون [٣] فيها يا بن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني** "[٤]، **ثم قال تعالى، مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه على عدوه وعلى سائر أهل الأرض**: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [٥] أي: بالعلم النافع والعمل الصالح؛ فإن الشريعة تشتمل على شيئين: علم وعمل، فالعلم الشرعي صحيح، والعمل الشرعي مقبول،

(١) رواه البخاري، مسلم ٣٠١٧، والترمذي، والنسائي .

(٢) رواه أحمد، ومسلم ١٥٣ .

(٣) أمتهوّكون: التَّهَوُّك كالتَّهَوُّر هو الوُقُوع في الأمْرِ بِغَيْرِ رَوِيَّة. والمُتَهَوِّك: الذي يقَعَ في كُلِّ أمْرٍ . وقيل : هُوَ التَّحَيُّر (النهاية في غريب الأثر) .

(٤) أخرجه أحمد ٣/ ٣٨٧، وأخرجه الدارمي ١/ ١١٥، وابن أبي عاصم في السنة ٥/ ٢، وابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٢٤، انظر إرواء الغليل ١ / ٣٤ . وقال الألباني رحمه الله حديث حسن.

(٥) سورة التوبة آية ٣٣ .

فإخباراتها حق وإنشاءاتها عدل، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم ومليين ومشركين، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: أنه رسوله، وهو ناصره واللّه سبحانه وتعالى أعلم [١].

خامساً: الإيمان بيسر الشريعة وسماحتها، ووفائها بحاجة البشر في كل زمان ومكان:

تعريف اليسر في اللغة: اليسر نقيض العسر[٢] يقال: يَسَّر الأمر إذا سَهلَّه ولم يعسِّرْهُ، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾[٣]. أي سهلناه وجعلنا الاتعاظ به ميسوراً [٤] ومن معاني اليسر: اللين، الإنقياد. وكذلك من معانيه في اللغة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾[٥]. أي تهيئة إلى العمل الصالح [٦].

فمعاني اليسر والتيسير تدور بين: السهولة والانقياد واللين والتهيئة، وكذلك كل ما كان بعيداً عن الحرج والمشقة، ومن ذلك جملة من الآيات في القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) الصحاح للجوهري مادة (يسر) ٢/ ٨٥٧.
(٣) سورة القمر آية ١٧.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤١١.
(٥) سورة الليل آية ٧
(٦) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣٠/ ٢٢١.
(٧) سورة البقرة آية ١٩٦.

﴿تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[١]، وقوله ﷻ: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[٢].

ومن هذه المعاني التي اشتملت عليها الآيات السابقة ما علق به الزمخشري[٣] على قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٤] قال: " يريد اللَّه أن ييسر عليكم، ولا يُعسِّر، وقد نفى عنكم الحرج في الدين "[٥].

اليُسر في الشرع :

أما اليسر في الإسلام فهو: « الالتزام بأحكام هذا الدين كما أرادها رب العالمين، ثم التعامل مع هذه الأحكام والتشريعات وفق منهج اليسر الذين نتبين معالمه من خلال المنهج النبوي الكريم»[٦].

أو هو تشريع الأحكام على وجه روعيت فيه حاجة المكلف وقدرته على امتثال الأوامر واجتناب النواهي مع عدم الإخلال بالمبادئ الأساسية للتشريع[٧].

---

(١) سورة المزمل آية ٢٠ .

(٢) سورة الإسراء آية ٢٨ .

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري أبو القاسم المفسر الأديب اللغوي من اشهر مؤلفاته الكشاف (وهو مليئ بالاعتزاليات) واساس البلاغة نوفي سنة ٥٣٨ هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ١٥٣ والأعلام للزركلي ٧/ ١٧٨ .

(٤) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٥) الكشاف ١/ ٢٢٨ .

(٦) خصائص الشريعة الإسلامية د. عمر الأشقر ص ٧٠ .

(٧) انظر : مظاهر التيسير للشريعة الإسلامية . كمال جودة أبو المعاطي ص ٧ .

- **أهداف اليسر في الإسلام**

١- الأهداف العقدية :

يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ومنها أن تكون التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسع الأمي تعقلها ليسعه الدخول تحت حكمها وأن تكون من القرب للفهم، والسهولة على العقل بحيث يشترك فيها الجمهور من كان منهم ثاقب الفهم أو بليداً. فإنها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص لم تكن الشريعة عامة ولم تكن أمية وقد ثبت كونها كذلك »[١]. ولقد كان يسر الإسلام عاملًا قوياً في سرعة انتشاره وإقبال الناس عليه.

٢- الأهداف التعبدية :

إن المتتبع لأبواب الشريعة يرى أنها تهدف من وراء يسر التكاليف وسهولتها إلى تمكين المسلم من أداء العبادة بحسب ظروفه، سواء أكانت هذه الظروف خاصة بالجهل، أم بالإكراه، أم بالعجز وعدم القدرة .

راعى الإسلام جميع الأحوال التي قد يتعرض لها المسلم، فأباح له أن يتيمم عند عدمه للماء، أو خوفه على نفسه باستعماله لبرد أو مرض شديد "[٢].

وكذلك تهدف الشريعة من وراء يسر التكاليف المحافظة على النفس، فالمريض الذي يخشى أن يزيد الصوم من مرضه، أو يؤخر من شفائه، جائز له الفطر، وعليه الإعادة إن عادت له القدرة، قال تعالى : ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٣].

(١) الموافقات للشاطبي ٢/ ٨٨ .

(٢) صورة من سماحة الإسلام للدكتور عبد العزيز الربيعة ص ٤٩ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٥.

٣- **الأهداف الاجتماعية :**

ومن ذلك قاعدة «**العرف**»، وهو ما تعارف الناس وساروا عليه من قول أو عمل، مما لا يخالف دليلًا شرعياً .

كما يهدف الإسلام من تيسيره التعاملي : ضمان السرعة، والمرونة، لأنهما عنصران لازمان لنجاح الكثير من التعاملات المالية .

ومن أجل ذلك حرصت الشريعة الإسلامية على مراعاة التيسير من الناحيتين الشكلية والموضوعية فيما تنظمه من العقود المالية والتجارية، ويظهر ذلك واضحاً في آية الدين من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾(١) فاشترطت الآية الكتابة لإثبات الدين، سواء كان صغيراً أو كبيراً، ولكنها استثنت من هذا المبدأ العام الدين التجاري، فأباحته من غير كتابة، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾(٢) والعلة في استثناء الديون التجارية من شرط الكتابة (واللَّه أعلم) أن الصفات التجارية تقتضي السرعة، ولا تتحمل الانتظار، ولأن المعاملات التجارية أكثر عدداً وتكراراً وتنوعاً، فاشتراط الكتابة فيها يؤدي إلى الحرج، وقد تضيع فرصة الكسب على المشتري، أو تعرض البائع للخسارة(٣) .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢.

(٣) انظر: الفكر الإسلامي والتطور ص٦٩-٧٠ .

٤- الأهداف السلوكية :

إن منهج اليسر في الإسلام منهج متكامل ، يُعنى بالحياة من جميع جوانبها ، ومن ذلك مراعاة الجوانب السلوكية ، مما يضمن له الشمول والبقاء ، ومن ذلك :

إبعاد السآمة والملل : وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله : « **خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن اللّه لا يمل حتى تملوا** »(١) .

قال الحافظ ابن حجر(٢) : «قوله : باب ما يكره من التشديد في العبادة» ، قال ابن بطال(٣) «إنما يكره ذلك خشية الملال المفضي إلى ترك العبادة»(٤) والملال : استثقال الشيء ونفور النفوس عنه بعد محبته(٥) .

- **ضوابط اليُسر في الإسلام**

تعريف الضابط : ومعناه القاعدة الكلية ، ويراد بها هنا : القيود التي تحدد نطاق الموضوع(٦) . إن بناء الشريعة في أصولها وأهدافها على اليسر . ومن ضوابطه :

١- أن يكون التيسير ثابتاً بالكتاب أو السنة ، حتى يتسنى للمسلمين العمل به

---

(١) رواه مسلم كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ ٢/ ٨١١ .

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، الحافظ من أئمة الحديث، أشهر من شرح صحيح البخاري، مؤلفاته عديدة منها، الإصابة في تمييز الصحابة، تهذيب التهذيب. توفي عام ٨٥٢هـ انظر: الأعلام (١/ ١٧٨).

(٣) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي أبو الحسن، من كبار المالكية، من أشهر شراح البخاري،توفي سنة ٤٤٩هـ انظر السير ١٨/ ٤٧.

(٤) فتح الباري ٣/ ٤٤.

(٥) انظر: فتح الباري ١/ ١١٧.

(٦) الضوابط الشرعية للأخذ بأيسر المذاهب . وهبة الزحيلي ص : ٥٣ .

واعتماده، لا أن يكون التيسير بحسب الهوى، أو ناتجاً عن ضغط الواقع القائم في مجتمعاتنا المعاصرة .

٢- عدم مجاوزة النّص في الأخذ بالتيسير : فلا يجوز الاستزادة في التخفيف والتيسير - لا كمّاً ولا كيفاً - على ما ورد به النص، فلا يجوز لمن يستطيع الصلاة جالساً أن يصليها مستلقياً .

٣- ألا يعارض التيسير نصاً من الكتاب أو السنة : قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[١] وأمر بالرد إليهما عند النزاع .

وقد قرر أهل العلم قواعد فقهية مستلهمة من هذا الأصل، كقولهم : « لا اجتهاد مع النّص »، « ولا مساغ للاجتهاد في مورد النص»[٢] .

ومن ذلك : ما يزعمه البعض من التخفيف والإشفاق على المذنب المحكوم عليه بحد معين، مع أن اللّه تعالى قال : ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٣] .

وأن بعض دعاة التطور، والعصرانية والتيسير لم يفرقوا بين مبادئ الشريعة التي لا يعتريها التبدل والتغير، والفروع التي يمكن أن توصف بهذه الأوصاف، فأجروا على الشريعة ما لا يجري على القوانين الوضيعة ذاتها، وحملوا النصوص، على غير محملها، وجعلوا التيسير الموهوم، والنفع المزعوم ضابطاً يتقلب مع الحكم، وجوداً وعدماً، وهذا افتئات على النصوص

(١) سورة الحجرات آية ١ .
(٢) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية لمحمد صدقي البورنو ص ٢٥٥ .
(٣) سورة النور آية ٢ .

وتضييع لحق اللَّه في التشريع .

٤- أن يكون التيسير مقيداً بمقاصد الشريعة [١] : ومعنى هذا الضابط : أن اليسر لا بد أن يكون داخلًا ضمن المقاصد التي جاء الشرع لتحقيقها .

فالشريعة الإسلامية جاءت لتحقيق مصالح الخلق إثباتاً وإبقاءً ، واليسر يجب أن ينطلق من الشرع ، و يتقيد بقيوده ، فلا التفات لتيسير يحكم به العقل وحده ، وإن توهم متوهم أنه كذلك " ونصوص القران والسنة لا تعتبر التيسير إذا أدى إلى الإخلال بأحد المقاصد الشرعية ، ومن ذلك قول تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧﴾ [٢] فالتيسير لم يعتبر هنا ، ولم يرخص لهؤلاء بالقعود في أرض يذل فيها الإسلام و أهله ، فذلك منافٍ للعزة التي ينبغي للمسلم أن يسعى للاصطباغ بها .

وفي قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ﴾[٣] فقد يسبق إلى الوهم أن شدة الحر قد تسبب التخفيف إن وقعت ، والحقيقة ليست بذلك ؛ لأن التخفيف هنا يتنافى مع مقصد من أهم مقاصد الشارع ، وهو سيادة الإسلام ، ولن تكون له سيادة مع الركون إلى الدعة والتخفيف ، والتيسير المطلق من كل القيود[٤] .

---

(١) مقاصد الشريعة : جاءت الشريعة لحفظ : ١- الدين ، ٢- النسل (العرض) ، ٣-العقل ، ٤- المال ، ٥- النفس .

(٢) سورة النساء آية ٩٧ .

(٣) سورة التوبة آية ٨١ .

(٤) منهج التيسير المعاصر ودراسة تحليلية عبد الله بن إبراهيم الطويل ص ١٣ ، ٤٥ ، ٣٢٧ .

قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[(١)] .

- **سادساً : التّدرّج في الأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية :**

إن الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، يجب أن تكون جامعاً بين تحريك الإيمان في النفوس، وإثارة الشعور الديني، وبين إكمال الوعي وتنميته وتربيته[(٢)] .

ومعنى هذا : أن الكثير من متطلبات التغيير الذي يستلزمه الإصلاح، يحتاج إلى استعداد نفسي كبير، فإذا فُرض من غير طريق الاستعداد النفسي العميق، لم يثمر الثمرة المرجوة .

ونذكر - على سبيل المثال - : قصة الخمر" وتحريمها في الإسلام، فقد كانت شائعة في المجتمع الجاهلي شيوعاً كبيراً، وكانت الظاهرة البارزة المتداخلة في تقاليد هذا المجتمع فبماذا قاومها التشريع الإسلامي؟

لقد عالجها التشريع الإلهي ببضع آيات من القرآن الكريم، وعلى مراحل، وفي رفق وتؤدة، دون حرب، ودون إراقة دماء !! .

وهنا مثال من سيرة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ « فقد أراد عمر أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الأربعة، وذلك بعد أن يتمكّن ويُمسك الخيوط في يديه، ولكن كان ابنه الشاب الغيور، عبد الملك من الأتقياء المتحمّسين، وها هو يُنكر على أبيه، بعدم إسراعه في إزالة بقايا الانحراف،

---

(١) سورة الحج آية ٧٨ .

(٢) الدعوة الإسلامية، الوسائل، الخطط المداخل ص ٣٩٩ ٤٠٠، .

والمظالم والتعفية على آثارها، وَرَدِّ الناس إلى سنن الراشدين، فقال عبد الملك لأبيه يوماً: مالك يا أبت! لا تنفذ الأمور؟ فو اللَّه ما أُبالي، لو أن القدور غلت بي وبك في الحق!! فكان جواب الأب الفقيه المؤمن: لا تعجل يا بُنّي! فإن اللَّه ذمّ الخمر في القرآن مرتين، وحّرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جُملة، فيدعوه جُملة، فيكون من ذا فتنة»[١].

ومن هنا كان لزاماً على الذين يدعون إلى استئناف الحياة الإسلامية، وإقامة دولة الإسلام في الأرض، أن يرعوا سنَّة التدّرج في تحقيق ما يريدون من أهداف، آخذين في الاعتبار سموِّ الهدف، ومبلغ الإمكانات وكثرة المعوقات[٢]، ولابد أن يأخذوا أسوة العهد النبوي الزاهر، ويسيروا بطريق متزَّن، ويدركوا طبيعة هذا الدين ومنهجه في الحركة على النحو الذي بيّناه.

فيجب أن تخلص القلوب أولًا لله، وتُعلن عبوديتها له وحده بقبول شرعه وحده ورفض كل ما سواه، ثم بعد أن تتقرر " عقيدة التوحيد" على مهل، وفي عمق وتثبت، وبعد أن تتمثلها نفوس حيّة وضمائر حية متكيفة بها ومتفاعلة معها ومستجيبة لها . . . يأتي بعد ذلك التدرج في الخطوات، وإعطاء كل خطوة ما تستحقها من العناية والدراسة.

سابعاً: الثّبات والصّبر والتّأني وعدم اليأس والقنوط:

إن الدعوة إلى استئناف الحياة الإسلامية، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، تحتاج إلى الصبر والتأني، وعدم التسرّع وتعجل الثمار، والثبات

---

(١) الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ٢/٦٦ مطابع المدني بالقاهرة.
(٢) الصحوة الإسلامية د. يوسف القرضاوي حفظه الله ص ١٠٥.

والتوكل وعدم اليأس والقنوط، ولنذكّر بما فعله النبي ﷺ يوم صاح بعقيدة التوحيد :

كانت مئات الأصنام صفوفاً داخل الكعبة وحولها، وقد مكث ثلاثاً وعشرة سنة يدعو إلى التوحيد وإخلاص العمل لله تعالى .

وفي السّنة الحادية والعشرين من بدء الدعوة، أي بعد مُضي ثمان سنوات على الهجرة : هَدَمَ الأصنام، حتى إنه- عليه الصلاة والسلام- في عمرة القضاء لم يمسّ منها وثناً وكانت قبل فتح مكة بسنة (١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " كثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغيُّرَ كثيرٍ من أحوال الإسلام، جزع، وَكَلَّ، وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن اللَّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن يؤمن بأن العاقبة للتقوى، كما قال ربّ العزة - جلّ وعلا -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾(٢)(٣) .

إن النفوس جُبِلت على حبّ من أحسن إليها . . . وقد تدفعها القسوة والشدة أحياناً إلى المكابرة والإصرار والنفور، فتأخذها العِزَّة بالإثم والتمادي في الذنب، فيجب بذل النصح، وإسداء المعروف بأسلوب مؤثّر

---

(١) أما اليوم فيريد بعض منّا الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في النهار، والقيام على من لم يحكم بها في المساء ! والنتيجة التي لا محيص عنها صِدامات متتابعة، ومتاعب متلاحقة، يحمل الإسلام مغارمه دون فائدة أو ثمرة .

(٢) سورة النحل آية ١٢٨ .

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/ ٢٩٧ .

يفتح القلوب، ويشرح الصدور، والدعوة إلى إدراك حقيقة الإسلام بالتفقه والتعلم، ومعرفة أصول الإسلام وأحكامه وحلاله، وحرامه وفهم خصائصه واستيعاب مراميه .

روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : « . . . إنما نزل أول ما نزل منه [١] من المُفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً»، ولو نزل : لا تزنوا " ! لقالوا : لا ندع الزِّنا أبداً . . . "[٢] . فيجب مراعاة سنن اللَّه الكونية والشرعية في التدّرج والصبر على الأشياء حتى تنضج وتبلغ مداها .

وكذلك بدأ ديننا - أول ما بدأ - عقيدة سهلة، ثم أنزل اللَّه التكاليف شيئاً فشيئاً، وفرض الفرائض، وحرّم المحرمات، وفصَّل الشرائع بالتدرج، حتى كمل البناء وتمت النّعمة، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٣] .

ولئن كان التيسير والرفق واللّين مطلوبين في كل زمان، فإنه في زماننا ألزم وأكثر تطلباً، نظراً لما نراه ونلمسه من رقة الدِّين وضعف اليقين، وغلبة الحياة المادية على الناس، قال اللَّه تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ

(١) أي من القرآن الكريم .
(٢) انظر : صحيح البخاري ٦-١٠١- باب ٦ من كتاب فضائل القرآن .
(٣) سورة المائدة آية ٣، وانظر: الصحوة الإسلامية للشيخ القرضاوي ص١٠٤ - ١٠٥، بتصرف.

أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [١] .

كيفية تطبيق الأحكام الشرعية وتنفيذها عملياً ؟

مما لا يشك فيه عاقل أن أحكام الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تُطبَّق بين عشيَّة وضحاها في البلاد الإسلامية، ولا يُعقل أن يكون ذلك موكولًا إلى الصدفة، أو أن يتم ذلك بالحديد والنار! أو أن نتطلَّع بشوق إلى تغيير الواقع، دون أن يخطر في بالنا أن ذلك لن يتم إلا إذا سرنا في طريق متَّزن، وخطوات عملية مدروسة، ووَفْقَ خطة مرسومة، تُعتبر من أكبر مهمات الفكر الواقعي، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلّا الصادقون [٢] .

❊ ❊ ❊

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) انظر : تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، تأليف أ.د. الشيخ صالح بن غانم السدلان حفظه الله .

تقويم الفصل السابع

السؤال الأول: حدِّد ستة أسباب لوضع الحديث :

١) .. ..

٢) .. ..

٣) .. ..

٤) .. ..

٥) .. ..

٦) .. ..

السؤال الثاني: متى يبدَّع الرجل المنتسب إلى الإسلام ؟

.. ..

.. ..

.. ..

السؤال الثالث: عرِّف ما يلي :

١. العبادة شرعاً : .. ..

٢. التقليد اصطلاحاً : .. ..

٣. الحديث الضعيف: .. ..

٤. التصفية هي: .. ..

٥. العمل الجماعي: .. ..

السؤال الرابع: الشرك أعظم ذنب عُصي اللّه به، وله أسباب كثيرة اكتب أربعة منها.

١) .. ..

٢) .. ..

٣) .. ..

٢) .. ..

السؤال الخامس: ضع (√) أمام الجملة الصحيح و (×) أمام الجملة الخطأ.

١. التقليد لا يجوزمطلقاً . ( )

٢. الإسلام ينهى عن العصبيات بكافة أشكالها. ( )

٣. من أمثلة البدعة الحقيقية الذِكر الجماعي ( )

٤. من مراتب العلم حسن السؤال والإنصات. ( )

٥. لا يجوز الإنكار في مسائل الخلاف مطلقاً. ( )

٦. إن تربية الإنسان هي من أسهل الأمور. ( )

٧. لا يحتج ولا يعمل بالحديث الضعيف مطلقاً قول البخاري ومسلم( )

٨. الدعوة إلى القومية العربية تفرّق بين المسلمين. ( )

٩. طلب العلم فرض عين على كل مسلم ( )

١٠. الأخلاق منها ما هو جِبِلي ومنها ما هو كسبي. ( )

السؤال السادس : متابعة النبي ﷺ لا تتحقق إلا بستة أمور بينها مع الأمثلة.

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

السؤال السابع: ضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب :

(الاتباع - المبتدع - العلم - توقيفية - الموضوع - ركاكة - التوحيد - التقليد)

١) .. .. يعصم الدم، وتقوم عليه عقيدة الولاء والبراء .

٢). . . . . هو الحديث المختلق والموضوع .

٣) . . . . أدى إلى تقديم الرأي المجرد على الدليل.

٤) أسماء اللَّه تعالى وصفاته . . . . لا تثبت إلا بالكتاب والسنة.

٥). . . . . عمله مردود عليه .

٦) . . . . اللفظ من علامات الحديث الموضوع.

٧) تحكيم السنة والتحاكم إليها من مظاهر . . . .

٨) من ثمرات . . . . اليقين بالآخرة .

السؤال الثامن : اذكر باختصار ضوابط هجر أهل البدع.

.. ..

.. ..

السؤال التاسع : اختر من المجموعة الأولى ما يناسبه من المجموعة الثانية

م	المجموعة الأولى	الإجابة	المجموعة الثانية
١	شرك التّسمية		(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)
٢	إلى متى نُربّي؟		اتباع المتشابه
٣	الاتباع		ضوابط العمل الجماعي
٤	أهل البدع		خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
٥	الغلو في بعض الجماعات الدعوية		العلة الفاعلة
٦	أهمية التوحيد		أن يكون ثابتاً بالكتاب والسنة
٧	التعصب المذهبي		عدم مجالستهم
٨	الدعوة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة		الجماعة مصدر الحق والقائد مصدر التلقي
٩	ضوابط اليسر		المسلم يلزم بمنهج الكتاب والسّنة
١٠	الموقف من أهل البدع		فتح باب الحيل

* * *

الفصل الثامن

نتائج الالتزام بمنهج السَّلف وثمراته

المبحث الأول : تحقيق كمال الدين وإتمام النّعمة وقيام الحجة

المبحث الثاني : ثبوت العصّمة للشريعة .

المبحث الثالث : التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الرابع : تعظيم نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الخامس : ربط المسلم بِسلفه الصالح، وبالعلماء الربَّانيِّين.

المبحث السادس : السّكوت عمّا سكت عنه السّلف .

المبحث السابع : الثّبات على الحق والطمانينة به وعدم التقلّب

المبحث الثامن : تُوحّد صفوف المسلمين، وتجمع كلمتهم

المبحث التاسع : الهداية والنصر والتمكين في الدنيا

المبحث العاشر : طريقة السّلف : أسلم، وأعلم، وأحكم .

❋ ❋ ❋

المبحث الأول

تحقيق كمال الدين وتمام النِّعمة وقيام الحجة

فالإلتزام بهذا المنهج فيه اعتراف حقيقي بأن اللَّه تعالى أكمل الدِّين، وأتم النِّعمة، وأن الرسول ﷺ بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وكشف اللَّه به الغُمّة، وأقام الحُجّة، وأوضح المحجّة، وأن الصحابة (رضوان اللَّه عليهم) أقاموا الدِّين عِلماً وعَملًا، وبلغوه لفظاً ومعنى . ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٣] .

وقال حذيفة رضي الله عنه : «. . . لقد توفي رسول الله ﷺ: وما طائر يقلب جناحية في السماء إلا ذكر منه علماً»[٤] .

* * *

(١) سورة المائدة آية ٣ .

(٢) سورة الأنعام: آية ٣٨ .

(٣) سورة النحل: آية ٨٩ .

(٤) رواه أحمد ٥/ ١٥٣ .

المبحث الثاني

ثبوت العِصمة للشريعة

إن الالتزام بهذا المنهج يفيد العِصمة للشريعة الحكيمة، بحيث لا يجوز الاستدراك عليها؛ كما هو لسان حال أهل البدع والعلمنة.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث

التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة

الالتزام بهذا المنهج يفيد التصديق بجميع نصوص الكتاب والسنة، والاستدلال بها مجتمعة - ما لم يكن بين بعضها تناسخ - لأنها خرجت من مشكاة واحدة؛ قال اللَّه تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

* * *

(١) الزمر الآية ٣٢ - ٣٣ .

المبحث الرابع

تعظيم نصوص الكتاب والسنة

الالتزام بهذا المنهج يجعل المسلم في موقف المعظِّم لنصوص الكتاب والسنة، لأنه يعتقد أن كل ما تضمنته هو الحق والصواب . ومن أدلة ذلك :

١- ما رواه عبد اللَّه بن مُغفل رضي الله عنه، إنه رأى رجلًا يخذف، فقال له : « لا تخذف؛ فإن رسول اللَّه ﷺ نهى عن الخذف، وقال : أنه لا يُصادُ به صيدٌ، ولا ينكأُ به عدوّ، ولكنها قد تكسَر السِنّ، وتفقأ العين ». ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له : « أحدِّثُك عن رسول اللَّه ﷺ أنه نهى عن الخذف[1] وأنت تخذف ! لا أُكلمك أبداً »[2]

٢- وما رواه سعيد بن المسيّب رحمه الله : « أنه رأى رجلًا يُصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيها الركوع والسجود، فنهاه سعيد عن ذلك؛ فقال: يا أبا محمد!، يُعذّبني اللَّه على الصلاة؟! قال: لا، ولكن يُعذِّبُكَ على خلاف السّنة »[3].

---

(١) الخَذْفُ، كالضَّرْبِ رَمْيُكَ بِحَصاةٍ أو نَواةٍ أو نَحْوِهِما، تَأْخُذُ بَيْنَ سَبَّابَتَيْكَ تَخْذِفُ به أو بِمِخْذَفَةٍ من خَشَبٍ.

(٢) أحمد ٤/٨٦ و ٥/٥٤، ٥٥، ٥٦ والبخاري ٤٨٤١، ٥٤٧٩، ٦٢٢٠، ومسلم ١٩٥٤، .

(٣) أخرجه الدارمي ١/ ٤٠٤ - ٤٥٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٢ / ٤٦٦، وعبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٢ - ٤٧٥٥ .

٣- وعن سالم بن عبد اللَّه بن عمر، عن أبيه - رحمهم اللَّه ورضي عنهم - قال : قال عمر : "إذا رميتم الجمرة، وذبحتم وحلقتم، فقد حَلَّ لكم كل شيء حَرُمَ عليكم - إلا النساء والطيب" .

قال سالم : « وقالت عائشة رضي اللَّه عنها : « طَيَّبْتُ رسولَ اللَّه ﷺ لحرمه قبل أن يُحرمَ ولِحِلِّه بعد ما رمى الجمرة وقبل أن يزور ». قال سالم : « وسنةُ رسول اللَّه ﷺ أحقُ أن تُتَّبَع »[(١)] .

* * *

(١) أخرجه الحميدي في مسنده ١/ ١٠٥ - ٢١٢، والشافعي في كتابه الأم ٢/ ٢٠٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٥ / ١٣٥ والهروي في ذم الكلام ٢/ ٢٢٨ - ٢٩٩/ ٢٩٥ .

المبحث الخامس

ربط المسلم بسلفه الصالح، وبالعلماء الربانيين

عرفنا أن السلفية تطلق ويراد يها أحد معنيين :

أحدهما : الحقبة التاريخية التي تختص بأهل القرون الثلاثة المفضلة؛ لحديث : " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . . . "[١] .

الثاني : الطريقة التي كان عليها أهل تلك القرون الفاضلة من التمسك بالكتاب والسّنة وتقديمها على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم الصحابة والسّلف .

فالسلفية بالمعنى الثاني منهاج باقٍ إلى يوم القيامة يصح الانتساب إليه متى التزمت شروطه وقواعده؛ لحديث : «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر اللّه وهم كذلك**» .

وعليه، فكل أحد وإن تأخر زمانه عن عصر السّلف، لكنه التزم منهاجهم في العلم والعمل فهو منهم، وسلفي معهم، فالمرء مع من أحب . قال أبو الوفاء بن عقيل لبعض أصحابه: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن مثلهم وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت "[٢] .

(١) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٢٩٤ . والصحيحة ٦٩٩ .

(٢) تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ص: ٨٥ . انظر: «منهج الاستدلال» د.عثمان بن علي حسن حفظه الله.

ويكون ذلك بالتزام منهجهم بالعلم والعمل؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[(١)].

واعتقاده بأن طريقة السّلف الصالح هي الأسلم، والأعلم، والأحكم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لقد كذبوا على طريقة السَّلف، وضلّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السَّلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف"[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الحشر آية ١٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٩ .

المبحث السادس

السّكوت عمّا سكت عنه السّلف

ما من مسألة سكت عنها الصحابة والسَّلف الصالح، وتكلم فيها الخلف - ولا سيّما فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد والإيمان - إلا كان السّكوت عنها أولى وأليق.

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصيته لِعدي بن أرطأة: «فإن السّنة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزّلل، والحمق والتّعمّق، فارضَ لنفسك بما يرضى به القوم لأنفسهم، فإنهم عن عِلم وقفوا، وببصر قد كَفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى - بفضل - لو كان فيه أجر، فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم - ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنّتهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلّموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مُقصر، وما فوقهم مُحسر، لقد قصر عنهم آخرون فضلُّوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»(١).

* * *

(١) الشريعة للآجري ٢٣٣ .

المبحث السابع

الثبات على الحق والطمأنينة به، وعدم التقلب

ومن أهم نتائج الالتزام بمنهج السَّلف هو الثبات على الحق إلى الممات وعدم التّقلّب.

والثبات: هو الاستقرار، فقولهم: ثَبَتَ ثَباتاً وثُبوتا، أي: استقر[١].

كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[٢].

قال العلّامة ابن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر اللّه تعالى أنه يُثبّت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبي التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويستثمرها، فيثبتهم اللّه في الحياة الدنيا عند ورود الشُبهات، بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات، بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه اللّه على هوى النفس ومرادها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على دين الإسلام والخاتمة الحسنة»[٣].

كما أمر اللّه تعالى نبيه صلوات اللّه وسلامه عليه بالثبات على الحق، والاستقامة عليه حتى الموت؛ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ

---

(١) المعجم الوجيز ٨١.

(٢) سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٥٨٤ للسعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[١]. ، فأمره بالاستقامة ومن معه من المؤمنين؛ كما أُمروا أن يسلكوا ما شرعه اللَّه من الشرائع ويعتقدوا ما أخبر اللَّه به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويداوموا على ذلك[٢]. كما قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[٣].

والثبات مِنّة من اللَّه تعالى، كما ذكر منته على رسوله محمد ﷺ وحفظه من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق؛ فقال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾[٤]. ثم ذكر تثبيته فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾[٥]. على الحق وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[٦].

وقد ذكر اللَّه في كتابه أن من أهم أسباب الثبات على الحق - بعد تثبيت اللَّه - هي قصص القدوات من الأنبياء وغيرهم؛ قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[٧]، أي: ثبتنا قلبك ليطمئن ويثبت وتصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن التقوى تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال،

---

(١) سورة هود آية ١١٢
(٢) المصدر السابق ٥٣ .
(٣) سورة الحجر آية ٩٩ .
(٤) سورة الإسراء آية ٧٣ .
(٥) سورة الاسراء آية ٧٤ .
(٦) سورة الإسراء آية ٧٤ .
(٧) سورة هود آية ١٢٠ .

وتريد المنافسة لغيرها، ويتأثر الحق بذكر شواهده.

فإن التّقلب عادة أهل الأهواء والبدع، قال حذيفة بن اليمان ﵁ : «إن الضلالة -حق الضلالة- أن تعرِف ما كنت تُنكر، وتُنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في الدين فإن دين اللَّه واحد».

وعن عيسى بن مَعن قال : انصرف مالك بن أنس ﵀ يوماً من المسجد وهو متكئ على يدي، فَلَحقه رجل يقال له أبو الجويرية، كان يُتَّهم بالإرجاء، فقال :« يا أبا عبداللَّه ! اسمع مني شيئاً أُكلمك به، وأُحاجكَ وأخبرك برأيي، قال : فإن غَلَبتني ؟ قال : إنْ غلبتك اتبعني، قال : فإن جاء رجل آخر فكلَّمنا فغلبنا ؟ قال : نتبعه . قال مالك ﵀ : بعث اللَّه ﷿ محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين» .

قال عمر بن عبد العزيز ﵀ : «من جعل دينه غرضاً للخصومات، أكثر التّنقُّل»(١) .

وقال شيخ الإسلام ﵀ : «وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة».

قال الشيخ أبو عبد اللَّه محمد بن عبد الكريم الشهرستاني(٢) : إنه لم يجد

---

(١) صحيح أخرجه الدارمي ١/ ٣٤٢/ ٣١٢، والآجري في الشريعة ١/ ١٨٩/ ١٢٢، وابن سعد في الطبقات ٥/ ٢٧٣ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٦)، وابن بطة في الإبانة ٥٦٦ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢/ ٩٣١ ١٧٧٠ ، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٦١٢ ، وصححه أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ١ / ١٠٥ مراجعة الشيخ عبدالله بن صالح العبيلان حفظه الله.

(٢) الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهر ستاني ولد سنة ٤٦٧ هـ =

عند الفلاسفة والمتكلِّمين إلا الحيرة والندم، حيث قال :

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها   وسيّرت طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائرٍ   على ذَقَنٍ أو قارعاً سنَّ نادمِ

قال أبو المعالي الجويني [١] : يا أصحابنا ! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به . ويقول أيضاً : لقد جِلت أهل الإسلام جولة وركِبت البحر العظيم، وغصت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطف أمره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص "[٢] .

وكذلك قال شمس الدين الخسرو شاهي - وكان من أجلِّ تلامذه فخر الدين الرازي- لبعض الفضلاء وقد دخل عليه يوماً قال : ما تعتقده ؟ قال : ما يعتقده المسلمون، فقال : أنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟ - أو كما قال -

---

= وقيل: ٤٧٩ هـ متكلم على مذهب الأشعري، يلقب بـ : شيخ أهل الكلام والحكمة. اتهم بالميل إلى أهل البدع من الاسماعيلية والدعوة إليهم، قاله ابن السمعاني. متهم بالإلحاد والغلو في التشيع. له كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام و (الملل والنحل). وتوفي في ٥٤٨ هـ. (انظر لسان الميزان لابن حجر ٢/ ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ٢٨٦، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٥٧، وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٢٧٤ .

(١) أبو المعالي الجويني : الإمام الكبير، شيخ الشافعية، إمام الحرمين، أبو المعالي، عبد الملك ابن الامام أبي محمد عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين الشافعي، صاحب التصانيف.
ولد في أول سنة تسع عشرة وأربع مئة. (سير أعلام النبلاء) .

(٢) تلبيس إبليس ٨٤- ٨٥ .

فقال: نعم، فقال : أشكر اللَّه على هذه النِّعمة، لكني واللَّه ما أدري ما أعتقد، واللَّه ما أدري ما أعتقد ! واللَّه ما أدري ما أعتقد ! وبكى حتى اخضلت لحيته ! .

ولابن أبي الحديد [(١)]- المشهور بالعراق قال - :

فِـيـكَ يـا أُغـلوطـة الـفِـكَـر ... حـار أمـري وانـقـضـى عُـمُـري
سَـافَـرَتْ فِـيـكَ الـعُـقُـولُ فـمـا ... رَبِـحَـتْ إلّا أذى الـسَّـفَـر
فَـلَحَـى الـلَّه الألـى زَعَـمُـوا ... أنّـك الـمَـعْـرُوفُ بـالـنَّـظَـر
كَـذَبُـوا إنَّ الـذَّي ذَكـروا ... خـارِجٌ عـن قُـوَّةِ الـبَـشَـر

وقال الخونجي[(٢)] عند موته : «ما عرفتُ مما حصَّلتُهُ شيئاً سوى: أن الممكن يفتقرُ إلى المرجِّح»، ثم قال :«الافتقارُ وصف سلبي، أموت وما عرفتُ شيئاً».

وقال آخر [(٣)] : «أضطجعُ على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين حُجج هؤلاء، وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجّح عندي منها شيء» .

ومن يصل إلى مثل هذه الحال، إن لم يتداركه اللَّه برحمته، وإلا تزندق،

---

(١) هو: عزّ الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني المعتزلي الكاتب الشاعر، صاحب شرح نهج البلاغة" توفي سنة ٦٥٥ هـ انظر : الوفيات ٢/ ٢٥٩، والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٩ .

(٢) الخونَجي : هو محمد بن ناماور بن عبد الملك الخونجي، فارسي الأصل، انتقل إلى مصر، تولى القضاء بها، توفي سنة ٦٤٦ هـ، وله كتاب "كشف الأسرار عن غوامض الأفكار " في المنطق . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣/ ١ ورقم الترجمة ١٤٦، وانظر " درء تعارض العقل مع النقل ١/ ١٦٢، ٣/ ٢٦٢ .

(٣) هو محمد بن سالم بن واصل الحموي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ انظر «درء تعارض العقل والنقل» ١/ ١٦٥ و ٣ / ٢٦٣.

كما قال أبو يوسف [١] : من طلب الدين بالكلام : تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء : أفلس، ومن طلب غريب الحديث : كذب" .

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : حُكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنّعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر ويُقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

وقال أيضاً : لقد اطّلعت من أهل الكلام على شيء، ما ظننتُ مسلماً يقوله، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى اللَّه عنه - ما خلا الشرك باللَّه - خيرٌ له من أن يبتلى بالكلام [٢]. انتهى .

وتجد أحد هؤلاء عند موته يرجع إلى مذهب العجائز؛ فُيقرُّ بما أقروا به، ويُعرضُ عن تلك الحقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب .

والدواء النافع لمثل هذا المرض، ما كان طبيب – القلوب صلوات اللَّه وسلامه عليه– يقوله - إذا قام من الليل يفتتح الصلاة - : " **اللَّهم ربَّ**

(١) أبو يوسف : الإمام العلامة فقيه العراقين يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي صاحب أبي حنيفة سمع هشام بن عروة وعطاء بن السائب والطبقة وعنه ابن معين وأحمد وخلق كثير . مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة. انظر طبقات الحفاظ .

(٢) ذكره البيهقي في "مناقب الشافعي" ١/٤٥٣ - ٤٥٤ - وعلَّق عليه بقوله إنما أراد الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الكلام حفصاً (حفص القرد)وأمثاله من أهل البدع . وكان حفص يقول بخلق القرآن . وانظر " آداب الشافعي ومناقبه " ص ١٨٢، وتبيين كذب المفترى " ص ٣٤١ .

جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض، عالِم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اخُتلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم" .(١)

فتوجّه ﷺ إلى ربه بربوبية جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، أن يهديه لما اخُتلف فيه من الحق بإذنه؛ إذ حياة القلب بالهداية .

وقد وكَّلَ اللَّه سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة :

فجبرائيل : موكَّل بالوحي، الذي هو سبب حياة القلوب .

وميكائيل : بالقَطر الذي هو سبب حياة الأبدان، وسائر الحيوان .

وإسرافيل : بالنفخ في الصور، الذي هو سبب حياة العالم، وعودِ الأرواحِ إلى أجسادها . فالتوسل إلى اللَّه سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكَّلة بالحياة، له تأثير عظيم في حصول المطلوب، (واللَّه المستعان) (٢) .

* * *

(١) اخرجه مسلم ١٧٧، وأبو عوانة أيضاً في " صحيحه " .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٠٩ - ص: ٢١٠ لإبن أبي العز الحنفي .

المبحث الثامن

توحّد صفوف المسلمين

وهذه من أغلى ثمرات الالتزام بمنهج السَّلف :

فالسّلف أحرص الناس على جمع كلمة المسلمين على الحق، ولم شعثهم، وإصلاح ما فسد من شؤون دينهم ودنياهم [(١)]، وإزالة أسباب النزاع والفرقة بينهم؛ لعلمهم أن الاجتماع رحمة، وأن الفرقة عذاب؛ ولأن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أمر بالائتلاف، ونهى عن الاختلاف كما في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [(٢)] .

وذلك لأن طريقة السّلف هي الطريقة المثلى، فهي ترد جميع المسلمين إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت

---

(١) وذلك لأنهم من أوسع الناس أُفقاً، وأبعدهم نظراً، وأرحبهم بالخلاف صدراً، وأكثرهم للمعاذير التماساً. وهم لا يأنفون من سماع الحق، ولا تحرج صدورهم من قبوله، ولا يستنكفون من الرجوع إليه، والأخذ به. ثم إنهم لا يُلزمون الناس باجتهاداتهم، ولا يضللون كل من خالفهم، ولا تضيق أعطانهم في الأمور الاجتهادية، التي تختلف فيها أفهام الناس.

ومن مظاهر سعة الأفق عندهم بعدهم عن التعصب المقيت، والتقليد الأعمى، والحزبية الضيقة. انظر : مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٨٦ - ٨٧ . لللشيخ محمد بن إبراهيم الحمد حفظه الله .(بتصرف)

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٢- ١٠٣ .

شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعزّ بها الإسلام قديماً وحديثاً، منذ عهد الخلفاء الراشدين ومروراً بالدولتين الأموية العباسية خاصة في أول عهدهما إلى الدولة السعودية في الوقت الحاضر، حيث نصرت السنة، ودعت إلى التوحيد، وحاربت البدع والشركيات، وطهّرت البلاد المقدسة منها، ولا تزال كذلك - بحمد اللَّه -، وينبغي أن تبقى كذلك على عهدها .

بخلاف الدول التي قامت على غير السنة مثل دول الرافضة والباطنية، والقرامطة، والصوفيّة، وكدولة بني بويه، والفاطميين (العبيديين)، التي مزقت المسلمين، وأشاعت بينهم البدع والشركيات . ولما صارت للمعتزلة وزارة ومراكز في عهد بعض الخلفاء العباسيين ظهرت البدع الكلامية، وحوصر أئمة أهل السنة، وافتتن الناس - بل العلماء - في دينهم [1].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر : مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٣٣ . د.ناصر بن عبدالكريم العقل حفظه الله . (بتصرف)

المبحث التاسع

الهداية والنصر والتمكين في الدنيا، والنجاة والفوز في الآخرة

وهذا موقوف على متابعة مذهب السَّلف .

قال اللَّه تعالى : ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[1] .

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لَنْ يَصْلُحَ آخرُ هَذهِ الأمةِ إِلَّا بما صَلُحَ بهِ أَوَّلها ؛ فَمَا لَمْ يَكُنْ يوْمئذ دينا لَا يَكُونُ اليَوم دِيناً .

* * *

(١) البقرة الآية ١٣٧ .

المبحث العاشر

طريقة السلف: أسلم، وأعلم، وأحكم

وهو في الواقع برهان ودليل ساطع على الالتزام بمنهج السّلف الصالح وثمرة من ثمراته كما أنه رد وبيان لبطلان المقالة القائلة: «إن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم وأعلم» ويتضح ذلك من الوجوه التالية (١) :

أولًا : إن العبارة متناقضة في نفسها إذ لا سلامة إلا مع العلم والحكمة ومذهب السلف هو الأعلم والأحكم والأسلم .

ثانياً : أن العلم والحكمة في الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وهذا هو ما عليه السّلف دون الخلف فمذهب السلف هو الأولى بالعلم والحكمة .

ثالثاً : إن السلامة في الدنيا والآخرة منوطة شرعاً باتباع ما جاء به الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾(٢)، وهذا هو ما عليه السّلف، وهذا لا يكون إلا مع العلم، كما قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾(٣) وقال سبحانه : ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٤) والحكمة اتباع ما فيه السلامة ودلّ عليه البرهان والدليل ما جاء

---

(١) الحموية من النفائس ٨٩ وما بعدها ، الرسالة التدمرية من النفائس ٣٨ وما بعدها.

(٢) سورة النساء آية ٦٥.

(٣) سورة محمد آية ١٩ .

(٤) سورة الزخرف آية ٨٦ .

به الرسول ﷺ فثبت أن العلم والحكمة والسلامة فيما عليه السّلف .

رابعاً : إن سبب هذه المقالة هو ظن من تكلم بها بأن مذهب السّلف هو مذهب أهل التفويض، وهو قراءة حروف القرآن الكريم والسنة النبوية دون اعتقاد ما تدلّ عليه من معنى عند من يقول منهم : إن لها معنى مفهوم(١)، وعند من يقول أن لها معنى لا يُفهم، أو ليس لها معنى، فلا يزيد على قراءة الحروف فقط، والحق أن هناك فرق بين مذهب السّلف ومذهب أهل التفويض.

وتحريره هو أن مذهب السّلف، تفويض في الكيفيات والحقائق الخارجية الواقعية، أما المعاني اللغوية فلا تفويض فيها، لأن ألفاظ الكتاب نزلت بلغة العرب وهي موضوعة لِمَعَانٍ مقصودة من إطلاق اللفظ، ولذا ثبت عنهم أنهم قالوا أمرّوها كما جاءت، ولا يمكن يصح الإمرار إلا بأن يمر اللفظ بما حمله من معنى .

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فتأويل ما أخبر اللَّه تعالى به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الأسماء والصفات هي حقيقة لنفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات وتأويل ما أخبر اللَّه به تعالى عن الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه، لأن ما أخبر اللَّه به عن نفسه وعن اليوم

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ مِنْ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ : إنَّمَا أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا : أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلَفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ .

الآخر فيه ألفاظ متشابهة تشبه معانيها ما نعلمه في الدنيا لفظاً ومعنى لكن ليس هو مثله ولا حقيقته حقيقته، فأسماء اللَّه تعالى وصفاته أولى، وإن كان بينهما وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه أن لا يكون لأجلها الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته كحقيقته "[١].

وهذا هو معنى قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ : " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة "[٢] وقول شيخه ربيعة بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ : «الإستواء معلوم، والكيف مجهول ومن اللَّه البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان»[٣].

ومن أسباب هذه المقالة كذلك هو أخذ الخلف بالتأويل : الذي هو صرف النصوص إلى معنى قد تحتمله اللغة، لكن في غير هذا السياق المعيّن، والتأويل عندهم مظنون بالاتفاق[٤]، فلا أحد منهم يقطع بالمعنى الذي صرفوا اللفظ إليه - لم يحصِّلوا شيئاً، بل تركوا النصوص، وفيها الحق واليقين، ولجؤوا إلى احتمالات وتجويزات مزقتهم كل ممزق، مع حيرة وضياع .

خامساً : إن اتفاق السّلف في سائر عصورهم على ما هم عليه دليل علمهم، واضطراب الخلف وتنقلهم من رأي إلى آخر، دليل عدم علمهم بالحق واضطرابهم في الاستدلال[٥].

(١) الرسالة التدمرية من النفائس ص ٣٨ .
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٠٨، الاعتقاد ص ١١٦ .
(٣) الرسالة التدمرية من النفائس ص ٣٩، الحموية منها ص ٩٠ .
(٤) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٠٤ .
(٥) انظر : نقض المنطق ص ٤٢ .

سادساً : رجوع كثير من أئمة الخلف إلى مذهب السّلف وتصريحهم بصحة ما عليه السّلف كالأشعري والجويني وغيرهما [١]، وأما السّلف فما علم عن أحد علمائهم، ولا صالح عامتهم رجوع عما هم عليه [٢].

سابعاً : شهادة أئمة الخلف على أنفسهم بالضلال ومن ذلك قول الغزالي : «الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على الزوال بكل شبهة بل الإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم بتواتر السماع[٣]» . [٤]

فضل علم السّلف على علم الخلف :

وذلك لأسباب كثيرة، منها :

١- لأن السلف أعلم الناس بلغة العرب .

٢- لأن السلف شاهدوا التنزيل .

---

(١) انظر : الرسالة الحموية من النفائس، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) انظر : نقض المنطق ص ٤٢ .

(٣) الجواهر الغوالي للغزالي ٩٩ ، إعلام الموقعين لابن القيم ص ٤/ ٢٤٧ . تعريف الخلف بمنهج السلف للدكتور / إبراهيم بن محمد بن عبد الله البريكان حفظه الله .

(٤) قال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ : «فهم - أي أهل الكلام - متفقون فيما بينهم على أن طريق السَّلف أسلم، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم، فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلمية لطريق الخلف أن تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز، وقالوا : «هنيئاً للعامة»، فتدبر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنئ من ظفر بها للجاهل الجهل البسيط، ويتمنى أنه في عدادهم، وممن يدين بدينهم، ويمشي على طريقهم، فإن هذا ينادي بأعلى صوت، ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها : الجهل خير منها بكثير، فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه، وينتهي عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلاً به عاطلاً عنه، ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين . . .» التحف في مذاهب السلف ص : ٣، ٤ .

٣- لأن النبي ﷺ أعلمهم كل شيء لقوله ﷺ**«تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعلم النافع من هذه العلوم كلها، ضبط لنصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها والتقيّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وما ورد عنهم من كلام في مسائل الحلال والحرام والرقائق والمعارف، وغير ذلك. والاجتهاد والوقوف على معانيه وتفهّمه ثانياً، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغلٌ لمن بالعلم النافع عنى واشتغل، ومن وقف على هذا أو أخلص القصد فيه لوجه اللَّه عَزَّ وَجَلَّ واستعان عليه، أعانه وهداه ووفّقه وسدّده وفهّمه، وحينئذ يُثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به، وهو خشية اللَّه»(٢).

وقال ﷺ: «**ما بعث اللَّه من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شرِّ ما يعلمه لهم**»(٣).

وقال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «لقد توفي رسول اللَّه وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علما»(٤).

---

(١) رواه أحمد: ٤/١٢٦، وأبو داود: ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وصححه الترمذي، والبزار، والضياء المقدسي والحاكم ووافقه الذهبي انظر الإرواء: ٢٤٥٥ وجامع العلوم والحكم ص: ١٨٧ وابن ماجة: ٤٣ وغيرهم.

(٢) فضل عِلم السّلف على علم الخلف ص ٤٥.

(٣) رواه مسلم ٦/١٨ ولفظه «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم وإن أمتكم...»

(٤) صحيح رواه أحمد ٥ / ١٥٣.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ : " قام فينا النبي ﷺ مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه "(١)

السلف أحكم الناس :

والأحكم : الأتقن، وهو لا يكون إلا بعد علم وأولى الناس بهذه الصفة هم الصحابة رضي اللَّه عنهم :

١- لأن اللَّه أمرنا باتباعهم قال تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾(٢).

٢- وكذلك الرسول ﷺ فعن العرباض بن سارية ﷺ قال : «**وعظنا رسول اللَّه** ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا : «**يا رسول اللَّه ! كأنها موعظة مودع، فأوصنا قال : «أوصيكم بتقوى اللَّه، والسّمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»**(٣).

وقال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله : «ولا يجوز تأويل في آية أو سنة لم

---

(١) رواه البخاري ٣١٩٢ - ٩/ ٢٨٩ .

(٢) سورة النساء آية ١١٥ .

(٣) رواه أحمد ٤/ ١٢٦ - ١٢٧، وأبو داود ٤٦٠٧ والترمذي ٢٦٧٦ والدارمي ٩٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤٦.

يكن على عهد السّلف ولا عرفوه، ولا بيِّنوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المستأجر»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين»(٢).

وبهذا يُعلم أن طريقة السّلف هي: الأعلم، والأحكم، والأسلم.

***

(١) انظر الإصابة في الاحتجاج بفهم الصحابة للشيخ حاي بن سالم الحاي حفظه الله.
(٢) مقدمة في التفسير ١ / ٩٦.

تقويم الفصل الثامن

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧] فأين يكون هذا الثبات؟ وما المقصود به؟

.. ..

.. ..

.. ..

السؤال الثاني: السلفية تُطلق ويُراد بها أحد سببين. اكتبهما بإيجاز؟

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

السؤال الثالث: ضع عنوانا مناسباً لهذه العبارة:

١- لا يجوز الاستدراك على هذه الشريعة.

.. ..

٢- قال الإمام مالك رحمه الله: "لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فما لم يكن يومئذٍ ديناً لا يكون اليوم ديناً».

.. ..

السؤال الرابع: كيف يستطيع منهج السّلف توحيد صفوف المسلمين ؟

.. ..

.. ..

.. ..

السؤال الخامس: ماذا نقصد بتعظيم نصوص الكتاب والسنة ؟

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

السؤال السادس:

طريقة السّلف: أسلم، وأعلم، وأحكم وذلك من وجوه اكتب خمسةً من هذه الوجوه باختصار.

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

.. ..

* * *

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أحمد اللَّه حمداً كثيراً على ما أنعم به عليَّ وتفضل، من إنهاء هذا البحث، وجمع ما تيّسر من شتات مسائله .

كما يطيب لي أن أقيّد باختصار أهم تلك النتائج المتحصِّلة من هذا البحث، وهي :

١- مصدر التلقي في الاعتقاد محصور في الكتاب والسنة الصحيحة، بفهم سلف هذه الأمة.

٢- إن اتباع هذا المنهج لا خيار للإنسان فيه، إن كان يريد العزة في الدنيا، والنجاة من النار في الآخرة.

٣- اتفاق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد - هم القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم

٤- النَّص أصل والعقل تابع؛ فمنهج السّلف يُسلِّم لنصوص الوحي، مع إعطاء العقل دوره الحقيقي، وعدم الخوض في الأمور الغيبية، التي لا مجال للعقل فيها، وأنه لا تعارض بين أدلة الشريعة، لأنها إنما أُنزلت لرفع الخلاف بين الناس، فلو كان فيها ما يقتضي الاختلاف - بتعارض أدلتها - لم يكن في إنزالها إلا فتنة، وهذا لا يقول به عاقل، يعرف حكمة الرب تعالى ورحمته بالناس .

٥- الدعوة إلى التوحيد أولًا - مع حسن المتابعة وإخلاص العمل لله وحده

- ونبذ الشرك والبدع، واستفراغ الوسع فيهما، مع عدم إغفال شيء من مقتضياتهما ولوازمهما، والتي يُبدأ فيها بالأهم فالمهم؛ على ضوء المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية .

٦- منهج السَّلف سهل وواضح، وهو الكفيل بالتثبيت على الجادة، بعد تثبيت اللَّه تعالى، ويمنع من التردد والانحراف الذي يتسبب به منهج أهل الكلام .

٧- منهج السَّلف يمنحك الوسطية، ويعصمك من الانحراف في باب الاعتقاد والقول والعمل .

٨- إن من الأمور التي تحتاجها الأمة في الوقت الحاضر : الإنصاف من النفس ومن الغير، سواء كان عدواً أو صديقاً، بعيداً عن التّحزّب والتّعصّب بكافة أشكاله.

٩- إن المنهج السّلفي أوسع من الأشخاص، والجماعات والهيئات؛ إنه الإسلام الصحيح الذي طُبِّق على أرض الواقع، وقد اتفق عليه سلف هذه الأمة .

١٠- إن منهج السَّلف يملك رؤية واضحة وواقعية تجمع كلمة الإسلام والمسلمين عن طريق طلب العلم الشرعي، والتصفية والتربية، وربط المسلم بسلفه الصالح من العلماء الربانيين .

هذا ما تيسر جمعه وإعداده في هذا البحث الذي أسال اللَّه تعالى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، والحمد لله رب العالمين .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي .

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير.

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

حكم اتباع منهج السّلف

ص(٤٧ - ٥٤)

الفصل الثالث

أسماء السَّلف وألقابهم

ص(٥٥ - ٧٦)

الفصل الرابع

الثبات على المنهج

ص(٧٧ - ٩٤)

الفصل الخامس

أهم أصول منهج السَّلف في العقيدة
ص(٩٥ - ٢٣٨)

الفصل السادس

خصائص المنهج السّلفي ومميزاته

ص (٢٣٩ - ٣٠٦)

الفصل السابع

أصول الدعوة السلفية

ص(٣٠٧ - ٥٨٦)

الفصل الثامن

نتائج الالتزام بمنهج السلف وثمراته

ص(٥٨٧ - ٦١٥)

بحمد الله تعالى

❏ تم الصف والإخراج بشركة غراس للطباعة والنشر والتوزيع والدعاية والإعلان ❏
❏ هاتف ٢٤٨١٩٠٣٧ - فاكس ٢٤٨٣٨٤٩٥ - الكويت ❏

صدر للمؤلف

- **سلسلة الدروس العلمية للدعوة السلفية : ١ - ٤**

١- البراءة والتحذير من خطر التكفير.

تقديم الشيخ / عثمان بن محمد الخميس

٢- أطايب القول في حُسن التعامل مع ولاة الأمر.

تقديم الشيخ / محمد الحمود النجدي.

٣- المختصر الحثيث في بيان أصول منهج السلف أصحاب الحديث

تقـديم: -الشيخ محمد الحمـود النجدي - د. بسام خضر الشطي، -د.وليد خالد الربيع. - د. عبد الرحمن الجيران -أ.خالد بن جمعة الخرّاز، - اللجنة الثقافية بجمعية إحياء التراث - قرطبة.

٤- الحلية بشرح القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة .